الحوض والصراط والميزان

في القرآن الكريم والسنة النبوية

أدلة إثبات الحوض والكوثر والصراط والقنطرة والميزان وصفاتها وكيفياتها وحكم الإيمان بها

تأليف

الدكتور مراد عبد الله بن ع مهدي الجنابي

DKI

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: Al-Ḥawḍ wal-Ṣirāṭ wal-Mizān
fi al-Qur'ān al-Karim wal-Sunnah al-Nabawiyyah

The Pond ,The Path and The Balance
in the Holy Qur'an and the Prophetic Sunna

Author: Dr. Murād ʿAbdullah Buraʿ Mahdi al-Janābi

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 400

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: الحوض والصراط والميزان
في القرآن الكريم والسنة النبوية

المؤلف: د. مراد عبدالله برع مهدي الجنابي

الناشر: دار الكتب العلميـــة ـ بيروت

عدد الصفحات: 400

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنــان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-4524-X
9 782745 145246 90000

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢/ ١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أفاض الوجود إكراما لسيدنا محمد ﷺ وتكريما، وزين العوالم بأنوار جماله تعريفا به وتنويها بذكره وتفهيما، وبث اسمه بين الخلائق رفعة لشرفه وقدره على العالمين وإعلاءًا لشأنه وتفخيما، وأخذ العهد على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به وينصروه ويوقروه ويعظموه تعظيما.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي صلى الله تعالى عليه وملائكته وسلم تسليما، وأرسله الحق عز وجل شاهدا ومبشرا ونذيرا وبالمؤمنين رؤوفا رحيما، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وصراطا مستقيما، وكشف الحجب في الآخرة عن علو قدره ومقداره فاضطر الخلائق إلى الالتجاء إليه والاستعانة به، فنال بالشفاعة العظمى مقاما محمودا كريما، وأقامه عند الميزان والصراط داعيا لامته : اللهم سلم تسليما، وأعطاه الحوض والكوثر يسقي من ارتضاه، وأثابه جنة ونعيما، ورضي الله تعالى عن آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين، الذين اختارهم الحق عز وجل لصحبة نبيه، وحباهم فضلا عميما، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان متخذين نهجا قويما.

أما بعد :

فإن من رحمة الله تبارك وتعالى بهذه الأمة المحمدية العظيمة، أن خصها القريب المجيب بهذا النبي الحبيب الحسيب ﷺ الذي بين وفسر كل شيء في كتاب الله العزيز المهيب، وفصل أحكامه وقوانينه تفصيلا من لدن غفور رقيب، وأظهر مراد الخالق العظيم من عباده المؤمنين الصالحين بإعجاز عجيب، ونبه إلى ضرورة اتباع منهجه الكريم للنجاة من أهوال يوم لا ينفع فيه

مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم منيب.

ومن رحمته سبحانه وتعالى أن جعل لشريعة نبيه المصطفى ﷺ خصائص عظيمة، ميزتها عن سائر الأمم السابقة القديمة، فخصها بالعموم والشمول، فأحكامها تستغرق شؤون الإنسان كلها الفردية والجماعية، الدنيوية والأخروية، وتبدأ مع الإنسان مذ هو جنين إلى أن يبارح الدنيا، وتمتد إلى حياته الأخروية منذ حياته الدنيوية، فهي عامل للناس جميعا، شاملة أحوالهم جمعاء عقيدة وشريعة وسلوكا(١).

أهمية الموضوع ومكانته

لقد بين حضرة النبي ﷺ في دعوته إلى الله عز وجل بأن من أسس هذه العقيدة الإسلامية العظيمة، الإيمان بالله وحده لا شريك له، الحي القيوم، العالم القدير الخالق، السميع البصير، المريد المتكلم، المحيي المميت، بديع السماوات والأرضين بعد عدم محض، ليس كمثله شيء لا ذاتا ولا صفة ولا فعلا.

وان سيدنا ونبينا محمد هو رسول الله وخاتم النبيين ﷺ نزل إليه الروح الأمين برسالة رب العالمين إلى الناس أجمعين، ومعجزته القرآن المبين، وان البعث والحساب والحوض والميزان والشفاعة والصراط، والنعيم والعقاب، وخلود الروح بعد الممات، والملائكة والرسل، والكتب والقدر خيره وشره، والإسراء والمعراج، وكرامات الأولياء كل أولئك حق، وجب التصديق به، والتسليم له لما أخبر به النبي الكريم عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وإن مما لا جدل فيه أن أشرف العلوم وأولاها بالعناية والاهتمام هو ما يتعلق منها بأمر العقيدة الإسلامية السمحة، وكيف لا يكون ذلك، وقد كان من عظم أمرها أن الله عز وجل هو الذي تولى بيانها، فأنزل الكتب وأرسل الرسل ثم بين أن القصد من خلق الجن والإنس وإيجادهم إنما هو لتوحيده

---

(١) ينظر معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي: ١٨.

وعبادته جل جلاله وعم نواله فقال عز من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾(١) وهذا العلم الشريف نال اهتمام جهابذة الإسلام وعلمائه الأولين والآخرين فهو الفقه الأكبر كما سماه سيدنا الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه ونفعنا والمسلمين من بركات علومه الشريفة.

والمتابع لآيات الله عز وجل يجدها نبهت المؤمنين أيما تنبيه إلى أهمية اليوم الآخر، وما فيه من عوالم ومواقف رهيبة مخيفة، وأحداث جسيمة عنيفة، ونعم كثيرة وخيرات وفيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وجاءت أحاديث النبي المصطفى ﷺ لتبين وتفصل تلك الأحداث شاخصة مجسمة بشكل دقيق مضبوط، معبرة عن خطورة أمرها وعظم أهوالها وموضحة أين يكون موقف المؤمن منها.

ومن تدبر كلام رب العالمين جل جلاله وعميم نواله علم انه كثير التنبيه، شديد التحريض على ادكار الآخرة والاستعداد المطلوب لها. فما يمر القارىء على طائفة من آيات الله تبارك وتعالى البينات، إلا وفيها تصريح بأمر الآخرة وتلويح، كما أن من قرأ أحاديث الرسول الأعظم ﷺ رآها كثيرة التذكير بأمر الآخرة، عظيمة التحذير من أهوالها ومواقفها قوية التنبيه إلى السعي لها، والاستعداد إليها.

لاريب إذن أن هذا كله ينبئنا عن خطورة ذلك العالم الأخروي، وشدة هوله وعظم أمره، ووجوب الاهتمام بشأنه، فجدير بنا كل الجدارة أن نتحدث عن بعض عوالم الآخرة وبعض أحكامها، وأطوارها وأحوالها، متبعين في ذلك كتاب الله تبارك وتعالى المجيد وأحاديث رسوله ﷺ الطيب المبارك، وأقوال واستنباطات علماء أمته الحريصين على عقيدة دينهم المخلصين لعقيدة أهل السنة والجماعة.

وإذا كان ذلك واضحا، وشرفه معلوما، فإن البحث في جزء من أجزاء هذا الطريق المتمثل بعوالم الحوض والميزان والصراط، وما يقع فيه للخلق من

---

(١) سورة الذاريات / الآيتان ٥٦ـ ٥٧.

الوقوف لرب العالمين من أولهم إلى آخرهم، برهم وفاجرهم، غنيهم وفقيرهم، في صعيد واحد، لهو من الأهمية بالمكان الأعلى.

سبب اختيار الموضوع

لما رأيت أن الحديث عن مواقف الآخرة وعوالمها وما فيها من حساب ووزن للأعمال، وهول المرور على الصراط وعذابه، ونعيم الحوض والكوثر وطيب شرابه، يدفع الناس للحديث والتفكر بالآخرة وتوجيه أنظارهم إليها بطريقة سليمة مؤثرة ومختصرة للوصول بالإنسان إلى السلوك القويم والصراط المستقيم، فكان هذا سببا لاختيار هذا الموضوع، ومكملا لما بدأته في رسالة الماجستير الموسومة (حياة البرزخ في الفكر الإسلامي) وما فيه من تذكير الناس بعذاب القبر ونعيمه وسؤال القبر وضمته ونوره وظلمته، ولا سيما في عصر اتجه تفكير الناس فيه إلى المادة، بل وأصبح أكثر ما ترى وتشاهد من حولك لا يذكرك بالمصير المحتوم والحياة الباقية.

إن بحث اليوم الآخر ومواقفه مطلب جليل لا يندم صاحبه مهما بذل فيه من جهد ومهما تكبد بسببه من عناء، لا سيما وأن كثيرا من شباب المسلمين لا يعلمون من الآخرة غير اسمها، بل ربما يرى بعضهم أن البحث فيها ابسط من ذلك، وأنه لا حاجة إلى جميع ما هناك.

وبعض أسباب ذلك يعود إلى ظهور بعض المتطفلين على العقيدة الإسلامية السمحة من الجهال وأرباب الاستعمار الذين يحاولون إنكار الحياة الآخرة، من خلال تأويلات باطنية وأفكار شيوعية ملحدة، أو تقزيم تلك المواقف والعوالم بقياسها على قوانين الحياة الدنيا مما دفع بعض الناس إلى التفكير في المسائل المادية وقياسها بعالم البرزخ ومواقف الآخرة، واعتناق مذاهب فكرية عقلية، قاصرة عن إدراك حقائق اليوم الآخر، المؤيدة بالوحي الإلهي وخبر الصادق المؤيد بالمعجزات واستدلالات العقل المنضبط بأنوار الشرع الحنيف.

لذلك أردت والله المستعان أن أريهم قبسا من أنوار الآيات القرآنية الحكيمة والأحاديث النبوية الشريفة،عساها تشرق على قلوبهم فتطرد ظلمة

جهلهم بآخرتهم التي سينقلون إليها مهما طال بهم العمر وان كل آت قريب، وإنما البعيد ما ليس بآت،وحين ذاك ينكشف لهم الغطاء، ويتحقق اللقاء وتذهب الغفلات وتتوالى عليهم الحسرات والويلات، رحماك رحماك يارب الأرض والسماوات.

فهاك أخي المسلم المحسن نماذج مختصرة، وفصولا مقتصرة من بعض عوالم الآخرة، فيها صور علمية دقيقة، نعرضها متناسقة متسلسلة، تتجلى فيها حقائق الإيمان بالحوض والخير الكثير، والصراط جسر جهنم فالمرور عسير، والميزان المنير، فإما الجزاء الوفير، وإما الخسران المرير. وأنا أطمع أن يقبل الله تعالى العلي القدير، ما كان فيه من صواب بجاه البشير النذير، وان يغفر ما أخطأت فيه أو قصر عنه الفهم مما يلحق بطبيعة النقص الإنساني الفقير، راجيا منه سبحانه إخلاصا في القصد وصدقا في العمل، وسدادا في القول، إن ربنا على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وإليه المرجع والمصير.

واقتضى منهج البحث تقسيم هذه الرسالة على هذه المقدمة وأربعة فصول وخاتمة، أما طريقة منهجي في البحث فكانت متمثلة بإثبات عقيدة أهل الحق وأقوالهم في الحوض والصراط والميزان، ونفي أقوال معاريضهم من أهل النحل والفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، مستند في كل ذلك إلى ما جاء فيها من النصوص الآتية تثبتها أو تنفيها، وتكون تلك النصوص من القرآن الكريم وأحاديث حضرة الرسول ﷺ أو من أقوال علماء الأمة الإسلامية من أهل العقيدة الصحيحة الصافية، ثم عرض تلك النصوص بطريقة واضحة وتخريج الأحاديث وعزو الأقوال إلى أهلها من مصادرها المعتمدة.

ثم ترجيح ما قد يوجد فيها مما في ظاهره تعارض، وتحقيق أقوال العلماء التي قد تحتاج إلى التحقيق والبيان، وقد رأيت أن تظافر الأدلة في المسألة الواحدة مما يزيدها قوة واطمئنانًا في نفس السامع والقارئ.

واعتمدت على الكتب العلمية الرصينة كشرح العقائد النسفية، ومقالات الإسلاميين، وشرح المقاصد، وشرح المواقف، جوهرة التوحيد، وإحياء علوم الدين، والاقتصاد في الاعتقاد، وتكملة شرح الصدور، والتذكرة،

وتفسير الطبري، والقرطبي، والرازي، والآلوسي، وفتح الباري، وشرح الإمام النووي لصحيح مسلم، وغيرها من التي ألفها علماء الكلام وغيرهم من أهل السنة والجماعة من العلماء السلف والخلف، لاسيما علماؤنا وساداتنا الأشاعرة والماتريدية ومنهم الإمام الأشعري، والنسفي والتفتازاني، والباقلاني، والرازي، والغزالي، والقرطبي، وابن حجر، والنووي، والكيلاني، والإيجي، والهرشمي وغير هؤلاء العلماء الأفاضل، أو ما ذكره العلماء في هذا الباب في مؤلفاتهم ضمن موضوعات عامة.

إضافة إلى ما استفدته من آراء العلماء من أساتذتي واخص منهم الدكتور العلامة الشيخ محمد رمضان عبد الله، والدكتور حضرة الشيخ سعد الله أحمد عارف، والدكتور الشيخ عبدو الحاج محمد علي الحريري والدكتور الحبيب الشيخ ثائر إبراهيم الشمري وغيرهم بخالص الشكر والتقدير حيث كان لهم الفضل بعد الله تبارك وتعالى في توجيهي إلى ذكر مسائل في هذا البحث وإبرازها بوضوح لأهمية الحاجة إليها واسأله تعالى أن يحفظهم ويمدهم بمدده ويحقق لهم الأماني ويجعلهم سببا من أسباب إحياء حضارة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم، وأن يرحم والديهم ومشايخهم وعلماءهم إنه سميع مجيب.

وأما في المقدمة: فقد بينت سبب اختيار الموضوع وأهميته في العقيدة الإسلامية السمحة.

وفي الفصل الأول: بينت معنى الحوض والكوثر لغة واصطلاحا وذكرت الأدلة على ثبوتهما من الكتاب والسنة، ثم ذكرت أقوال العلماء من المحدثين في درجة أحاديث الحوض ومرتبتها، ثم عرجت على ذكر موقع الحوض وسعته ومسافته، وذكرت أقوال العلماء في رفع التعارض الذي حصل في اختلاف الروايات الصحيحة التي حددت طول الحوض وعرضه ثم ذهبت إلى جمع الأحاديث الصحيحة التي جاءت في وصف حوض نبينا محمد ﷺ وبيان الخير الكثير التي ينتظر الأمة في يوم البعث والنشور، وختمت الفصل ببيان حكم الإيمان بالحوض والكوثر في الشريعة الإسلامية.

أما الفصل الثاني: فقد ذكرت فيه أحوال الناس عند الحوض واستقبال حضرة الحبيب المصطفى ﷺ لأمته الغر المحجلين، وقد هيأ لهم الحوض وفتحه بيده الشريفة فتشرف الحوض به وبأمته، ثم ذكرت أصناف المذادين عن الحوض وأقوال العلماء فيهم، وناقشت أقوال النحل والفرق الضالة التي ادعت باطلا بأن المذادين عن الحوض هم أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) وجمعت أقوال العلماء الأفذاذ في الرد عليهم وفصلت القول في عرض الأعمال على حضرة النبي ﷺ في حياته البرزخية الكريمة واستغفاره لأمته إلا الذين ارتدوا عن الإسلام من الكفار والمنافقين وذودهم عن الحوض، ثم ذهبت أناقش أقوال المنكرين للحوض من أصحاب البدعة والضلالات وذكرت ردود أهل الحق عليهم.

وفي الفصل الثالث: بينت معنى الصراط لغة واصطلاحا، وذكرت أدلة ثبوته من الكتاب والسنة، وعرجت على الحديث الوارد في وصف الصراط على حقيقته التي خلقها الله تعالى له، وذكرت أقوال العلماء في أحوال الناس على الجسر وهيبة المرور عليه، وبينت من هو أول الناس مرورا عليه وشفاعته ﷺ للناس عند العبور، وذكرت حكم الإيمان بالصراط، وناقشت أقوال المنكرين له من المتقدمين والمتأخرين وبينت أقوال العلماء في الرد عليهم.

أما الفصل الرابع: فقد ذكرت فيه معنى الميزان لغة واصطلاحا، وأدلة ثبوته من الكتاب والسنة، وبينت أقوال العلماء في التفاصيل في الموازين وصفات الميزان على حقيقته وناقشت أقوال المؤولين لصفاته على المجاز، وعرجت على ذكر أحوال الجن وتعدد الموازين، وبينت حكم الإيمان بالميزان وكيفيته وماهي مرجحاته وحكمته، وختمت الفصل بذكر أقوال العلماء من أهل الحق وردودهم العلمية الرصينة.

وجعلت الخاتمة لبيان أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع ونظمت الفهارس للمصادر والمراجع، التي لم أذكرها كاملة في ثنايا البحث وإنما اكتفيت إلى الإشارة إليها بالجزء والصفحة في هوامش البحث، ونظمت ملحقا يتضمن أسماء الأعلام الذين وردت أسماؤهم أو

أسماء كتبهم في ثنايا البحث، وقد قمت بضبط الآيات القرآنية الكريمة على المصحف العراقي الذي تشرفت بطبعه وزارة الأوقاف والشؤون الدينية وخرجت الأحاديث من الكتب الحديثة المتوفرة في المكاتب أو بطريقة الحاسوب، وقد تجاوزت الصعوبات بفضل الله تعالى ومَنّه، وأعانني عز وجل على تجاوز إشكالات البحث لتشعب موضوعاته وكثرة مادته في صعوبة حصرها وقد تبين لي أن كل فصل منها يصلح أن يكون مشروعا لنيل درجة الماجستير، وقد تغلبت عليها بعونه تعالى وببركة دعاء وتوجيهات عباده الصالحين.

والله سبحانه أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم الغفور، وينفعني به وإخواني المؤمنين يوم البعث والنشور، وأن يغرس فيه البركة والنفع العام لقارئيه والمطلعين عليه وأن يجعله من الكلم الطيب والعمل الصالح بجاه النبي العربي الشكور، وأرجو من القارئ الكريم أن يدل صاحبه على هفوته وزلاته وسقطاته وأخطائه، فإن أحسنت فمن الله عز وجل وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، ربنا عليك توكلنا وإليك المصير، وصلى الله على سيدنا وحبيب قلوبنا وشفيع ذنوبنا وأنيسنا في وحشتنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه الكريم من العلماء العاملين والمشايخ الكاملين والمرشدين العارفين إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

الفصل الأول

الحوض والكوثر

تمهيد: الإيمان بالآخرة ومواقفها.

المبحث الأول: الحوض والكوثر لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أدلة إثبات الحوض والكوثر.

المبحث الثالث: أحاديث الكوثر متواترة.

المبحث الرابع: موقع الحوض يوم القيامة.

المبحث الخامس: سعة الحوض ومساحته.

المبحث السادس: صفات الحوض المورود.

المبحث السابع: حكم الإيمان بالحوض.

تمهيد

الإيمان بالآخرة ومواقفها

إن قضية الإيمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والنشور والحوض والحساب والشفاعة والميزان والصراط والجنة والنار، من قضايا العقيدة الإسلامية الأساسية، بعد الإيمان بوحدانية الله عز وجل ونبوة سيدنا محمد ﷺ، والتي لا يقوم هذا الدين إلا عليها، ولا يكمل الإيمان إلا بها.

ذلك لأن الإيمان بالله تعالى يعرفنا بمصدر هذا الكون وخلقه، والإيمان باليوم الآخر يعرفنا بمصيره ونهايته قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[١]، وقضية الآخرة منوطة بالإيمان بالله فمن عرف قدرة الله الذي خلق كل شيء وعرف علم الله الذي لا يغيب عنه شيء، وعرف عدله وفضله وكرمه ورحمته آمن بالآخرة، وقضية الآخرة كذلك منوطة بالإيمان بحضرة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ فمن آمن به عرف الآخرة لأن عليها مدار البعثة، فالبعثة يترتب عليها تكليف ومسؤولية وجزاء، بل إن منهج النبي الكريم ﷺ وما فيه من بركات وثمرات يجعلك تعيش الحياة الآخرة وعوالمها وتتهيأ لها بروحك قبل الانتقال لها مروراً بعالم البرزخ وما بعد الموت[٢].

ومن عرف أن القرآن الكريم كتاب الله وعرف معجزاته وإعجازه وأدرك سنة المصطفى فهما وذوقاً لا يشك باليوم الآخر.

وأمر اليوم الآخر مداره على الإيمان والتسليم فتلك عوالم نحن مقبلون عليها لا نعرف عنها إلا ما أخبرنا عنها الله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ،

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨١.

(٢) تنظر حياة البرزخ في الفكر الإسلامي: ١٣٩.

وواجبنا في الأخبار، الإيمان والتسليم دون الاعتراض والتشكيك، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[١].

وأن اليوم الآخر حق ثابت لا ريب فيه دلت عليه النصوص القاطعة التي أوجبت الإيمان به والاستعداد له، قال تعالى ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾[٣].

وأن المنصف إذا أمعن النظر في الآيات القرآنية الكريمة يجدها قد سلكت في إثبات الآخرة والحشر والحساب وجميع عوالم ومواقف الآخرة أحسن الطرق التي تنير العقول، وتبصرها منهاج الوصول إلى اعتقاد ذلك والإذعان إليه.

وإذا تدبرنا الآيات الكريمة التي تبحث عن الحياة الآخرة يتضح لنا جليا أنها تستنهض العقول من غفلاتها، وتستنفر الأفكار من مراقدها، لأجل أن تضطرها إلى إثبات عالم الآخرة فتتحرك القلوب مطمئنة بذكر باريها جل جلاله وعم نواله، وأن العقل السليم ليأبى أن يقف عند حد العالم الدنيوي الفاني، وينكر العالم الآخر الباقي.

وقد عني القرآن الكريم بمشاهدة القيامة ومواقفها، فلم يعد ذلك العالم الآخر الذي وعده الناس يعد هذا العالم الحاضر موصوفاً فحسب، بل عاد مصورا محسوسا حيا متحركا وبارزا شاخصا، وعاش المسلمون مع هذا العالم الآخر عيشة كاملة في شعورهم ووجدانهم، رأوا مشاهده وتأثروا بها، وخفقت قلوبهم تارة، وسرى في نفوسهم الفزع مرة، وعاودهم الاطمئنان في قلوبهم تارة أخرى، فأدركوا بقلوبهم وأرواحهم تلك العوالم وتهيئوا لها بتدريب

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٣.
(٢) سورة لقمان: الآية ٣٣.
(٣) سورة يونس: الآية ٥٣.

أرواحهم لذلك اليوم، فتحسسوا العذاب ولفحهم من النار شواظ، ورف إليهم من الجنة نسيم، ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تام المعرفة، قبل اليوم الموعود(1).

هذا وقد جاءت الآيات القرآنية في إثبات العالم الآخر على وجوه متعددة:

أولاً: تنبيه القرآن الكريم الى أن النظر في العالم السماوي والأرضي يؤدي إلى إثبات الآخرة، قال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(2).

ثانياً: تنبيه القرآن الكريم إلى أن النظر في إبداع الإنسان يؤدي إلى إثبات الآخرة. قال سبحانه: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾(3).

ثالثاً: النظر في حكمة الشرائع الإلهية ودقتها يؤدي إلى إثبات اليوم الآخر، قال عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116)﴾(4).

فهذه الآيات الكريمة ترشدنا إلى أن قضية الآخرة هي حق(5) وحقيقة لا ريب فيها، يؤمن بها أهل العقول السليمة، ويستدلون على حقيقتها بمختلف الدلائل الكونية، الآفاقية والنفسية والدلائل التشريعية.

---

(1) ينظر مشاهد القيامة في القرآن: 37.
(2) سورة آل عمران: الآيتان 190-191 وينظر تفسير ابن كثير للآية وما بعدها: 1/621.
(3) سورة التين: الآيات 1-8، وينظر هذه عقيدتك يا ولدي: 46-47، وكتاب الله جل جلاله: 99.
(4) سورة المؤمنين: الآيتان: 115 ـ 116.
(5) ينظر شرح المقاصد: 2/153 وشرح المواقف: 2/453 وشرح النسفية: 149 وشرح الطحاوي: 352 وشرح الجوهرة: 184 وأصول الدين الإسلامي: 400.

ومن المعلوم أن قضايا الآخرة بالقرآن وبالبرهان وبالعيان من أصدق إنسان في جميع الأكوان هو سيدنا محمد سيد ولد عدنان ﷺ فلا حاجة بعد ذلك إلى حجة وبيان، ولا ريب في قطعية صدق سيدنا محمد ﷺ وأمانته، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[(١)] وصدقه الحق عز وجل بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[(٢)] وصدقه عباد الله، وصدقته الملائكة، وصدقته الأشجار والأحجار والامداد.

ووصف تعالى من آمن به وصدقه بأنه من الصديقين قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ﴾[(٣)]، وصدقته: أي شهدت بصدقه ﷺ وأمانته فكانوا يسمونه الصادق الأمين ولم يعثروا له على كذبة واحدة قط منذ صغره بأبي هو وأمي ﷺ والفضل بما شهدت به الأعداء، فقال له أبو لهب: [يا محمد ما خبرنا عليك إلا صدقا][(٤)].

وقال الإمام البوصيري:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة
تمشي إليه على ساق بلا قدم[(٥)]

اللهم اجعلنا ممن يؤمن بالآخرة حق الإيمان وممن يستعد لها قبل اللقاء بمتابعة منهج النبي سيد ولد عدنان ﷺ ومنّ علينا بشفاعته والفوز بجواره في الدارين إنك سميع مجيب.

---

(١) سورة النجم: الآيتان ٣-٤.
(٢) سورة الزمر: الآية ٣٣.
(٣) سورة الحديد: الآية ١٩.
(٤) الإيمان بعوالم الآخرة: ١٧.
(٥) البردة للبوصيري: ١٠.

المبحث الأول

الحوض والكوثر لغة واصطلاحا

حوض حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ هو أشهر الأحواض وأكثرها وردًا يوم القيامة وأوسعها لكثرة أتباعه الذين يردون حوضه الصافي المبرد، فهو مكرمة ومنة عظيمة منه سبحانه على نبيه ﷺ، ليواصل المؤمنون به الشراب الحسي، كما شربوا في الدنيا الشراب الروحي من الاهتداء والاقتداء والتأثر به ﷺ، ولا يشرب ذلك الشرب الحسي في عرصات القيامة إلا من شرب الشراب الروحي وترقى بروحه في الدنيا فتهيأ لتلك المنازل بقوه روحه وقلبه، وإلا فإنه يذاد عنه ويطرد، جزاء وفاقا، لأنه أعرض عن الاهتداء والاقتداء بمن اصطفاهم الله تعالى لتبليغ رسالته في الحياة الدنيا، فيجازى بطرده في الآخرة عن الشرب منه.

الحوض لغة: واحد وجمعه الأحواض والحياض، واستحوض الماء: اجتمع، وحاض الرجل: اتخذ حوضا(١).

والحوض في اللغة يطلق، ويراد به: مجمع الماء، قال الليث: [الحوض معروف، والجمع: الحياض والأحواض، والفعل: التحويض، واستحوض الماء: أي اتخذ لنفسه حوضا](٢).

وقال الفيروزآبادي: [الحوض مفرد، وجمعه حياض، وأحواض من حاضت المرأة أو من حاض الماء جمعه، وحوضا اتخذه، وحوض الحمار سبُ: أي مهزوم الصدر، وذو الحوضين عبد المطلب واسمه شيبة أو عامر بن هاشم وحوضي كسكرى وكمعظم شيء كالمحوض يجعل للنخلة تشرب منه، واستحوض الماء اتخذ لنفسه حوضا، وأنا أحوض لك هذا الأمر: أي أدور حوله](٣).

---

(١) مختار الصحاح للرازي: ١٦٢ باب حوض.

(٢) تهذيب اللغة: ٥/١٥٨.

(٣) تهذيب اللغة: ٥/١٥٨.

وقال الجوهري: [وحضت أحوض: اتخذت حوضا، ومنه قولهم: أنا أحوض ذلك الأمر: أي أدور حوله مثل أحوط][١].

وقال الفيومي: [حوض الماء جمعه أحواض وحياض، وأصل حياض الواو، لكن قلبت ياء للكسرة قبلها، مثل ثوب وأثواب وثياب][٢].

وفي الرائد: قال جبران مسعود: [حوض تحويضا: ١- عمل حوض. ٢- الماء جمعه. ٣- حول الأمر: دار حوله، والحوض مصدر حاض أي مجتمع الماء، ومن الأذن: صدفتها أي: جوفها الظاهر المتقعر][٣].

الحوض اصطلاحاً: هو ما جاء الخبر به، من أن لنبينا المصطفى سيدنا محمد ﷺ حوضا[٤]، ترد عليه أمته في عرصات يوم القيامة، جعله الله غياثا لهم واكراما لنبينا محمد ﷺ.

وهو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الأرض المبدلة، وهي أرض بيضاء، كالفضة، لم يسفك فيها دم ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تظهر لنزول الجبار جل جلاله وعم نزاله لفصل القضاء، ماءه أبيض مثلج، من شرب منه لا يظمأ أبدا، يعطى للرسول ﷺ في الآخرة لترده أمته[٥].

وإنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وأنه كلما شرب منه في زيادة واتساع، وأنه ينبت خلاله من المسك ويثمر الوان الجواهر[٦].

---

(١) الصحاح، مادة حوض: ٣/ ١٠٧٢، وينظر النهاية لابن الأثير: ١/ ٤٦١، وأساس البلاغة: ٩٩.
(٢) المصباح المنير: ١/ ١٦٩ مادة حاض للعلامة الفيومي.
(٣) الرائد: ١/ ٥٩٧ لجبران مسعود.
(٤) ولغيره كذلك من الأنبياء احواض على ما سيأتي ذكره.
(٥) شرح جوهرة التوحيد: ١٨٤، وينظر شرح نهاية الإقدام للشهرستاني: ٤٧٠ وكتاب المسايرة على المسامرة: ٢٤١. ولباب البحث في شرح كتاب البعث لأبي داود السجستاني: ١٥٧.
(٦) شرح العقيدة الطحاوية: ١٦٧، وينظر تنوير القلوب للكردي: ٧٣، والوسيلة للشيخ عبد الكريم بياره: ٨٠٢.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه، فلا يظمأ بعده أبدا»[١].

والعلماء قاطبة على تعريف الحوض: بأنه حوص نبينا محمد ﷺ الموعود به في الآخرة، والذي سنفصل الكلام عنه في مباحث الرسالة إن شاء الله تعالى.

الكوثر لغة

يطلق الكوثر في اللغة على عدة معان دائرة حول الكثرة والاتساع ومن تعريفات أهل اللغة له ما قاله الفيروزآبادي: [والكوثر: الكثير من كل شيء، والكثير الملتف من الغبار، والإسلام، والنبوة، والرجل الخير المعطاء، والسيد، والنهر، ونهر في الجنة تتفجر منه جميع أنهارها][٢].

وقال الأزهري: [الكوثر فوعل من الكثرة، ومعناه: الخير الكثير][٣].

وذكر الإمام الرازي رحمه الله أن الكوثر: فوعل من الكثرة وهو المفرط في الكثرة، قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم رجع ابنك؟ قالت: آب بكوثر، أي بالعدد الكثير، ويقال للرجل الكثير العطاء كوثر.

قال الكميت:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب
وكان أبوك ابن الفضائل كوثرا

ويقال للغبار إذا سطع: كثر كوثرا[٤].

وعرفه الراغب بقوله: [قيل: نهر في الجنة يتشعب عنه الأنهار، وقيل: بل

(١) صحيح الإمام مسلم: ٤/١٧٩٣. وينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١٦٠.
(٢) القاموس المحيط: ٢/١٢٩ باب الراء فصل الكاف مادة كثر.
(٣) تهذيب اللغة: ١٠/١٧٨.
(٤) ينظر: تفسير الإمام الرازي: ٣٢/١٢٤.

هو الخير العظيم الذي أعطيه النبي ﷺ، وقد يقال للرجل السخي: كوثر، ويقال: تكوثر الشيء: كثر كثرة متناهية][١].

وقال الفيومي: الكوثر [فوعل: نهر في الجنة، وقيل: هو العدد الكثير][٢].

وذكر القرطبي رحمه الله أن الكوثر: فوعل من الكثرة مثل النوفل من النفل، والجوهر من الجهر، والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد والقدر والخطر كوثرا، وقيل: الكوثر الكثير من الأصحاب والأشياع وهو كل ما يدل على المبالغة والكثرة، وقد تكوثرا: إذا كثر، وقال حسان بن نشبة:

أبوا أن يبيحوا جارهم لعدوهم
وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا[٣]

وقال مجاهد رحمه الله: [الكوثر: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة][٤].

وروى الإمام البخاري رحمه الله عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر [هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة هو من الخير الذي أعطاه الله إياه][٥].

الكوثر اصطلاحاً

الكوثر: اسم لحوض النبي ﷺ في ساحة الموقف، ولنهر في الجنة على أصح الأقوال[٦]. بدلالة ما روي عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: (بينما رسول الله

(١) المفردات: ٤٢٦، وينظر: أساس البلاغة: ٣٨٧.
(٢) المصباح المنير: ١/ ١٨٦، باب كثر وينظر لسان العرب: مادة كثر.
(٣) تفسير القرطبي: ٨/ ٧٣٠٦.
(٤) الإيمان بعوالم الآخرة: ١٦٨.
(٥) صحيح البخاري: ٢/ ٣٣١ كتاب التفسير، وينظر تفسير القرطبي: ٨/ ٧٣٠٦ والأساس في التفسير: ١١/ ٦٧١٠.
(٦) ينظر تفسير الرازي: ٣٢/ ١٢١- ١٢٥، والقرطبي: ١/ ٧٣٠٨ وأبي حيان: ٨/ ٥١٩.

ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال قال: (أنزلت علي أنفاً سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ ثم قال: اتدرون ما الكوثر؟ فقلنا الله ورسوله أعلم قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب أنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك)[1].

فذلك النهر العظيم هو في الجنة يسمى كوثرا ويمتد منه إلى الموقف فيسمى الحوض ترد عليه أمة سيدنا محمد ﷺ.

أما تعريفه في **الاصطلاح**، فهو حسب مفهوم تعريفات العلماء له على ضوء ما عرفه به رسول الله ﷺ من أنه: نهر في الجنة، أعطاه الله نبيه محمداً ﷺ زيادة في إكرامه ولطفه به وبأمته، وهو متصل بالحوض الذي هو في الموقف على أصح الأقوال التي جمعها المفسرون رحمهم الله تعالى ومنهم الإمام القرطبي في تفسيره فقال: [واختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ على ستة عشر قولاً:

الأول: إنه نهر في الجنة، بدلالة ما رواه البخاري عن أنس والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج»[2].

الثاني: إنه حوض في الموقف، قاله عطاء بدلالة ما رواه الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً... إلى أن قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو

---

(١) صحيح الإمام البخاري: ٨/ ١٤٩-١٥٠، وصحيح الإمام مسلم بشرح النووي: ١٥/ ٥٣، وابن ماجه في سننه: ٢/ ١٤٣٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٢/ ٦٧ والطيالسي في مسنده: ٢٦١، والترمذي في جامعه: ٥/ ٤٤٩، وقال: حديث حسن صحيح وابن ماجه في سننه: ٢/ ١٤٥٠.

حوض ترد عليه أمتي... الخ الحديث»(١).

الثالث: إن الكوثر النبوة والكتاب، قاله عكرمة، **والرابع**: القرآن قاله الحسن، **والخامس**: الإسلام، حكاه المغيرة، **والسادس**: تيسير وتسهيل القرآن وتخفيف الشرائع، قاله الحسين بن الفضل.

والسابع: هو كثرة الأصحاب والأمة والأشياع، قاله أبو بكر بن عياش ويمان بن رئاب.

والثامن: إنه الإيثار، قاله ابن كيسان، **والتاسع**: إنه رفعة الذكر، حكاه الماوردي، **والعاشر**: إنه نور قلبك دلك علي وقطعك عما سواي، وعنه الشفاعة وهو **الحادي عشر**.

وقيل: معجزات الرب هدى بها أهل الإجابة لدعوتك، حكاه الثعلبي وهو **الثاني عشر**.

والثالث عشر: هو لا إله إلا الله محمد رسول الله، قاله هلال بن يساف، **والرابع عشر**: الفقه في الدين، **والخامس عشر**: الصلوات الخمس، **والسادس عشر**: هو الأمر العظيم من الأمر، قاله ابن إسحاق وذكر بيت لبيد:

وصاحب ملحوب فجعنا بفقده ... وعند الرداع بيت آخر كوثر

أي: عظيم وأراد بالكوثر: السيد الكثير الخير.

وقال القرطبي: [أصح هذه الأقوال الأول والثاني، لأنه ثبت عن النبي ﷺ نص في معنى الكوثر](٢).

وقال أبو حيان الأندلسي: (وذكر في الكوثر ستة وعشرون قولا، وقال والصحيح هو ما فسره به رسول الله ﷺ فقال: «هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل»(٣).

قال الشوكاني: [وذهب أكثر المفسرين -كما حكاه الواحدي- إلى أن

(١) صحيح الإمام البخاري: ٨/ ١٥٠ وصحيح الإمام مسلم بشرح النووي: ١٥/ ٥٦، وسنن ابن ماجه: ٢/ ١٤٣٨.

(٢) تفسير القرطبي: ٨/ ٧٣٠٨ وينظر الرازي: ٣٢/ ١٢٥ والأساس في التفسير: ١١/ ٦٧١٣، وصفوة التفاسير: ٣/ ٦١١، وينظر لباب البحث: ١٦٣.

(٣) البحر المحيط: ٨/ ٥١٩.

الكوثر نهر في الجنة، وقيل: هو حوض النبي ﷺ في الموقف، قاله عطاء... ثم ذكر بقية الأقوال التي ذكرها القرطبي رحمه الله][١].

وذكر السيوطي عن مجاهد رضي الله عنه قال: [الكوثر خير الدنيا والآخرة][٢]، وهذه الأقوال لا ينافي بعضها بعضا، إذ أنها تشترك في إثبات أن خيرًا خص الله به نبيه محمدا ﷺ إكراما وتشريفا له، وهذا يصدق على كل ما قيل في ذلك، **أما القول الأول**: وهو أن الكوثر نهر في الجنة، فهذا هو الراجح في بيان معناه والذي تشهد له النصوص كما أشرنا إليه.

وأما القول الثاني: وهو أن الكوثر هو نفس الحوض الذي وعد به نبينا محمد ﷺ فهو من باب تغليب التسمية باعتبار ما يصب فيه من الكوثر الذي هو داخل الجنة - كما سيأتي في وجه الاتصال بينهما.

وأما الأقوال الأخرى فإنها كلها تهدف إلى إثبات خير أوتيه نبينا محمد ﷺ، وكلها تدخل في تعريف من عرف الكوثر بأنه الخير الكثير، وأن كان في تلك الصفات ما يختص به وحده، ومنها ما يشركه فيها غيره من الأنبياء والرسل وأتباعهم كالشفاعة مثلا. وفي هذا يقول الخازن في تفسيره: (فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد أعطيه النبي ﷺ، أعطي النبوة، والكتاب، والحكمة، والعلم والشفاعة، والحوض المورود، والمقام المحمود، وكثرة الأتباع، والإسلام وإظهاره على الأديان كلها والنصر على الأعداء، وكثرة الفتوح في زمنه وبعده إلى يوم القيامة، وأولى الأقاويل في الكوثر الذي عليه جمهور العلماء أنه نهر في الجنة)[٣].

وقال العلامة النسفي رحمه الله: [والحوض حق لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ ولقوله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك.. الخ»[٤] والأحاديث فيه كثيرة][٥].

(١) فتح القدير: ٥/ ٥٠٢-٥٠٣، وينظر فتح الباري: ٨/ ٧٣٢.
(٢) الدر المنثور: ٦/ ٤٠٣ وعزاه على ابن جرير وابن عساكر.
(٣) تفسير الخازن: ٤/ ٤١٤. وينظر لباب البحث: ١٦٣.
(٤) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٥ وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٣.
(٥) العقائد النسفية: ١٣٨.

وقال النيسابوري: [قال أهل المعنى: ولعله إنما سمي كوثرا لأنه أكثر أنهار الجنة ماء أو خيرا، ولأن أنهار الجنة تتفجر منه][١].

ويقول ابن حجر: [والكوثر فوعل من الكثرة، سمي بها النهر لكثرة مائة وعظم قدره وخيره][٢].

والخلاصة أن ذلك النهر العظيم هو في الجنة يسمى كوثراً ويمتد منه إلى الموقف يوم القيامة فيسمى الحوض ترد عليه أمة نبينا ﷺ، لأنه ﷺ الموعود بكل خير بل هو مجمع الخير كله والفضل العظيم والنور والبر والفلاح والنجاح فلا يبتغي الخير ولا ينال إلا من معدنه ومعينه وذلك بحبه واتباعه بأبي هو وأمي، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾[٣] فالكوثر يخص النبي ﷺ دون غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين[٤].

اللهم ارزقنا من يده الكريمة شربة لا نظمأ بعدها أبداً ونسألك يا رب من فضلك ورحمتك جواره ﷺ في الفردوس الأعلى إنك سميع مجيب.

المبحث الثاني

أدلة إثبات الحوض والكوثر وبيان وجه الاتصال بينهما

لقد ثبت الحوض المورود بالنصوص الصحيحة الصريحة المتواترة واعتقد بصحته وثبوته جميع سلف الأمة، أما بالنسبة لأدلته من القرآن الكريم فإنه لم يرد به التصريح، إلا أن من العلماء من جعل الحوض بمعنى الكوثر، ثم استدل لإثبات الحوض بسورة الكوثر، تغليباً لاسم الكوثر على اسم الحوض[٥]، وسنبين موضع كل منهما ووجه الاتصال بينهما في مكانه إن شاء الله تعالى.

---

(١) غرائب القرآن: ٣٠/ ١٩٤.

(٢) فتح الباري: ٨/ ٨٣١.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٤) فتح الباري: ١١/ ٤٦٧ والدر المنثور: ٦/ ٤٠٢ وخصائص الأمة المحمدية: ٣١١.

(٥) ينظر على سبيل المثال: كتاب المسايرة: ٢٤٢ وتنوير القلوب: ٧٤ والوسيلة: ٨٠٢.

أدلة الحوض المورود في السنة المباركة

ورد في إثبات الحوض أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر، كما سنبين ذلك في المبحث الآتي، وفيما يلي بعضها:

١- إخباره ﷺ بما أكرمه الله تعالى به من رؤيته لحوضه وهو في الدنيا بين أصحابه رضوان الله عليهم، واخباره لهم بأنه شهيد عليهم يوم القيامة وأنه فرط لأمته على الحوض، أي السابق لهم والمتقدم عليهم في الوصول إليه كما يتقدم فرط الواردين على الماء لتهيئته لهم، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر، فقال: «إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وأني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وأني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض -أو مفاتيح الأرض- وأني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»[(١)]. وفي رواية الإمام مسلم: «وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكنني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك مَنْ قبلكم»[(٢)] قال عقبة: فكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر[(٣)].

٢- إخباره ﷺ عن اختلاج أقوام عنه وطردهم عن الشرب من الحوض، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال: «أنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[(٤)].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ليردن علي ناس من أصحابي الحوض، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[(٥)].

---

(١) صحيح الإمام البخاري: ٧/ ١٧٣.
(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي: ٥/ ١٥٤.
(٣) المصدر نفسه: ٥/ ١٥٤.
(٤) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤٦٣. ومعنى ليختلجن: لينتزعن ويقتطعن ويبعدن كما في لباب البحث: ١٦١.
(٥) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤٦٤ (الفتح).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي، فيجلون عن الحوض، فأقول يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»[١] وغير ذلك من عشرات الأحاديث الصحيحة[٢].

٣- أخبر حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ أنه يذود الناس ليشرب منه ناس أختصهم بمزيد العناية والتشريف إكراما لهم، لاستحقاقهم ذلك بسبب ما امتازوا به عن غيرهم، فقال ﷺ: «إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن، اضرب بعصاي حتى يرفض عليهم» فسئل عن عرضه فقال: «من مقامي إلى عمان»، وسئل عن شرابه فقال: «أشد بياضا من اللبن، أحلى من العسل، يغث فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من ورق»[٣].

وفي رواية أنه ﷺ بنفسه الشريفة يذود عن حوضه من لا يستحق الشرب منه كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن إبله، وهذا في قوله ﷺ: «لأذودن عن حوضي رجالا كما تذاد الغريبة من الإبل»[٤].

أدلة إثبات الكوثر:

أولاً: من القرآن الكريم

جاء في كتاب الله عز وجل الامتنان على رسول الله سيدنا محمد ﷺ بما حباه به ربه من إعطائه الكوثر، فقال عز وجل مبشراً له: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[٥] وهي سورة مكية[٦]، تحدثت عن فضل الله العظيم على نبيه الكريم ﷺ بإطاعته

---

(١) المصدر نفسه: ١١/ ٤٦٤.

(٢) المصدر نفسه: ١١/ ٤٦٥، فتح الباري: ١١/ ٤٧٥ و ١١/ ٤٦٦، ومسلم بشرح النووي: ٥/ ١٥٢، والبخاري: ٥/ ٢٠٧ و مسلم: ٥/ ١٥١ و ٥/ ١٥٣ و ٥/ ١٥٦ و ٥/ ١٦٠.

(٣) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٦٠.

(٤) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٦١.

(٥) سورة الكوثر: الآيات ١-٣.

(٦) السورة مكية في الشمهور، وقول الجمهور مدنية على رأي الحسن وعكرمة وقتادة، ينظر تفسير ابي حيان الاندلسي: ٨/ ٥١٩.

الخير والنعم العظيمة في الدنيا والآخرة، ومن أعظمها نهر الكوثر فهي صريحة في ثبوته لكنها لم تحدد موقعه، وقد دعت السورة الحبيب المصطفى ﷺ إلى إدامة الصلاة ونحر الهدي شكراً لله جل جلاله وعم نواله.

وختمت السورة ببشارة الرسول ﷺ بخزي أعدائه، ووصفت مبغضيه بالذلة والصغار والحقارة والانقطاع من كل خير في الدنيا والآخرة، بينما ذكر الرسول المصطفى ﷺ مرفوع على المنائر والمنابر، واسمه الشريف على كل لسان خالد إلى آخر الدهر والزمان.

قال شيخي العلامة الدكتور عبد الله مصطفى رحمه الله:

ذهب النهار بغير ما لنبينا ... وبما له لا تذهب الأيام
فالمعجزات إذا عُددن ... فإن آياته القرآن والإسلام
إثنان في كنف الإله وحفظه ... ما دام لابن الأولين دوام[1]

وذكر الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره للسورة الكريمة أنها كالمقابلة لسورة الماعون والتي وصف الله تعالى فيها المنافق بأمور أربعة: أولها: البخل وهو المراد من قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾[2]، والثاني: ترك الصلاة وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾، والثالث: المراءاة في الصلاة وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾، فذكر في سورة الكوثر في مقابلة تلك الصفات الأربع صفات أربعة، فذكر في مقابلة البخل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ أي أعطيناك الكثير، فأعط أنت الكثير ولا تبخل، وذكر في مقابلة الذين هم عن صلاتهم ساهون، قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ﴾ أي دم على الصلاة، وذكر في مقابلة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ قوله تعالى: ﴿لِرَبِّكَ﴾ أي أن الصلاة لرضا ربك، لا مراءاة الناس، وذكر في مقابلة: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ قوله تعالى ﴿وَٱنْحَرْ﴾ وأراد به التصدق بلحم الأضاحي[3].

---

(١) نفحات الحياة: ٧٥.
(٢) سورة الماعون: الآيات ٢ ـ ٣.
(٣) ينظر تفسير الرازي: ٣٢/ ١١٩.

وتضمنت السورة الكريمة في البلاغة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي:

١- صيغة الجمع الدالة على التعظيم في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ ولم يقل: أنا أعطيتك.

٢- تصدير الجملة بحرف التأكيد الجاري مجرى القسم: ﴿إِنَّا﴾ لأن أصلها إن ونحن.

٣- صيغة الماضي المفيد للوقوع: ﴿أَعْطَيْنَٰكَ﴾ ولم يقل: سنعطيك لأن الوعد لما كان محققا عبر عنه بالماضي مبالغة كأنه حدث ووقع.

٤- المبالغة في لفظ الكوثر، وكل تعريفات أهل اللغة في مادة كثر تدور حول معنى الكثرة والاتساع.

٥- الإضافة للتكريم والتشريف في قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾.

٦- إفادة الحصر، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

٧- المطابقة بين أول السورة وآخرها، بين الكوثر والأبتر، فالكوثر الخير الكثير، والأبتر المنقطع من كل خير، فهذه السورة مع وجازتها جمعت فنون البلاغة والبيان فسبحان منزل القرآن[١].

وأجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ إن الله جل جلاله وعم نواله أقسم بعظمة صفاته ومجد أسمائه الفياضة بالخيرات والبركات إعطاء نبيه وحبيبه سيدنا محمد ﷺ على وجه خاص الكوثر، وهو الخير العام الطام لعوالم الدنيا والبرازخ والآخرة وهو نهر في الجنة عليه حوض كريم، ترد عليه أمته يوم القيامة، جاءت السنة المباركة الصريحة الصحيحة المنقولة إلينا بالتواتر مبينه صفاته وخصائصه وموقعه وثمراته وهو الكوثر الجامع لكل خير والفائض بكل فضل وبر، فمن أحبه واتبعه ﷺ فاز ونهل من ذلك الخير ونال حظه الوافر الكريم، ومن لم يحبه ولم يعظم جاهه الكريم زاغ وضل عن الصراط المستقيم، فلا نصيب له من ذلك الخير

(١) صفوة التفاسير للصابوني: ٣/ ٦١٢.

العظيم، بل هو الأقطع المحروم من كل خير وبر وسعادة في الدنيا والآخرة[١].

ولله در من قال في حقه ﷺ:

يا صاحب الحوض من يُدانيكا وأنت حقاً حبيب باريكا[٢]

ثانيا: أدلة إثبات الكوثر من السنة المباركة:

١- عن أبي عبيد رضي الله عنه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ قالت: «هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم»[٣].

٢- عن أنس رضي الله عنه قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر»[٤] وفي رواية أخرى عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فاذا طينه أو طيبه - مسك أذفر»[٥].

فهذا الحديث نص في تفسير الكوثر بأنه النهر الذي أعطيه الرسول ﷺ على أنه قد جاء في رواية ابن عباس رضي الله عنه أنه فسر الكوثر تفسيراً عاما يندرج تحته الكوثر الذي هو النهر في الجنة وغيره، وذلك فيما رواه الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: «هو الخير الذي أعطاه الله إياه»، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: [فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه إياه][٦].

---

(١) ينظر: الطبري: ٣/ ٣٢٣، وتفسير الرازي: ٣٢/ ١٢٠-١٢٥ والقرطبي: ٨/ ٧٣٧، وأبي السعود: ٥/ ٢٩٤، والتسهيل: ٤/ ٢٢٥، والآلوسي: ٣٠/ ٢٤٧، وابن كثير: ٤/ ٥٥٨، وأبي حيان: ٨/ ٥١٩، والخازن: ٤/ ٤١٤، والأساس في التفسير: ١١/ ٦٧١، وصفوة التفاسير: ٣/ ٦١٣.

(٢) تفسير القرطبي: ٨/ ٧٣٠٧.

(٣) صحيح الإمام البخاري: ٨/ ٧٣١.

(٤) صحيح الإمام البخاري: ٨/ ٧٣١.

(٥) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤٦٤، والذي شك هو هذبة راوي الحديث، هل قال الرسول ﷺ: طينه أو طيبه.

(٦) صحيح الإمام البخاري: ٨/ ٧٣١. وينظر: لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١٦٢.

وهذا جمع من سعيد بن جبير ﷺ بين حديثي سيدنا ابن عباس وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما وفي معناها مما يدل على تفسير الكوثر بالنهر.

قال ابن حجر رحمه الله: [هذا تأويل من سعيد بن جبير بين حديثي عائشة وابن عباس، وكان الناس الذين عناهم أبو بشر وأبو إسحاق قتادة ونحوهما ممن روى ذلك صريحاً ان الكوثر هو النهر](١).

على أنه لا تعارض بين تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وتفسير أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للكوثر -كما ذكر ابن حجر العسقلاني- إذ أن حاصل ما قاله سعيد بن جبير إن قول ابن عباس رضي الله عنهما: أنه الخير الكثير، لا يخالف قول غيره أن المراد به نهر في الجنة، لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير.

ولعل سيدنا سعيد بن جبير أومأ إلى تأويل ابن عباس رضي الله عنهما أولاً لعمومه، لأنه يشمل كل خير كثير مفرط، من علم وعمل وشرف الدارين، وهذا وأن كان تأويلاً حسناً، لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ من عدة طرق عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فلا معدل عنه، لثبوت ذلك وصحته عن الذي أنزل عليه الوحي(٢).

وقد أيد صاحب الظلال رحمه الله تفسير ابن عباس رضي الله عنهما بأنه الخير الكثير، وقال: [إن هذا هو الأنسب في هذا السياق وفي هذه الملابسات](٣)، على أنه قد جاء في بعض الروايات من سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الكوثر: بالنهر الذي في الجنة(٤)، كما في التفسير المنسوب إليه، وكما أخرج ابن مردويه عنه ذلك(٥). والراجح هو ما ذهب إليه

(١) فتح الباري: ٨/ ٧٣٤.
(٢) ينظر شرح ثلاثيات المسند: ١/ ٣٥، وفتح الباري: ٨/ ٧٣٢.
(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب: ٣٠/٣٩٨٨.
(٤) ينظر: تنوير المقباس: ٦/ ٤٠٠ مع الدر المنثور.
(٥) ذكره الشوكاني في فتح القدير: ٥/ ٥٠٣.

ابن حجر رحمه الله من أن تخصيصه بالنهر ثابت بلفظ النبي ﷺ المنقول إلينا بالتواتر.

٣- عن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت علي آنفاً سورة، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك»[١] زاد ابن حجر رحمه الله في حديثه: «بين أظهرنا في المسجد.. وقال: ما أحدث بعدك»[٢] والقائل له ﷺ هذا القول: يحتمل أن يكون الحق عز وجل أو يكون من الملائكة[٣].

ولعل هذا الحديث إنما يتوجه إلى الحوض الذي هو خارج الجنة، بدليل ما يقع فيه من اختلاج أقوام ومنعهم من الشرب منه، إذ لو كان المراد النهر الذي هو داخل الجنة لما حصل المنع والاختلاج، وإما تسميته بالكوثر، فان ذلك يرجع إلى ملاحظة أن ماء الحوض إنما هو من الكوثر حيث يمد منه بواسطة ميزابين.

ولهذا فإنه استشكل على بعض الناس ما جاء من أخبار حضرة النبي ﷺ بأن الكوثر داخل الجنة، بقوله ﷺ: «بينا أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر.... الخ الحديث» وبين ما جاء في طرد أناس واختلاجهم عنه بعدما يراهم ويناديهم ومعلوم أن تلك الرؤية له ﷺ حصلت في ليلة الاسراء، فظن الداودي وغيره أن هذا يكون يوم القيامة، فقال: [إن كان هذا محفوظاً دل على أن الحوض الذي يدفع عنه أقوام غير النهر الذي في الجنة، ويكون يراهم وهم

(١) صحيح الإمام مسلم: ٢/ ٣٧.
(٢) صحيح الإمام مسلم: ٢/ ٣٧.
(٣) ينظر شرح ثلاثيات المسند: ١/ ٥٣٦.

داخل الجنة وهم من خارجها، فيناديهم فيصرفونْ عنه][١].

قال ابن حجر معلقا على هذا القول: [وهو تكلف عجيب يغني عنه أن الحوض الذي هو خارج الجنة يمد من النهر الذي هو داخل الجنة فلا إشكال أصلا][٢].

وقال العلامة رمضان أفندي في هامشه على قول التفتازاني: [والحوض في الموقف] قد يقال: [يجوز أن يخرجه الله تعالى من الجنة للانتفاع يومئذ ثم يدخله][٣].

وقد جاء التصريح كذلك بأنه نهر في الجنة في رواية الإمام أحمد رحمه الله، وقد ذكرها بما تقدم عند الإمام مسلم بزيادة قال: «هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة»[٤].

وذكر الإمام النووي رحمه الله في شرحه للحديث: والكوثر هنا نهر في الجنة كما فسره النبي ﷺ، وهو في موضع آخر عبارة عن الخير الكثير[٥].

٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر من الجنة حافتاه من ذهب، مجراه على الياقوت والدر، تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضا من الثلج»[٦].

٥- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: ما الكوثر؟ «نهر أعطانيه الله، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وفيه طير أعناقها كأعناق الجزر، قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ: أكلتها أنعم منها»[٧].

وأخرج الإمام الطبري رحمه الله عن أنس رضي الله عنه أن القائل: (أنها ناعمة) هو

---

(١) الحياة الآخرة: ٣/ ١٥٠٣.
(٢) فتح الباري: ١١/ ٤٧٣.
(٣) حاشية افندي على النسفية: ٢/ ٨٦.
(٤) المسند: ٣/ ١٠٢، وفي صحيح الإمام مسلم: ٢/ ٣٨، وفي سنن أبي داود: ٢/ ٥٣٨ برواية المختار بن فلفل.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم: ٢/ ٣٧.
(٦) أخرجه الترمذي في جامعه: ٥/ ٤٥٠، وابن ماجه في سننه: ٢/ ١٤٥٠.
(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٣/ ٢٢٠.

سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ، وأخرج في رواية أخرى أن القائل هو سيدنا عمر الفاروق ﷺ، ولا منافاة في هذا، فيمكن أن يكون كل منهما قد قال هذا القول. ولا مانع من حصول هذا والله أعلم، وفي رواية الإمام أحمد: أكلتها انعم منها)، ففي الأولى جاء الوصف لبيان لذة أكلها، وفي الثانية جاء الوصف لبيان نعومة أكلها، وفي كلتا الحالتين فالأمر لا يختلف، فإن أكلها ناعم ولذيذ وأكلها كذلك ناعم لا ثقل فيه.

٦- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، والماء يجري على اللؤلؤ، وماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، أكوابه مثل نجوم السماء، ومن شرب شربة لم يظمأ بعدها، أول الناس وروداً علي صعاليك المهاجرين قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الشعثة رؤوسهم، النحيفة وجوههم، الدنسة ثيابهم لا تفتح لهم السدود، ولا ينكحون المنعمات، الذين يعطون كل الذي عليهم، ولا يأخذون كل الذي لهم»(١).

٧- وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أعطيت الكوثر، قلت: يا رسول الله: وما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق إلى المغرب، لا يشرب منه أحد فيظمأ، ولا يتوضأ منه أحد فيشعث، ولا يشرب منه من أخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي»(٢).

فإن قيل: فسر الرسول ﷺ الكوثر بأنه نهر في الجنة من أنهارها، وأخبر عن الحوض بما يدل على أنه في الموقف في عرصات يوم القيامة، وأخبر عن وجه الاتصال بينهما بأن ذلك يتم بواسطة ميزابين يجريان من الكوثر إلى الحوض، ولكن وقع خلاف بين العلماء في إطلاق التسمية، فهل هناك فرق بينهما؟ وكيف أطلق بعض العلماء التسمية على الحوض أنه الكوثر، واستدل لإثباته من القرآن الكريم بسورة الكوثر؟

يجاب عنه: أن تفسير الكوثر بأنه نهر في الجنة هو ما أخبر به رسول الله

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه: ٤/٦٢٩، وابن ماجه في سننه: ٢/١٤٣٨.

(٢) البدور السافرة للسيوطي: ٤٢، وعزاه إلى الطبراني.

ﷺ كما تقدمت أدلة ذلك، وعلى هذا الرأي كثير من علماء التفسير والحديث والكلام ومنهم الإمام الطبري رحمه الله الذي ذكر أقوال العلماء في الكوثر ثم قال: [وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: هو اسم النهر الذي أعطيه رسول الله ﷺ في الجنة، وصفه الله بالكثرة لعظم قدره][(١)].

وذكر الشوكاني رحمه الله الأحاديث الواردة في إثبات الكوثر بأنه نهر في الجنة ثم قال: [فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة فيتعين المصير إليها وعدم التعويل على غيرها][(٢)].

وليس معنى هذا أن يغفل اتصال الكوثر بالحوض، فإن اتصالهما أمر معلوم كما ورد، وأما الذين أطلقوا تسمية الكوثر على الحوض فهو من باب تغليب الأصل على الفرع، وقد أصبح معلوما أن موقع الحوض غير موقع الكوثر، وتسمية الحوض بغض النظر عن اتصاله بالكوثر، غير الكوثر، ولكن الإيراد يأتي على من فسر الكوثر بالحوض، حيث غلب الفرع على الأصل، مثلما كان يفسر عطاء رحمه الله الكوثر لمن يسأله عنه بالحوض، الذي يكثر الناس عليه، أي حوض نبينا ﷺ.

وذكر الشيخ الطيب أن الكوثر هو الحوض وهو قول الجمهور، فقال: [اختلف في تفسير الكوثر على أقوال: الأول: أنه الحوض وصححه ابن جزري وعليه الجمهور، لظاهر حديث أنس في وصف الكوثر والطير التي ترد عليه، ولما في الصحيحين عن أنس عنه ﷺ حين أنزلت عليه سورة الكوثر: «أتدرون ما الكوثر، . . الخ الحديث»][(٣)].

وذكر ابن عاشور في كتابه نعيم الجنة: من أن الكوثر هو حوض النبي ﷺ وهو رأي الجمهور[(٤)].

وأشار ابن حجر رحمه الله[(٥)] من أن حجتهم في تسمية الحوض بالكوثر

(١) تفسير الطبري: ٣٠/ ٣٢٣. وينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١٦٤.
(٢) فتح القدير: ٥/ ٥٠٣.
(٣) النشر الطيب: ٢/ ٣٩١.
(٤) ينظر نعيم الجنة: ٤٨، وينظر لباب البحث: ١٦٢.
(٥) ينظر فتح الباري: ١١/ ٤٦٧.

هي أنهم تمسكوا بحديث المختار بن فلفل، فقال: وجاء إطلاق الكوثر على الحوض في حديث المختار بن فلفل قال: سمعت أنس بن مالك يقول: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة.... إلى أن قال: «نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه حوض»[١].

ويلاحظ في هذا الحديث الوضوح في إطلاق الكوثر على الحوض لما فيه من الصفات التي تليق بالحوض، ولكن الرسول ﷺ حينما قال هذا لعله غلب تسمية الكوثر على الحوض مع مراعاة الفوارق بينهما، وهذا ما ذهب إليه شراح النسفية ورجحوه[٢].

أما من ناحية وجه الاتصال بينهما حقيقة فهو ما أخبر به حضرة النبي ﷺ من أنه يشخب فيه ميزابان من الكوثر يمدانه ﷺ: «يغث فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق»[٣]، وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «ويفتح نهر من الكوثر إلى الحوض....»[٤].

وهو حديث يصرح فيه بيان وجه الاتصال بين الحوض والكوثر، وهو واضح في وجه الاتصال بينهما، وأن قيل فيه ضعفا[٥]، لكن هذا الضعف لا يؤثر في حقيقة الاتصال بينهما لثبوت ذلك في صحيح الإمام مسلم الذي رواه سيدنا ثوبان رضي الله عنه.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: [ومعنى ذلك أنه يشخب من الكوثر ميزابان إلى الحوض، والحوض في العرصات قبل الصراط، لأنه يختلج عنه، ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط][٦].

ويبين الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى سبب إطلاق الكوثر على الحوض

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ٢/٣٨، وأبو داود: ٢/٥٣٨.
(٢) هامش رمضان أفندي على النسفية: ٢/٦٨.
(٣) صحيح الإمام مسلم: ٥/١٥٩، ١٦٠ برواية ثوبان رضي الله عنه.
(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده: ١/٣٩٩.
(٥) قال الهيتمي في مجمع الزوائد: ١٠/٣٦٠ ضعيف لأن في مسنده عثمان بن عمير.
(٦) النهاية: ٢/٣١ وينظر الطحاوية: ٢٥٠.

ووجه الاتصال بينهما بقوله: [إن الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه، وذكر أيضاً: أن المراد بالكوثر النهر الذي يصب في الحوض فهو مادة الحوض، أي فليس المقصود بالحوض هو النهر كما هو الواقع][1].

والخلاصة: إن تسمية الحوض بالكوثر والله أعلم جاء لكون الكوثر خاصاً بحضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فالكوثر نهر من أنهار الجنة، جعله الله كرامة لنبيه ﷺ وهو خاص به دون غيره كما تفيد النصوص الثابتة، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه به في سورة الكوثر، ويؤيد هذه النصوص الواردة في صحيح الإمام البخاري من حديث أنس بن مالك مرفوعا وفيه: «ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك»[2].

وذكر الإمام السيوطي رحمه الله حديثا عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما فيه التنصيص على اختصاص الرسول ﷺ بالكوثر دون غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين، وعزاه إلى ابن مردويه فقال: [وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ①﴾ قال: نهر في الجنة عمقه سبعون الف فرسخ، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، شاطئاه الدر والياقوت والزبرجد، خص الله به نبيه محمداً ﷺ دون غيره من الأنبياء][3].

وقال العلامة السيد محمد بن علوي المالكي المكي حفظه الله ونصره في كتابه خصائص الأمة المحمدية: [ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية، ما أكرمهم الله تعالى به من العلم عن الحوض والميزان والصراط مما لم يفصل لأمة سابقة.

---

(١) فتح الباري: ١١/ ٤٦٦-٤٦٧.
(٢) صحيح الإمام البخاري: ١٣/ ٤٧٨.
(٣) الدر المنثور: ٦/ ٤٠٢.

وأما الحوض، فهو طويل جداً، مسافة طوله نحو سير شهر بمركب مسرع نواحيه واسعة متساوية، وأطيب ريحا من المسك، وأحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وأبرد من الثلج، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، ولم يسود وجهه يجري فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من ورق، وأكوابه كعدد نجوم السماء، وأهله من تمسك بشريعة سيدنا محمد ﷺ ولم يبدلوا ولم يغيروا ومن لم يتخذ عقيدة غير ما عليه النبي ﷺ وأصحابه][١].

فتخصيص حضرة النبي ﷺ بالكوثر دون غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وجعل ماءه الكريم يجري إلى حوضه ﷺ في عرصات يوم القيامة دون حياض الأنبياء لأممهم، جعل إطلاق لفظ الكوثر على حوضه الذي أورد عليه أمته، فإذا قيل الكوثر يعني حوضه ﷺ الخاص به وبأمته وإذا قيل الحوض فهو الكوثر الخاص به تكريماً له وتشريفا، ترد عليه أمته إن شاء الله تعالى وهو الذي أراه راجحا والله تعالى أعلم.

البحث الثالث

أحاديث الحوض متواترة

أجمع علماء السلف إجماعاً تاما على إثبات الحوض المورود وصفاته التي وردت على لسان حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وأجمعوا على أن أحاديث الحوض صحيحة مشتهرة، رواها جمع غفير من الصحابة الكرام العدول رضوان الله عليهم أجمعين، وهم أكثر من ستين صحابيا، وهي بمجموعها تصل إلى حد التواتر، استقصى طرقها المحدثون والمفسرون رحمهم الله تعالى في كتبهم وصرح بذلك عدد كبير منهم، والنقول في ذلك عن علماء المسلمين كثيرة جدا لا يتسع المجال لذكرها جميعا، لكنني بعد التوكل على الله تعالى سأذكر بعضها وأهمها، ثم اذكرأسماء الرواة من الصحابة الكرام متشرفا بهم وببركاتهم في خاتمة المبحث بإذن الله تعالى.

(١) خصائص الأمة المحمدية: ٣١١.

قال الإمام أبو بكر بن أبي عاصم رحمه الله بعد أن ذكر أحاديث الحوض في كتابه السنة: [والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي ﷺ توجب العلم][١].

وقال القاضي عياض رحمه الله: [أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض، وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة][٢]، ثم شرَعَ في ذكر اسمائهم.

قال الإمام النووي: [وقد جمع ذلك كله الإمام البيهقي في كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرات][٣].

وعلق القاضي عياض قائلاً: [وكل تلك الروايات المتكاثرة تجعل المسلم يجزم دون أي تردد في إثبات الحوض، بل إن في بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواتراً][٤].

واكد ابن عبد البر رحمه الله ذلك بقوله: [تواتر الآثار عن النبي ﷺ في الحوض، حمل أهل السنة والحق، وهم الجماعة على الإيمان به وتصديقه][٥].

وذكر الإمام البيضاوي رحمه الله: أن الحوض على ظاهره عند أهل السنة، وحديثه متواتر، يجب الإيمان به[٦].

وأوضح الإمام الرازي رحمه الله قائلاً: [إنه حوض والأخبار فيه مشهورة][٧].

ويقول ابن حجر رحمه الله: [قال القرطبي في (المفهم) تبعاً للقاضي عياض في غالبه، أي أغلب الكلام الآتي: مما يجب على كل مكلف أن

(١) السنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٣٦٠. والمراد بالعلم: القطعي الذي يفيد اليقين.
(٢) شرح النووي لصحيح مسلم: ٥/ ١٥٠.
(٣) شرح النووي لصحيح مسلم: ٥/ ١٥٠.
(٤) المصدر نفسه: ٥/ ١٥٠.
(٥) التمهيد لابن عبد البر: ٢/ ٣٠٩.
(٦) نقله عنه الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٥٢.
(٧) تفسير الرازي: ١٦/ ١٢٤.

يعلمه، ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين منهم، وفي الصحيحين ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله، واشتهرت روايته، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين وأمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا، وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف][١].

وأكد العلامة النسفي رحمه الله في حديثه عن الحوض قائلاً: [والأحاديث فيه كثيرة][٢].

وقد عدها الإمام السيوطي رحمه الله من الأحاديث المتواترة وذكر في كتابه قطف الأزهار المتناثرة خمسين صحابيا رووا هذه الأحاديث[٣].

وكذلك الكتاني عدها من الأحاديث المتواترة، وذكر سبعًا وخمسين صحابيا لهم رواية في الحوض أو الكوثر وغيرهم[٤].

وصرح الإمام القرطبي رحمه الله على ذلك بقوله: [أحاديث الحوض متواترة][٥].

وجمع الإمام بقي بن مخلد القرطبي رحمه الله في ما روى في الحوض والكوثر أكثر من ستين رواية للصحابة الكرام[٦].

وقد ذكر ابن حجر جميع من روى أحاديث الحوض وأماكن الروايات ثم قال: [فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفساً، وزاد عليه النووي ثلاثة، وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكروه سواء، فزادت العدة على

(١) فتح الباري: ١١/ ٤٦٧.
(٢) العقائد النسفية: ١٣٨.
(٣) قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للسيوطي: ٢٩٧-٣٠٠.
(٤) نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٥٢.
(٥) التذكرة: ٣٠٣.
(٦) مرويات الصحابة في الحوض والكوثر: ١٤.

الخمسين، وللكثير من هؤلاء الصحابة في ذلك زيادة على الحديث الواحد، كأبي هريرة وأنس وابن عباس وأبي سعيد وعبد الله بن عمرو، وأحاديثهم بعضها في مطلق ذكر الحوض، وفي صفته بعضها، وفيمن يرد عليه بعضها، وفيمن يدفع عنه بعضها، وكذلك في الأحاديث التي أوردها المصنف -يعني البخاري- في هذا الباب، وجملة طرقها تسعة عشر طريقا، وبلغني أن بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية ثمانين صحابيا](١).

وبين أبو داود السجستاني رحمه الله رأيه في أحاديث الحوض قائلاً: [وورد في وصف الحوض ومائه وحصبائه وآنيته، أحاديث كثيرة مختلفة الألفاظ والأسانيد](٢).

وذكر الإمام ابن كثير رحمه الله عدداً من الصحابة رووا أحاديث الحوض فقال: [ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي سقانا الله منه يوم القيامة من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة والمتظافرة](٣).

وقال الدكتور البوطي في تعليقه على شرح جوهرة التوحيد: [الأحاديث الواردة في شأن الحوض ووصفه كثيرة جداً زادت عن حد التواتر].(٤).

وبين العارف بالله الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله في كتابه الإيمان بعوالم الآخرة: [إن أحاديث الحوض بلغت حد التواتر فيجب الإيمان به قطعاً بلا شك](٥).

وجزم الشيخ العلامة سعيد حوى رحمه الله قائلاً: [أحاديث الحوض بلغت مبلغ التواتر ولذلك يكفر منكر الحوض](٦).

---

(١) فتح الباري: ١١/ ٤٦٩.
(٢) لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١٦٠، وينظر شرح رموز للحديث: ١/ ٤٨٦، واحياء علوم الدين: ١٦/ ٦١، وشرح العيني: ٢٣/ ١٣١، والنووي: ٥/ ٤٨، والعزيزي على الجامع الصغير: ١/ ٥٠٠.
(٣) البداية والنهاية: ٢/ ٢٩.
(٤) الأساس في السنة: ٣/ ١٣٠٣.
(٥) الإيمان بعوالم الآخرة: ١٧٢.
(٦) الأساس في السنة: ٣/ ١٣٠٣. وينظر النجم الزاهر: ٩٠.

وخلاصة القول: إن أحاديث الحوض بمجموعها متواترة تواتراً معنوياً، وأن مذهب السلف من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ومن سار على نهجهم القويم، هو إثبات الحوض والإيمان بالنصوص التي أخبرت عنه كما جاءت على ظاهرها، فمن آمن وصدق ولم يغير ولم يبدل فإنه بإذن الله تعالى من الواردين على حوض نبيه الأمين ﷺ، أما من غير أو بدل، أو أنكر وجحد فإنه يطرد عنه ويحرم من لذة شربه وعافيته ويكون من المرتدين والمخالفين لجماعة المسلمين، ومن أهل الزيغ والنحل والبدع المحدثة والكفار والمنافقين.

وبعد أن بينا أقوال العلماء من المحدثين والمفسرين والفقهاء في إثبات الحوض وتواتر أدلته نذكر أسماء الصحابة الكرام الذين لهم رواية في الحوض والكوثر متشرفين بعطر أسمائهم الزكية المباركة:

١ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه رواية واحدة.

٢ - عمر بن الخطاب رضي الله عنه روايتان.

٣ - علي بن أبي طالب رضي الله عنه رواية واحدة.

٤ - أسيد بن حضير الأنصاري رضي الله عنه رواية واحدة.

٥ - أبو أمامة، صبي ابن عجلان رضي الله عنه روايتان.

٦ - أنس بن مالك رضي الله عنه تسع روايات.

٧ - أوس بن الأرقم رضي الله عنه رواية واحدة.

٨ - البراء بن عازب رضي الله عنه رواية واحدة.

٩ - بريدة بن الحصيب رضي الله عنه رواية واحدة.

١٠ - أبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنه رواية واحدة.

١١ - ثوبان مولى رسول الله ﷺ ورضي الله عنه روايتان.

١٢ - جابر بن سمرة رضي الله عنه رواية واحدة.

١٣ - جابر بن عبد الله رضي الله عنه رواية واحدة.

١٤ - جبير بن مطعم رضي الله عنه رواية واحدة.

١٥ - جندب بن عبد الله رضي الله عنه ست روايات.

١٦ - حارثة بن وهب رضي الله عنه رواية واحدة

١٧ - حذيفة بن أسيد رضي الله عنه رواية واحدة.

١٨ - حذيفة بن اليمان رضي الله عنه رواية واحدة.

١٩ - الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رواية واحدة.

٢٠ - حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه رواية واحدة.

٢١ - خباب بن الأرت رضي الله عنه رواية واحدة.

٢٢ - خولة بنت حكيم رضي الله عنه رواية واحدة.

٢٣ - خولة بنت قيس رضي الله عنه رواية واحدة.

٢٤ - أبو الدرداء عويمر الأنصاري رضي الله عنه رواية واحدة.

٢٥ -أبو ذر الغفاري رضي الله عنه رواية واحدة.

٢٦ - زيد بن أرقم رضي الله عنه رواية واحدة.

٢٧ - زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه رواية واحدة.

٢٨ - زيد بن ثابت رضي الله عنه رواية واحدة.

٢٩ - سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رواية واحدة.

٣٠ - أبو سعيد الخدري رضي الله عنه خمس روايات.

٣١ - سلمان الفارسي رضي الله عنه روايتان.

٣٢ - أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه رواية واحدة.

٣٣ - سمرة بن جنادة السوائي رضي الله عنه رواية واحدة.

٣٤ - سمرة بنت جندب رضي الله عنه رواية واحدة.

٣٥ - سهل بن سعد رضي الله عنه رواية واحدة.

٣٦ - سويد بن جبلة رضي الله عنه رواية واحدة.

٣٧ - سويد بن عامر رضي الله عنه رواية واحدة.

٣٨ - الصنابح بن الأعسر رضي الله عنه رواية واحدة.

٣٩ - عائذ بن عمرو ﷺ أربع روايات.

٤٠ - عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها روايتان.

٤١ - عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ رواية واحدة.

٤٢ - عبد الله الصنابحي ﷺ رواية واحدة.

٤٣ - عبد الله بن العباس ﷺ رواية واحدة.

٤٤ - عبد الله بن عمر ﷺ تسع روايات.

٤٥ - عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ روايتان.

٤٦ - عبد الله بن مسعود ﷺ رواية واحدة.

٤٧ - عبد الرحمن بن عوف ﷺ رواية واحدة.

٤٨ - عتبة بن عبد الأسلمي ﷺ رواية واحدة.

٤٩ - عثمان بن مظعون ﷺ رواية واحدة.

٥٠ - عرباض بن سارية ﷺ رواية واحدة.

٥١ - عقبة بن عامر ﷺ رواية واحدة.

٥٢ - عقبة بن عمرو البدري ﷺ رواية واحدة.

٥٣ - أسامة بن زيد بن حارثة ﷺ رواية واحدة.

٥٤ - أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما رواية واحدة.

٥٥ - أبو لبابة بن عبد المنذر ﷺ رواية واحدة.

٥٦ - لقيط بن صبرة ﷺ رواية واحدة.

٥٧ - لقيط بن عامر ﷺ رواية واحدة.

٥٨ - المستورد بن عامر ﷺ رواية واحدة.

٥٩ - معاذ بن جبل ﷺ رواية واحدة.

٦٠ - ميمونة أم المؤمنين ﷺ رواية واحدة.

٦١ - نضلة بن عبيد أبو برزة ﷺ روايتان.

٦٢ - نفيع بن الحارث أبو بكرة ﷺ رواية واحدة.

٦٣ - النواس بن سمعان رضي الله عنه رواية واحدة.

٦٤ - أبو هريرة رضي الله عنه خمس روايات(١).

اللهم نسألك بجاه نبيك المصطفى ﷺ، صاحب الحوض المورود والمقام المحمود، والشفاعة العظمى في اليوم الموعود وبجاه آله وأصحابه أهل الخير والجود، أن تمن علينا بفضلك وجودك يا ودود، شربة من يده الشريفة لا نظمأ بعدها أبدا، ورحمة تشمل بها المشايخ الكاملين والعلماء العاملين والأئمة المجتهدين ومن لنبيك ﷺ مادحين، فتجعلنا والمسلمين على حوض نبيك ﷺ، من الواردين الشاربين يا أرحم الراحمين.

المبحث الرابع

موقع الحوض يوم القيامة

اختلفت الرواايات بين العلماء في تحديد موقع الحوض هل هو في ساحة الموقف أول الحشر في عرصات يوم القيامة قبل عالم الصراط، أم هو بعد الصراط، أم هو بعد الميزان، أم هو في الجنة، ومنشأ ذلك الخلاف هو عدم وجود النص الذي يقطع تلك الاحتمالات، والواقع أنها كلها تحتاج إلى دليل يثبتها عن المصطفى ﷺ.

غير أن بعض العلماء استنبط من بعض الأحاديث ان الحوض يكون في الموقف حتما قبل الصراط، وبعضهم رأى أنه بعد الصراط لأنه هو الذي يقتضيه الحال. وسنفصل ذلك بإذن الله تعالى ثم نذكر القول الراجح في مكانه إن شاء الله تعالى.

أولاً: الحوض في ساحة الموقف قبل الصراط

وصف الله تعالى نبيه الكريم ﷺ بصفتين من صفاته عز وجل فقال:

---

(١) ينظر البداية والنهاية لابن كثير: ٢/ ٢٩ وفتح الباري: ١١/ ٤٦٩ وشرح الطحاوية: ١٢٥ ومرويات الصحابة في الحوض: ١٤ وشرح النووي لصحيح مسلم: ٥/ ١٥٠.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[١] وتمتد هذه الرأفة، وتلك الرحمة ليتفيأ ظلالها المؤمنون حيث يخرجون من قبورهم عطاشى، وهناك يجدون في ساحة الموقف حوض نبيهم ﷺ يصب فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من ورق[٢]، فيتشرفون برؤيته ﷺ وهو فرطهم إلى الحوض يعده لهم ويشربون من يده الكريمة شربة تحيي قلوبهم وتطفئ نار عطشهم وتهدئ أرواحهم بعد صعقة النشور، وتمدهم بطاقة روحية عالية تمهد لهم العبور على الصراط والنجاة من النار وتسهل لهم الحساب والجزاء عند الميزان.

واستدل القائلون بأن الحوض في الموقف قبل الصراط بما أورده الإمام البخاري في صحيحه عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا قائم على الحوض إذا زمرة -أي جماعة- حتى إذا عرفتهم خرج رجل -أي ملك- من بيني وبينهم، فقال لهم: هلم، فقلت إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: انهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة أخرى، حتى إذا عرفتهم، خرج من بيني وبينهم رجل -أي ملك- فقال لهم: هلم، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»[٣].

قال الحافظ المنذري وغيره: [همل النعم: هي ضوالها، ومعناه أن الناجي قليل كضالة النعم بالنسبة إلى جملتها][٤] نسأله تعالى العفو والعافية.

وعلق القرطبي بقوله: قلت: [فهذا الحديث مع صحته أول دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط، لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه، فمن جازه سلم من النار][٥].

وذهب الإمام ابن كثير رحمه الله على أن الحوض يكون في الموقف قبل

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٨.
(٢) ينظر صحيح الإمام مسلم: ٤/١٧٩٨، والسنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٣٣٤. والورق هي الفضة.
(٣) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤٦٥.
(٤) الإيمان بعوالم الآخرة: ١٧٣، ويوم الفزع الأكبر للقرطبي: ٢٧٦.
(٥) التذكرة: ٣٦٢.

الصراط ويتضح ذلك في قوله: [إن قال قائل: فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده؟ فالجواب: أن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط، لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم: إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم، فإن كان هؤلاء كفاراً، فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه، وإن كانوا عصاة وهم من المسلمين، فبعيد عن الحوض لا سيما وعليهم سيما الوضوء، وقد قال رسول الله ﷺ: «أعرفكم غرا محجلين من آثار الوضوء» ثم من جاوز الصراط لا يكون إلا ناجياً مسلماً، فمثل هذا لا يحجب عن الحوض، فالأشبه والله أعلم أن الحوض قبل الصراط][1].

واستدلوا أيضا برواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سئل عن الوقوف بين يدي الله تعالى هل فيه ماء؟ قال: «أي والذي نفسي بيده إن فيه لماء، وأن أولياء الله تعالى ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله سبعين ألف ملك بأيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء»[2].

وترجيح القرطبي للقول بأن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط هو عكس ما ذهب إليه صاحب القوت وغيره من أن الحوض انما هو بعد الصراط[3].

ويظهر أن القرطبي رحمه الله حمل قول صاحب القوت أنه يصدق على الكوثر الذي هو في الجنة، وهذا في قوله: [والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط، والثاني في الجنة، وكلاهما يسمى كوثراً][4].

ولكن يشكل على قول القرطبي أن الكوثر حوض، وتسمية الرسول ﷺ

---

(١) البداية والنهاية: ٢/ ٩٧.

(٢) عزاه القرطبي إلى ابن عباس رضي الله عنه في التذكرة: ٣٦٢ ولم يعزه لأحد.

(٣) قوت القلوب: ٢/ ٢١، ونقله عنه القرطبي في التذكرة: ٦٣٢ والشيخ عبد الكريم بياره في نور الإسلام: ٢٨٥.

(٤) يوم الفزع الأكبر للقرطبي: ٢٧٦.

للكوثر أنه نهر، والنهر غير الحوض، ولهذا يقول ابن حجر عن رأي القرطبي هذا: (أن فيه نظراً)[١]، ويحتمل أن الإمام القرطبي جمع بين الكوثر والحوض من جهة أنهما من خصائص حضرة النبي ﷺ فإذا قيل الكوثر أريد به الحوض وهو قول الجمهور، وإذا قيل الحوض فإنه يمد بماء من الكوثر الذي أعطي للنبي ﷺ دون غيره والله أعلم.

ثانيا: ان الحوض في الجنة

ومن قال بهذا: شرح الكوثر بأنه نهر أو حوض في الجنة[٢].

قال العلامة النسفي: [ولذا قال في بعض الكتب: والحوض في الجنة حق وصرح في شرحه بأنه عبارة عن الكوثر، وقال القاضي عياض: الكوثر نهر في الجنة، وقيل حوض فيها، ويدل على الثاني: إن الكوثر في الجنة اتفاقا][٣].

وقولهم: (إن الحوض في الجنة) مردود وغير مقبول ترده الأدلة الصريحة التي ذكرها القائلون بأن الحوض في الموقف قبل الصراط وكذلك يردها قوله ﷺ: «... أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، يغث فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والاخر من ورق»[٤].

وهذا الحديث يدل دلالة قاطعة على أن الحوض في الموقف يمده نهر الكوثر بماءه الموصوف في الحديث الشريف بواسطة ميزابين من الجنة.

وكذلك يرده ما روى عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع في يوم القيامة فقال: (أنا فاعل، فقلت: يا رسول الله أين أطلبك، قال: أطلبني أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا اخطئ هذه الثلاثة مواطن)[٥].

---

(١) فتح الباري: ١١/ ٤٦٦.
(٢) ينظر يوم الفزع الاكبر: ٢٧٢.
(٣) شرح العقائد النسفية: ١٣٩.
(٤) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٦٠.
(٥) رواه الترمذي في جامعه: ٤/ ٦٢١، والإمام أحمد في مسنده: ٣/ ١٧٨، والطبراني في الكبير: ٧/ ٢١٣ والسنة: ٢/ ٢٣٤١ وابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٦٧ واثنى الحافظ المزي بصحة الحديث.

وهذا الحديث يدل دلالة صريحة: إن الحوض في الموقف في عرصات يوم القيامة مع الميزان والصراط والحساب.

وقال العلامة رمضان أفندي في هامشه على شرح النسفية: [قال التفتازاني: (والحوض في الموقف) قال: يجوز أن يخرجه من الجنة للانتفاع يومئذ ثم يدخله][١].

وقال النسفي رحمه الله: [وبالجملة وجود الكوثر يدل على وجود الحوض لأنه إما نفس الكوثر، أو مستمد منه ينصب فيه ماؤه، ولهذا ورد في وصف ماء أحدهما مثل ما ورد في ماء الآخر، وأوردهما أئمة الحديث في الفصل المعقود لبيان الحوض وأورد أئمة التفسير في بيان الكوثر الأحاديث الدالة على وصف النهر، والدالة على وصف الحوض][٢].

ثالثا: الحوض بعد الصراط

وذهب إلى ذلك صاحب القوت العلامة أبو طالب المكي وغيره من العلماء بقوله: [إن حوض النبي ﷺ إنما هو بعد الصراط][٣].

ومنهم الإمام البخاري، كما أشار إليه ابن حجر بقوله: [وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة ونصب الصراط، إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه][٤].

وكذلك القاضي عياض فيما ينقله السفاريني عنه أنه قال: إن الحوض بعد الصراط، وإن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار)[٥].

وذكر السفاريني كذلك عن بعض العلماء كابن حمدان في عقيدته، حيث يقول: [يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط][٦].

---

(١) شرح العقائد النسفية: ١٣٩.
(٢) شرح العقائد النسفية: ١٣٩.
(٣) قوت القلوب: ٢/ ٢١ وينظر نور الإسلام: ٢٨٥ وينظر التذكرة: ٣٣٥ ويوم الفزع الاكبر: ٢٢٧.
(٤) فتح الباري: ١١/ ٤٦٦.
(٥) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٩٥.
(٦) المصدر نفسه: ٢/ ١٩٥.

وقال سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره: [وأهل السنة يعتقدون أن لنبينا ﷺ حوضاً في القيامة، يسقى منه المؤمنون دون الكافرين، ويكون ذلك بعد جواز الصراط قبل دخول الجنة][١].

وقال الإمام الغزالي قدس الله سره: [وحكى بعض السلف من أهل التصنيف: (الحوض يورد بعد الصراط) وهو غلط من قائله][٢].

وعلق الإمام القرطبي مؤيداً للإمام الغزالي: [هو كما قال، واستدل بحديث وقوف النبي ﷺ على الحوض قبل الصراط[٣] وقال: والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين: أحدهما في الموقف قبل الصراط، والثاني في الجنة، وكلاهما يسمى الكوثر، لأنه يوافق لغة العرب فإن الكوثر هو الخير الكثير وأنه ﷺ فسره في سنته المطهرة بأنه نهر في الجنة، عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمته يوم القيامة][٤].

ووافقه الزبيدي رحمه الله على ذلك، وتعقبه الحافظ ابن حجر رحمه الله: [بأن الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثراً لكونه يمد منه][٥].

رابعاً: واختلف في الميزان والحوض

أيهما قبل الآخر فقيل: الميزان قبل[٦].

واستدل صاحب هذا القول بقوله ﷺ: «....فيرد عليّ أناس من أمتي، فيحجز بيني وبينهم، فأقول: أمتي أمتي، فيقال: لا تدري ما احدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً إلى النار، فيتهاوون عن الصراط على جهنم»[٧].

---

(١) الغنية: ٧١.
(٢) كشف علوم الآخرة: ٣٨ ويوم الفزع الاكبر: ٢٧٦ واتحاف السادة المتقين: ٤/ ٢٤٠.
(٣) ينظر صحيح البخاري: ١١/ ٤٦٥، وفتح الباري: ١١/ ٤١٦.
(٤) التذكرة: ٣٤٣، ويوم الفزع الأكبر: ٢٧٦، وإتحاف الساده المتقين: ٤/ ٢٤١.
(٥) اتحاف السادة المتقين للزبيدي: ١٠/ ٥٠٧، وينظر اعداد الإنسان للآخرة في القرآن الكريم: ١١٦، والأساس في السنة: ٣/ ١٣٠٣ والإيمان بعوالم الآخرة: ١٧٨.
(٦) نور الإسلام: ٢٨٠، ويوم الفزع الأكبر: ٢٧٦.
(٧) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي: ١٥/ ٦٤.

وقيل: الحوض قبل الميزان، وهم القائلون إن الحوض قبل الصراط والميزان، واستدلوا بالأدلة الواردة في الفقرة الأولى والثانية وأقوال العلماء المستنبطة من تلك الأحاديث الشريفة في إثبات الحوض قبل الصراط والميزان وكونه أول محطة للناس في ساحة الحشر بعد البعث.

وقال أبو الحسن القابسي: [والصحيح أن الحوض قبل][١] أي قبل الميزان، وأيد الإمام القرطبي هذا الرأي بقوله: [والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشى من قبورهم كما تقدم، فيقدم الحوض قبل الصراط والميزان والله أعلم][٢].

فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي رحمه الله أن الحوض يكون قبل الصراط لأن الناس يردون الموقف وهم عطاشى، فيرد المؤمنون الحوض، ويظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وقال: [ويتساقط الكفار في النار بعد ان يقولوا: ربنا عطشنا، فترفع لهم جهنم كأنها سراب، فيقال لهم: إلا ترون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها][٣] فيفرح المؤمنون بكرم الله عز وجل وبرؤية نبيهم ﷺ وهو فرطهم على الحوض، يهيئه لهم ويستقبلهم عليه.

ويتضح مما سبق أن الروايات متعارضة في ترتيب موقع الحوض بالنسبة للصراط والميزان، قال البرديسي: [وقد تعارضت الآثار في محله، ففي بعضها قبل الصراط والميزان، وفي بعضها بعد الميزان، وفي بعضها بعد الصراط][٤].

ويمكن الجمع بين هذا التعارض بأن يقال: إن ذلك يحمل على تعدد الشرب منه، كما أشار إليه البرديسي[٥].

ويظهر أن الذين منعوا أن يكون الحوض بعد الصراط هو أنهم اعتمدوا

---

(١) التذكرة/ ٣٤٣.
(٢) يوم الفزع الأكبر: ٢٧٦.
(٣) ينظر الإيمان بعوالم الآخرة: ١٧٩ وشرح الطحاوية: ١٦٨.
(٤) ينظر تكملة شرح الصدور: ٢٤.
(٥) المصدر نفسه: ٢٤.

على أنه لو كان الأمر كذلك، لما صح أن يذاد عن الشرب منه أحد، وذلك لأن من جاوز الصراط فقد نجا من النار، فكيف يليق أن يمنع عن الشرب منه؟، فالصحيح عند هؤلاء أنه في الموقف قبل الصراط.

والذين توسطوا بين القائلين بأنه قبل الصراط والقائلين أنه بعده قالوا بتعدده.

فالأول: - وهو الذي قبل الصراط - هو الذي يمكن أن يتصور وقوع الذود عنه، وأما **الثاني**:- وهو الذي يكون بعد الصراط -فهذا لا يتصور أن يذاد عنه أحد(١).

ويرد على القائلين بأن الحوض يكون قبل الصراط ما جاء في حديث أنس ﷺ مرفوعاً والذي يفيد تأخر الحوض عن الصراط، قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة؟ قال: «أنا فاعل، قلت يا رسول الله فأين أطلبك يوم القيامة؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني عند الصراط، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فأنا عند الميزان قال: قلت فإن لم القك عند الميزان؟ قال: فأنا عند الحوض، لا أخطىء هذه الثلاثة مواطن يوم القيامة»(٢).

وقد استشكل ابن كثير رحمه الله هذا، ثم اجاب عنه: بأنه يحتمل أن يكون هناك حوض آخر غير الحوض الذي هو قبل الصراط، بدليل أن هذا الحوض الأخير يذاد عنه أناس لم تكتب لهم السعادة، غير أنه لا يعلم أحد قد قال بهذا القول، ونص كلامه: [والمقصود أن ظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط، وكذلك الميزان أيضاً، وهذا لا أعلم به قائلاً، اللهم إلا أن يكون المراد بهذا الحوض حوضاً آخر يكون بعد الجواز على الصراط كما جاء في بعض الأحاديث ويكون ذلك حوضاً ثانياً لا يذاد عنه أحد والله أعلم](٣).

الا أنه يرد على كلام ابن كثير رحمه الله سؤال وهو: هل كان يقصد

---

(١) المصدر نفسه: ٢٤.

(٢) رواه الترمذي في جامعه: ٤/ ٦٢١، والإمام أحمد في مسنده: ٣/ ١٧٨.

(٣) البداية والنهاية: ٢/ ٦٨.

الرسول ﷺ حينما قال هذا الحديث ترتيب وجوده بين هذه الثلاثة أماكن؟ لأنه قال ﷺ: «أول ما تطلبني» أم كان يقصد الإخبار بأنه أما أن يوجد في هذا المكان أو في المكان الآخر دون ملاحظة الترتيب؟.

فالذي يلاحظ الترتيب هو الذي يستشكل وجود الحوض بعد الصراط، والذي لا يلاحظ الترتيب لا يستشكله، والله أعلم بمراد رسوله ﷺ، أو أن الصحابي الجليل ﷺ سأل رؤية النبي ﷺ واللقاء به روحاً وجسداً في ذلك اليوم العصيب، أو أراد منه وعداً بأن يكرمه حضرة النبي ﷺ ويشرفه برؤيته المباركة وحضرته مشغول بأمور تخص أمته في مواطن يوم القيامة المذهلة، فالصحابي أراد اللقاء ولم يرد الشفاعة هناك لأنه ﷺ منحه الشفاعة وهو في الدنيا بنص الحديث، فالنبي ﷺ ادرك رغبة سيدنا أنس باللقاء فحدد له مواطن يلتقي بها، ويدل على ذلك أنه لو قصد الشفاعة على الصراط ولم يحظ بها سيدنا أنس فكيف يدركه في الميزان أو الحوض وقد هوى وزلت قدمه من على الصراط، فرسول الله ﷺ حدد له مواطن يتشرف بها سيدنا أنس بلقاءه ﷺ ولم يرد بذلك الترتيب والله أعلم.

وفيه أيضاً إيراد آخر على القائلين بأن الحوض يكون بعد الصراط، وهو أن الناس اذا خلصوا من الموقف وتجاوزوا الصراط دخلوا الجنة، فلم يحتاجوا إلى الشراب منه، وقد أجاب السيوطي رحمه الله عن هذا بقوله: [فالجواب: بل يحتاجون إلى ذلك لأنهم محبوسون هناك لأجل المظالم، فكان الشرب في موضع القصاص](١).

ولعل هذا هو الحوض الذي لا يذاد عنه أحد، لأن هؤلاء المحبوسين هناك لأجل المظالم هم المؤمنون الذين علم الله أنهم من أهل السعادة، فبعد أن يجتازوا القنطرة التي يحبس أهل الإيمان عليها ليقتص الحق منهم، يجتازون الصراط إلى الجنة، وعند دخولهم إلى الجنة يذهبون إلى نهر الكوثر الذي يصب منه الماء إلى الحوض في الموقف، فبعد دخولهم الجنة يشربون من الكوثر الذي أعطي للرسول ﷺ فلا يبقى هنالك تعارض، فأهل الإيمان

(١) لوامع الأنوار: ٢/ ١٩٥.

والتقوى يردون على حوض الحبيب المصطفى ﷺ في الموقف أول الحشر يشربون ويهنئون ثم يردون نهر الكوثر في الجنة بعد الصراط وكلاهما يسمى كوثرا.

وقد أورد الحافظ ابن حجر حديث أنس رضي الله عنه الذي استشكله ابن كثير واستشكله هو أيضا، فقال: [وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط بما سيأتي في بعض أحاديث الباب أن جماعة يدفعون على الحوض بعد أن يكادوا يردون ويذهب بهم إلى النار، وقال: ووجه الاشكال ان الذي يمر على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض يكون قد نجا من النار، فيكيف يرد إليها؟][(١)].

ثم أجاب عن هذا الاشكال بقوله: [ويمكن أن يحمل على أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون النار، فيدفعون إلى النار قبل ان يخلصوا من بقية الصراط][(٢)].

ورجح ابن حجر موقع الحوض قبل الصراط بدلالة ما روى من حديث لقيط بن عامر رضي الله عنه وفيه [... ثم ينصرف نبيكم وينصرف على أثره الصالحون فيسلكون جسرا من النار يطأ أحدكم الجمرة فيقول: حس[(٣)]، فيقول ربك؛ أوانه[(٤)]، إلا فيطلعون على حوض الرسول ﷺ على أظمأ -والله- ناهلة[(٥)] رأيتها أبدا، ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع على قدح][(٦)].

قال ابن حجر: [وهو حديث صريح في أن الحوض قبل الصراط][(٧)] وحديث لقيط ظاهره يفيد ان الحوض يكون بعد الصراط لا قبله، إذ أخبر ﷺ

(١) فتح الباري: ١١/ ٤٦٦.
(٢) فتح الباري: ١١/ ٤٦٦.
(٣) حس: كلمة يقولها الانسان اذا اصابه ما مسه وأحرقه كالجمرة والضربة ونحوهما، ينظر فتح الباري: ١١/ ٤٦٦.
(٤) أوانه: أي حين وزمان، وينظر فتح الباري: ١١/ ٤٦٦.
(٥) ناهلة: تشبيهه بالإبل العطشان الشارعة إلى الماء، وينظر فتح الباري: ١١/ ٤٦٦.
(٦) أخرجه أحمد في مسنده: ٤/ ١٤ وابن أبي عاصم في السنة والطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه.
(٧) فتح الباري: ١١/ ٤٦٧.

أنهم يسلكون الجسر ثم يطلعون على الحوض، وحديث سيدنا أبي هريرة ﷺ السابق: «بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة..»[١] الخ الحديث يفيد أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط، وحديث لقيط يفيد أنه بعد الصراط.

وليس هذا من باب التعارض الذي لا يمكن الجمع معه، فقد سبق أن ذكرنا أن بعض العلماء قد قال بأن هناك حوضين: قبل الصراط وبعده، وربما يشيرون بما بعد الصراط إلى الكوثر كما ذكرنا سابقا.

وبعض العلماء مثل الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله يجعل هذه الأحاديث من باب كون الحوض قابلاً لها بسبب اتساعه، فهو يقول عن حديث أبي هريرة ولقيط رضي الله عنهما: [وليس بين أحاديث رسول الله ﷺ تعارض ولا تناقض ولا اختلاف، وحديثه كله يصدق بعضه بعضا، واصحاب هذا القول إن أرادوا أن الحوض لا يرى ولا يوصل إليه إلا بعد قطع الصراط، فحديث أبي هريرة هذا وغيره يرد قولهم، وإن أرادوا أن المؤمنين اذا جاوزوه وقطعوه بدا لهم الحوض فشربوا منه، فهذا يدل على حديث لقيط هذا، ولا يناقض كونه قبل الصراط، فإن قوله ﷺ: «طوله شهر وعرضه شهر) فإذا كان بهذا الطول والسعة، فما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده؟ فهذا في حيز الإمكان ووقوعه موقوف على خبر الصادق][٢].

وقد جمع جلال السيوطي رحمه الله بين الروايات التي تفيد أن الحوض بعد الصراط، والروايات التي تفيد أنه قبله بقوله: [ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والاوزار، حتى يهذبوا منها على الصراط، ثم قال: ولعل هذا أقوى][٣].

ونقل السفاريني أن الشيخ مرعي امتدح هذا الجمع بقوله: [وهذا في غاية

(١) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤٦٥ (الفتح).
(٢) معارج القبول: ٢/ ١٩٦.
(٣) نقلا عن لوامع الأنوار: ٢/ ١٩٦.

التحقيق جامع للقولين وهو دقيق][1].

وبعد عرض ما تقدم، فإن الذي ارجحه هو ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر في كون الحوض قبل الصراط، وقبل فصل القضاء[2]، وقبل الميزان أيضاً لأنه -كما تقدم- ليس بعد الصراط إلا دخول الجنة أو النار، ولأنه ورد كذلك أن ناساً يذادون عن الحوض، والذين نجوا من الصراط وتجاوزوه هم من أهل الجنة فلا يذادون، وأن القول بوجود حوضين إنما هو من باب تغليب تسمية الكوثر بالحوض للاتصال الذي بينهما، وانما حمل لقائل به التوفيق بين الروايات وتسميته للكوثر حوضاً اخر، ولكون الكوثر خاص بالرسول ﷺ فالحوض خاص به أيضاً، ترد عليه أمته يوم القيامة فسمي الحوض والكوثر كلاهما كوثرا.

وكذلك الميزان فإنه معلوم أنه يكون في الوقف، ويبعد القول بأن الحوض يكون بعد وزن الأعمال، لأن الوزن في الموقف، ولأنه كذلك ليس بعد وزن الأعمال إلا إعطاء النتيجة، إما الجنة، وإما النار، كما تفيده النصوص.

والحاصل من هذا كله أن الحوض يكون في الموقف وقبل الصراط وقبل الميزان وقبل فصل القضاء أيضاً كما يستفاد من مجموع النصوص، فالحوض في الموقف ترد عليه الأمة الإسلامية لتشرب منه بعد بعثهم من قبورهم، ورسول الله ﷺ ينتظرهم هناك وقد أعده وهيئه لهم فمن شرب منه لا يظمأ بعدها أبدا، ماءه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن، أصله ومصدره نهر الكوثر في الجنة ترده الأمة أيضاً بعد اجتيازهم الصراط بسلام فيشربون من نفس الماء الذي شربوا في الحوض المورود الكائن في الموقف، ريحه أطيب من ريح المسك، وشربهم من نهر الكوثر ليس لدفع العطش كما شربوا من الحوض في أول الحشر، بل يشربون في الجنة تلذذا وشهوة لا لدفع الجوع والعطش[3]. اللهم ارزقنا شربة من يده الكريمة ﷺ عند الحوض

---

(١) المصدر نفسه: ٢/ ١٩٧.

(٢) ينظر البداية والنهاية: ٢/ ٦٩، وقال ابن كثير رحمه الله (الظاهر ان الحوض قبل الصراط، اما قبل فصل القضاء فيه امرين والله اعلم.

(٣) ينظر تكملة شرح الصدور: ٢٦.

وارزقنا جواره ﷺ عند الكوثر في الجنة يا أرحم الراحمين.

المبحث الخامس

سعة الحوض ومساحته

إن الحديث عن سعة الحوض ومساحته وكثرة آنيته له علاقة كبيرة بهذه الأمة الإسلامية التي شرفها الله تعالى بأن تكون أمة أفضل وأعظم وأشرف أنبياء الله ورسله، حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، فكانت هذه الأمة أشرف الأمم وذلك لشرف تعلقها بهذا النبي العربي الكريم المبارك ﷺ وكون شريعته الغراء نسخت جميع أحكام الشرائع السابقة.

قال العلامة التفتازاني رحمه الله في شرحه للمقاصد: [وأجمع المسلمون على أن أفضل الأنبياء محمد ﷺ لأن أمته خير الأمم لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(٢).

وتفضيل الأمة من حيث انها أمة تفضيل للرسول الذي هم أمته، ولأنه مبعوث إلى الثقلين، وخاتم الأنبياء والرسل، ومعجزاته الظاهرة والباهرة باقية على وجه الزمان، وشريعته ناسخة لجميع الاديان، وشهادته قائمة في القيامة على كافة البشر، إلى غير ذلك من خصائص لا تعد ولا تحصى، وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾(٣) اشارة إلى ذلك، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، حتى قال الرسول ﷺ: «انا أكرم الأولين والاخرين على الله تعالى ولا فخر»(٤).

ويفهم من هذا ان سعة الحوض الخاص بنبينا محمد ﷺ في الموقف ينسجم مع التكريم الإلٓهي لهذا النبي الطيب المبارك ﷺ ولأمته العظيمة، وكلما زادت واتسعت الأمة زاد فرح نبيها عليه الصلاة والسلام بها، بل إنه

---

(١) سورة آل عمران: آية: ١١٠. (٢) سورة البقرة: آية ١٤٣.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٥٣.

(٤) الإمام أحمد: ٤/١ وابن أبي عاصم في السنة: ٣٤٩/٢، شرح المقاصد: ٤٧/٥، والحديث الشريف أخرجه ابن حبان في صحيحه: ٢٥٨٩.

وجه أمته إلى الزواج والإنجاب ورغب فيه وجعله من سننه الكريمة ليباهي يوم القيامة إخوانه الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عند الحوض وفي عرصات يوم الحشر والنشور فقال ﷺ: «أنا فاطركم على الحوض، وإني مكاثر بكم الامم، فلا تقتتلوا بعدي»[١].

ومن فرحه ﷺ يوم القيامة بأمته وهو سابقهم إلى الحوض فأنه يذود الناس من الأمم الأخرى عن حوضه لترد عليه أمته بدلالة ما روى عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن حوضي أبعد من ايلة من عدن، لهو أشد بياضا من الثلج. . . وإني اصد الناس عنه كما يصد الرجال إبل الناس عن حوضه. .»[٢].

ولهذا كان حوضه الشريف ﷺ أوسع وأطول وأعظم من حياض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين، وذلك لأن أمته ﷺ أكثر وروداً وشرباً على حوضه الشريف يوم القيامة، سقانا الله تعالى منه وجعلنا عليه من الواردين الشاربين أنه سميع مجيب.

ومن خلال جمع الأحاديث الصحيحة المتواترة الواردة في شكل الحوض ومساحته يتبين لنا أن الحوض مربع الشكل، طوله وعرضه سواء، وكل منهما مسيرة شهر، ويشهد لذلك ما سنذكره من تلك الأحاديث الشريفة:

١- عن سيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «. . . من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله. . . الخ الحديث الشريف»[٣].

٢- وعن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء. . . الخ الحديث الشريف»[٤].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ٣٥١، وابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٤٤ وهو حديث صحيح.
(٢) صحيح الإمام مسلم: ١/ ٢١٧.
(٣) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٨، وابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٣٤.
(٤) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٥، وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٣.

وذكر القاضي عياض فيما نقله عنه أبو عبد الله محمد بن خليفة الآبي في شرحه على صحيح مسلم في زوايا الحوض فقال" [الزوايا: الاركان، فهو مربع مستوي الأضلاع، لأن تساوي الزوايا يدل على تساوي الأضلاع][١] وهذه الأحاديث تدل دلالة صريحة على سعة الحوض وتساوي اضلاعه ليسع الأمة الإسلامية كلها، ودليل على إكرام الحق عز وجل نبيه ﷺ بأنواع الكرامات وأرقاها بسعة الحوض وعظمته.

وأما طوله فقد ذكر حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ أحاديث عديدة مبيناً أن حوضه مميز بسعته وطول مسافته عن سائر الأحواض الخاصة بالأنبياء عليهم السلام في ساحة الموقف، ومن هذه الأحاديث التي جاءت في تحديد مسافته، كما يلي:

١- الحوض طوله كما بين جرباء وأذرح

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أمامكم حوضي كما بين جرباء وأذرح»[٢] وفي رواية أخرى فيه زيادة: «... فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدا»[٣]، وقال ﷺ: هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام.

٢- الحوض طوله بين صنعاء والمدينة المنورة

صلى الله على ساكنها ورزقنا زيارتها والإقامة فيها إن ربنا سميع الدعاء.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة»[٤] وفي رواية حارثة رضي الله عنه: «حوضه ما بين صنعاء والمدينة».

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للآبي: ٦/ ١٠٧.

(٢) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤٦٣، وصحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٥٨، وجرباء: موضع من اعمال عمان بالبلقاء في الشام من ناحية الحجاز، وأذرح: بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة كما في معجم البلدان: ٢/ ١١٨.

(٣) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٥٩.

(٤) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ١٤٦٥، صحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٥٧.

٣- الحوض كما بين المدينة المنورة وعمان

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين ناحيتي حوضي كما بين المدينة وعمان»[١] وعن ثوبان ﷺ «... من مقامي إلى عمان ... الخ»[٢].

٤- الحوض كما بين عمان إلى أيلة

عن أبي ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر عدد نجوم السماء وكواكبها... إلى ان قال ﷺ: عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة»[٣].

٥- الحوض كما بين أيلة إلى عدن

كما في قوله ﷺ: «ان حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن.. الخ الحديث»[٤].

٦- الحوض كما بين الكوفة والحجر الأسود

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ﷺ: «حوضي كما بين الكوفة إلى الحجر الأسود»[٥].

٧- الحوض كما بين عدن وعمان:

فعن أبي أمامه ﷺ قال: يا رسول الله فما سعة حوضك؟ قال ﷺ: «كما بين عدن إلى عمان فأوسع فأوسع... الخ الحديث»[٦] وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «حوضي كما بين عدن وعمان... الخ الحديث»[٧]، وعن ثوبان ﷺ ان النبي ﷺ قال: «حوضي من عدن إلى عمان البلقاء»[٨].

---

(١) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٦٢. (٢) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٦٠.

(٣) صحيح مسلم: ٥/ ١٦٠.

(٤) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٥٩، وأيلة: مدينة على ساحل البحر الاحمر تعرف اليوم بالعقبة كما في معجم البلدان: ١/ ٢٩٢.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه: ٤/ ٦٣٠ والنسائي في سننه: ٨/ ٢٢٥.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير: ١/ ٢٦٠، والإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٢٥٠ والحافظ ابن حجر في الاصابة: ٣/ ٦٥١ والسنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٣٣٨ وسنده صحيح.

(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢/ ١٣٢ باسناد حسن، ١٤٣٩ والترمذي في سننه: ٤/ ٦٢٩.

(٨) الإمام الترمذي في سننه: ٤/ ٦٢٩ في صفة أواني الحوض.

٨- الحوض كما بين صنعاء إلى بصرى

فعن عتبة بن عبد الأسلمي رضي الله عنه قال: قام أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: ما حوضك الذي تحدث عنه؟ فقال ﷺ: «هو كما بين صنعاء إلى بصرى . . . الخ الحديث»(١).

٩- الحوض كما بين الكعبة المشرفة وبيت المقدس

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «ان لي حوضاً ما بين الكعبة وبيت المقدس. . . الخ الحديث»(٢).

١٠- الحوض كما بين أيلة وصنعاء

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن. .»(٣) وفي رواية جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا اني فرط لكم على الحوض، وأن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة»(٤)، وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء، مسيرة شهر، عرضه كطوله . . .الخ»(٥).

١١- الحوض كما بين الجابية وصنعاء

فعن أبي هريرة رضي الله عنه وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «سعة حوضي ما بين الجابية وصنعاء»(٦).

١٢- الحوض كما بين أيلة إلى الجحفة

فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد، ثم

---

(١) سنن الترمذي: ٤/ ٦٢٨ وابن ماجه في سننه: ٢/ ١٤٣٩ وموارد الظمآن: ٦٤٧، وبصرى: موضع في الشام وصله رسول الله ﷺ في تجارته كما في مراصد الاطلاع للبغدادي: ١/ ٢٤٢.

(٢) رواه ابن ماجه: ٢/ ١٤٣٨ وابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٣٥.

(٣) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤٦٤ وصحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٦١.

(٤) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٦٣.

(٥) موارد الظمآن: ٦٤٦.

(٦) ذكره الهيتمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٦٥ وعزاه إلى الطبراني، والجابية: قرية من أعمال دمشق قرب مرج الصفر في شمالي حوران كما في معجم البلدان: ٤/ ٤٩١.

صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات، فقال: «إني فرطكم على الحوض، وأن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة.. الخ الحديث»[١] وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي لأبعد من أيلة من كذا وكذا... الخ الحديث»[٢]، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي ما بين أيلة إلى مكة»[٣].

وقال البرديسي: [وجملة ما قيل فيه أنه مسيرة شهر، وقيل شهران وقيل: ثلاث][٤].

وقد ذكر ابن حجر والبرديسي وغيرهما عدة روايات في تحديد مسافة الحوض، وهي إجمالاً:

١- الحوض ما بين أيلة وصنعاء.

٢- ما بين عدن وأيلة.

٣- عمان إلى أيلة.

٤- أيلة إلى الجحفة.

٥- صنعاء إلى المدينة المنورة صلى الله على ساكنها.

٦- عدن إلى عمان البلقاء.

٧- ما بين صنعاء إلى بصرى.

٨- أيلة إلى مكة.

٩- مكة إلى عمان.

١٠- صنعاء إلى بصرى

١١- صنعاء إلى مكة.

١٢- الكعبة إلى بيت المقدس.

---

(١) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٦٠.
(٢) صحيح الإمام مسلم: ١/ ٢١٧-٢١٨.
(٣) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٥ وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٨٠٠.
(٤) تكملة شرح الصدور: ٢٣.

١٣- البيضاء إلى بصرى[(١)].

فإن قيل: بعد عرض هذه الروايات الصحيحة التي أثبتت سعة الحوض وطول مسافته، فهل هنالك اضطراب واختلاف بين أحاديث الحوض من حيث اختلاف المسافات بين المدن المذكورة؟ لا سيما وأن بعض العلماء اشار إلى ذلك الاختلاف وبعض التباين بين الروايات التي جعلت بعض الناس يقدح فيها بزعمهم انها متناقضة ومتعارضة[(٢)].

يجاب عنه: ظن بعض الناس أن بين هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراباً واختلافا، وليس كذلك إنما أخبر حضرة خاتم الأنبياء المرسلين ﷺ بأحاديثه في مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام: بين أذرح وجرباء[(٣)]، ولأهل اليمن: من صنعاء إلى عدن وهكذا[(٤)]. وتارة أخرى يقدر بالزمان فيقول رسول الله ﷺ: مسيرة شهر، والمعنى المقصود، أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا، فكان ذلك بحسب من حضره ﷺ ممن يعرف تلك الجهات، فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها[(٥)].

ولا تنافي ولا اختلاف ولا تناقض من حيث تقدير المسافة بنحو شهر في رواية، وبنحو شهرين في روايات أخرى، لأن الله سبحانه تفضل عليه باتساعه شيئاً فشيئاً وذلك بقوله ﷺ: «كما بين عدن إلى عمان فأوسع فأوسع -يشير لسعته بيده الشريفة كما ذكره الراوي-. إلى الخ الحديث»[(٦)].

---

(١) فتح الباري: ١١/ ٤٧٠، وينظر: تكملة شرح الصدور: ٢٣، وشرح النووي لصحيح مسلم: ٥/ ١٥٥.

(٢) ينظر ما قاله الحافظ ابن حجر في رده على من شكك بصحة الروايات في فتح الباري: ١١/ ٤٧٠.

(٣) ينظر شرح النووي لمسلم: ٥/ ١٥٨. (٤) شرح النووي لصحيح مسلم: ٥/ ١٥٥.

(٥) ينظر شرح الطحاوية: ١٧٦ وشرح الجوهرة: ١٨٤، والتذكرة: ١/ ٤٠٩، ويوم الفزع الأكبر: ٢٧٩، والأساس في السنة: ٣/ ١٣٠٨، ونور الايمان: ٢٨٥، والإيمان بعوالم الاخرة: ١٧٠، وتكملة شرح الصدور: ٢٣.

(٦) السنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٣٣٨، والإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٢٥٠، والحافظ ابن حجر في الاصابة: ٣/ ٦٥١ وسنده صحيح.

وإنما تعدد ذكر هذه المسافات المختلفة والتي ضربها رسول الله ﷺ، انما هي امثلة لعرض وطول حوضه الشريف، وهذا الاختلاف جاء لإعلام المخاطبين بسعته وبركته وشموله لأبناء أمته ﷺ، والقليل من هذه المسافات داخل تحت الكثير، والكثير باق على ظاهره، ورسول الله ﷺ أخبر بالمسافة القصيرة أولا ثم أخبر بالمسافة الكبيرة.

وقال الإمام النووي رحمه الله: [وليس في القليل من هذه منع الكثير، والكثير ثابت على ظاهر الحديث، ولا معارضة. والله أعلم](١).

وذكر القاضي عياض رحمه الله: أن هذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجبا للاضطراب، أي في أحاديث الحوض، فإن الاختلاف لم يأت في حديث واحد، بل في أحاديث مختلفة الرواية عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة ضرب لها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً، لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك من الافهام لبعد ما بين البلاد المذكورة، لا على التقدير بالموضوع للتحديد، بل للإعلام بعظم هذه المسافة فبهذا تجمع الروايات(٢).

وقد قام عدد من الباحثين المنصفين بإجراء قياسات ميدانية على المسافات المذكورة في كتب الحديث ومعاجم البلدان(٣)، فتبين لهم ان هنالك تقارباً كبيراً بينها على الخريطة فإن صحت تلك الدراسات المنصفة فإنها تمثل معجزة لحضرة النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، والعبرة بصحة الخبر عنه ﷺ وثبوت الحوض لا في تحديد المسافات التقديرية، ولا يخطر ببال أحد أو يذهب وهمه إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة على مسافة هذه الأقطار، أو في

---

(١) شرح النووي في هامش القسطلاني: ٩/ ١٥٨.

(٢) ينظر شرح النووي لصحيح مسلم: ٥/ ١٥٥، والاعتقاد للبيهقي: ١١٤، وشرح الجوهرة: ٢٤٠، ولوامع الأنوار: ٢/ ١٩٩ الايمان بعوالم الآخرة: ١٧٠، وفتح الباري: ١١/ ٤٧٠-٤٧٥.

(٣) بحث قدمه الدكتور فهمي القزاز في محاضرة القاها في جامع الجهاد في ليلة من ليالي رمضان المبارك ١٤١٩هـ وأشار إلى كتاب الأساس في السنة: ٣/ ١٣٠٦.

المواضع التي تكون بدلا من هذه المواضع في هذه الأرض، وهي أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، وتظهر لنزول الحق عز وجل، يحشر الناس عليها للحساب والجزاء.

وأرجح الأقوال فيما أرى هو القول بأن رسول الله ﷺ لم يرد أن تلك المسافات -بين تلك الأماكن التي قالها- متحدة، وإنما كان يريد الإخبار عن مسافة ما بين أجزاء الحوض، وما قيل من أنه ينبغي ان تكون المسافة واحدة مع كل سائل، فليس ذلك بلازم، لأن النبي ﷺ كان يخاطب السائل مقربا له المسافة، ومشيرا له إلى ما يعرف من الأماكن، فالسائل الذي يعرف المدينة المنورة صلى الله على ساكنها وسلم وعمان يمثل له بها، والسائل الذي يعرف جهة جرباء وأذرح يمثل له بها، ولم يرد حضرة الرسول ﷺ ان تلك المسافات بين تلك الأماكن متحدة والله أعلم.

فإن قيل: بعد أن عرفنا سعة حوض حضرة النبي ﷺ وطول مسافته وكونه حوضا موردا كرامة من الله عز وجل لحبيبه ونبيه ﷺ فهل ثبت لكل نبي من الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام حوض ترد عليه أممهم يوم القيامة؟

يجاب عنه: الواقع ان هذه المسألة محل خلاف، وأن كان كثيراً من العلماء يذهب إلى أن لكل نبي حوضا، إلا أنه لا يزال فيها بعض الغموض، إذ الأدلة التي يستدلون بها لا تفي بإثبات أن لكل نبي حوضا يخصه.

أدلة إثبات أحواض الأنبياء عليهم السلام:

١- عن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوضا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة»[(١)].

وهذا الحديث مرسل، لأنه من رواية سيدنا الحسن عن حضرة النبي ﷺ،

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: ٤/ ٦٢٨ باب ما جاء في صفة الحوض وقال: حديث حسن غريب، والطبراني في الكبير: ٧/ ٢١٣، وابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٤١ وابن كثير في النهاية: ١/ ٦٧ والقرطبي في التذكرة: ١/ ٤١٣ وقال الالباني: حديث صحيح، ينظر السلسلة: ١٥٨٩، واثنى الحافظ المزي بصحة الحديث بالطرق التي ذكرها ابن كثير رحمه الله، وفي الاحياء: ٤/ ٥٢٩.

ولولا تلك العلة لكان الحديث قاطعاً لكل شك في هذه المسألة.

٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ان لي حوضا ما بين بيت المقدس إلى الكعبة، ماؤه أبيض من اللبن، فيه عدد الكواكب آنية، وأنا فرطكم على الحوض، ولكل نبي حوض، وكل نبي يدعو أمته، فمنهم من يرد عليه الفئام من الناس، ومنهم من يرد عليه ما دون ذلك، ومنهم من ترد عليه العصابة، ومنهم من يرد عليه الرجلان والرجل، ومنهم من لا يرد عليه أحد، فيقول: اللهم قد بلغت، اللهم قد بلغت ثلاثاً»[1].

وقال ابن حجر رحمه الله: [وقد اشتهر نبينا ﷺ بالحوض، لكن أخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه: «إن لكل نبي حوضا»، وأشار إلى أنه اختلف في وصله وارساله، وأن المرسل أصح، قلت: والمرسل أصح، قلت: والمرسل عنه ﷺ أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوضا، وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته، إلا أنهم يتباهون أيهم أكثر تبعا، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعا»[2].

وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن سمرة موصولا مرفوعا مثله، وفي سنده لين، وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً من حديث سعيد رفعه: «وكل نبي يدعو أمته ولكل نبي حوض، فمنهم من يأتيه الفئام، ومنهم من يأتيه العصبة، ومنهم من يأتيه الواحد، ومنهم من لا يأتيه أحد، وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة» وفي إسناده لين.

وإن ثبت فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه في السورة المذكورة - يعني الكوثر[3].

وعنه ﷺ أنه قال: «أنا فرطكم على الحوض وإني مكاثر بكم الأمم، ألا

(١) تكملة شرح الصدور: ٢٦ وعزاه إلى البزار.
(٢) فتح الباري: ١١/ ٤٦٧.
(٣) المصدر نفسه: ١١/ ٤٦٧.

فلا تقتتلوا بعدي»[١] فمكاثرته بنفسي هو ﷺ يوم القيامة الأمم بأمته عند الحوض دليل على أن لكل نبي حوضا ترده أمته يوم القيامة، لكنه لم يبلغ سعة ذلك الحوض المورود الذي خصه الله تعالى كرامة ومنة عظيمة لنبيه الكريم ﷺ وأمته الإسلامية.

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قوله: «إني لأذود عن حوضي رجالاً كما تذاد الغريبة من الإبل»[٢].

وهذا الحديث قد يستدل به من يقول بتعدد الأحواض، وأن كل نبي يذود عن حوضه، وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله سبب قيامه ﷺ بذود الأمم الأخرى عن حوضه وعلل ذلك بأنه إرشاد منه ﷺ لاتباع الأنبياء ليردوا أحواض أنبيائهم، وأن هذا إنصاف من الرسول ﷺ ورعاية لحرمة إخوانه من النبيين[٣].

وقال السفاريني: [وورد في بعض الأخبار أن لكل نبي حوضاً، إلا صالحا عليه السلام فإن حوضه ضرع ناقته][٤] وقال ذلك أيضا البكري المعروف بابن الواسطي. ولم أجد في هذه الأخبار نص ثابت ولم يذكر السفاريني تلك الأخبار.

وذكر القرطبي في موقع الحوض بقوله: [وكذا حياض الأنبياء عليهم السلام تكون أيضا في الموقف][٥].

ويقول ابن أبي العز: [وقد ورد في أحاديث أن لكل نبي حوضاً، وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها وارداً، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه][٦].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ٣٥١، وابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٤٤.
(٢) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٦١.
(٣) فتح الباري: ١١/ ٤٦٧.
(٤) لوامع الأنوار: ٢/ ٢٠٣.
(٥) التذكرة: ٣٠٣.
(٦) شرح الطحاوي: ٢٥٠.

وذكر الشيخ الزنداني: أن لكل نبي حوضا يشرب منه هو وأمته بعد الموقف وقبل الجنة، ولنبينا محمد ﷺ حوض ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا[١].

وأيده بذلك السيد سابق بقوله: (إن لكل نبي حوضاً يشرب هو وأمته منه بعد الموقف وقبل دخول الجنة، ولنبينا حوض كذلك)[٢].

وبعد عرض أقوال العلماء هذه فإنه يستفاد من تلك الأقوال مع النصوص الأخرى أن إثبات أحواض الأنبياء الآخرين عليهم السلام أجمعين غير حوض نبينا محمد ﷺ مما يحتاج إلى دليل ثابت خال من شائبة الضعف، على أن من أثبت ذلك استئناساً بتلك الروايات وأقوال العلماء لا حرج عليه -فيما أرى- ومن توقف فكذلك.

إذ أن الأحاديث التي تقدمت غير قاطعة بذلك، وأقوال العلماء مهما كانت محترمة، فإن طلب الدليل الصحيح وخاصة في مثل هذه المسائل السمعية الغيبية أمر لا جدال فيه، على أن مقتضى الحال لا ينفي أن يكون لكل نبي حوض يخصه.

وذلك لاشتراك جميع الأمم في الحاجة إلى الشرب في ذلك الموقف لأن الشرب منه إنما يكون لما يلحق الناس من العطش، ولا يمنع أن يكون من باب الكرامة وغير ذلك، كما جاء عن حضرة الرسول ﷺ، والعطش لا يقتصر على أمة دون أخرى وحيث كان المؤمنون من أي أمة كانت قد اشتركوا في الضرورة إلى الماء، فهم كذلك قد اشتركوا في الإيمان بالله عز وجل وطاعته، والمفاضلة بينهم لا يلزم ان تكون في السقيا من الماء، وهو امر ضروري.

المبحث السادس

صفات الحوض المورود

ومن المعلوم بالضرورة أن الله عز وجل هو خالق كل شيء، خالق الدنيا

(١) ينظر كتاب التوحيد للزنداني: ٢٥٠.
(٢) العقائد الإسلامية: ٢٨٧.

بجمالها وسحرها وطبيعتها الأخاذة، ونظامها المتقن البديع، وخالق الآخرة وعوالمها ومواقفها، وما أعد فيها للمتقين من نعيم وسرور وعطاء في جنات لم تسمع بها أذن ولم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر، جزاء وفاقا، وهذا المقام المحمود هو الجزاء الأوفى الذي وعد الله عز وجل حبيبه الكريم ﷺ يوم القيامة، فأعطاه تعظيماً له وتكريماً أعلى الجنان وأعظم الأنهار بقوله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ عليه حوضه المورود الصافي المبرد ومعه أهل الحق والإيمان من أمته قال تعالى: ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[١]. فالمعية متحققة معه ﷺ في عالم الحياة الدنيا وعالم البرزخ وعوالم الآخرة[٢].

فيكون الحوض بذلك المكان أول تكريم في اليوم الآخر لهذه الأمة المباركة التي أطاعت وصدقت نبيها الكريم عليه الصلاة والتسليم وسارعت في الخيرات، وجاهدت من أجل إعلاء كلمة الحق، ودعت ربها رغبا ورهبا، فتفضل عليهم ربهم عز وجل بالحوض المورود فجعله على أعلى درجات الجمال وبداعة الخلق وحسنه، فتبارك الله أحسن الخالقين.

هذا وقد بين وفصل لهم أشرف الخلق أجمعين ﷺ بعض صفات حوضه بشرى لأمته وترغيبا لهم بالمسارعة في العمل الصالح؛ لينالوا رحمة الله تعالى وبركاته ومنها الخير الكثير والمنة العظيمة المتمثلة بنهر الكوثر في الجنة، الذي أعطاه الله سبحانه واعده إكراما لنبيه وخليله سيدنا محمد ﷺ، واذا كان الناس يختارون لضيوفهم أحسن المآكل والمشارب، فما الظن بالله تعالى الذي هو على كل شيء قدير.

صفات الكوثر

إن مجمل صفات الكوثر كما وردت بها الأحاديث على أنه نهر في الجنة ماؤه أحلى من العسل وأشد بياضا من الثلج ومن اللبن، ماؤه كثير مبارك، حافتاه خيام الدر المجوف أو من ذهب، يجري على الياقوت والدر المجوف،

(١) سورة النساء: ٦٩.
(٢) ينظر الروح لابن القيم: ٣٢. وحياة البرزخ في الفكر الإسلامي: ٢٠٠.

طينه من المسك الاذفر بل هو أطيب ريحا منه، أرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ يجري عليه الماء، عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب، آنيته عدد نجوم السماء لا يشرب منه أحد فيظمأ، أو يتوضأ منه أحد فيشعث، وفيه طير خلقها الله تعالى كأن أعناقها أعناق الإبل لنعومتها وسمنها، جعله الله في أعلى الجنة وأرفعها موضعا.

أدلة إثبات صفات الكوثر

١- عن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال: أخبرني أنس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة يجري على وجه الأرض، حافتاه قباب»[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه الدر المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، قال: فضرب الملك بيده، فإذا طينته مسك أذفر»[٢].

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ «هل تدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة»[٣].

وفي رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الكوثر؟ قال: «نهر من أنهار الجنة أعطانيه الله عرضه ما بين أيلة وعدن.... الخ الحديث»[٤].

صفات الحوض

بعد أن تشرفنا بهذه الباقة المعطرة بنسمات حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ نطير وبأرواحنا متلهفين مشتاقين لمجلسه ﷺ تأخذنا الهيبة والوقار لتمنحنا

---

(١) صحيح الإمام البخاري: ٣/ ٣٣١.

(٢) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٦، والذفر: كل ريح طيبة زكية، ومسك أذفر: أي بين الرائحة كما في الصحاح: ٢/ ٦٦٣.

(٣) صحيح الإمام مسلم: ١/ ٣٠٠و ٤/ ١٨٠١، والبيهقي في البعث والنشور: ١١٠-١١١.

(٤) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٥٩.

أدبا يليق بحضرته ونحن نسمع بأرواحنا إلى وصفه ﷺ لهذا الحوض الكريم وما عليه من خير كثير، وقبل الارتحال أتشرف بذكر هذه الآبيات المباركات لتكون مركباً روحياً يؤهلنا إلى الارتحال والانتقال إلى أشرف بقعة على المعمورة ألا وهي المدينة المنورة الحبيبة وروضته الغناء وقبتها الخضراء:

يا أيها الهادي الرسول المصطفى والعز والإقدام والإنعام
أنا بعض من شكروا الطريق إلى الهدى فأمنن فأنت مشفع وعصام
وأتيت لا في السائرين على الثرى وحضرت لا زمن ولا أجرام
فاذا مزارك فوق أهلة الدنا وإذا جنانك في السماء نظام
روحي تحيتي إليك أزلفتها وكثير فضلك بالقليل يُرام[(١)]

أدلة إثبات صفات الحوض المورود

١- من صفاته الرائعة لون مائه المميز الجميل الجذاب، فالماء في الحوض أبيض من اللبن والثلج، بدلالة الأحاديث النبوية الشريفة التي بينت صفات لون ماء الحوض، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك»[(٢)].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «.... من شرب منه لم يظمأ .. وماؤه أشد بياضا من اللبن.. الخ الحديث»[(٣)].

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ سُئل عن شراب الحوض؟ فقال: «أشد بياضا من اللبن...»[(٤)].

وسأل يزيد بن الأخنس السلمي ﷺ رسول الله ﷺ عن الحوض فقال: يا

(١) نفحات الحياة: ٧٥، وهذه الابيات من معلقة كبيرة لشيخي الدكتور العلامة عبد الله مصطفى الهرشمي قدس الله سره وطيب الله ذكره وروحه وثراه.
(٢) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٥ وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٣.
(٣) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٨، وابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٣٤.
(٤) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٩.

رسول الله فما شرابه؟ قال: «شرابه أبيض من اللبن»[١].

وعن أنس رضي الله عنه ان رجلاً قال: يا رسول الله ما الكوثر الذي أعطاك ربك؟ قال: «نهر في الجنة أشد بياضا من اللبن»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة.... وأشد بياضا من الثلج»[٣].

٢- ومن صفاته الكريمة رائحته الزكية وعطره الأخاذ، فإن ريح الحوض أطيب من ريح المسك الاذفر، وهذه من صفات الكمال في الحسن والجمال التي خص بها ذو العزة والجلال حبيبه المصطفى ﷺ بأن جعل طيب ريح حوضه أطيب من ريح المسك ذلك الطيب الذي يباع في الدنيا بأغلى الأثمان ويرش على أفخر الثياب وتزين به أجمل العراس في أحلى أيام عمر الإنسان وأرقها.

ومن خصائصه وصفاته بأبي هو وأمي ﷺ أنه طيب الرائحة وأن لم يمس طيباً، ومما يدل على أن طيب الرائحة كانت صفة له ﷺ وهي أطيب الطيب كله، وأن رائحته الزكية أطيب من النفحات العنبرية والمسكية، قال سيدنا أنس رضي الله عنه: [ما شممت عنبرا قط، ولا مسكا ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ، ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ][٤]، فعطر ريحه يسطع كالمسك الأذفر ونوره كالقمر ليلة البدر.

وكان رسول الله ﷺ إذا مس رأس الصبي بيده الشريفة ﷺ يعرف من دون الصبية بعطر رسول الله ﷺ الذي هو أطيب من ريح المسك وأزكى، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (كانت كف رسول الله ﷺ ألين من

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٢٥٠، والطبراني في الكبير: ٨/ ١٨٢، والبيهقي في البعث والنشور: ١١٨، ومجمع الزوائد: ١/ ٣٦٣.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: ٤/ ٦٨٠، والإمام أحمد: ٣/ ٢٣٦، والبيهقي في البعث والنشور: ١١٤، والطبري في تفسيره: ٣/ ٢٠٩.

(٣) أخرجه الترمذي: ٥/ ٤٤٩ وقال: صحيح، وابن ماجه: ٢/ ١٤٥٠، والإمام أحمد: ٢/ ١٤٥٠ و ٢/ ٦٧، والطيالسي في مسنده: ٢٦١.

(٤) رواه الشيخان وغيرهما: اللؤلؤ والمرجان: ٢٠٠ والترمذي: ٤/ ٦٣١.

الحرير وكأن كفه كف عطار، يمسها بطيب أو لم يمسها، يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصغير فيعرف من بين الصبيان بريحها)[(١)].

وكانت نساؤه أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أجمعين يضعن شيئاً من عرقه الشريف على عطرهن فيزداد ذلك العطر بهاء ورقة، يشم عند اهتياج الحس سائره، فعن أنس ﷺ قال: «دخل علينا النبي ﷺ فقال -أي نام- عندنا، فعرق فجاءت أمي -أي أم سليم- بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب»[(٢)].

وعن وائل بن حجر ﷺ أن النبي ﷺ أتي بدلو من ماء فشرب منه ثم مج في الدلو، ثم في البئر، ففاح منه مثل ريح المسك[(٣)].

ويرحم الله القائل:

ولو أن ركباً يمموك لقادهم   نسيمك حتى يستدل به الركب[(٤)]

فسبحان الذي جمع بقدرته العظيمة بين عطر نبيه ﷺ وعطر حوضه المورود وما ذاك إلا لأن الحوض تشرف به وبخدمته فكان من خصائصه المباركة، ويدل على ذلك ما يأتي:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «حوضي مسيرة شهر.. وريحه أطيب من المسك.. الخ الحديث»[(٥)].

وعن أبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «... والذي نفسي بيده إن شرابه أبيض من اللبن، وأطيب ريحا من المسك»[(٦)].

---

(١) رواه ابو نعيم في الحلية/ ١/ ٣٦٣ والبيهقي في البعث والنشور: ١١٩.
(٢) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٠.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢/ ١٤٦٠.
(٤) كتاب سيدنا محمد رسول الله ص شمائله الحميدة: ٢٠.
(٥) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٥، وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٣.
(٦) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٣١-٣٣٢.

٣- ومن صفاته الباهرة أن طعم ماؤه أطيب وأحلى من العسل فتبارك الذي خلق، وقد جمع بقدرته القوية معاني الجمال والروعة البهية في هذا الحوض الكريم، فسحر بجمال هيئة الحوض الأبصار والأفكار فجعل في الحوض مرزابين يثغبان[١] من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق، وجعل حافتاه مكللتين بالدر والياقوت[٢]، وأذفر الأنوف والأحاسيس بعطره الأخاذ، واطفأ بماءه العذب ظمأ العطش في ذلك اليوم الحار، إذ وجدوا ماء الحوض أبرد من الثلج وأحلى من العسل، فانظر هداك الله إلى ذلك الشراب الذي جمع بين حرارة العسل وبرودة الماء المثلج، فهنيئا لمن نال منه حظه ونصيبه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم.

فعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «.. وماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل.. الخ»[٣].

وعن ثوبان ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ عن شراب الحوض؟ فقال: «أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، يغث[٤] فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من ورق»[٥].

٤- ومن صفاته المميزة كثرة آنيته: وذلك لكثرة الواردين عليه وكثرة الشاربين من أمة حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ تلك الأمة التي يباهي بها لكثرتها رسول الله ﷺ الأمم الأخرى، فيكونوا أكثر واعظم الأمم ورودا على حوض نبيهم الطيب المبارك عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله

---

(١) يثغبان: أي يسيل الماء فيهما، ينظر الصحاح: ١/ ٩٢.
(٢) ينظر أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٦/ ١١٢٢، وقاله الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ٤٢٤، واسناده صحيح على شرط مسلم.
(٣) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٨، والسنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٣٣٤. ولباب البحث: ١٥٧.
(٤) يغث: أي يدفقان فيه الماء دفقا دائماً متتابعا، كما في النهاية لابن الاثير: ٢/ ٣٤٢.
(٥) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٩.

ﷺ: «حوضي مسيرة شهر. . . وكيزانه كنجوم السماء. . . . الخ»[١].

قال الإمام القسطلاني رحمه الله في شرحه لمعنى: «كيزانه كنجوم السماء» أي: في الإشراق والكثرة)[٢].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا قال: «. . . . فيه أباريق كنجوم السماء. . . الخ»[٣].

وعن جابر بن سمرة ﵁ مرفوعاً قال: «. . كأن الأباريق فيه النجوم. . . الخ»[٤].

وعن أنس بن مالك ﵁ مرفوعاً: «. . . فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء. . إلخ»[٥] وعن حارثه ﵁ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «. . . ترى فيه الآنية مثل الكواكب»[٦].

وهذه الألفاظ تحمل على ظاهرها، فهي تدل على أن عدد الآنية عند الحوض كعدد النجوم من السماء وأكثر، فكثرة عدد الآواني خاصية لحضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وذلك لكثرة أمته يوم القيامة.

وذكر الإمام النووي رحمه الله: أن المختار والصواب أن هذا العدد للآنية على ظاهره، وإنها أكثر من عدد نجوم السماء، ولا مانع عقلي ولا شرعي يمنع من ذلك بل ورد الشرع به مؤكدا، كمال قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء»[٧].

---

(١) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٥ وصحيح الإمام مسلم: ١٧٩٣/٤. والمراد بالانية هنا: الأباريق والاكواب، فقد جاء في رواية: (وكيزانه كنجوم السماء) وفي رواية: (فيه اباريق كنجوم السماء) كما في لباب البحث: ١٦٠.

(٢) ارشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني: ٣٣٨/٩. ولباب البحث في شرح كتاب البعث: ١٥٧.

(٣) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٨.

(٤) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٨٠١.

(٥) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٥، وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٨٠٠ و ٤/ ١٨٠١.

(٦) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٧. ولباب البحث: ١٠٨.

(٧) ينظر شرح النووي لصحيح مسلم: ٥٦/١٥، والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ٤/ ١٨٠٠.

وكيف لا تكون أكثر من عدد نجوم السماء والله تعالى حفظ هذه الأمة الإسلامية وحفظ لها دينها بنبيه المصطفى ﷺ وبارك فيها حتى يباهي بها رسوله، وهيبة لصاحب اللواء المعقود والمقام المحمود والحوض المورود ﷺ، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «لتزدحمن هذه الأمة على الحوض ازدحام إبل وردت لخمس»(١)، والإبل ترد على أحواض الماء إذا أصابها العطش بعد خمسة أيام، فتزدحم لكثرتها، وعطشها.

٥- ومن صفاته أن من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا»(٢).

وقال الإمام الغزالي قدس الله سره: [اعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا ﷺ وقد اشتملت على وصفه الأخبار، ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه، فإن من صفاته أن من يشرب منه لم يظمأ أبدا](٣).

فإن قيل: اذا ثبت أن الحوض من شرب منه من المؤمنين شربة لم يصبه الظمأ أبدا، فاي حاجة بعد ذلك إلى الشرب في الجنة من نهر الكوثر؟

يجاب عنه: إن أهل الجنة لا يشربون نتيجة لعطش يصيبهم، وإنما يشربون تلذذاً وشهوةً لا لدفع الجوع والعطش(٤).

ومجمل صفات الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، لا يعلم سعته على الحقيقة إلا الله تعالى ورسوله ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، وأشد برداً من الثلج، وأطيب ريحا من المسك، من يشرب منه زاد

---

(١) الفتح الكبير للسيوطي: ٣/ ٩ وقال: أخرجه الطبراني في الكبير بسند حسن عن العرباض يرفعه وصححه الالباني: ٢/ ٩٠٣، وينظر: لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١١٠.

(٢) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٣١٢، وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٣.

(٣) احياء علوم الدين: ٤/ ٥٢٩، وينظر شرح الطحاوية: ٢٥١، ولوامع الأنوار للسفاريني: ٢/ ١٩٧. وفتاوى ابن تيمية: ٣/ ١٤٦.

(٤) ينظر: اقوال العلماء في تكملة شرح الصدور: ٢٦ والبعث والنشور للبيهقي: ١١١ والاحياء: ٤/ ٤٢٨.

واتسع، ينبت من خلاله المسك والرضراض[١] من اللؤلؤ وقضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر، وفيه من الأباريق عدد نجوم السماء في الليلة المظلمة المضحية وآنيته من ذهب وفضة.

وقال أبو داود السجستاني رحمه الله: [وهذه الأوصاف، هي أوصاف للحوض على الحقيقة، وأنها جرت على وجه من المبالغة، تعظيماً لمائه، وترغيباً للناس فيه، ليتنافسوا في العمل بما يوصلهم إليه، ويقربهم للورود عليه][٢].

وكل هذه الصفات أمور سمعية ينبغي الإيمان بها كما وردت، ونحن نعلم أن أحوال الآخرة مختلفة عن أحوال الدنيا، والاسم هو الاسم والحقيقة، غير الحقيقة، أي أنه حوض في الآخرة لكنه ليس كحياض الدنيا فإن فيه ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر، اللهم اجعلنا من الواردين الشاربين برحمتك يا أرحم الراحمين.

المبحث السابع

حكم الإيمان بالحوض

إن زبدة اعتقاد المسلمين من أمة حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ينحصر بأنهم يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن الذي خلق العالم ولا إله إلا هو إنما هو الله تعالى، وأن الله موجود حي عالم باق مريد قيوم قادر سميع بصير ليس كمثله شيء لا في الذات ولا في الوصف ولا في الفعل، وإنه أرسل رسلاً كان كل واحد منهم صادقاً أميناً فطناً مبلغاً من غير خيانة، وإن خاتمهم سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ﷺ، وأن كل ما جاءت به الرسل يجب الإيمان به، فمن أنكر مما جاءوا به أمراً فهو كافر، وأن عذاب القبر حق ونعيمه حق، وسؤال منكر ونكير حق، والبعث حق، والميزان حق، والصراط حق، والكوثر حق، والجنة حق والنار حق، والشفاعة حق،

---

(١) الرضراض: هو ما دق من صغار الحصى، ينظر أصول اعتقاد اهل السنة والجماعة: ٦/ ١١٢٢.

(٢) لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١٥٩.

والكتب المنزلة حق، والمعراج حق، وكرامات الأولياء حق[١].

ولقد رأينا فيما سبق بحثه مما أوردنا من الأدلة القاطعة المتواترة ومن أقوال العلماء في إثبات الحوض وما يدحض شبهة من كان في قلبه شبهة في ثبوت حوض نبينا محمد ﷺ، وعلى هذا القول إجماع الأمة من جمهور المحدثين والمفسرين وعلماء العقائد والكلام واللغة، من أن الإيمان بالحوض واجب على كل مسلم ومسلمة، فيثاب عليه من صدق به، ويبدع ويفسق جاحده، وهو مذهب الجمهور لما مر من الأدلة الثابتة القاطعة الصحيحة بإثباته.

قال القاضي عياض: [أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه][٢].

وقال السفاريني: [إن الحوض ثابت بالسنة المتواترة، وظاهر الكتاب، فمنكره زائغ عن الصواب][٣].

وذكر ابن حزم رحمه الله ان الحوض قد صحت الآثار فيه، وهو كرامة للنبي ﷺ ولمن ورد عليه من أمته، ولا ندري لمن أنكره متعلقا، ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي ﷺ في هذا ولا غيره[٤].

وقال البيضاوي رحمه الله: [الحوض أحاديثه متواترة يجب الإيمان به على ظاهره][٥].

وقال العلامة النسفي: [والحوض حق، والأحاديث فيه كثيرة][٦].

---

(١) ينظر العقائد النسفية: ١٣٢، وشرح الطحاوية: ١٨٨، ولوامع الأنوار: ٢/١٥٩، والتذكرة ٦٢٤، وشرح الباجوري للجوهرة: ٢/٧٠، وعبد السلام على الجوهرة: ٢٢٧، وشرح المقاصد: ٢/٢٢٣، وشرح المواقف: ٥٩٢، والاحياء: ١/١٢٠، وكتاب المسامرة: ٢٥٠، وحاشية الدواني على العضدية: ٢/٢٤٧، والكلنبوي عليه: ٢/٢٤٧، والروح: ٧٢، والنجم الزاهر: ٩٠، ومعالم الطريق في عمل الروح الإسلامي: ١٨.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم: ١٥/٥٣.

(٣) لوامع الأنوار: ٢/٢٠٢.

(٤) الفصل: ٤/٦٦.

(٥) نقله عنه الكتاني في نظم المتناثر: ١٥٢.

(٦) العقائد النسفية: ١٣٨.

وبين الإمام ابن أبي عاصم رحمه الله أن ما وصف به نبينا عليه الصلاة والسلام حوضه، فنحن له مصدقون غير مرتابين ولا جاحدين، ونرغب إلى الذي وفقنا للتصديق به، وخذل المنكرين له والمكذبين له عن الاقرار به والتصديق به، ليحرمهم لذة شربه، أن يوردنا فيسقينا منه تشربة نعدم لها ظمأ الأبد بطوله، ونسأله ذلك بفضله[١].

وقال صاحب متن الشيبانية:

(وحوض رسول الله حقا أعده
له الله دون الرسل ماء مبردا
ويشرب منه المؤمنون وكل من
سقي منه كأسا لم يجد بعده صدا
أباريقه عد النجوم وعرضه
كبصرى وصنعا في المسافة حددا)[٢]

كما أنه لا يجحد بعد ذلك مدلول تلك النصوص الصحيحة الصريحة المتواترة بعد أن يقف عليها إلا من كان في قلبه زيغ وضلال، وسلك مسالك أهل البدع من الفرق الضالة والنحل الفاسدة.

قال السفاريني: [والحوض والكوثر ثابت بالنص وإجماع أهل السنة والجماعة حتى عده أهل السنة في العقائد الدينية لأجل الرد على أهل البدع والضلال][٣].

وقال العلامة اللقاني في هذا المعنى:

(إيماننا بحوض خير الرسل
حتم كما قد جاءنا في النقل

---

(١) ينظر السنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٣٦٠، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٥٢، والإيمان بعوالم الآخرة: ١٧٢.
(٢) مجموع مهمات المتون/ متن الشيبانية: ٣٦.
(٣) شرح ثلاثيات المسند: ٥٣٧.

ينال شرباً منه أقوام وفوا
بعهدهم وقل يذاد من طغوا[١]

وقال العلامة سعيد حوى رحمه الله: [ومع أن أحاديث الحوض بلغت مبلغ التواتر إلا أن بعض أهل السنة والجماعة لا يحكم بكفر منكرها بل يحكم بفسوقه وضلاله وقد لاحظنا عبارة ملا علي القارئ إذ قال: [وكاد أن يكون متواتراً] فهناك خلافاً حول التواتر][٢].

والواقع أن قول العلامة سعيد حوى رحمه الله: (إلا أن بعض أهل السنة) لا يمثل رأي الجمهور، المتمثل بكفر من جحد أو أنكر مسألة ثبتت بالأدلة القاطعة الثابتة الصحيحة، وإجماع الأمة على وجوب الإيمان بالحوض والكوثر وإنهما من الأصول التي اتفق عليها أهل الحق من علماء أهل السنة والجماعة وضللوا من خالفهم فيها.

وبين البغدادي ذلك في اعتقاد أهل السنة والجماعة بقوله: [وقالوا بالحوض والصراط والميزان، ومن أنكر ذلك حرم الشرب من الحوض ودحضت قدمه من الصراط إلى نار جهنم][٣].

وبالاضافة إلى ما تقدم فإن العقل لا يستبعد ذلك ولا يحيله، ويكفي في ذلك الامكان، ويكفي الحوض شرفاً أن حضرة النبي الأعظم ﷺ سيقف عليه ويأذن لأمته بالورود إليه والشرب منه، شربة لا يظمؤن من بعدها أبدا.

وقال أهل الحق: [متى كذب به فلا سقاه الله منه][٤] وكان ابن مليكة رحمه الله يقول: [اللهم نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا][٥] اللهم ارزقنا شفاعة نبيك وحبيبك ﷺ عند الحوض وارحمنا واغفر لنا ولا تزغ قلوبنا بعد أن هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة يا وهاب ترحمنا، وجميع الأحباب، وتب علينا يا تواب بالنبي الأواب وآله والأصحاب.

---

(١) الإيمان بعوالم الآخرة: ١٧٢. (٢) الأساس في السنة: ٣/ ١٣٠٤.
(٣) الفرق بين الفرق: ٢٧٠.
(٤) الترغيب والترهيب للمنذري: ١/ ٢٠٠ وينظر فتح الباري: ١٤/ ٢٧٥.
(٥) المصدر نفسه: ١/ ٢٠٠.

الفصل الثاني

أحوال الناس عند الحوض والمذادون عنه

المبحث الأول: حضرة النبي ﷺ ينتظر أمته عند الحوض.

المبحث الثاني: المذادون عن الحوض أنواعهم وأصنافهم.

المبحث الثالث: ردود أهل الحق على افتراءات المنافقين والمكفرين.

المبحث الرابع: عرض الأعمال على الرسول ﷺ والرد على النحل المحدثة.

المبحث الخامس: المنكرون للحوض وردود أهل الحق عليهم.

المبحث الأول

حضرة الرسول ﷺ ينتظر أمته عند الحوض

إن من الناس مهما علا فضله، واتسع علمه، وكمل عقله، لا يستطيع أن يحيط بمحاسن هذا النبي الكريم سيدنا محمد ﷺ، لا أن يستقصي أنواع كماله، وألوان جماله، بل كلهم عاجز عن التعبير عن تلك المعاني المحمدية والصفات المصطفوية والأسرار العلية.

قال سيدنا الإمام الغزالي قدس الله سره: [اذا كان الرجل يُحب لكرمه أو لشجاعته أو لحلمه أو لعلمه، أو لتواضعه أو لتعبده وتقواه، أو لزهده وورعه، أو لكمال عقله، أو وفور فهمه أو جمال أدبه، أو حسن خلقه، أو فصاحة لسانه أو حسن معاشرته، أو كثرة بره وخيره أو لشفقته ورحمته، أو نحو ذلك من صفات الكمال، فكيف اذا تأصلت واجتمعت هذه الصفات الكاملة وغيرها من صفات الكمال في رجل واحد، وتحققت فيه أوصاف الكمال ومحاسن الجمال على أكمل وجوهها، إلا وهو الرحمة المهداة من رب العباد، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾، كيف لا وهو السيد الأكرم ﷺ الذي هو مجمع صفات الكمال ومحاسن الخصال ومنتهى الشفقة والرحمة بالعالمين كافة وقد ابدع الحق عز وجل صورته العظيمة وهيئته الكريمة وطوى فيه أنواع الحسن والبهاء والرحمة ومنتهى الرأفة فلم ير قبله ولا بعده مثله)[1].

وكيف لا وقد تحققت الرحمة والمحبة الخالصة في شريعته الإسلامية السمحة التي من خصائصها السامية العموم والشمول، فأحكامها تستغرق شؤون الإنسان كلها الفردية والجماعية الدنيوية والآخروية، وتبدأ مع الإنسان مذ هو جنين إلى أن يبارح الدنيا، وتمتد إلى حياته الآخروية منذ حياته الدنيوية، فهي عامة للناس جميعا شاملة أحوالهم جمعاء[2].

---

(١) كتاب سيدنا محمد رسول الله ﷺ: ٧ وينظر كتاب محمد الانسان الكامل: ٢٢.

(٢) ينظر معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي: ١٨.

فحضرة الرسول ﷺ يطمئن أمته في ساعات الفزع الأكبر من أهوال يوم القيامة، وذهول العقلاء والحكماء والفقهاء، والناس أجمعين من هول ما سيواجههم في تلك اللحظات العصيبة قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾(١)، فيرشدهم ﷺ في حديثه إلى حوضه الكريم رحمة بهم وتخفيفاً لما سمعوا من أهوال القيامة فيقول: «إنني فرطكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت خزائن الأرض»(٢). وعبر بقوله الشريف ﷺ إن الحوض من خصوصيات هذه الأمة وإكرامها بالعلم فيه وتفصيله دون سائر الامم.

وفي رواية أخرى عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: «إني فرطكم على الحوض... الخ»)(٣).

وعن جندب رضي الله عنه: «أنا فرطكم على الحوض»(٤) وعن حذيفة الغفاري رضي الله عنه قال: لما صدر ﷺ عن حجة الوادع قال: «يا أيها الناس إني فرطكم على الحوض وإنكم واردون على حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه آنية عدد النجوم»(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أنا آخذ بحجزكم عن النار أقول: إياكم وجهنم وإياكم والحدود، فإذا متُ فأنا فرطكم وموعدكم الحوض فمن ورد أفلح»(٦).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض

---

(١) سورة الحج: الآية: ٢.
(٢) صحيح الإمام البخاري: ٤/٢٠٧، وصحيح الإمام مسلم: ٤/١٧٩٦.
(٣) صحيح الإمام مسلم: ٤/١٧٩٧.
(٤) صحيح الإمام البخاري: ٤/٢٠٧، وصحيح الإمام مسلم: ٤/١٧٩٢، والفرط بالتحريك: الذي يتقدم الواردة فيهيىء لهم الارشية والدلاء، ويمدر الحياض ويستسقي لهم، ويقال: فرطت القوم فرطا: أي سبقتهم إلى الماء ينظر الصحاح: ٣/١١٤٨.
(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٥٤، وقال الهيتمي في مجمع الزوائد: ١/٣٦٣ حديث صحيح.
(٦) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: ٢/٣٤٦، وقال الهيتمي في مجمع الزوائد: ١/٢٥٨ حديث صحيح.

فلا أعرفن ما نوزعت في أحد منكم، فأقول: هذا مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدث بعدك، فقلت يا رسول الله: ادع الله ان لا يجعلني منهم، فقال: لست منهم»[١].

وفي الحديث دلالة واضحة على شفاعته ﷺ ورحمته بأمته وخاصة منهم أصحابه الكرام وأحبابه إلى يوم البعث والنشور.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه للحديث: (قال أهل اللغة: الفرط بفتح الفاء[٢]، والفارط: هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء، قال: فمعنى قوله ﷺ: «فرطكم على الحوض» ينتظر أمته الواردين عليه المتبعين له وذلك ليستقبلهم ويسقيهم، سقانا الله تعالى من كفه الشريف شربة لا نظمأ بعدها أبدا بجاهه وبوجاهة وجهه الشريف ﷺ عند ربه تعالى)[٣].

فإن قيل: كيف يعرف الحبيب محمد ﷺ أمته يوم القيامة؟

يجاب عنه: أولاً: إن حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ يستقبل أمته على الحوض ويعرفهم بسيماهم من بين الأمم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ترد علي أمتي الحوض، وأنا اذود عنه الناس كما يذود الرجل عن إبله، قالوا: يا نبي الله أتعرفنا؟ قال: نعم، لكم سيما -أي علامة- ليست لأحد غيركم، تردون علي غراً محجلين من اثار الوضوء»[٤].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي لأبعد من أيلة من عدن، والذي نفسي بيده إني لأذود عنه -أي: امنع عن الحوض- الرجال- أي: من غير أمته- كما يذود الرجل الإبل الغريبة، قالوا: يا رسول الله وتعرفنا؟ قال: نعم، تردون علي غراً محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم»[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٥٦، وقال الهيتمي في مجمع الزوائد: ١/ ٣٦٥ حديث صحيح.

(٢) الصحاح: ٣/ ١١٤٨، والنهاية: ٣/ ٤٤٣. (٣) شرح النووي لصحيح مسلم: ١٥/ ٥٤.

(٤) صحيح الإمام البخاري: ٢/ ١٦٦، وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٨٠٠ و ١/ ٢١٨ و ١/ ٢١٧.

(٥) صحيح الإمام البخاري: ٣/ ١٦٦.

وقال ابن الاثير: «غراً: أصل غرة وهو البياض الذي يكون في وجه الفرس، محجلين، والحجل في الفرس: ارتفاع البياض في قوائمه إلى موضع القيد، وهو يجاوز الأرساغ ولا يتجاوز الركبتين، ومعنى غراً محجلين: أي بيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام)[١].

وأوضح الإمام النووي رحمه الله قائلاً: (قال أهل اللغة: الغرة: بياض في جبهة الفرس، والتحجيل: بياض في يديها ورجليها، وقال العلماء: سمي النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلاً تشبيهاً بغرة الفرس، فهذه الأمة المحمدية لها سيما -أي علامة- يوم القيامة، يعرفون بها، وهي الغرة والتحجيل من آثار الوضوء الذي كانوا يفعلونه في الدنيا).

وقد استدل جماعة من العلماء من هذا الحديث على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة زادها الله تعالى شرفاً)[٢].

وأكد ذلك السيد محمد بن علوي المالكي المكي حفظه الله ونصره في كتابه خصائص الأمة المحمدية قائلاً: (ومن الشرف الذي ادخره الله تعالى لهذه الأمة: ما أعده الله من الثواب الجزيل والفضل الجميل على الوضوء)[٣].

وقال آخرون: ليس الوضوء مختصاً بها وإنما الذي اختصت به هذه الأمة الغرة والتحجيل[٤].

واحتجوا: بقوله ﷺ: «هذا وضوئي ووضوء خليل الله إبراهيم»[٥].

وأجاب الأولون عن هذا بجوابين:

أحدهما: أنه ضعيف معروف الضعف، أي الحديث الذي احتجوا به.

---

(١) النهاية لابن الاثير: ١/٣٤٦.
(٢) شرح النووي لصحيح الإمام مسلم: ٣/ ١٣٥.
(٣) خصائص الأمة المحمدية: ٤٣.
(٤) الإيمان بعوالم الآخرة: ١٧٥.
(٥) رواه ابن ماجه في سننه: ١/ ١٤٥، وفي مجمع الزوائد قال: في الاسناد زيد القمي وهو ضعيف وعبد الرحيم متروك بل كذاب.

والثاني: لو صح أحتمل ان يكون الأنبياء عليهم السلام اختصوا بالوضوء دون أممهم إلا هذه الأمة الإسلامية[(١)].

ثانياً: إن حضرة النبي ﷺ يعرف أمته المحمدية ويميزهم من خلال نورهم الذي يسعى بين أيديهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[(٢)] أي: أوصلنا برحمتك إلى الجنة.

وقد وضحت السنة المشرفة هذه الخصوصية، كما ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «أني لأعرف أمتي يوم القيامة من بين الامم، أعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من اثر السجود، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم»[(٣)] وقوله ﷺ: «بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[(٤)].

فإن قيل: من أول من يرد على حوضه ﷺ؟

يجاب عنه: جاءت الأحاديث الصحيحة التي بلغت بجملتها حد التواتر مخبرة أن أول الناس وروداً على الحوض يوم القيامة هم:

١- فقراء المهاجرين

وهم فقراء الصحابة من المهاجرين على عهد رسول الله ﷺ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[(٥)] وكانوا مجتمعين متصاحبين متآلفين لله وفي الله، ويبلغ عددهم نحواً من أربعمائة رجل على خلاف لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، جمعوا أنفسهم في المسجد، وكانوا لا يرجعون إلى رزع ولا ضرع ولا إلى تجارة، كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالنهار، وبالليل يشتغلون

---

(١) ينظر شرح النووي لصحيح الإمام مسلم: ٣/ ١٣٦.
(٢) سورة التحريم: ٨.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢/ ١٤٦٠ باسناد صحيح، وينظر خصائص الأمة المحمدية: ٢٦.
(٤) رواه ابو داود: ٥٦١، والترمذي في جامعه: ٢٢٣، وابن ماجه في سننه: ٧٨١، والحاكم في مستدركه: ٢/ ٢١٢ فالحديث صحيح.
(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٧٣.

بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته، وكان رسول الله ﷺ يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾(١) وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾(٢) ومنهم سيدنا ابن أم مكتوم مؤذن حضرة النبي ﷺ، وكان رسول الله ﷺ إذا صافحهم لا ينزع يده الشريفة من ايديهم، وكان يفرقهم على أهل الغنى والسعة يبعث مع كل واحد ثلاثة، ومع الآخر أربعة، ويذهب مع سيدنا سعد بن معاذ ثمانية منهم يطعمهم ويسقيهم.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: [لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحد، منهم من لا يبلغ ركبتيه، فإذا ركع أحدهم قبض بيده مخافة أن تبدو عورته](٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (وقف رسول الله ﷺ يوماً على أهل الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال: «أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي منكم على النعت الذي أنتم عليه اليوم راضياً بما هو فيه فإنه من رفقائي يوم القيامة»(٤) أي: عند الحوض في الموقف وعند الكوثر في الجنة).

وعن الصنابحي الأحمس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إني فرطكم على الحوض، وإني مكاثر بكم الامم، فلا تقتتلن بعدي»(٥) أي: لا تتنافسوا على شيء بعدي من حطام الدنيا الفانية. وأن كنتم فقراء يغنيكم الله تعالى من فضله وتكونوا أول الناس وروداً على حوضي وأنا سابقكم إليه لأهيئه لكم(٦).

وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أنه قال: جاء أعرابي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما حوضك هذا الذي تحدث عنه؟ قال: «هو ما بين البيضاء إلى

---

(١) سورة الكهف: الآية ٢٨.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٢.
(٣) عوارف المعارف: ٦٦.
(٤) عوارف المعارف: ٦٧.
(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ٣٥١، وابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٤٤ واسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٦) ينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١١٢.

بصرى ويمدني الله فيه بكراع لا يدري أحد ممن خلق الله أين طرفيه، قال: فكبر عمر، فقال: أما الحوض فيرد عليه فقراء المهاجرين الذين يقتلون في سبيل الله ويموتون في سبيل الله، وأرجو أن يوردني الله الكراع فأشرب منه»(١).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ان حوضي ما بين عدن إلى أيلة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل... وأول من يرده علي فقراء المهاجرين الدنس ثيابا(٢) الشعث رؤوسا(٣)، والذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم السدد»(٤).

وبين ذلك السيد محمد علوي المالكي المكي حفظه الله ونصره بقوله: [وأول الناس وروداً على الحوض، فقراء المهاجرين ورسول الله ﷺ ينتظر من يرد عليه من الأمة](٥).

٢- الأنصار

قال تعالى: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾(٦).

إن كل عالم منصف يعلم من هم السابقون الأولون من المهاجرين ومن هم الأنصار، ومن هم الذين اتبعوهم بإحسان، كما يعلم ان من أخبر الله سبحانه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ١٨٣، وابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٢٨، وهو حديث صحيح، وأخرجه مطولا ابن عبد البر في التمهيد: ٣/ ٣٢٠، والترغيب والترهيب للمنذري: ٤/ ٥٢١، والطبري في تفسيره: ١٢/ ١٠٠.

(٢) الدنس ثيابا: الوسخ يقال: دنس الثوب اذا اتسخ كما في النهاية: ٢/ ١٣٧.

(٣) الشعث: المغبر الرأس من غبار الجهاد والحج كقوله: اتوني شعثا غبرا كما في الصحاح: ١/ ٢٨٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه: ٢/ ١٤٣٨ والترمذي في جامعه: ٤/ ٦٢٩، والإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٢٧٥، والطيالسي في مسنده: ١٢٣ والطبراني في الكبير: ٢/ ٩٩، وقوله لا تفتح لهم السدد: أي الابواب كما تفتح للامراء كما في النهاية: ٢/ ٣٥٣.

(٥) خصائص الأمة المحمدية: ٣١١.

(٦) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

وتعالى في كتابه الكريم بأنه رضي عنه وانهم رضوا عنه، وأنه أعد لهم جنات رفيعة الدرجات، لا شك في تحقق ما عد به في حقهم، ومن أصدق من الله قيلا.

وكل عاقل مثقف منصف مهتم بالكتاب الكريم النازل بلسان عربي مبين، إذا لاحظ هذه الآيات البينات، والأدلة القاطعة، والحجج الدامغة بذلك الأسلوب الواضح المعلوم يتبين له أن أولئك الأصحاب الكرام الذين آمنوا واقتدوا بالرسول الكريم ﷺ واهتدوا بالكتاب العظيم وخلقه الكريم، هم الأمة المرحومة الخيرة المباركة بالدرجة الأولى، وهم الذين رضي الله عنهم، وهم الذين باعوا أنفسهم وآمالهم وأموالهم وأحوالهم بالجنة، بجنة الكرامة ولقاء الله تعالى، ففازوا بالورود أول الناس على حوض نبيهم ﷺ الصافي المبرد.

فعن يحيى بن سعيد عن يحيى أن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه لما قدم المدينة تزوج خولة بنت قيس بن فهد الأنصاري من بني النجار، وقال: كان رسول الله ﷺ يزور خولة في بيتها، وكانت تحدث عنه ﷺ أحاديث، قالت: جاءنا رسول الله ﷺ يوما، فقلت: يا رسول الله بلغني عنك أنك تحدث أن لك يوم القيامة حوضاً ما بين كذا إلى كذا، قال ﷺ: «أجل، وأحب الناس لي أن يروي منه قومك»[1] أي: قومها من الأنصار رضوان الله عليهم أجمعين.

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم فيء الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم ﷺ فقال: «يا معشر الأنصار... إلى أن قال: ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت من الأنصار ولو سلك الناس وادياً

(١) السنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٣٢٤ واسناده جيد على شرط مسلم، ومسند الإمام أحمد: ٦/ ٤١٠ واسناده صحيح على شرط مسلم، وفي السنة أيضا: ٢/ ٣٢٥ واسناده على شرط الشيخين وفي زوائد المسند: ٦/ ٤٠٩، ومجمع الزوائد: ٢٠/ ٣٦٣، وابن كثير في النهاية: ٢/ ١٤.

وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار[١]، والناس دثار[٢]، إنكم ستلقون بعدي آثرة[٣] فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[٤]، ومعناه: أن الأنصار هم الخاصة والبطانة، والناس هم العامة، ولخصوصية الأنصار ومكانتهم فإنهم أول الناس وروداً على الحوض.

وأنشد شيخي حضرة الدكتور عبد الله مصطفى رضي الله عنه في هذا المعنى أبيات كريمات:

زادتنِ شوقاً رب للسلام	بشراك من قد شاب في الإسلام
في قلبيَ الخوف وفي وجودِكم	كل الرجا يا غافر الأنام
مستغفر فامحوا له طالحا	من عمل بصالح الكلام
ما أحسب الخالق مردي في	نار لأهل الشرك والظلام
اني أحب الله في مهجتي	في الذكر والفكر وفي الهيام
إن هي إلا جنة تزدهي	والخلد في ما زدت من مقام
والحوض والكوثر والمصطفى	والصحب في محبة العلام
يا واهب الخير ولا موعد	فكيف بالوعدِ وبالذمام
انتَ السلام وإليك السلام	ومنك نعمى الخير والسلام[٥]

٣- أهل اليمن

إن لأهل اليمن يداً بيضاء في الدفاع عن الإسلام ونشر تعاليمه وأحكامه، وحمل أمانة الدين وأداءها بكل أمانة وإخلاص، فحضرة النبي ﷺ يقدم أهل اليمن على الحوض والفوز بشربة منه لا يظموؤن بعدها أبدا، فحضرته اختصهم بمزيد العناية والتشريف إكراما لهم، لاستحقاقهم ذلك بسبب ما

(١) الشعار: الثوب الذي يلي البدن، كما في النهاية لابن الاثير: ٢/ ٤٨٠.
(٢) الدثار: الثوب الذي يلبس فوق الشعار، كما في النهاية: ٢/ ٤٨٠.
(٣) آثرة: اسم من آثر إيثارا: إذا أعطى، ومعناه: أنه يستأثر عليكم فيفضل في نصيبه عليكم، كما في النهاية: ١/ ٢٢.
(٤) صحيح الإمام البخاري: ٣/ ١٥٨، وصحيح الإمام مسلم: ٢/ ٧٣٨.
(٥) نفحات الحياة: ١٣٦-١٣٧.

امتازوا عن غيرهم، وما ذاك إلا إكراما ومجازاة لتقدمهم على الناس في الإيمان ولذودهم عن الإسلام، ودفاعهم عن حضرة النبي ﷺ وتضحياتهم الكبيرة[١].

فعن ثوبان ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إني لبعقر[٢] حوضي أذود الناس لأهل اليمن[٣]، أضرب بعصاي حتى يرفض[٤] عليهم.. الخ الحديث»[٥].

قال الإمام النووي رحمه الله عن سبب هذا التقديم لهم في الشرب: [وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه، مجازاةً لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم في الإسلام. والأنصار من اليمن، فيدفع غيرهم حتى يشربوا كما دفعوا في الدنيا عن النبي ﷺ أعداءه والمكروهات][٦].

وهذا دليل على أن أهل اليمن أول من يرد على الحوض ورسوله ﷺ يسقيهم من حوضه الكريم لأنهم نصروه في الدعوة وآزروه ضد أعداءه.

٤- من حظي بشفاعته ﷺ

إن الشفاعة العظمى هي من خصائص سيدنا محمد ﷺ، وهي أول الشفاعات بل هي باب الشفاعات كلها[٧]، وهي المقام المحمود الذي يقوم به ﷺ كما وعده ربه تعالى بذلك فقال عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾﴾[٨] وإنما سمي مقام شفاعته ﷺ العظمى مقاماً محموداً لأن أهل الموقف كلهم برهم وفاجرهم، سعيدهم وشقيهم يحمدون رسول الله ﷺ ويثنون عليه لما يشفع بهم وينقذهم من أهوال الموقف

---

(١) النهاية لابن الاثير: ٣/ ٣٤٢، والطبري في تاريخه: ٣/ ٢٣٠، وطبقات ابن سعد: ٥/ ٥٢٦ وحروب الردة: ٢٢٣، والفتوح لابن أعثم: ١/ ٥٧.

(٢) عقر الحوض: مؤخرته وموضع الشاربة منه كما في الصحاح: ٢/ ٧٥٥.

(٣) أي أطرد الناس عنه لأجل أن يرده أهل اليمن كما في النهاية: ٢/ ٢٤٣.

(٤) أي يتدفق فيه الماء تدفقاً دائماً متتابعاً كما في النهاية: ٣/ ٣٤٢.

(٥) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٩.

(٦) شرح النووي لصحيح مسلم: ٥/ ١٦٠.

(٧) خصائص الأمة المحمدية: ٣١٣. وينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١١٨ والأساس في السنة: ٣/ ١٣٣٧.

(٨) سورة الإسراء: الآية ٧٩.

وشدائده[١]، بل ان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يسارعون لنيل شفاعته في الدنيا استعداداً ليوم تشخص فيه الأبصار، ومنهم سيدنا أنس بن مالك ﷺ يسأل حضرة النبي ﷺ أن يشفع له يوم القيامة، فقال له رسول الله ﷺ: «أنا فاعل، فقال: يا رسول الله أين اطلبك؟. . . . إلى أن قال فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن»[٢].

وعن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض فلأعرفن ما نوزعت في أحدٍ منكم، فأقول: هذه أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدث بعدك، فقلت: يا رسول الله ادع الله أن لا يجعلني منهم، فقال: لست منهم»[٣].

٥- أهل الإيمان والتقوى

قال ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس»[٤]، وعلى هذا فالتقوى أنواع ومراتب ودرجات، والمسلم مطالب بالمجاهدة للوصول إلى أعلى درجاتها والتحقق بها، والعقيدة السليمة المتمثلة في الإيمان بالله تعالى هي اساس هذه المجاهدة لأنها تحدد مفهوم الإنسان عن الكون والإنسان والحياة.

ولا شك في أن الإنسان يتصرف في هذه الحياة حسب مفاهيمه عنها، فإن اعتقد بوجود الإلّه وآمن به وبرسوله ﷺ، وأن الدنيا فانية وأن الآخرة هي دار القرار، وهو بحاجة ماسة إلى عناية الله تعالى ورعايته له فيها، صبر وصابر وجاهد للوصول إلى المقامات التي يستحق فيها تلك العناية والرحمة، ولاجل هذا كان الإيمان بالله تعالى وبرسوله هو الصرح لبناء التقوى[٥].

---

(١) ينظر تفسير الطبري: ١٥/١٤٨ والبداية والنهاية: ٢/٢٦٩، وتفسير ابن كثير: ٣/٥٨. ولوامع الأنوار: ٢/٢٠٨ وفتح الباري: ٣/٢٢٩.
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: ٤/٥٣٦-٥٣٧.
(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: ٥٦٢ وهو حديث صحيح ورجاله ثقات على شرط البخا كما في مجمع الزوائد: ١٠/٣٦٥.
(٤) أخرجه الترمذي في جامعه: ٤/٥٤٧ رقم الحديث الشريف (٢٤٥١).
(٥) ينظر آيات التقوى في القرآن الكريم: ٣٦٧.

ومن ثمرات التقوى لأهل الإيمان الورود على حوضه ﷺ يوم القيامة والفوز بشربة هنيئة طيبة، فعن قتادة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: يمنع سوادي ودمامتي دخول الجنة؟ قال: «لا والذي نفسي بيده ما اتقيت الله وآمنت بما جاء به رسوله».. فذكر الحديث بطوله: وفيه تزوجه بابنة حارث بن وهب الثقفي، ثم شهادته في سبيل الله تعالى قبل أن يدخل بها.... وقوله ﷺ: «إنه ورد الحوض ورب الكعبة»(١).

وعلى قدر ورود الإنسان شريعة المصطفى ﷺ وتحققه بها وعمله بمقتضاها سوف يكون وروده على حوضه يوم القيامة، وذلك لأن قضايا الآخرة تظهر فيها حقائق ما كان عليه الإنسان في الدنيا من العقائد والأعمال والأقوال، فمن كان في الدنيا قد شرب في قلبه الإيمان والحب المحمدي والشرع المحمدي أذن له في الشرب يوم القيامة من حوضه ﷺ مشرباً روياً سائغاً هنيئاً لا يظمأ بعده أبدا.

قال السيد محمد بن علوي المالكي حفظه الله ونصره: (ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية: ما أكرمهم الله تعالى به من العلم عن الحوض، وأهله من تمسك بشريعة سيدنا محمد ﷺ ولم يبدلوا ولم يغيروا، ومن لم يتخذ عقيدة غير ما عليه النبي ﷺ وأصحابه)(٢).

٦- الذابلون الناحلون

قال سيدنا أنس رضي الله عنه: [أول من يرد الحوض على رسول الله ﷺ الذابلون الناحلون السائحون الذين إذا جنهم الليل -أي أقبل بظلامه فغطى المرئيات- استقبلوه بالحزن](٣).

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: [الدنيا دار التواء لا دار استواء، ودار ترح لا دار فرح، من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء](٤).

---

(١) اتحاف السادة المتقين: ١/ ٥٠٥، وقال الحافظ الزبيدي: ورجاله ثقات، وذكره الكتاني في نظم المتناثر: ١٥٢.
(٢) خصائص الأمة المحمدية: ٣١٣.
(٣) الإيمان بعوالم الآخرة: ١٧٨.
(٤) إحياء علوم الدين: ٢/ ٢٢٤.

وذكر الإمام الحسن البصري قدس الله سره أنه ادرك أقواماً وصحب طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت في اعينهم أهون من التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر، ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً، فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم، يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسالوا الله أن يغفرها لهم، فلم يزالوا على ذلك، ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة، رحمة الله عليهم ورضوانه(١).

ولسان حالهم يقول:

وشفع المُصطفى يوم الجزاء ولا
تجعل علي إذاً في الدين من لبسِ
وكن معي طولَ دنياي وآخرتي
وغافص القلب واختم بالرضا نفسِ
وراعني يوم ترحالي إلى ابدٍ
ويوم حشري بما أنزلت في عبسِ
وأعمر فؤادي تيما لا يقومه
إلا الوداد الذي ترضى لمؤتنس
وصلى ربِ على الهادي وعترته
وصحبهِ الصحب في البأساءِ والعرسِ(٢)

٧- من زار روضة المصطفى ﷺ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في وصفه لزيارة النبي ﷺ والتشرف بالسلام عليه عند ضريحه الشريف:

---

(١) ينظر المصدر نفسه: ٢/ ٢٢٤.
(٢) معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي: ٢٧١، ونفحات الحياة: ١٣٤.

هـذي زيـارة مـن غـدا مـتـمـسـكـاً
بـشـريـعـة الإسـلام والإيـمـانِ
من أفضل الأعمال هاتيك الزيارة
وهـي يـوم الـحـشـر فـي الـمـيـزانِ[١]

ومن فضل الله عز وجل الذي شرف به هذه الأمة فامتازت به على من سواها من الأمم، أن قبر نبينا وسيدنا محمد ﷺ معلوم عندنا بيقين وتواتر، لا شك في ذلك ولا ريب، فيرده الناس في كل وقت وحين، ويتكبدون مشاق السفر وعناءه إلى زيارة قبره الشريف، مع امتلاء قلوبهم بالعلم التام واليقين الكامل على أنه ﷺ في هذا المكان المشهود، وهذه حجرته المعروفة، ومساكن زوجاته، وهذه روضته المطهرة.

قال ابن حجر رحمه الله:

ولـم تـعـلـم مـقـابـرهـم بـأرض
يـقـيـنـاً غـيـرَ مـا سـكـنَ الـرسـول[٢]

وقال الإمام مالك رضي الله عنه في ذلك: [لأنه لا يعرف قبر نبي اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد ﷺ، ومن قبر عندهم، فينبغي أن يعلم فضلهم على غيرهم][٣].

وقال المصطفى ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»[٤] فمن زار روضته ﷺ مسلماً مؤمناً به محباً له فانياً في حبه ﷺ معتصماً بشريعته. ومحافظاً عليها، مجاهداً في سبيل الله عز وجل، طالبا لعلومه وبركاته الشريفة معتزاً بها، مؤدياً الامانة بأمانة بكل إتقان وإخلاص وتفاني، فإنه سيرد على حوضه الشريف كما ورد على ضريحه المنيف لقوله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، وأن منبري على حوضي»[٥].

---

(١) القصيدة النونية لابن القيم: ٢١٥. (٢) خصائص الأمة المحمدية: ٣٦.
(٣) ترتيب المدارك: ١/ ٣٧.
(٤) صحيح الإمام مسلم: ٢/ ١٠١١ كتاب الحج -باب ما بين القبر الشريف والمنبر روضة من رياض الجنة.
(٥) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٧ وكتاب الرقاق باب في الحوض.

وفي رواية أخرى عنه ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، وإن منبري لعلى حوضي»[١] ومن المعلوم بالتواتر أن بيته الشريف صار مثواه الكريم في حجرة سيدتنا عائشة رضي الله عنها[٢].

فكل من اتبع وصايا وأوامر النبي الكريم ﷺ وعمل بها، تلك الوصايا والأحاديث الشريفة التي انطلقت من فمه الشريف من على ذلك المنبر المنيف فإنه سيرد حوضه ﷺ.

أما قبره الشريف فإنه موضع تنزل الرحمة الإلّهية كما جاء في الحديث عن كعب رضي الله عنه: «ما من فجر يطلع إلا وينزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي حتى أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألفاً حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم فيصلون على النبي سبعين ألفا بالليل وسبعين ألفاً بالنهار»[٣] اللهم اجعلنا من الطائعين لك ولنبيك ﷺ وشرفنا بزيارة قبره الشريف وروضة المنيف علنا نحظى بشربة من حوضه الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين.

قال سيدنا الغزالي قدس الله سره: [وبعد أن ذكرنا أصنافا من المؤمنين الذين هم أول الناس وروداً على الحوض الشريف فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين، وليحذر أن يكون متمنياً ومغتراً وهو يظن أنه راج، فإن الراجي للحصاد من بذر ونقى الأرض بعد حرثها وسقاها بالماء، ثم يجلس يرجو فضل الله تعالى بالانبات، ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد، فأما من ترك الحراثة أو الزراعة وتنقية الأرض وسقيها، وأخذ يرجو من فضل الله تعالى أن ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر وليس من الراجين في شيء، وهكذا رجاء أكثر الخلق، وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة، فإن الاغترار بالله تعالى أعظم من الاغترار بالدنيا، قال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ

(١) صحيح الإمام مسلم: ٢/ ١٠١١.
(٢) ينظر جلاء الأفهام شرح عقيدة العوام: ٧٥.
(٣) رواه الحافظ اسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص٣٧.

ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[١][٢].

اللهم اجعلنا والمسلمين ممن يتشرب قلبه بالإيمان والهدي المحمدي الشريف واجعلنا من أهل الإيمان والعرفان والإتقان حتى نرد على حوض نبينا وسيدنا محمد ﷺ يا رب العالمين، آمين.

المبحث الثاني

المذادون عن الحوض أنواعهم وأصنافهم

بعد الدراسة والتدقيق والتمحيص نقف على حقائق واضحة دلت عليها أحاديث المصطفى ﷺ دلالة قطعية من غير تشويش أو اختلاف في الرؤية، يراها ساطعة أهل الحق والإنصاف، ويوهم نفسه المريضة كل مبتدع وضال، الذي أغفل قلبه وزاغ بصره عن تلك الحقيقة الواضحة المؤيدة بالأحاديث الواردة في حوضه ﷺ والتي بلغت حد التواتر فكان الإيمان بها واجباً، ولا يجوز مخالفتها أو إنكارها أو التشكيك بصحتها، وقد فرغ علماء الأمة رضوان الله عليهم أولئك الجهابذة المخلصون لدينهم وعقيدتهم الإسلامية السمحة من دراستها وفهمها وتعليمها، وأجمعوا على أن تلك الأحاديث الشريفة تدل على أن الذود عن الحوض المورود ذودان: **عام وخاص**.

أما الذود العام: فإنه يشمل جميع الناس من غير أمة حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: ويشهد لذلك حديث سيدنا أبي هريرة المرفوع: «.... وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه....)[٣].

وذوده الناس من غير سيدنا محمد ﷺ إرشاد منه بأبي هو وأمي لأولئك الناس أن يذهبوا إلى حياض انبيائهم عليهم الصلاة والسلام أجمعين، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: [والحكمة من الذود المذكور: أنه ﷺ يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه على ما تقدم من أن لكل نبي حوضا، وأنهم

(١) سورة لقمان: الآية ٣٣.
(٢) إحياء علوم الدين: ٤/ ٥٣٠.
(٣) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٨.

يتباهون بكثرة من تبعهم، فيكون ذلك من جملة إنصافه ﷺ ورعايته لإخوانه من النبيين وتكريمه لهم، لا أنه يطردهم بخلاً عليهم بالماء، فإنه ﷺ أجود بني آدم وأكرم خلق الله تعالى أجمعين][١].

قال سيدنا أنس رضي الله عنه: [كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس][٢].

وقال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: [كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، ... فرسول الله ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة][٣].

وأنشد الإمام البوصيري في مدحه ﷺ:

ومبلغ العلم فيه أنه بشر ... وإنه خير خلق الله كلهم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم
يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم[٤]

ويحتمل أن الرسول ﷺ يذود بشكل عام كل من لا يستحق الشرب من الحوض، كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن إبله، قال ﷺ: «لأذودن عن حوضي رجالاً كما تذاد الغريبة من الإبل»[٥]، والعلم عند الله تعالى.

أما الذود الخاص: فهو يشمل أصنافاً خاصة من الناس من أمة سيدنا محمد ﷺ، أوجب عليهم الحق عز وجل الطرد من التشرف بلقاءه ﷺ والشرب من حوضه البارد الكريم، وما ذاك إلا لأنهم لم يعتصموا بشريعته الغراء، ولم ينالوا بركة من علومه الشريفة، ولم يجاهدوا في سبيل الله حق جهاده وغرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور، فكانوا بعيدين كليا عن منهج الدين الإسلامي الحنيف وعمله الروحاني المبارك، فاستحقوا الطرد عن الحوض المورود.

---

(١) فتح الباري: ١/ ٤٧٤.
(٢) رواه الشيخان: ينظر اللؤلؤ والمرجان: ٢١٠.
(٣) رواه الشيخان: ينظر اللؤلؤ والمرجان: ٢١١.
(٤) البردة للبوصيري: ٢١.
(٥) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ١٦١.

وبين الإمام القرطبي رحمه الله أقوال العلماء في المطرودين عن الحوض بقوله: [فقالوا: كل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله تعالى، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طرداً، من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم كالخوارج(١) على اختلاف فرقها، والروافض(٢) على تباين ضلالها، والمعتزلة(٣) على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والاهواء والبدع](٤).

وبعد هذه الأقوال في الذود الخاص عن حوض المصطفى ﷺ أعاذنا الله تعالى منها ومن أحوال أهلها تلك التي كانت سببا في طردهم عن الحوض، سأقوم بالتركيز على أهم الأصناف للاعتبار والتفكر وإبعاد خطرات الشياطين ووساوس المخربين عن أفكار المسلمين فيكونوا من المنصفين المعتبرين وهم:

أولاً: المرتدون

وهم الذين ارتدوا بعد التحاق حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بالرفيق

---

(١) الخوارج: فرقة ضالة مضلة، خرجت على سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقالوا: لا حكم الا الله، فقال رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها الباطل، وهم يكفرون مرتكب الكبيرة ولا يطيعون السلطان من أئمة المسلمين كما في الفرق بين الفرق للبغدادي: ١٥.

(٢) الروافض: فرقة الشقاق والتكفير، جاءوا إلى سيدنا زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وطلبوا منه ان يتبرأ من سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما حتى يكونوا معه، فقال: بل أتولاهما وأتبرأ ممن تبرأ منهما فقالوا: اذن نرفضك فرفضوه، وارفضوا عنه، فسموا الرافضة، يخالفون أهل الحق في مسائل كثيرة من أصول الدين الإسلامي، كما في الفرق بين الفرق: ٢٢.

(٣) المعتزلة: فرقة كلامية ضالة مضلة، أسس مذهبهم واصل بن عطاء، واعتزل مجلس الإمام الحسن البصري قدس الله سره، وقال بالمنزلة بين المنزلتين في مرتكب الكبيرة، وقولهم بخلق القرآن، وانكار الصفات المعاني للحق عز وجل، وقولهم بخلق الافعال وانكار عذاب القبر، كما في الفرق بين الفرق: ١٢.

(٤) التذكرة: ٥٢٤، ويوم الفزع الأكبر: ٢٨٤ وينظر لوامع الأنوار للسفاريني: ٢/ ١٩٧ وشرح النووي لصحيح مسلم: ١/ ٥٣٣.

الاعلى، ممن أسلموا في حياته ولم يخالط الإيمان قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(١).

والردة عن الإسلام: هي الرجوع عنه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ﴾ أي يرجع عن الإسلام إلى الكفر، وقوله ﷺ: «إنهم لا يزالون مرتدين على أعقابهم»(٢) أي: رجوع المسلم عن الإسلام، قال النيسابوري: [ومن يرتد أي يرجع فيمت وهو كافر باقٍ على الردة فيحبط عملهم في الدنيا والآخرة](٣).

والردة أنواع: ردة الاعتقاد، وردة في الأقوال، وردة في الفعل، وردة في الترك، والارتداد هو الانتقال من الإسلام إلى الكفر عموماً سواء صار المرتد إلى دين آخر أم لم يتخذ له ديناً.

وأما في السنة فإن الردة بمعنى الكفر بعد الإيمان أو بمعنى التبديل أو بوصف صاحبها تاركاً لدينه مفارقاً لجماعته(٤).

فكل مرتد عن دينه وإيمانه مطرود عن حوض نبيه ﷺ لأن الردة صاحبته إلى الموت، فمات وهو كافر فنال العذاب وأصبح من أهل الجحيم.

أدلة ذود المرتدين عن الحوض

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظهراني أصحابه: «إني على الحوض أنتظر من يرد علي منكم، فوالله ليتقطعن دوني رجال، فلأقولن: أي رب مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون على أعقابهم»(٥) أي: لا يزالون مرتدين على أعقابهم من الإسلام إلى الكفر والضلالة. وفي قوله: «ومن أمتي» دفع لقول من حملهم على غير هذه الأمة، فبطل احتمال من يقول إنهم ليسوا من أمة النبي ﷺ(٦).

---

(١) سورة البقرة: ألآية ٢١٧. (٢) صحيح الإمام البخاري: ٢/ ٤٥٩.
(٣) أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية: ٣٥ و ١٣٨، وينظر صفوة التفاسير: ١/ ١٣٨.
(٤) ينظر أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية: ٣٥ و ٧٧ و ١٣٨.
(٥) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٤. (٦) ينظر فتح الباري: ١١/ ٤٧٦.

وعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيها الناس أني لكم فرط على الحوض فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال فأقول فيما هذا؟ فيقول: إنك لا تدري ما احدثوا بعدك فأقول: سحقاً سحقا»[١] أي: بعداً وهلاكاً وهو دعاء بالعذاب.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا الي اخلجوا دوني، فلأقولن، أي رب مني ومن أمتي، أصحابي، أصحابي، أصحابي، فليقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «بينا أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم -أي ملك- فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري»[٣].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول: انهم مني، فيقال: لا تدري ما احدثوا بعدك؟ فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»[٤] أي: بعد الإيمان أرتد عن دينه، فسحقاً وهلاكاً له.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال: «وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي، أصحابي، فيقول: انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم، فأقول: كما العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧

---

(١) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٥

(٢) صحيح الإمام مسلم: ١٤/ ١٨٠١ وقوله اختلجوا دوني: أي اقتطعوا ينظر البعث والنشور للبيهقي: ١١٠.

(٣) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٦ وقوله القهقري: هو الرجوع إلى الخلف وقيل العدو الشديد أو الركض السريع، وضرب مثلاً في سرعة ارتدادهم عن الدين الحنيف.

(٤) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٣١٢ وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٣.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[1]»[2].

وبعد استعراض هذه الأدلة الصحيحة من الأحاديث النبوية والتي دلت دلالة واضحة وصريحة على أن المقصودين بالذود عن الحوض المورود هم الذين ارتدوا بعد وفاة حضرة النبي ﷺ ممن أسلموا في حياته الشريفة ولم يخالط الإيمان قلوبهم، فقد كان أكثر الذين أسلموا بعد فتح مكة يسلمون عن طريق وفودهم دون أن يفهموا الإسلام على حقيقته، كبني حنيفة، وبني أسد، وتميم وغيرهم.

قال محمد بن يوسف الفربري[3]: [ذكر عن أبي عبد الله محمد البخاري عن قبيصة بن عقبة[4] قال: هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبي بكر، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه][5].

وقال السفاريني: [لا ريب أن كثيراً من الأعراب، ومن بني حنيفة ومن بني تميم ممن كان قد أسلم ووفد على النبي ﷺ قد ارتد لما توفي النبي ﷺ، فقاتلهم الصديق الأعظم، وأمر خالد بن الوليد رضي الله عنه فأنكأ فيهم، فمنهم من قتل، ومنهم من حرق، ومنهم من رجع إلى الإسلام، فالحديث -أي حديث الحوض- من أعلام النبوة وبالله التوفيق][6].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: [وقوله ﷺ: «إنهم ارتدوا» يوافق تفسير قبيصة بن عقبة في المقصود بهم][7].

وعلق الإمام ابن حجر رحمه الله على قول قبيصة المتقدم بقوله: [أي أنه

---

(١) سورة المائدة: الآيتان ١١٧-١١٨.
(٢) صحيح الإمام البخاري: ٢/ ٤٥٩ وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ٢١١٩.
(٣) راوي صحيح البخاري إمام محدث ثقة عالم مات سنة ٣٢٠هـ، كما في العبر للذهبي: ٢/ ١٨٣، وسير اعلام النبلاء له: ١٥/ ١٠.
(٤) أحد شيوخ البخاري مات سنة ٢١٥هـ كما في تقريب التهذيب لابن حجر ٤٥٣.
(٥) فتح الباري: ٦/ ٤٩٠ وقال: [قد وصله الاسماعيلي من وجه آخر عن قبيصة، ورجحه القاضي عياض]: ١١/ ٣٨٥.
(٦) شرح ثلاثيات المسند: ١/ ٥٤١ وقوله فأنكأ فيهم: أي اثخن فيهم الجراح والقتل.
(٧) فتح الباري: ١١/ ٤٧٤.

حمل قوله ﷺ: (من أصحابي) باعتبار ما كان قبل الردة إلا أنهم ماتوا على ذلك، ولا يشك أن من ارتد سلب اسم الصحبة، لأنها نسبة شريفة إسلامية، فلا يستحقها من ارتد بعد ان اتصف بها][١].

ونقل الآبي عن القاضي عياض رحمه الله: إن قول الرسول ﷺ: «فأقول كما قال العبد الصالح» يشهد لصحة قول من حمل الحديث عن المرتدين[٢].

وقال القاضي عياض فيما نقله الإمام النووي عند تعليقه على رواية: «أصيحابي أصيحابي» فرفع في الروايات مصغراً مكرراً[٣]، قال: [هذا دليل لصحة تأويل من تأول انهم أهل الردة، ولهذا قال ﷺ: (سحقاً، سحقاً) ولا يقول ذلك في مذنبي الأمة، بل يشفع لهم ويهتم لأمرهم][٤].

وقال رحمه الله: [وقيل: هؤلاء صنفان:

أحدهما: عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام، وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة.

والثاني: مرتدون إلى الكفر حقيقة، ناكصون على أعقابهم، واسم التبديل يشمل الصنفين][٥].

ويقول ابن حجر رحمه الله في بيان هؤلاء الذين يطردون عن الحوض وتبرئ النبي ﷺ منهم ودعائه عليهم: [وحاصل ما حمل عليه حال المذكورين أنهم إن كانوا ممن ارتد عن الإسلام فلا اشكال في تبري النبي ﷺ منهم وأبعادهم)[٦].

وقال البرديسي رحمه الله نقلا عن شرح الجوهرة، في بيان أقوال العلماء في معنى الحديث وبيان هؤلاء الذين يذادون عن الحوض فقال: [إن المراد

(١) فتح الباري: ٦/ ٤٩٠.
(٢) إكمال المعلم شرح الإمام مسلم: ٧/ ٢٢٥.
(٣) ينظر شرح النووي لصحيح مسلم: ١٥/ ٦٤.
(٤) المصدر نفسه: ١٥/ ٦٥.
(٥) المصدر نفسه: ١٥/ ٦٥.
(٦) فتح الباري: ١٣/ ٤.

من كان في زمنه ﷺ، ثم ارتد بعده، فيناديهم لما كان يعرفهم في حياته من اتباعهم، فيقال له: ارتدوا بعدك][١].

ثانياً: المنافقون

ذهب أكثر العلماء إلى أن الذين يمنعون عن حوض النبي ﷺ هم المنافقون[٢]، الذين أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر، فكان جزاؤهم جهنم وبئس المصير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾[٣] وظاهر الآية يبين لنا ان الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر من المنافقين مصيرهم النار وبئس المصير لأنهم جمعوا مع الكفر الاستهزاء بالإسلام وأهله، فمن باب أولى أنهم من المشمولين بحديث الذود، فرسول الله ﷺ عرفهم بالغرة التي أعطاهم الله خدعة لهم، كما خدعهم بأن أعطاهم نورا على الصراط ثم ينطفئ فيدخلون النار.

قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[٤].

أدلة ذود المنافقين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «لو أن رجلا له غرة محجلة بين ظهري خيل وهم بهم، إلا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطكم على الحوض، إلا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هَلُمَّ فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً»[٥].

فإن قيل: كيف يذاد المنافقون عن الحوض وهم غر محجلين؟

(١) تكملة شرح الصدور: ٢٥، وينظر شرح عبد السلام على الجوهرة: ٢/ ١٨٠.
(٢) ينظر شرح النووي لصحيح مسلم: ١/ ٥٣٣، وتكملة شرح الصدور: ٢٥ وفتح الباري: ١٣/ ٤ والتذكرة: ٣٠٧.
(٣) سورة النساء: الآية ١٤٥.
(٤) سورة النساء: الآية: ١٤٢، وينظر تفسير القرطبي للآية الكريمة ٥/ ١٩؛.
(٥) صحيح الإمام مسلم: ١/ ٢١٨.

يجاب عنه: يجوز ذلك لأنهم يحشرون مع المؤمنين يوم القيامة وعليهم سيما الغرة والتحجيل لتسترهم بالإيمان في دار الدنيا، ولأثر وضوئهم مع المؤمنين، وإنهم كانوا مسلمين بالظاهر ومصلين بالظاهر، وموحدين بالظاهر، فيناديهم حضرة النبي ﷺ للسيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك، أي إنهم لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم بل ماتوا على الكفر والنفاق(١).

فالمنافقون الذي كانوا على عهده ﷺ كانوا يظهرون الإسلام ولم يكن يعلمهم كلهم بدلالة قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾(٢).

وذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ إنه ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾(٣) لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها، لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعين(٤).

فإن قيل: إن هذا القول يعارض مع قوله ﷺ: «تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت غير ذلك استغفرت لكم»(٥).

يجاب عنه: إن هذا الحديث الشريف المذكور آنفا لا يتعارض ولا يتنافى، مع الحديث الدال على عرض أعمال الأمة الإسلامية على حضرة النبي ﷺ في حياته البرزخية، فإن الذي يعرض عليه ﷺ هو أعمال أمته من المؤمنين به حقاً ليستغفر لهم ويدعوا الله لهم، وأما الكفار والمنافقون والمرتدون فإن أعمالهم لا تعرض هذا العرض على النبي ﷺ لأنهم ليسوا أهلاً لأن يستغفر لهم رسول الله ﷺ أو يدعو لهم، فلا فائدة في عرض أعمالهم على النبي ﷺ في حياته

---

(١) ينظر شرح النووي لصحيح مسلم: ٣/ ١٣٥، والعيني في عمدة القاري: ٢/ ٢١١ والباجي في المتقن: ١/ ٧٠ وتكملة شرح الصدور: ٢٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠١.

(٣) سورة محمد: الآية ٣٠.

(٤) ينظر تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٨٤.

(٥) الجامع الصغير: ١/ ٥٨٢ (٣٧٧٠) وعزاه للحارث بن أبي اسامة، وسيأتي تخريجه كاملا.

البرزخية، وسوف نفصل ذلك في المبحث الرابع من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

ثالثا: الظالمون ومن اعانهم

قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[١] وقال عز وجل: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[٢] وهاتان الآيتان تدلان على أن الظالمين يوم القيامة محرومون من كل خير ولا ينالون شفاعته ﷺ لدخول الجنة فمن باب أولى يطردون عن الحوض وعن كل نعمة وسرور، وتحيط بهم الظلمات من كل جانب واتجاه، قال ﷺ: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»[٣].

قال ابن عبد البر فيما نقله عنه الإمام النووي رحمه الله: [كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض.... وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق... ... إلى أن قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر][٤].

وعن عبد الله بن خباب عن أبيه رضي الله عنهما قال: كنا قعوداً عند باب النبي ﷺ فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «اسمعوا فقلنا: قد سمعنا، ثم قال: اسمعوا فقلنا -مرتين أو ثلاثا- فقال: أنه سيكون بعدي أمراء فلا تصدقوهم بكذبهم، ولا تعينوهم على ظلمهم، فإنه من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم لم يرد على الحوض»[٥].

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدي، فمن غشي أبوابهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارد علي

(١) سورة غافر: الآية ١٨.
(٢) سورة الحج: الآية ٧١.
(٣) صحيح الإمام مسلم: ٢٥٧٨.
(٤) شرح النووي لصحيح مسلم: ٣/ ١٣٧.
(٥) رواه ابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٥٢ والإمام أحمد في مسنده: ٥/ ١١١، وابن حبان في صحيحه/ ٥٧٤ (وقال: وهو حديث صحيح ورجاله ثقات).

الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد علي الحوض»(١).

فإذا كان حال أعوان الظلمة ومصديقهم بهذه الصورة، فمن باب أولى أن حال الظلمة اسوأ والعن في ظلمات يوم القيامة، فلا حميم لهم ولا شفيع يطاع، وهم مذادون عن الحوض لا محالة.

رابعاً: التنافس على الدنيا

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾(٢) ذلك لأن الدنيا غرتهم وبزينتها وزخرفها فأطمنت إليها نفوسهم الأمارة بالسوء، والدنيا متاع زائل لا محالة، قال عز من قائل: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾(٣) وقوله سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾(٤).

فكل من شغلته الدنيا عن الاطمئنان بعبادة الواحد الديان وتنافس في زينتها الفانية فإنه يذاد عن الحوض بدلالة ما رواه عقبة بن عامر ﷺ أنه قال: خرج رسول الله ﷺ يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فرطكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وقد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما اخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها»(٥) فقوله ﷺ: «إن تتنافسوا» أي: في الدنيا الدنيئة الخسيسة كما يرغب في الأشياء الغالية النفيسة.

وعنه ﷺ في رواية أخرى: «إني فرطكم على الحوض وأن عرضه كما بين

---

(١) رواه الترمذي في جامعه: ٤/ ٥٢٥ وقال: (حديث صحيح) وأخرجه النسائي في سننه: ٧/ ١٦٠، وابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٥١ وكلاهما نفسه باسناد الإمام الترمذي، والإمام أحمد في مسنده: ١٣/ ٣٢١ و ٣٤٣ باسانيد جيدة، وذكره القرطبي في كتابه يوم الفزع الأكبر: ٢٨٥ باب المطرودون عن الحوض.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٠.
(٣) سورة غافر: الآية ٣٩.
(٤) سورة الشورى: الآية ٢٠.
(٥) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٦.

أيلة إلى الجحفة، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا ان تتنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم»(١).

ومن ظاهر الحديث يتبين لنا أن حضرة النبي ﷺ أكد على أن من أسباب التنافس على الدنيا الفانية إشاعة القتل وسفك الدماء والاعتداء على حرمات الله عز وجل وحقوق الناس بغير حق، فكان من آثار تلك الكبائر الذود عن حوضه ﷺ الموصوف بتلك السعة الكبيرة، فمع تلك السعة لكنه لم يسع من ارتكب جريمة القتل بغير حق، فعن الصنابحي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، وأنا مكاثر بكم الأمم، فلا تقتتلوا بعدي»(٢)، وفي رواية أخرى: «ويلكم أو -ويحكم- لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»(٣).

خامساً: من رغب عن السنة النبوية المباركة

أوجب الله تعالى على المسلمين اتباع النبي ﷺ فيما يأمر به وينهى عنه فقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾(٤) وكذلك أوجب سبحانه عليهم طاعته ﷺ بعد وفاته، كما أوجب على الصحابة اتباعه في حياته، لأن الآيات التي اوجبت طاعته عامة لم تقيد ذلك بزمن حياته. ولا بصحابته أو جيله دون غيرهم لأن الصلة الجامعة بينهم وبين من بعدهم، هي أنهم اتباع لرسول أمر الله باتباعه وطاعته، ولأن الصلة جامعة بين حياته ووفاته، وكان الصحابة يتبعونه ﷺ في أعماله وعباداته ومعاملاته إلا ما علموا منه أنه خاص به(٥).

---

(١) صحيح الإمام مسلم: ١٧٩٦ بنفس اللفظ والاسناد، وصحيح الإمام البخاري: ٤/٢٠٧ بلفظ مقارب.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٤/٣٥١، وابن أبي عاصم في السنة: ٢/٣٤٤ وقال: اسناد صحيح مسلسل بالسماع، وفي رواية للإمام أحمد في مسنده: ٤/٣٥٢ عن طريق عبد الله ابن المبارك رحمه الله: ((فلا تقتتلن بعدي)).

(٣) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان: ١/١٤.

(٤) سورة الحشر: الآية: ٧.

(٥) ينظر السنة ومكانتها للتشريع الإسلامي للسباعي: ٦٧، والسنة مفتاح الجنة: ١٩٦.

وعن أنس ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته... إلى قوله: فجاء الرسول ﷺ وقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»(١)، وعن سعيد بن المسيب ﷺ: قال: جاء عثمان بن مظعون ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله غلبني حديث النفس، فلم أحب أن أحدث شيئا حتى اذكر ذلك لك، فقال له النبي ﷺ: «وما تحدثك به نفسك يا عثمان؟، قال: تحدثني نفسي أن اختصي، فقال: (مهلاً يا عثمان فإن الخصاء أمتي صيام... إلى أن قال له رسول الله ﷺ: «يا عثمان لا ترغب عن سنتي، ومن رغب عن سنتي فمات قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة»(٢).

فمن عصى رسول الله ﷺ وخالف أمره وأنكر سنته السنية فإنه لا محالة بعيد عن رحمة الله تعالى وبعيد عن رسوله ﷺ قريب من النار والعياذ بالله، وصح عن حضرة النبي ﷺ أنه قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»(٣) ومن أبى وعصى أبا القاسم ﷺ فهل ينتظر أن يرد على الحوض، محال، إلا أن يتوب ويسارع إلى مرضاته ﷺ، فمرضاة الحق عز وجل من مرضاته بأبي هو وأمي ﷺ.

سادساً: من كذب بالقدر والحوض والشفاعة

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾(٤) وقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾(٥) وقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَجْحَدُ

(١) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي: ٩/ ١٧٥-١٧٦.
(٢) فتح الباري: ١١/ ٤٦٩ وعده الحافظ ابن حجر عن حديث عثمان بن مظعون وظاهر السياق انه من مراسيل سعيد بن المسيب، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ٢/ ٤٢٩، والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٢١.
(٣) صحيح الإمام البخاري: ٩/ ١١٤.
(٤) سورة العنكبوت: الآية: ٤٧.
(٥) سورة العنكبوت الآية ٤٩.

بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾[١] أي: وما يكذبون بآياتنا وينكروها مع ظهورها وقيام الحجة عليها، إلا المتوغلون في الكفر، المصرون على العناد، أو ما يكذب بآياتنا، إلا كل غدارٍ، مبالغ في كفران نعم الله تعالى[٢].

قال قتادة رحمه الله: [وإنما يكون الجحود بعد المعرفة][٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [قال عمر بن الخطاب ﷺ: سيأتي قوم يكذبون بالقدر، ويكذبون بالحوض، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار][٤].

وعن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي حوضاً يوم القيامة عرضه ما بين آيلة إلى صنعاء... من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا، ومن كذب له فلا سقاه الله منه»[٥].

وعن ابن بريدة قال: شك ابن زياد[٦] في الحوض، فأرسل إلى رجل من مزينة إلى أبي برزة الاسلمي، فقال أبو برزة: [من كذب به فلا سقاه الله منه][٧]، ثم تاب ابن زياد بعد أن استوثق من حديث الحوض وصدق به وما ذلك إلا لتثبته من صحته[٨].

---

(١) سورة لقمان: الآية ٣٢.

(٢) ينظر تفسير الطبري: ٢١/ ٥٥ والقرطبي: ١٣/ ٣٥١، والرازي: ٢٥/ ٧٥، وابن كثير: ٣/ ٤٠.

(٣) تفسير الطبري: ٢١/ ٤.

(٤) السنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٣٢١ وقال: حديث موقوف حسن، ومصنف عبد الرزاق: ١١/ ٤١٢، والشريعة للآجري: ٣٣٠ والبعث والنشور للبيهقي: ١٢٩.

(٥) السنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٣٣٤ وقال حديث صحيح، وأبو داود في سننه: ٥/ ١١٢، والإمام أحمد في مسنده: ٤٢١.

(٦) ابن زياد والي الكوفة والبصرة نت قبل سيدنا معاوية ﷺ كما في الاعلام للزركلي: ٤/ ١٩٣.

(٧) السنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٣٤٢، ومسند الإمام أحمد: ٤/ ٤١٩، ومصنف عبد الرزاق: ١١/ ٤٠٥، ومجمع الزوائد: ١٠/ ٣٦١، والزهد: ٥٦٠ والمستدرك: ١٠/ ٧٥.

(٨) ينظر البعث والنشور للبيهقي: ١٢٨، والشريعة للأجري: ٣٥٤ ومجمع الزوائد: ١٠/ ٣٦١ والزهد لابن المبارك: ٥٦١.

وأوضح سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره: [وقد أنكرت ذلك المعتزلة، فلا يسقون منه ويدخلون النار ورداً عطاشا، إن لم يتوبوا عن مقالتهم وجحودهم الحق، ورد الآيات والأخبار والآثار][١].

وقال سيدنا أنس رضي الله عنه عندما سمع أن بعض الناس ينكرون الحوض: [ما حسبت أن أعيش حتى أرى مثلكم ينكر الحوض][٢].

وبين البغدادي رحمه الله في اعتقاد أهل السنة قائلاً: [وقالوا بالحوض... ومن أنكر ذلك حرم الشرب من الحوض][٣].

سابعاً: عقوق الوالدين

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾[٤]، وقال سبحانه ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾[٥] وقوله عز وجل: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾[٦].

وعن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر -ثلاثا- قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...»[٧].

فهذه الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة جاءت مؤكدة على البر بالآباء ورعايتهم واحترامهم ومحبتهم، وحذرت من عقوقهم واذيتهم واجتياز حقوقهم الشرعية فإن ذلك سيكون سببا للذود عن الحوض، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم، ومن تنصل إليه فلم يقبل، فلن يرد علي الحوض»[٨].

---

(١) الغنية: ١/ ٨٥.
(٢) فتح الباري: ١١/ ٤٦٨.
(٣) الفرق بين الفرق: ٢٧٠.
(٤) سورة النساء: الآية ٣٦.
(٥) سورة العنكبوت: الآية ٨.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٢٤.
(٧) صحيح الإمام البخاري: ١٠/ ٣٤٢، ٣٤٥، صحيح الإمام مسلم: ١/ ٧٨.
(٨) رواه ابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٥٨، والإمام أحمد في مسنده: ٤/ ٣٨٤ والاجري في الشريعة: ٣٥٧ باسانيد صحيحة وأخرجه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك كما في الفتح الكبير للسيوطي: ٢/ ٤.

ثامناً: الترف والاسراف والتبذير

لقد حذر رسول الله ﷺ من الترف المفرط الذي يشغل الإنسان عن أداء واجباته الشرعية، لا سيما إذا صاحبه الإسراف والتبذير، وقد جاءت الآيات الكريمة تحذر من الإسراف والتبذير وآثاره السيئة على الإنسان ومجتمعه وأخلاقه، وهذا ما أكدته الأحاديث النبوية الشريفة وحذرت من مغبة الانحراف الأخلاقي والاجتماعي نتيجة الإسراف والتبذير والترف، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾[1] أي: انفق على عيالك، وأعط من مالك كل من له قرابة بك، حقه من البر والاحسان، والمسكين المحتاج والغريب المنقطع في سفره وطلبة العلم والأيتام، ولا تنفق مالك في غير طاعة الله فتكون مبذراً، والتبذير هو الإنفاق في غير حق.

قال مجاهد رحمه الله [لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً، ولو أنفق مداً في غير حق كان مبذراً].

وقال قتادة: [التبذير النفقة في معصية الله سبحانه وتعالى وفي غير الحق والفساد][2]. فالمبذرون أمثال الشياطين وأشباههم في الإفساد، لأنهم ينفقون في الباطل وينفقون في الشر والمعصية وهو غاية في الذم والتقبيح[3]. والمبالغة بالكرم تبذير في بعض الأحيان قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾[4].

ومن آثار التبذير السيئة أنه يذود صاحبه عن حوض المصطفى ﷺ فعن أبي سلام الحبشي رحمه الله أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال له: [بلغني أنك تحدث عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ في الحوض فأحببت أن تشافهني به، قال: حدثني ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن حوضي ما

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان ٢٦-٢٧.
(٢) مختصر ابن كثير: ٢/ ٣٧٥.
(٣) ينظر تفسير الرازي: ٢٠/ ١٩٢ وحاشية الصاوي على الجلالين: ٢/ ٣٥٠ وظلال القرآن: ١٥/ ٣٨.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٢٩.

بين عدن إلى أيلة أشد بياضا من اللبن وأول من يرده علي فقراء المهاجرين، الدنس ثيابا، الشعث رؤوسا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد» قال: فبكى عمر حتى اخضبت لحيته، ثم قال: لكنني نكحت المتنعمات -يعني فاطمة بنت عبد الملك- وفتحت لي السدد، لا جرم لا اغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ، ولا ادهن رأسي حتى يشعث][1].

ورغبة سيدنا عمر بن عبد العزيز ﵁ في سماع الحديث مشافهة أصل كبير من الأصول التي كان يحرص عليها السلف الصالح، فقد كانوا حريصين على التلقي المباشر، ولذلك آثاره في التربية القلبية والروحية والسلوكية، فالتلقي من أهل الأنوار يعطي القلب نوراً، والتلقي من أهل العلم والعاملين به يعطي طالب العلم سمتاً وأدباً وتواضعاً وزهداً.

تاسعاً: عدم احترام آل بيته ﷺ وسب أصحابه

عن زيد بن ثابت ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الخليفتين من بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»[2].

وعن حذيفة بن أسيد ﵁ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا أيها الناس إني فرط لكم وإنكم واردون علي الحوض... وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، السبب الأكبر كتاب الله عز وجل: سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فأستمسكوا به ولا تضلوا وتبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني العليم الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض»[3].

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه: ٢/١٤٣٨، والترمذي: ٤/٦٢٩ والإمام أحمد: ٢/٢٧٥ وأبو داود الطيالسي: ٢٣، والطبراني في الكبير: ٢/٩٩ والحاكم في المستدرك: ٤/١٨٤ وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في البعث والشعور: ١١٨، والسنة لابن أبي عاصم: ٢/٣٤٧ والآجري في الشريعة: ٣٥٣.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة: ٢/٣٥٠ والإمام أحمد في مسنده: ٥/١٨١-١٩٠ وهو حديث صحيح له شواهد تقويه.

(٣) رواه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/١٣، ورواه الهيتمي في مجمع الزوائد: ١٠/٣٦٣ وقال: [رواه الطبراني باسنادين رجال احدهما رجال الصحيح].

ومن المعلوم أن فضل آل بيت النبوة عظيم ومكانتهم سامية، ودورهم كبير وعظيم في الدفاع عن الإسلام ونشر تعاليمه وأحكامه الشرعية، فهم الهداة المهديون الذين اعتصموا بالشريعة الغراء، وتحملوا علوم خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وأدوها بكل أمانة وإخلاص، وجاهدوا في الله حق جهاده، وتلقوا الأنوار عن نبيهم ﷺ فصاروا أوعية للعلوم والهدى، فأخذ الناس منهم بالتلقي المباشر، فأثروا بالقلوب والأرواح ونشروا العلوم والأنوار في كل أرض نزلوها، وفي الحديث أيضا توجيه مباشر للأمة بالتزام أوامر الله عز وجل ونواهيه وحب آل بيته الكرام قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾(١)، أولئك الذين هم أكثر الناس التزاما بالامر والنهي وذودا عن حياض الدين، فبغضهم سم قاتل وعدم توقيرهم والاعتداء عليهم سبب للذود عن الحوض والعياذ بالله تعالى.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت الكوثر، قلت: يا رسول الله وما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق إلى المغرب، لا يشرب منه أحد فيظمأ، ولا يتوضأ منه أحد فيشعث، ولا يشرب منه من اخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي»(٢).

وكذلك توقير أصحابه الكرام العدول الثقات أولئك الذين تشرفوا بحمل الرسالة إلى الناس كافة، ففتح الله عز وجل على أيديهم البلاد ونشروا العلوم والهدى لاسعاد العباد في الدارين، فحبهم من الإيمان وبغضهم نفاق واضح، وقد ثبت لنا ان أول الواردين على الحوض هم الصحابة الكرام ومعهم أهل الإيمان والتقوى، وأول المذادين عنه أهل الكفر والنفاق، فالذي يبغض الصحابة ويسبهم لن يرد على الحوض لأنه صار من أهل النفاق والعياذ بالله بدلالة قوله ﷺ: «إن حوضي أربعة اركان: أول ركن منها في يد أبي بكر، والركن الثاني في يد عمر، والركن الثالث في يد عثمان، والركن الرابع في يد علي، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحب عمر

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٢) ذكره الإمام السيوطي في البدور السافرة: ٤٢، وقال: رواه الطبراني في الكبير.

وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان، ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه علي»(١).

هذا وقد ضرب الصحابة الكرام وآل بيت النبوة الأطهار أروع الأمثلة في احترام وتوقير بعضهم للبعض الآخر، لتدل دلالة واضحة أن هذا الدين الحنيف اثمر في قلوبهم وأرواحهم بالعلم والتقوى، وخلص عملهم لله تعالى فزكى نفوسهم من خلال اتباعهم الحق لمنهج سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ، والآثار كثيرة مما لا تعد ولا تحصى، لكننا نتشرف بذكر حادثة واحدة تكون شاهدا صادقا على ما نقول، فقد أخرج الطبراني والبيهقي والحاكم عن الشعبي: [أن زيد بن ثابت صلى على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها، فجاء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فأخذ بركابه، فقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: خل عنها يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء، فقبل زيد بن ثابت يد عبد الله بن عباس وقال: وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ](٢).

عاشراً: أهل الكبائر والمعاصي والبدع

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح قوله ﷺ: «فأقول: يا رب مني ومن أمتي»: يحتمل أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب.

وقال أصحاب هذا القول: [ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل، ويحتمل أن يكون: كانوا في زمن النبي ﷺ وبعده عرفهم بالسيما، ومعنى هذا: إن أهل البدع من المسلمين يطردون عن الحوض](٣).

وبين عبد السلام في شرحه على الجوهرة عند ذكر أقوال العلماء في معنى

---

(١) رواه القرطبي بسنده في التذكرة: ٣٠٨، وفي كتاب يوم الفزع الأكبر: ٢٨٠.
(٢) ينظر حقائق عن التصوف للشيخ عبد القادر عيسى: ١١٤.
(٣) شرح النووي لصحيح مسلم: ١/ ٥٣٣.

الحديث وبيان هؤلاء الذين يذادون عن الحوض قائلاً: [يحتمل أن المراد بهم أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع، لكن على هذا القول لا يقطع لمن يذادون بالنار، بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة](١).

وهو قول القرطبي والحافظ أبي عمرو بن عبد البر وغيرهم، ثم يذكر القرطبي أن هذا الابعاد لهؤلاء الناس، منهم من يبعد لأجل عمله المعاصي لا لأجل عقيدته، وهؤلاء يرجى لهم المغفرة والشرب من الحوض، وأما من أبعد لأجل عقيدته التي تنافي العقيدة الصحيحة، فهؤلاء يبعدون عند أشد البعد، فالبعد قد يكون في حال، ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به، ثم يقال لهم: سحقاً سحقاً، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد الرسول ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر، فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء، فيقال لهم: فسحقا فسحقا(٢).

وعلق ابن حجر رحمه الله قائلاً: [وإن كانوا ممن لم يرتد، لكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن، أو بدعة من اعتقاد القلب، فقد أجاب بعضهم بأنه يحتمل أن يكون أعرض عنهم ولم يشفع لهم ﷺ اتباعاً لأمر الله فيهم حتى يعاقبهم على جنايتهم، ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمته فيخرجون عند اخراج الموحدين من النار](٣).

وقد استشكل بعض العلماء ورود أهل الكبائر الحوض، بناء على أنهم ليسوا من الذين يذادون عن الحوض، خصوصا الذين علم الله انهم سيدخلون النار، أفيشربون منه باعتبار أنهم من المؤمنين، وأن مآلهم إلى الجنة، أم لا يشربون لأنهم سيدخلون النار؟ أم أنهم يشربون رغم دخولهم النار، ولكن لا يعذبون بالعطش بخصوصه، ويعذبون بغيره من أنواع العذاب الذي يريده الله تعالى بهم؟

---

(١) شرح عبد السلام على الجوهرة: ٢/ ١٢٠، وينظر تكملة شرح الصدور: ٢٥.
(٢) التذكرة: ٣٠٧. (٣) فتح الباري: ١٣/ ٤.

أجاب القرطبي رحمه الله عن هذا بقوله: [وقد يقال: إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر أنه وإن ورد الحوض وشرب منه، فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يعذب بعطش والله أعلم][١].

ويبدو أن القاضي عياض يذهب إلى القول بأنه لا يمنع ان يشرب أهل الكبائر من الحوض وأن كان مصيرهم أولا إلى النار، وانهم في حال دخولهم فيها لا يعذبون بالعطش، وهذا هو ما يذكره الإمام النووي نقلا عنه، من أنه يرى ان ظاهر قوله ﷺ: «ومن شرب لم يظمأ أبدا»: [إن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار، فهذا هو الذي لا يظمأ بعده، قال: وقيل: لا يشرب منه إلا من قدر له السلامة من النار، قال: ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ، بل يكون عذابه بغير ذلك لأن ظاهر هذا الحديث أن جميع الأمة يشرب منه إلا من ارتد وصار كافراً][٢].

لكن الحافظ ابن حجر قد رد هذا القول -أي بأن أهل الكبائر لا يعذبون بالعطش إذا دخلوا النار- ووصفه بأنه احتمال، ويدفعه أنه وقع في حديث ابن كعب عند ابن أبي عاصم في ذكر الحوض: (ومن لم يشرب منه لم يرو أبدا)[٣]، ورد ابن حجر لا يتناسب مع قول الإمام القرطبي السابق والقاضي عياض، لأن كلا منهما في إثبات الشرب لأهل الكبائر، وأنهم لا يعذبون في النار بالعطش، فلا يرد انتقاد ابن حجر على ذلك القول، لأن أصحاب الكبائر قد شربوا منه فلا يعطشون أبدا.

أحد عشر: شانئ رسول الله ﷺ

لقد فصل الحق عز وجل في آيات كثيرة من القرآن المجيد ما أنعم به على حضرة خاتم أنبيائه من عظيم الجاه والقدر والشرف والمنزلة، كما أثبت الجاه والقدر والشرف والمنزلة لاخوانه الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والتسليم

---

(١) التذكرة: ٣٣٠.
(٢) شرح النووي لصحيح الإمام مسلم: ٥/١٥١.
(٣) فتح الباري: ١١/٤٦٦.

في آيات كريمة من الذكر الحكيم منها:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ۝٦٩﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾[2].

ومن الآيات التي ذكر فيها جاه النبي ﷺ وشرفه وعلو منزلته على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ۝٢٨﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾[4] وقوله عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[5].

هذا هو جاهه الذي خصه به رب العالمين إذ أقامه سراجاً منيرا، وخاتم النبيين والمرسلين أجمعين ومظهراً على الدين كله، واذ جعل الكتاب المنزل إليه مهيمناً بنص قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾[6].

فالذين مضوا من قبله لم يكن أحد منهم خاتم النبيين ومظهراً على الدين كله، بل وجد نبي، ووجد في زمانه نبي آخر أيضاً[7]. ويفهم من قوله تعالى: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ إن كل ما لا يوافق دينه مع الشرائع السابقة فهو منسوخ بما شرعه هو لأنه هو المظهر على الدين كله وشريعته هي العامة

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦٩.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٥.
(٣) سورة الفتح: الآية ٢٨.
(٤) سورة البلد: الآيتان ١-٢.
(٥) سورة الأحزاب: الآيتان ٤٥-٤٦.
(٦) سورة المائدة: ألآية ٤٨.
(٧) ينظر شرح العقائد النسفية للتفتازاني: ١١٤ وشرح المقاصد: ١١٢ ومعالم الطريق في عمل الروح الإسلامي: ٤٩.

الشاملة[١]. والخاتمة لما سبق فخصت بعدم النسخ إلى يوم القيامة.

ولرسول الله ﷺ وعلى إخوانه الأنبياء مقامات أخرى نراها في التاليات من الآيات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾[٢] وقوله عز وجل: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾[٤] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾[٦].

فشانئ رسول الله ﷺ هو الأبتر أينما كان، ومهما كان، وفي أي عصر من العصور، وبأي قبيحة من قبائح الشنان، فيجب علينا معاشر المؤمنين إلا نؤذي رسول الله ﷺ بنفي الجاه عنه، وقد ثبت للنبي الكليم الذي لو كان حياً لما وسعه إلا اتباع خاتم النبيين، وقد نهتنا الآية الكريمة من إيذائه ﷺ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى...﴾[٧].

ولا فرق بين الانتقاص من قدر رسول الله إذا كان في دار الدنيا والانتقاص منه وهو في دار المقامة عند الرفيق الأعلى في حياته البرزخية المباركة، فمن انتقص منه ﷺ فهو الأقطع المبتور عن كل خير المذاد عن الحوض لا محالة[٨].

فسبحان الذي خص حبيبه الأمين بمعراج من إخلاص العبودية والجاه والرفعة إلى حضرة قدسه، وخص عباده المؤمنين بالتربية والتعليم بما أوجب

(١) ينظر تفسير الطبري: ٢٢/٣٨، والرازي: ٢٥/ ٢٣١ والقرطبي: ١٤/ ٢٤٧ وأبي السعود: ٤/ ٢٢٠ وابن كثير: ٣/ ١١٦.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٦.
(٤) سورة القلم: الآية ٤.
(٥) سورة الكوثر: الآيتان ١-٣.
(٦) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.
(٧) سورة الأحزاب: الآية ٦٩.
(٨) ينظر معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي: ٥١.

عليهم من الأدب والخشوع تجاه من اختاره هو لنعمى حبه وأنسه فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾[1]، اللهم صل وسلم وبارك على الأنبياء والمرسلين وخاتم النبيين وآله وأصحابه ومن والاه إلى يوم الدين واجعلنا على حوضه من الواردين الشاربين برحمتك يا أرحم الراحمين.

المبحث الثالث

ردود أهل الحق على افتراءات المكفرين

ذهب بعض الناس من المتنطعين في العلم ومن المنافقين إلى إطلاق افتراءاتهم وأكاذيبهم وتأويلاتهم الخاطئة التي تستند إلى وساوس شياطين الاستخراب، ذلك الاستعمار الذي نعتوه نعت الأضداد، والى أهواء نفوسهم المريضة تلك التي ارتضت لنفسها أن تكون آلة بيد أعداء الإسلام، تخرب في الفكر الإسلامي آناء الليل وأطراف النهار، مستخدمين شتى أنواع وسائل الهدم والاستخراب[2]، وهؤلاء لن يهدأ لهم بال ولم يستقر لهم حال إلا عندما يرون أنهار الدماء تسيل من جسد الأمة الإسلامية.

ومن وسائلهم الخبيثة القاء التهم وإطلاق سهام الغدر على أشرف نخبة عرفها التاريخ أولئك النجباء الميامين أصحاب المصطفى الهادي الأمين ﷺ الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فحملوا راية الإسلام خفاقة عالية، وعنوا عناية فائقة بنقل علوم القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة، ورواياتها وضبط ألفاظها ومعانيها وحمايتها، لعلمهم بأهميتها في الدين، فهي المبنية لجميع أحكام وتشريعات القرآن الكريم، ولكونها سبيل نجاتهم ونجاة الأمة الإسلامية على مر العصور والدهور.

فهم يحاولون إقحام تأويلاتهم الخاطئة المريضة في الفكر الإسلامي، دون أي مستند يعتمدون عليه من مصادر التشريع الإسلامي، فهم يؤولون خطأ أحاديث النبي ﷺ الخاصة بذود المرتدين والمنافقين عن حوضه الشريف يوم

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٣.

(٢) ينظر الفرق بين الفرق: ١٧ والحرية الجامعية: ١٢.

القيامة ومنها قوله ﷺ: «وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم»[(١)]، وقوله ﷺ: «. . . ثم ليختلجن دوني فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[(٢)]. فيطبقونها على أصحاب النبي ﷺ ويحرفون كلام الله عز وجل بحيث يوائم مزاعمهم المريضة ويفرغون احقادهم المسمومة في عقول المسلمين يريدون بذلك إثارة الطائفية وتفرقة الأمة على فرق ونحل عديدة.

وقد استدلت الرافضة بتلك الأحاديث المذكورة آنفاً على تكفير جل الصحابة ولم يستثنوا منهم إلا ثلاثة[(٣)]، وزعموا أن هذه الأحاديث نص في ارتداد الصحابة، وتعجبوا من جهالة أهل السنة والجماعة -على حد زعمهم- كيف يروون هذه الأحاديث في صحاحهم، وفي كتبهم المعتبرة، ثم يحكمون بعد ذلك بأن الصحابة عدول، وأنهم بقوا على الإيمان بعد وفاة رسول الله ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى.

واستشهد الرافضة أيضاً بأحاديث رويت في الصحيحين منها:

١- قول حضرة النبي ﷺ: «وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي، أصحابي، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»[(٤)].

٢- قول حضرة النبي ﷺ: «ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، يحال بيني وبينهم»[(٥)].

٣- قول حضرة النبي ﷺ: «. . . إنهم مني. . .»[(٦)].

---

(١) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٧ وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٣.
(٢) صحيح الإمام مسلم: ١١/ ٤٦٣.
(٣) ينظر الايضاح للفضل بن شاذان: ١٢٦، والغيبة للنعماني: ٣٠، والروضة من الكافي للكليني: ٣٥٦، وقرة العيون للكاشاني: ٤٢٤، وبحار الأنوار للمجلسي: ٢٨/ ٢٦.
(٤) صحيح الإمام البخاري: ٢/ ٤٥٩ وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ٢١٩٤.
(٥) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٣١٢ وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٣.
(٦) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٧ وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٩٣.

ولا ريب أن هذا الزعم من الرافضة وغيرهم إفك واضح تمليه عليهم عقيدتهم المبنية على بغض الصحابة وسبهم وتكفيرهم وتوجيه المطاعن إليهم، علماً أننا ذكرنا في المبحث الثاني من هذا الفصل من هم المذادون عن الحوض وبينا أصنافهم وركزنا القول على ثلاثة أصناف ليس فيها أدنى إشارة إلى صحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم أجمعين لا من قريب ولا من بعيد وهم:

١- **المرتدون**: وذكرنا أقوال العلماء الصريحة بأنهم المرتدون من الأمة بعد وفاة حضرة النبي ﷺ من قبائل العرب، كبني حنيفة وبني أسد وتميم وغيرهم، والمراد بهم قوله ﷺ «إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

٢- **المنافقون**: الذين كانوا على عهد رسول الله يظهرون الإيمان ويسرون الكفر، فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم رسول الله ﷺ: «سحقا سحقا».

٣- أصحاب المعاصي والكبائر: الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام[١].

يتضح مما سبق أن المذادين عن الحوض هم القبائل المرتدة بعد وفاة حضرة النبي ﷺ أو المنافقون كما مر، وليسوا صحابة رسول الله ﷺ كما زعمت الرافضة فأحاديث الحوض متواترة رواها الصحابة الكرام أنفسهم وهم أكثر من ستين صحابيا فكيف يعقل أن يرووا من الأحاديث ما يدل على كفرهم وردتهم مع اعتقاد الرافضة أن الصحابة حذفوا الآيات التي تحدثت عن مثالبهم[٢]، فلم لم يكتمو هذا الحديث مع عظم ضرره إن كان يعنيهم؟ فدل على أنهم ليسوا المرادين بهذا الذود.

قال الخطابي فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر: [ولم يرتد من الصحابة أحد

(١) ينظر شرح النووي لصحيح مسلم: ٣/ ١٣٧.
(٢) ينظر الروضة من الكافي للكليني: ٣٥٢، وبحار الأنوار للمجلسي: ٢٨/ ٢٠.

وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة لهم في الدين[١]، وذلك لا يوجب قدحا في الصحابة المشهورين . . . إلى أن قال: ويدل قوله: (أُصيحابي)[٢] بالتصغير على قلة عددهم][٣].

وقول سيدنا المصطفى ﷺ: «أُصيحابي» بالتصغير مذكور في العديد من مصنفات الرافضة[٤]، وهي تدل على قلة عدد من ارتد لا كما تقول الرافضة عن الصحابة أنهم ارتدوا جميعا إلا نفرا يسيراً.

وقد رد ابن قتيبة استدلالهم بهذه الأحاديث فقال: [إنهم لو تدبروا الحديث وفهموا ألفاظه لاستدلوا على أنه لم يرد بذلك إلا القليل، يدلك على ذلك قوله ﷺ: «ليردن علي الحوض أقوام» ولو كان أرادهم جميعاً إلا من ذكروا لقال ﷺ: لتردن عليَّ الحوض، ثم لتختلجن دوني، ألا ترى أن القائل إذا قال: أتاني اليوم أقوام من بني تميم واقوام من أهل الكوفة، فإنما يريد قليلا من كثير، ولو أراد أنهم أتوه إلا نفراً يسيراً، قال: أتاني بنو تميم، أو أتاني أهل الكوفة، ولم يجز ان يقول: قوم، لأن القوم هم الذين يخلفوا، ويدل لذلك أيضا قوله: «يا رب أُصيحابي» بالتصغير وإنما يريد بذلك تقليل العدد. . . إلى أن يقول: وقد ارتد بعده أقوام منهم عيينة بن حصن، ارتد ولحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ. . . إلى أن قال: ولعيينة بن حصن أشباه ارتدوا حين ارتدت العرب، فمنهم من رجع وحسن إسلامه، ومنهم من ثبت على النفاق][٥].

وقال رحمه الله في موضع آخر: [قال قتادة لسعيد بن المسيب: كم كانوا

---

(١) عند الكرماني: ((ممن لا بصيرة له في الدين)) كما في الكواكب الدراري للكرماني: ١٧/ ١٠٦.

(٢) صحيح الإمام البخاري: ٤/ ٢٠٦ وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٨٠٠.

(٣) فتح الباري: ١١/ ٣٢٤.

(٤) ينظر بعض كتبهم مثل: مجمع البيان للطبرسي: ١/ ٤٨٥، وتفسير الصافي للكاشاني: ١/ ٢٨٨، ومرآة العقول، شرح الروضة للمجلسي: ٤/ ٣٥٦ والوشيعة: ٦٢، وأصول الكافي: ١/ ٤٢٠، والكافي للكليني: ٣/ ٣٢٥.

(٥) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٥٨.

في بيعة الرضوان؟ -يعني أصحاب النبي ﷺ- قال: خمس عشرة مائة، قال: فإن جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع عشرة مائة، قال: أوهم رحمه الله، هو الذي حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة... فكيف يجوز ان يرضي الله عز وجل عن أقوام ويحمدهم، ويضرب لهم مثلاً في التوراة والانجيل وهو يعلم انهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ إلا ان يقولوا أنه لم يعلم ! وهذا هو شر الكافرين][1].

ويدل على أن الله عز وجل رضي عن أصحابه ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[2].

وبين المفسرون: ان اللام موطئة لقسم محذوف أي والله لقد رضي الله عن المؤمنين حين يبايعوك يا رسول الله بيعة الرضوان تحت ظل الشجرة بالحديبية[3].

وقول حضرة النبي ﷺ: «لا يدخل النار ان شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»[4] دليل واضح على فساد قول الرافضة وحجتهم.

وقال ابن تيمية رحمه الله: [وقد علم بالاضرار أنه كان هؤلاء -أي أصحاب الشجرة- السابقين الأولين: أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير، وبايع النبي ﷺ بيده عن عثمان، لأنه كان غائبا قد أرسله إلى أهل مكة ليبلغهم رسالته، وبسببه بايع النبي ﷺ الناس لما بلغه انهم قتلوه][5].

وروى الرافضة عن سيدنا أبي جعفر محمد الباقر رضي الله عنه وأرضاه ان عدد الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة كان الفا ومائتين -وفي رواية- الفا وثلاثمائة[6].

---

(١) المصدر نفسه: ١٥٩.
(٢) سورة الفتح: الآية ١٨.
(٣) ينظر تفسير البحر المحيط لابن حيان: ٨/ ٨٨، والقرطبي: ١٦/ ٢٧٤ ومختصر ابن كثير: ٣/ ٣٤٥ والاعتقاد للبيهقي: ١٨٠.
(٤) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٩٤٢.
(٥) منهاج السنة لابن تيمية: ٢/ ٢٧ وينظر تفسير القرطبي: ١٦/ ٧٤ وابن كثير: ٣/ ٣٤٥.
(٦) ينظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر اشوب: ٢/ ٢٢، والبرهان للبحراني: ٤/ ١٩٦-١٩٧.

ولكن رغم تسليمهم لهذه النصوص فإنهم يرون أن الرضا الذي وقع في بيعة الرضوان والمغفرة العامة لأهل بدر كلها مشروطة بسلامة العاقبة وعدم النكث(١).

وترد عليهم المناظرة التي جرت بين الإمام أبي جعفر محمد الباقر رضي الله عنه وأرضاه وأحد الخوارج فإن الإمام الباقر عليه السلام احتج على الخارجي بأحاديث في فضائل سيدنا امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والخارجي ردها بقوله: أحدث الكفر بعدها.

فقال له الإمام أبو جعفر: ثكلتك أمك أخبرني عن الله أحب علي بن أبي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟

قال: لئن قلت: لا كفرت، قال: فقال: قد علم.

قال رضي الله عنه: فأحبه الله على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته؟ فقال: على أن يعمل بطاعته، فقال له الإمام أبو جعفر عليه السلام، فقم مخصوما(٢).

وكذلك الصحابة الكرام العدول رضوان الله عليهم أجمعين قد أخبر الله تعالى بأنه رضي الله عنهم وأمر بالاستغفار لهم، والرضا من الله تعالى صفة ازلية، وهو سبحانه لا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضا، ومن رضي الله عنه لا يسخط عليه أبدا، وخبر الله لا ينسخ ولا يبدل ولا يجوز ان يتناقض أبدا، ومن دفع خبر الله برأيه ونظره كان ملحدا(٣).

وقد نهج بعض الرافضة منهجا آخر في دفع نصوص الرضا عن الصحابة الكرام سحايب رحمة الله عليهم أجمعين بقولهم:

١- إن الله تعالى قال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ ولم يقل:

---

(١) ينظر المفصح في الإمامة للطوسي: ١٢٩، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠/ ٢٩ والبرهان للبحراني: ٤/ ١٩٦ واحقاق الحق للتستري: ٨، والدرجات الرفيعة للشيرازي: ٢٥.

(٢) ينظر الرواية في كتاب الروضة من الكافي للكليني: ٤٢١.

(٣) ينظر العقائد النسفية: ١٨٠، ودرء العقل والنقل لابن تيمية: ٥/ ٢٠٨ ونور الإسلام: ١٤٨.

لقد رضي عن المبايعين(١) وهذا قول الكليني.

٢- قال محمد مهدي الخالصي: [لو أنه قال: لقد رضي الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة، أو عن الذين بايعوك، لكان في الآية دلالة على الرضا عن كل من بايع ولكن لما قال: «لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك» فلا دلالة فيها إلا على الرضا عمن محض الإيمان](٢).

٣- قال المامقاني: [إن الآية إنما نطقت برضاه عن المؤمنين المبايعين تحت الشجرة، ولم تدل على رضاه عن كل مبايع تحتها وأن كان منافقا، ولو قال: لقد رضي الله عن المبايعين تحت الشجرة لدل على رضاه عن آحادهم، ولم يقل ذلك بل علق الرضا على الإيمان والبيعة جميعاً](٣).

ويرد عليهم قوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ فإن إذ ظرف وسواء كانت ظرفا محضا أو كانت ظرفا فيها معنى التعليل، فإنها تدل على تعلق الرضا بالمبايعين فعلم أن جميع المبايعين من المرضى عنهم(٤).

وكذلك اللام في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ﴾ موطئة لقسم محذوف أي والله لقد رضي الله عن جميع المؤمنين حين بايعوك يا رسول الله تحت ظل الشجرة بالحديبية(٥).

ويردهم أيضا قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾(٦) قال ابن كثير: [وهم الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله ﷺ وانقادوا لحكم الله ورسوله، فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيمانا مع إيمانهم ويقيناً إلى يقينهم](٧).

---

(١) ينظر الروضة من الكافي للكليني: ٤٢٥.

(٢) احياء الشريعة في مذهب الشيعة للخالصي: ١/ ٦٣-٦٤ ومحمد مهدي الخالصي مجتهد معلوم عند الشيعة الإمامية.

(٣) تنقيح المقال للتمقاني: ١/ ٢١٦.

(٤) ينظر تفسير الرازي: ٢٨/ ٩٥ والقرطبي: ١٦/ ٢٧٥ وتفسير أبي حيان الأندلسي: ٨/ ٩٧ وابن كثير: ٣/ ٣٤٥.

(٥) تفسير الصابوني: ٣/ ٢٢٣.

(٦) سورة الفتح: الآية ٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٤٦.

وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[١] وكل عالم منصف يعلم من هم السابقون من المهاجرين، ومن هم الأنصار[٢]، ومن هم الذين اتبعوهم بإحسان، كما يعلم أن من أخبر الحق سبحانه في قرآنه المجيد بأنه رضي الله عنهم وأنهم رضوا عنه وأنه اعد لهم جنات رفيعة الدرجات، لا شك في تحقق ما وعد به في حقهم ومن أصدق من الله قيلا[٣].

ويرد عليهم أيضا بما ذكره البحراني وهو من علمائهم عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة، فقال لنا النبي ﷺ: «انتم اليوم خيار أهل الأرض» فبايعنا تحت الشجرة على الموت، فما نكث أصلاً أحد إلا ابن قيس وكان منافقا[٤].

فإن قيل: من هذا الذي نكث عن البيعة؟

يجاب عنه: أنه الجد بن قيس تخلف عن بيعة الرضوان تحت الشجرة، واستقر بجمل أحمر، وجاء في الحديث الشريف: «كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر»[٥] فتخلف عن البيعة فكان من المنافقين، وحضر البيعة مع المؤمنين روح القدس سيدنا جبريل الأمين عليه السلام، فعلم الله عز وجل ما في قلوب المؤمنين من الإخلاص وصدق الضمائر والوفاء والسمع والطاعة لما بايعوا عليه رسول الله ﷺ فرزقهم الطمأنينة وسكون النفس عند البيعة

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

(٢) روي عن الشعبي انهم الذين بايعوا بيعة الرضوان، والصحيح هم جميع الصحابة هم السابقون في الهجرة والنصرة وهو ما رجحه الطبري واختاره الرازي، ينظر الصابوني: ١/ ٥٥٩.

(٣) ينظر تفسير الطبري: ١١/ ١٢ والرازي: ١٦/ ١٧٤ وأبو حيان الأندلسي: ٢/ ٩٢ وابن الجوزي: ٣/ ٤٩١.

(٤) ينظر البرهان للبحراني: ٤/ ١٩٧.

(٥) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ٢١٤٥ كتاب صفات المنافقين، وينظر تفسير القرطبي: ١٦/ ٢٧٤ وذكر القصة كاملة وابن كثير: ٣/ ٣٤٥ وسعيد حوى في تفسيره: ٩/ ٥٣٦٤ والصابوني: ٣/ ٢٢٣ والاستقامة لابن تيمية: ٢/ ٢٨٧.

والرضوان إلى يوم الدين، وأثابهم الفتح والخير الكثير، ومنه الورود على الحوض في عرصات يوم القيامة ونهر الكوثر في الجنة آمنين[١].

وبهذا يتبين أن الصحابة الكرام سحايب رحمة الله عليهم أبعد الناس عن الاتصاف بصفة الارتداد أو النفاق، كيف لا وقد رضي الله عنهم ورضي رسوله المصطفى ﷺ عنهم، وصرح الحق تعالى بذلك وصرح رسوله ﷺ في مواضع عديدة منها:

قال حضرة النبي ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذي يلونهم... الخ الحديث»[٢].

وقوله ﷺ: «فيغزوا فئام من الناس... فيقال: هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم، فيفتح لهم به.. الخ الحديث»[٣].

وقوله ﷺ لعبد حاطب: «كذبت لا يدخلها -أي النار- فإنه شهد بدرا والحديبية»[٤].

وقوله ﷺ: «لا تمس النار مسلماً رآني أو رأى من رآني»[٥].

وقوله ﷺ: «ما من أحد من أصحابي يموت بأرض إلا بعث قائداً ونوراً لهم يوم القيامة»[٦].

وبعد التشرف بهذه الباقة العطرة من أحاديث المصطفى ﷺ نجزم بان الصحابة الكرام ليسوا هم الذين يختلجون أو يطردون أو يذادون عن الحوض المورود، بل هم أول الناس ورودا عليه وأولهم شرباً منه لفضلهم، فهم أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين[٧].

---

(١) ينظر تفسير الرازي: ٢٨/٩٦ والقرطبي: ١٦/ ٢٧٤ و ٢٠/٢١٦ وتفسير أبي حيان الأندلسي: ٨/ ٩٧.

(٢) ينظر القسطلاني: ٩/٤١٨.

(٣) القسطلاني في شرحه: ٢/ ٩٢، وشرح مسلم في هامشه: ٩/ ٤١٧.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: ٣٩٥٦ وينظر التاج الجامع: ٣/ ٢٧٢.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: ٣٩٥٧.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه: ٣٩٤٩.

(٧) ينظر شرح العقائد النسفية للتفتازاني: ١٨٠.

أما الرافضة فإنهم لشدة جهلهم وانطماس بصائرهم بدلوا قولا غير الذي قيل لهم، فجعلوا حال أهل عليين كمن هو في اسفل سافلين، فمن هم المقصودون إذاً بالذود عن الحوض؟ انهم الذين قصروا بواجبهم نحو الرسول الأعظم ﷺ، فمن أهم وأعظم واجبات المسلم الموحد التقي نحو نبيه ﷺ عدم إيذاءه باي نوع من أنواع الأذى، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

والايذاء شامل: للسب أو الطعن به أو بشرعه أو بزوجاته الطاهرات أو الطعن بآل بيته الأطهار أو أصحابه الأخيار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين[٢].

وقد تمزيت هذه الفرقة المكفرة بتوجيه الأذى إلى حضرة النبي ﷺ من خلال طعنهم بأصحابه الكرام فقسموهم إلى فريقين:

فريق قليل العدد جدا، منهم أجلاء الصحابة وعلمائهم المجتهدون في جيلهم، فأصحاب رسول الله ﷺ على حد زعمهم هذا هم قلة قليلة مؤمنة وكثرة كاثرة كافرة[٣].

وعلى هذه الكثرة الكاثرة استدلت نحلة الشقاق والتكفير من الرافضة بجملة من آيات القرآن المجيد النازلة في شأن الكفار والمشركين، وأخذت تطبقها على الصحابة الأطهار، وتذهب إلى أنها نازلة في أحوال جمهور الأصحاب بعد وفاة النبي ﷺ، وأن من هذه الجملة الآيات العظيمات في قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾[٤].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦١.

(٢) ينظر تفسير الزمخشري: ٢/ ٢٨٤ وزاد المسير: ٣/ ٤٦٣ وابن كثير: ٢/ ١٤٧.

(٣) ينظر الكافي للكليني: ٣/ ٣٢٥، وأصول الكافي: ١/ ٤٢٠ والوشيعة: ٦٢-٦٦.

(٤) سورة النساء: الآيات ٥٠-٥٢ وينظر سبب نزول الآيات في اليهود وادعائهم انهم أبناء الله واحباؤه في تفسير الطبري: ٨/ ٤٥٠ والزمخشري: ١/ ٤٠٤ وأبي حيان الأندلسي: ٣/ ٢٦٦.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾[1].

وهذا الكليني إمام في هذه الفرقة القديمة[2] يفسر الآيات المتلوات آنفا فيقول: [إن الآية الاخيرة نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان، آمنوا بالنبي أولا، ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية علي، ثم آمنوا بالبيعة لعلي، ثم كفروا بعد موت النبي، ثم ازدادوا كفرا بأخذ البيعة من كل الأمة][3].

فبعد كل هذا الايذاء لحضرة خاتم الأنبياء والمرسلين من قبل هذه النحلة المنحرفة فهل يتوقعون الورود على حوضه ﷺ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾[4] أي ان مبغضك يا رسول الله هو المنقطع عن كل خير وبركة وملعون عند أهل السماوات والأرض[5].

زيادة على أنهم احدثوا في دينه ما ليس منه، فما على المنصفين منهم إلا التوبة النصوحة والاسراع في التخلي عن تلك الأفكار المريضة التي اخلت في عقيدتهم الإسلامية، اللهم أشهد أني قد بلغت، والله تعالى نسأله العفو والعافية والمعافات الدائمة في الدين والدنيا والآخرة إن ربنا سميع الدعاء.

المبحث الرابع

عرض الأعمال على الرسول ﷺ والرد على النحل المحدثة

إن من المعلوم في اعتقاد أهل الحق ان الله عز وجل أطلع نبيه الكريم ﷺ وهو في الحياة الدنيا على أعمال الأمم السابقة وأعمال أمته فيما بعد، وأراه عوالم الآخرة والجنة والنار وغير ذلك مما لا تحيط به العقول، ولا يعلم حقيقته إلا الله سبحانه وتعالى، وكذلك اطلاع نبيه الكريم ﷺ على أعمال أمته

(١) سورة النساء: الآية ١٣٧.
(٢) ينظر معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي: ١٣٩.
(٣) الكافي للكليني: ٣/ ٣٢٥، وينظر أصول الكافي: ١/ ٤٢٠.
(٤) سورة الكوثر: الآية ٣.
(٥) ينظر صفوة التفاسير: ٣/ ٦١٢.

وهو في حياته البرزخية المباركة، خيرها وشرها، سرها وعلنها، فرادى وجماعات وأدلة صحة ذلك كثيرة صحيحة.

أدلة عرض الأعمال على النبي ﷺ

١- استغفاره ﷺ لأمته بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[(١)] واستغفار النبي ﷺ ليس عن ذنب نفسه، وإنما عن ذنوب أمته، وإذا استغفر عن نفسه فلئلا يقع منه الذنب، وليعصمه الله تعالى من الذنوب[(٢)]، وإنما يفعل ذلك لتسنن به أمته من بعده، لأنه لا ذنب له، وإذا وقع فهو مغفور[(٣)].

وأمر الله عز وجل لرسوله ﷺ أن يستغفر لذنوب أمته غاية الاكرام لهذه الأمة لأنه الشفيع المجاب فيهم، وأن هذا الاستغفار يتم بعد علمه ومعرفته بذنوب العباد، لأن أعمالهم تعرض عليه وهو في الحياة الدنيا وهو في عالم البرزخ، لأنه ﷺ غير منقطع الصلة فيهم[(٤)].

وقال الخازن: [وسبب الاستغفار ما أطلعه عليه من أحوال أمته بعده، فأحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم][(٥)] والاستغفار لذنوب المؤمنين والمؤمنات بالدعاء، والتحريض لهم على فعل ما يستدعي أن يغفر الله لهم.

٢- شهادته ﷺ على الخلائق يوم القيامة، ولا سيما أمته، والشهادة من لوازمها المشاهدة وإبصار الحدث والعمل على ما هو عليه في الحقيقة والواقع، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[(٦)] وذهب العلماء رحمهم الله تعالى إلى أن المشار إليهم هم أمته ﷺ على ارجح الأقوال يشهد على من رآه منهم ومن لم يره[(٧)].

---

(١) سورة سيدنا محمد ﷺ: الآية ١٩.
(٢) ينظر تفسير الماوردي: ٥/ ٣٠٠، والقرطبي: ١٦/ ١٦٠.
(٣) ينظر تفسير البغوي: ٤/ ١٨٢، وتفسير الرازي: ٢٨/ ٦١، وتفسير الخازن: ٤/ ١٤٥.
(٤) ينظر تفسير البغوي: ٤/ ١٨٣، وتفسير الخازن: ٤/ ١٤٥، والقرطبي: ١٦/ ١٦٠.
(٥) ينظر تفسير الخازن: ٤/ ١٤٥. (٦) سورة النساء: الآية ٤١.
(٧) ينظر تفسير الطبري: ٥/ ٩٢، تفسير الماوردي: ١/ ٤٨٨، تفسير البغوي: ١/ ٤٢٩، الزمخشري: ١/ ٥١٢.

فعن محمد بن فضالة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاهم في مسجد بني ظفر، فجلس على الصخرة التي في مسجد بني ظفر اليوم، ومعه عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأناس من أصحابه، فأمر رسول الله ﷺ قارئا فقرأ حتى أتى على هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ فبكى رسول الله ﷺ حتى اضطرب لحياه، فقال: «أي رب! شهدت على من أنا بين ظهريه، فكيف بمن لم أر»[(١)].

وكذلك يشهد على الأمم السابقة، ويؤيد هذا الرأي عموم الآية والروايات في أعلاه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول هل بلغت؟ فيقول: نعم! فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير! فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا»[(٢)].

فإذا علمنا أن الشهادة من المشاهدة والرؤية علمنا أن شهادة رسول الله ﷺ ناتجة عن الرؤية والمشاهدة وإنها ليست ناتجة عن الإعلام، وبذلك تكون شهادة على الشهادة، ولا يخفى أن شهادة الرؤية أكمل وأتم وأعلى، وسواء شهد النبي ﷺ على الأنبياء وأممهم[(٣)] أو على أمته فكل ذلك ناتج عن الرؤية والمشاهدة بعين البصر والبصيرة، والحق أن الشهادة واقعة على الكل، فيشهد على الأمم السابقة بما رآه الله سبحانه وتعالى من أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم ويشهد على أمته بما يريد الله عز وجل من أعمالها في الحياة الدنيا لمن حضره ولمن غاب عنه، فإذا كان في البرزخ عرضت الأعمال عليه، بل هناك خبر يفيد أن العرض حاصل في الدنيا والآخرة، فعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: [ليس من يوم إلا تعرض على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية،

---

(١) المعجم الكبير: ١٩/ ٢١٤ (٥٤٦)، ومجمع الزوائد: ٧/ ٤ وقال: رجاله ثقات، والدر المنثور: ٢/ ٥٤٢ وحسنه بحر العلوم: ٢/ ٣٢٨.

(٢) صحيح البخاري بشرح الفتح: ٤٤٨٧، ٣٣٣٩، الترمذي في سننه: ٢٩٦١، مسند أحمد: ٣/ ٣٢، الدر المنثور: ١/ ٣٤٩، المشكاة: ٥٥٥٣.

(٣) ينظر روح المعاني للآلوسي: ٥/ ٣٤.

فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم][١].

٣- رده ﷺ السلام على كل من يسلم عليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله الي روحي، حتى أرد عليه السلام»[٢].

فهذا نص في أن السلام على النبي ﷺ يعرض عليه، وهو ﷺ حي طري في قبره الشريف، وعوده الروح هنا إشارة إلى رد السلام على المسلم، لأن حياته ﷺ في القبر مستمرة، ويبعد أن يخلو الوجود كله من أحد يسلم عليه، ولا يشغله ﷺ في عالم البرزخ بأحوال الملكوت والاستغراق فالمشاهدة في رد السلام على من سلم عليه، فهو في الدنيا والبرزخ والعقبى في شأن أمته ﷺ[٣].

٤- عرض الصلاة عليه ﷺ من أمته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا... وصلوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[٤]، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة. فإنها معروضة عليَّ»[٥] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي محمد ﷺ قال: «إن لله سبحانه وتعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام»[٦].

---

(١) ينظر القرطبي: ٥/ ١٢٩، ومواضع الاقتران في القرآن الكريم بين اسم الله تعالى الرسول محمد ﷺ: ٢٣٦.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٢/ ٥٢٧، سنن أبي داود: ٢٠٤١، مشكاة المصابيح: ٩٢٥، السنن الكبرى: ٥/ ٤٥، الترغيب والترهيب: ٥/ ٢٤٥/ مجمع الزوائد: ١٠/ ١٦٣، صححه النووي في الاذكار: ١٠٧، والرياض، وقال ابن حجر: رواته ثقات، فيض القدير: ٥/ ٤٦٧، الحاوي: ٢/ ٢٦٤-٢٧٠.

(٣) ينظر فيض القدير: ٥/ ٤٦٧.

(٤) سنن أبي داود: ٢٠٤٢، مسند أحمد: ٢/ ٣٤٧، المصنف لابن أبي شيبة: ٢/ ٢٥٦، الشكاة: ٩٢٦، امالي الشجري: ١/ ١٠٧، ١٢٠، ١٠٨.

(٥) الدر المنثور: ٦/ ٦٥٥، وابن أبي شيبة: ٢/ ٣٦٧، المشكاة: ١٣٦٦، اتحاف السادة المتقين: ٣/ ٢٤١، كشف الخفا: ١/ ١٨٩.

(٦) رواه النسائي في سننه: ١/ ١٤٣، والإمام أحمد في مسنده: ١/ ٣٨٧، والهيتمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ١٣٢، وابن المبارك في الزهد: ٣٦٤.

وتدل هذه الروايات على أن العرض مطلق في جميع الأوقات وأما أن العرض يوم الجمعة على وجه خاص، وقبول خاص لأنه أفضل أيام الاسبوع، وأن العرض مستمر عليه للصلاة والأعمال قال الحافظ المناوي: [وكفى بالعبد شرفا ونبلا وفخرا ورفعة قدر ان يذكر اسمه بالخير بين يدي رسول الله ﷺ](١). وقال حماد الكوفي: [ان العبد إذا صلى على النبي ﷺ عرض عليه باسمه](٢) بل هي سبب لقبول الأعمال قال الشيخ وليد الأعظمي:

أدم الصلاة على الحبيبِ محمدٍ ... فقبولها حتم بلا ترددِ
أعمالُنا بين القبولِ وردِها ... إلا الصلاة على الحبيب محمدِ(٣)

٥- عرض أعمال العباد عليه ﷺ: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حياتي خير لكم! تحدثون يحدث لكم، ومماتي خير لكم! تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت لكم»، وفي رواية أخرى عنه ﷺ: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم» فإذا أنا مت، كانت وفاتي خير لكم، تعرض عليَّ أعمالكم، فإن رأيت خيرا حمدت الله، وإن رأيت شراً استغفرت لكم»(٤).

وعن أنس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم»(٥).

فهذه الروايات تدل على عرض الأعمال على سيدنا محمد ﷺ، وعلى دوام الخيرية فيه لهذه الأمة، وأن نفعه لهذه الأمة مستمر في الدنيا والبرزخ

---

(١) فيض القدير: ٢/ ٨٧.
(٢) الزهد لابن المبارك: ٣٦٤ (١٠٢٩) وفضل الصلاة على النبي للقاضي اسماعيل: ١١.
(٣) نفحات قلب للشاعر وليد الاعظمي رحمه الله: ٤٨.
(٤) الجامع الصغير: ١/ ٥٨٢ (٣٧٧٠) وعزاه للحارث بن أبي أسامة، ورمز لضعفه، ويشهد له ما سبق من الاحاديث، ينظر فيض القدير: ٣/ ٤٠٠-٤٠١.
(٥) كشف الأستار عن زوائد البزار: ١/ ٣٩٧ (٨٩٥)، ومجمع الزوائد: ٩/ ٢٥ وقال: روه البزار ورجاله رجال الصحيح، والطبقات الكبرى: ٢/ ٢، والجامع الصغير: ١/ ٥٨١ (٣٧٧١)، وفيض القدير: ٣/ ٤٠١، وكشف الخفا: ١/ ٤٤٢ (١١٧٨)، والكامل لابن عدي: ٣/ ٩٤٥، والمطالب العالية: ٤/ ٢٣.

والآخرة، فحياته خير طالما أنه في الحياة، فإن هو انتقل إلى الرفيق الأعلى كانت وفاته خيرا.

قال الحافظ المناوي: [ومن فوائد الموت عرض الملائكة صلاة من صلى عليه، والتوجه في آن واحد إلى ما لا يحصى من أمور الأمة، ولم يثبت ذلك في الحياة][1].

والذي يبدو للباحث ان في ذكر النبي ﷺ عرض الصلاة عليه والأعمال في الآخرة، اشارة وتنبيه إلى أن ذلك كان في الحياة الدنيا أتم وأكمل، فإذا كان البرزخ والموت والاستغراق في الشهود لا يحجبه عن رؤية الأعمال، فكيف إذا كان في الدنيا والمناسبة حاصلة بينه وبينهم، ومن نظر في سيرته ﷺ علم أنه كاشف أصحابه بما يدل على أن الله قد أراه أعمالهم وأحوالهم وأراه المعنويات من خشوع وخضوع ومحبة وإيمان وكفر وغير ذلك من المحسوسات المشاهدة وهو القائل ﷺ: «أقيموا صفوفكم وتراصوا، فإني أراكم من وراء ظهري»[2] وقوله ﷺ: «والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي»[3].

وحدث وكاشف أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين بأمور ومسائل كثيرة وغير ذلك مما لا يحصى، فهو في الحياة الدنيا، وفي البرزخ وفي الآخرة يسأل الله سبحانه لأمته الخير، وأن يرفع الله عنهم الشر، ولكل صنف منهم دعاء خاص فللمتهافتين التوبة، وللتائبين الثبات، وللمستقيمين الإخلاص، ولأهل الصدق والوفاء وللصديقين وفور الحظ، فبين بقوله ﷺ: «ومماتي خير لكم» عدم انقطاع النفع بالموت، بل الموت في وقت انفع ولو من وجه[4].

والآثار تؤكد شيوع مفهوم عرض الأعمال على حضرة النبي ﷺ، ومما

(١) فيض القدير: ٣/ ١٠٤.
(٢) صحيح الإمام البخاري بشرح الفتح: ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٥، وصحيح الإمام مسلم بشرح االنووي: ٤/ ١٥٦.
(٣) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي: ٤/ ١٤٩، مسند الإمام أحمد: ٣/ ١٧٧، ٢٥٤، مسند أبي عوانة: ٢/ ٣٨-٣٩ والسنن الكبرى: ٢/ ٢٢، ٣/ ١٠٠، شرح السنة: ٣/ ٣٦٨.
(٤) ينظر السيرة النبوية لابن هشام: ٤/ ٥٩، والشفا: ١/ ٦٩٢، وفيض القدير: ٣/ ٤٠٠.

يؤكد مسألة عرض الأعمال عليه ﷺ شيوع هذا الأمر بين الصحابة رضي الله عنهم وتداوله على أنه حقيقة مطلقة لا تقبل النقاش ولا الجدال فعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: [ليس من يوم إلا تعرض على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم][(١)].

وعن مجاهد رضي الله عنه مرسلا قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تعرضون عليَّ بأسمائكم ومسماكم، فأحسنوا الصلاة عليَّ»[(٢)]. وعلى هذا فإن النصوص قد تظافرت على أن أعمال العباد تعرض على رسول الله ﷺ، والأحاديث الواردة في عرض الأعمال جاءت بصيغة العموم، إذ أن من المعلوم أن إضافة الجمع على الجمع (أعمال أمتي) تفيد العموم، أي أن جميع أعمال العباد تعرض عليه، وهو ﷺ يستغفر للمؤمنين واستغفاره ﷺ مقبول لكل من استغفر له، وفي هذا رد على كل من أنكر حياته البرزخية المباركة[(٣)].

فإن قيل: إن هذا المفهوم معارض من جهتين:

الأولى: تظافرت آيات الكتاب الكريم، والأحاديث النبوية الصحيحة المتواترة ونصت على حساب العصاة وعقوبتهم، وهذا يعارض استغفار رسول الله ﷺ لهم؟.

والثانية: ورد من طرق عدة عن رسول الله ﷺ في حديث الحوض: «وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال إنك لا تدري ما عملوا بعدك! فأقول سحقا، سحقا لمن بدل بعدي»[(٤)] وفي رواية: «... إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك....»[(٥)] وهناك

---

(١) الزهد لابن المبارك: ٤٢: (١٦٦) زوائد الزهد، وتفسير القرطبي: ٥/ ١٢٩.

(٢) أخرجه عبد الرزاق مرسلا في مصنفه: (٣١١)، الدر المنثور: ٦/ ٦٥٢، وكنز العمال: (٢١٩٥) وينظر مواضع الاقتران: ٢٤٤.

(٣) ينظر جميع الكتب والكرايس التي تطبع في السفارت والقنصليات والزوايا المظلمة للنيل من حضرة النبي ﷺ. وينظر على سبيل المثال كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب وفتح المجيد لحفيده وغيرها من التي توزع على الحجاج والمعتمرين.

(٤) صحيح الإمام البخاري: ٦٥٨٣ و ٦٥٨٤ و ٧٠٥٠ و ٧٠٥١، وصحيح الإمام مسلم: ١٥/ ٥٣ و ١٥/ ٥٤.

(٥) صحيح الإمام البخاري: ٦٥٧٦ و ٦٥٨٢ وصحيح الإمام النووي: ١٥/ ٥٥ و ١٥/ ٥٦.

روايات أخرى في هذا المعنى ذكرناها في الفصل الأول والثاني بالتفصيل، وهذا يعارض عرض أعمال الأمة عليه، والاستغفار للمسيء منهم، فكيف يمكن التوفيق بين الأدلة لإزالة المعارضة بين النصوص؟

يجاب عنه: لإزالة التعارض بين النصوص عدة اساليب منها:

١- أن يوازن بين الأدلة فيقدم الصحيح على غيره، أو يقدم المتواتر على الصحيح، وهذا الاسلوب لا يمكن العمل به، لأن الروايات متوازنة صحة وكثرة، لذا لا سبيل إلى ترجيح بعضها إلى بعض لأنها متكافئة.

٢- أن تدرس إمكانية الجمع بين الأدلة، وأعمال كل نص في موضعه حينذاك، سبق ان عرفنا أن نصوص عرض الأعمال تفيد العموم، أي أن جميع الأعمال تعرض، لذا لابد من حمل الرواية على زمر قليلة جاءت لترد الحوض، فاعترضتهم الملائكة فلم يرد منهم إلا القليل الذين استمروا على العهد، وحفظوا الود، واستقاموا على الشريعة الغراء، وجاءوا قدرا مع هؤلاء المطرودين إظهارا لفضلهم، وتبكيتا وتنكيلا بالذين غيروا وبدلوا، إذ أنهم يرون الحوض، ثم هم على وشك الورود، يحال بينهم وبين ذلك، وفي هذا الوقت يؤذن لآخرين بالورود وأن كان ظاهرهم أنهم مع هؤلاء، إذ قد قدموا معهم إلى الحوض، فمن هؤلاء الذين اختلجوا عن الحوض من أصحاب رسول الله ﷺ[1].

فإن قيل: كيف يمكن توجيه النصوص والجمع بينها؟

يجاب عنه: إن أهل العلم أجابوا على هذا السؤال بجوابين.

الأول: إن هؤلاء هم الذين ارتدوا عن الإسلام على عهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما مر سابقا، فقاتلهم سيدنا أبو بكر الصديق والمسلمون، حتى قتلوا وماتوا على الكفر، وقد اعترض الخطابي على ذلك فقال: [لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب، ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحا في الصحابة المشهورين، ويدل قوله ﷺ:

(١) ينظر مواضع الاقتران في القرآن الكريم: ٢٤٦.

«أصيحابي» على قلة عددهم][(١)].

وذهب آخرون إلى نفي ذلك عن الصحابة جملة وتفصيلا، وقالوا: [النص على ظاهره من الكفر، لكن المراد بقوله ﷺ: «أمتي» أمة الدعوة لا أمة الإجابة، ويرجحه قول النبي ﷺ: «فأقول: سحقا سحقا لمن غير بعدي»، وفي لفظ: «فأقول بعدًا لهم وسحقا»، ويؤيده: كونهم قد خفي عليه حالهم، ولو كانوا من أمة الإجابة لعرف حالهم بكون أعمالهم تعرض عليه][(٢)] وهو قول الخطابي، رحمه الله.

وهذا الرأي مردود بالنصوص الصريحة الناصة على الصحبة من جهة، والناصة على المعرفة من جهة أخرى، فهو ﷺ يعرفهم ويعرفونه، وما ذهب إليه الخطابي يحتاج إلى دليل، إلا أن يعني بالصحبة من طالت صحبته لرسول الله ﷺ، لأن الصحابي هو من رآه النبي أو رأى النبي ﷺ ومات وهو على الإسلام، أو كل من اجتمع مع حضرة النبي ﷺ مؤمنا ومات على ذلك، كما هو المشهور عند أهل العلم، ومن مفهوم تعريف الصحابي نعلم أن من الصحابة من ارتد ثم رجع إلى الإسلام، وهذا يخالف ما ذهب إليه الخطابي، فالاعراب الذين ذكرهم الخطابي أنهم ارتدوا كانوا في عداد الصحابة حسب التعريف المشهور للصحبة، والردة محبطة للعمل، وبذلك يكون النبي ﷺ قد عرفهم بأسمائهم وأعيانهم باعتبار ما كانوا عليه قبل الردة[(٣)].

وذكر القاضي عياض أن ظاهر أحاديث الحوض تدل على أن جميع الأمة يشربون من الحوض إلا من ارتد وصار كافرا، فكل من ورد الحوض شرب منه، وإنما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم[(٤)].

ويرجع وجود المرتدين في الصحابة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني، حتى إذا رأيتهم اختلجوا

(١) فتح الباري: ١١/ ٣٨٥.
(٢) المصدر نفسه: ١١/ ٣٨٥.
(٣) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي: ٣/ ١٣٦، وفتح الباري: ١١/ ٣٨٦.
(٤) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي: ١٥/ ٥٤.

دوني، فلاقولن، أي رب أصيحابي! فليقالن لي: إنك لا تدري ما احدثوا بعدك»[(١)]، قال القاضي عياض: [هذا دليل لصحة تأويل انهم أهل الردة، ولهذا قال فيهم: «سحقا سحقا» ولا يقول في مذنبي الأمة، بل يشفع لهم ويهتم لأمرهم][(٢)].

الثاني: هؤلاء هم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ واستمروا على النفاق إلى أن توفاهم الله عز وجل، وهؤلاء يعرفهم رسول الله ﷺ بالأسماء والأعيان في حياته، ويؤيد ذلك قوله ﷺ: «أما شعرت ما عملوا بعدك»[(٣)]، إذ فيه اشارة إلى أنه يعرفهم بأسمائهم لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم في الظاهر، فتدخل في قلبه الشفقة والرحمة بهم، فيقال له: «ارتدوا بعدك» أي: لم يموتوا على ظاهر ما فارقتهم عليه من إظهار الإسلام، فمن عرف صورته ناداه مستصحبا الحالة التي فارقه عليها في الدنيا[(٤)]، والواقع التاريخي يقول بوجود منافقين بعد رسول الله ﷺ وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يعرفهم وسيدنا عمر الفاروق يسأله عنهم[(٥)].

الثالث: وهناك وجه ثالث غير بعيد وهو دخول بعض من صحب النبي ﷺ فيما شجر بين الصحابة عن هوى وحقد لا عن رأي واجتهاد، فهؤلاء لا يردون على رسول الله ﷺ الحوض بسبب ما طرأ عليهم من اتباع الاهواء، وترك الحق الأبلج، وقد دخل بعض هؤلاء الفتنة بين أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها وسيدنا علي رضي الله عنه، وبعضهم في الفتنة بين سيدنا الزبير وطلحة وبين سيدنا علي رضي الله عنهم أجمعين وبعضهم في فتنة سيدنا علي كرم الله وجهه وسيدنا معاوية رضي الله عنه، فمن دخل هذه الفتنة طلبا للدنيا، واتباعا للهوى، فلا شك أنه سيطرد عن الحوض، إذ ان هؤلاء دفعتهم إلى دخول الإسلام الرغبة والرهبة، والخوف والرجاء فكم من رجل أظهر دخول الإسلام

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٥/ ٦٤-٦٥.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٥/ ٦٥.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٥/ ٥٥.
(٤) المصدر نفسه: ٣/ ١٣٧ وفتح الباري: ١١/ ٣٨٦.
(٥) ينظر مواضع الاقتران في القرآن الكريم: ٢٤٧.

وهو يريد الكيد للإسلام، بل يريد قتل نبي هذه الأمة ﷺ، وقد حدثنا التاريخ عمن أكتشف أمره، وظهرت سريرته، وبقي أناس لم يكشف الله عز وجل ستره عنهم، فلما كان يوم القيامة، كشفت السرائر، وحصل ما في الضمائر، وافتضح أصحاب الكفر والمعاصي(١).

فإن قيل: هل يلزم من ورود هؤلاء الحوض دخولهم النار؟

يجاب عنه: إن في ذلك وجوه منها:

١- إن الذين ارتدوا عن الإسلام إلى الكفر، والمنافقين، والذين دخلوا في الإسلام رغبة ورهبة ولم يدخل الإيمان قلوبهم لا شك في أنهم من أهل النار لتواتر النصوص على ذلك.

٢- إن بعض الذين يذادون عن الحوض يكون ذلك عقوبة لهم، ثم يرحموا، قال البيضاوي: [ليس قوله: (مرتدين) نصا في كونهم ارتدوا عن الإسلام بل يحتمل ذلك، ويحتمل أن يراد أنهم عصاة المؤمنين، المرتدون عن الاستقامة يبدلوا الأعمال الصالحة بالسيئة](٢)، وهذا الحكم يشمل من كان من الصحابة ومن كان من غيرهم من المسلمين.

وقال القاضي عياض: [ويحتمل ان من شرب منه من هذه الأمة، وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ، بل يكون عذابه بغير ذلك، لأن ظاهر هذا الحديث يدل على أن جميع الأمة يشرب منه إلا من ارتد وصار كافرا، وقد قيل: إن جميع الأمم من المؤمنين يأخذون كتبهم بإيمانهم ثم يعذب الله سبحانه وتعالى من شاء من عصاتهم](٣)، فالمرتدون على ما قاله أهل العلم صنفان يشملهم اسم التبديل: مرتدون إلى الكفر حقيقة ناكصون على أعقابهم، وعصاة مرتدون على الاستقامة، وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة السيئة(٤).

---

(١) ينظر السيرة النبوية لابن هشام: ٤/ ٥٩، وكتاب الشفا: ١/ ٦٩١ ودلائل النبوة لابي نعيم: ١٥١، والدر المنثور: ٤/ ٢٤٤، وابن كثير في تفسيره: ٢/ ٣٨٦.

(٢) فتح الباري: ١١/ ٣٨٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٥/ ٥٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٥/ ٦٤-٦٥.

فإن قيل: بعد النظر في نصوص حديث الحوض ومن يذاد عنه فهل تفيد العموم أم لا؟

يجاب عنه: ورد في بعض طرق الحديث لفظ «اقوام» ولفظ القوم يطلق على الفرد والجماعة وهنا يكمن حمله على الافراد، بدليل قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾(١)... أي: لا يسخر أحد من أحد(٢).

وأقوام جمع قلة، وفي لفظ: «أناس» وهو جمع قلة أيضا، وفي لفظ: «رجال» وهو جمع رجال، وكون الجمع منكرا فيحمل على أقل الجمع وهو ثلاثة فما فوقها بقليل، وهذا ينسجم مع مفهوم أقوام وأناس، وفي لفظ: «أصحابي» وهو جمع صاحب، وهو محمول على أقل الجمع ليتفق مع الرواية الأخرى «اصيحابي» التي تدل على التقليل، فهذه الألفاظ كلها تدل على القلة(٣).

لذا يمكن القول: إن العرض حاصل لغالب أعمال المؤمنين إلا أعمال أناس لم يعرضها الله عز وجل على رسوله ﷺ، لأن الله تعالى يريد ان يعذبهم بذنوبهم وزيادة لغضبهِ عليهم فأخفى ذلك عن رسوله وحبيبه ﷺ، ولو عرضها على رسول الله ﷺ، لاستغفر لهم، وكل من يستغفر له رسول الله ﷺ فإن الله تعالى يغفر له، بل ما عرض العمل عليه إلا ليقبل شفاعته فيه، والا حجب العمل عنه، وبذلك يزول التعارض بين الأدلة، ونعلم أن الذين يحاسبهم الله حسابا عسيرا من المسلمين هم الذين لم تعرض أعمالهم على سيدنا رسول الله ﷺ ليستغفر لهم.

المبحث الخامس

المنكرون للحوض ورود أهل الحق عليهم

لقد تظافرت الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة النبوية المباركة التي بلغت

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.

(٢) ينظر صفوة التفاسير للصابوني: ٣/ ٤٠٠ وصفوة البيان من معاني القرآن: ٤٤٨.

(٣) ينظر موضع الاقتران: ٢٤٩.

حد التواتر في غثبات الحوض المورود يوم القيامة، وأجمعت الأمة على وجوب الإيمان بوجوده، فصار من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، وعد من الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة، واتفقوا فيها على قول واحد وضللوا من خالفهم فيها[(١)].

ومع إطباق جميع السلف على القول بإثباته، فإنه وجد من بين من ينتسب إلى الإسلام من ينفي وجود الحوض مكلقا، ومنهم من يجوز التوقف فيه، ومنهم من يفرق بين كونه حقاً أو من المسائل الواجب اعتقادها.

قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله: [قال أهل السنة والاستقامة: إن للنبي ﷺ حوضا يسقي منه المؤمنين، فلا يسقي منه الكافرين، وأنكر قوم الحوض ودفعوا][(٢)].

أما الذين ينسب إليهم إنكاره، فهم:

أولا: المعتزلة.

ثانياً: الخوارج.

ثالثا: ومن أفراد الناس الذين كانوا ينكرونه: ابن زياد، وأما الذين يفرقون بين كونه حقا وبين كونه واجباً أو من المسائل الواجب اعتقادها فهم: الإباضية.

وفيما يلي بيان إثبات ذلك عنهم:

١- أما إنكار المعتزلة للحوض: فهو ما أثبته عنهم السفاريني في كتابه لوامع الأنوار بقوله: [خالفت المعتزلة فلم تقل بإثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة][(٣)].

وبين عبد السلام في شرحه على الجوهرة ذلك بقوله: [الإيمان بالحوض

(١) ينظر شرح العقيدة الطحاوية: ١٨٨، وفتح الباري: ١١/ ٤٦٤، والتذكرة: ٣٠٣ ولوامع الأنوار: ٢/ ٢٠٠ وشرح عبد السلام على الجوهرة: ٢٤٠، والباجوري على الجوهرة: ٢/ ٧٥.

(٢) مقالات الإسلاميين للاشعري: ٢/ ١٤٧.

(٣) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ٢٠٢.

واجب فيثاب عليه من صدق به ويبدع ويفسق جاحده، وهو مذهب الجمهور، لما مر من الأحاديث الصريحة بإثباته وفي ذلك رد على المعتزلة الذين نفوه][1].

ويقول سيدنا حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره: [أنكرت - أي الحوض- ذلك المعتزلة، فلا يسقون منه، ويدخلون النار وردا عطاشا، وأن لم يتوبوا عن مقالتهم وجحودهم الحق، ورد الآيات والأخبار والآثار][2].

٢- وأما عن إنكار الخوارج، قال الإمام ابن حجر رحمه الله: [قلت: أنكر الحوض الخوارج وبعض المعتزلة][3].

ويقول شيخنا الباز الأشهب عبد القادر الكيلاني قدس الله سره عن إنكار الخوارج للحوض: [ولا يؤمنون بعذاب القبر ولا الحوض ولا الشفاعة ولا يخرجون أحدا من النار][4]. وما ذاك إلا لاستبعاد المسألة واحالتها في عقولهم واستبعادها عقلا.

٣- وأما الفرق التي نسب إليها القول بإنكار الحوض دون ذكر اسمها فهو ما نسبه الإمام الأشعري لهم بقوله: [وأنكر قوم الحوض ودفعوه][5].

وبين ذلك ابن حجر قائلاً: [وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة وأحالوه على ظاهره -أي جعلوه مستحيلا-، وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهره وحقيقته، ولا حاجة تدعو إلى تأويله فخرق من حرفه اجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف)[6] واشار بذلك إلى هذه الطائفة وهم المعتزلة.

---

(١) شرح عبد السلام على الجوهرة: ٢٤٠، وينظر المغني للقاضي عبد الجبار: ٢٠ وفضل الاعتزال: ١٥١.

(٢) الغنية: ١/ ٨٥، وانظر شرح الأصول الخمسة: ١٢١ وطبقات المعتزلة: ٩٢.

(٣) فتح الباري: ١١/ ٤٦٧.

(٤) الغنية: ١/ ٨٥.

(٥) مقالات الإسلاميين: ٢/ ١٤٧.

(٦) فتح الباري: ١١/ ٤٦٧.

٤- أما من يفرق بين كونه حثا وبين كونه واجبا أو من المسائل الواجب اعتقادها، فهم الإباضية[١] حسب ما يظهر من كلام علمائهم، فهم يثبتونه على أنه من متمات الفضائل وليس من المسائل التي يجب اعتقادها.

قال السالمي وهو من علمائهم:

والكتب والصحف حوت أعمالا والحوض حق فاترك الجدالا[٢]

وعند شرح السالمي لهذا البيت من النظم قال: [هذه المسألة مما يسع حمله لمن لم يبلغه تواتر الأخبار، ويجوز التصديق بخبر الواحد فيها لأنها من زيادة الفضائل لنبينا عليه الصلاة والسلام، فالتصديق بها تصديق بمزيد فضله له، لذا قال المصنف: والحوض حق، ولم يقل: والإيمان به واجب، ولم يذكره مع المسائل التي يجب اعتقادها في أول الفصل.

وعن معنى قوله :[فاترك الجدالا] يقول: أي في حقيقته فإن الاخبار واردة به كما رأيت، فإن أنكرتها -وهي في نفس الأمر مطلقة للواقع -كنت منكرا لما هو في نفس الأمر، فالوقف -إن لم تصدق- أولى من الإنكار وأسلم، فإنها وأن كانت لا تقوم بها حجة عليك فلا يصح تكذيبك لراويها، وهكذا يجب في كل حديث ورد فيه محتمل للحق أن لا يرد، فإن قامت به حجة فذاك وإلا فأمر راويه إلى الله][٣].

٥- وأما إنكار ابن زياد له، فقد اشتهر عنه هذا الإنكار، وكان شديدا على من يقول به، وقد جرت بينه وبين بعض الصحابة الذين كانوا يحدثون بالحوض مُساءلات ومشادة بلغت إلى حد السباب من قبل عبيد الله بن زياد.

كما وقع ذلك مع الصحابي أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه حينما دخل عليه، فقد قابله ابن زياد بسوء الأدب والتكذيب، ولكن أبو برزة غضب من إنكار ابن زياد ورد عليه رداً عنيفا كما في رواية عبد السلام بن أبي حاتم قال: [شهدت

(١) فرقة من فرق الخوارج عدها البغدادي الفرقة السابعة واجمعت على القول بإمامة عبد الله بن اباض التميمي احد بني مرة بن عبيدة وهي فرقة نغالية تخالف نهج أهل الحق من أهل السنة والجماعة، انظر الفرق بين الفرق: ٧٠.

(٢) مشارق انوار العقول: ٢٨٢. (٣) المصدر نفسه: ٢٨٢.

أبا برزة دخل على عبيد الله بن زياد، فحدثني فلان -سماه مسلم[١]- وكان في السماط[٢]. فلما رآه عبيد الله قال: ان محمديكم الدحداح[٣]، ففهمها الشيخ أبو برزة، فقال: ما كنت أحسب أني أبقى في قوم يعيروني بصحبة محمد ﷺ، فقال له عبيد الله: إن صحبة محمد ﷺ لك زين غير شين، ثم قال له: انما بعثت اليك لأسألك عن الحوض، سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئاً؟ فقال أبو برزة: نعم، لا مرة ولا اثنين ولا ثلاثا ولا أربعا ولا خمسا، فمن كذب به فلا سقاه الله منه، ثم خرج مغضبا][٤].

أما زيد بن أرقم، فكان له معه موقف أغلظ من الموقف الذي كان مع أبي برزة، فقد أخرج الإمام أحمد عن يزيد بن حبان التميمي: [حدثنا ابن أرقم، قال: بعث الي عبيد الله بن زياد فأتيته، فقال: ما أحاديث تحدثها وترويها عن رسول الله ﷺ لا نجدها في كتاب الله؟ تحدث ان له حوضا في الجنة؟ قال: قد حدثناه رسول الله ﷺ ووعدناه، قال: كذبت ولكنك شيخ قد خرفت، قال: إني قد سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ يقول: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده في جهنم» وما كذبت على رسول الله ﷺ][٥].

وكذلك أنس بن مالك رضي الله عنه فإنه قد حضر مجلي بن زياد وهم يذكرون الحوض، فقال ابن زياد: [هذا أنس، قال سيدنا أنس: فقلت: لقد كانت عجائز بالمدينة كثيرا يسألن ربهن أن يسقيهن من حوض نبيهن][٦].

قال ابن حجر: سنده صحيح، وفي رواية عن أنس أيضا أنه قال: [ما أحسب أن أعيش حتى أرى مثلكم ينكر الحوض][٧].

(١) يعني به مسلم بن ابراهيم الذي روى عنه ابو داود هذا الحديث ينظر سنن أبي داود: ٢/ ٥٣٩.
(٢) السماط: هم الجماعة من الناس.
(٣) الدحداح: هو القصير، ينظر جامع الأصول: ١٠/ ٤٦٦.
(٤) أخرجه ابو داود في سننه: ٢/ ٥٣٩، والسنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٣٢٣، والإمام أحمد في مسنده: ٤/ ٤٢١.
(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسند: ٤/ ٣٦٧.
(٦) فتح الباري: ١١/ ٤٦٨.
(٧) فتح الباري: ١١/ ٤٦٨، والشريعة للآجري: ٣٥٤.

ومما يجدر ذكره أن ابن زياد قد رجع أخيرا عن تكذيبه بالحوض حينما بين له أبو سيرة الأمر، وفي هذا يقول ابن حجر رحمه الله: [وممن كان ينكره -يعني الحوض- عبيد الله بن زياد وأحد أمراء العراق لمعاوية وولده... إلى أن يقول ابن حجر: ومن طريق يزيد بن حبان: شهدت زيد بن أرقم وبعث إليه ابن زياد، فقال: ما أحاديث تبلغني أنك تزعم ان لرسول الله ﷺ حوضا في الجنة؟ قال: حدثنا بذلك رسول الله ﷺ][1].

وعند الإمام أحمد عن طريق عبد الله بن بريدة عن أبي سبرة الهذلي قال: [قال عبيد الله بن زياد: ما أصدق بالحوض، وذلك بعد ان حدثه أبو برزة وعائذ بن عمرو، فقال له أبو سبرة: بعثني أبوك في مال إلى معاوية فلقيني عبد الله بن عمرو فحدثني، وكتبته بيدي من في: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «موعدكم حوضي... الخ الحديث» فقال ابن زياد وحينئذ أشهد أن الحوض حق][2].

والجواب على المنكرين للحوض: هو ما أوردناه من الأدلة القاطعة المتواترة ومن أقوال العلماء في إثبات الحوض ففيها ما يدحض شبهة من كان في قلبه شك في ثبوت حوض نبينا وحبيب قلوبنا وشفيع ذنوبنا حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ.

كما أنه لا يجحد بعد ذلك مدلول تلك النصوص الصحيحة الصريحة المتواترة بعد أن يقف عليها إلا من كان في قلبه زيغ، وسلك مسالك أهل البدع[3].

وهو في إنكاره هذا ليس له ما يثبت به إنكاره لا من العقل ولا النقل، فأهل الحق قالوا بالحوض، ومن أنكر ذلك حرم الشرب منه ودحضت قدمه من الصراط إلى نار جهنم[4].

---

(١) فتح الباري: ١١/٤٦٨.
(٢) الإمام أحمد في مسنده: ٤/٣٦٧ وفتح الباري: ١١/٤٦٨، والشريعة للآجري: ٣٥٤.
(٣) ينظر لوامع الأنوار: ٢/٢٠٢.
(٤) الفرق بين الفرق: ٢٨٠.

وبين السفاريني قائلاً: [إن الحوض ثابت بالسنة المتواترة، وظاهر الكتاب، فمنكره زائغ عن الصواب][١].

وقال الإمام أبو بكر بن أبي عاصم رحمه الله بعد أن ذكر أحاديث الحوض: [والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي ﷺ توجب العلم: ان يعلم كنه حقيقته أنها كذلك، وعلى ما وصف به نبينا ﷺ حوضه، فنحن به مصدقون غير مرتابين ولا جاحدين، ونرغب إلى الذي وفقنا للتصديق به، وخذل المنكرين به، والمكذبين عن الاقرار به، والتصديق به، ليحرمهم لذة شربه، أن يوردنا فيسقينا منه شربة نعدم لها ظمأ الأبد بطوله، ونسأله ذلك بتفضله][٢].

وقال سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره عن المنكرين للحوض: [فلا يسقون منه ويدخلون النار وردا عطاشا إن لم يتوبوا عن مقالتهم وجحودهم الحق][٣].

وذكر القاضي عياض رحمه الله: أن أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه[٤].

وأوضح الإمام البيضاوي قائلاً: [والحوض على ظاهره عند أهل السنة، وحديثه متواتر يجب الإيمان به][٥].

وبين الإمام أبو محمد بن حزم بقوله: [وأما الحوض فقد صحت الآثار فيه وهو كرامة للنبي ﷺ ولمن ورد عليه من أمته، ولا ندري لمن أنكره متعلقا، ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي في هذا ولا غيره][٦].

---

(١) لوامع الأنوار: ٢/٢٠٣.
(٢) السنة لابن أبي عاصم: ٢/٣٦٠.
(٣) الغنية: ١/٨٥.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٥/٥٣.
(٥) نقله عنه الكتاني في نظم المتناثر: ١٥٢.
(٦) الفصل: ٤/٦٦.

وبالإضافة إلى ما تقدم، فإن العقل لا يستبعد ذلك ولا يحيله ويكفي في ذلك الإمكان، وقد كان السلف الصالح يقولون عن منكري الحوض عبارتهم المشهورة: [من كذب به فلا سقاه الله منه](١).

قال ابن كثير رحمه الله: ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة المتظافرة، وأن رغمت أنوف كثيرة من المبتدعة المعاندة المكابرة، القائلين بجحوده، المنكرين لوجوده، واخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: من كذب بكرامة لم ينلها، ولو اطلع المنكر للحوض على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالتها لم يقلها](٢).

وكان السلف الصالح يستفظعون إنكاره ويشددون في الرد على من ينكره، كما وقع لكثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الذين ذكرنا مواقفهم مع ابن زياد فيما سبق، فقول المنكرين للحوض فاسد ومردود من وجوه عديدة منها:

١- لا شاهد بصحة ما ذهبوا إليه من القرآن الكريم ولا من السنة النبوية المباركة ولا من اللغة أو غيرها.

٢- ليس لهم أي دليل عقلي يؤيده ولا أي دليل نقلي.

٣- كيف يمكن الجمع والتوفيق بين هذا القول وما جاء بالنصوص القطعية في إثبات الحوض.

٤- إنكارهم للأحاديث المتواترة وجحودهم لها، ومن جحد الحديث المتواتر كذب حضرة النبي ﷺ، فكفر والعياذ بالله تعالى.

٥- مخالفتهم قول الجمهور واجماع الأمة على ثبوت الحوض بالأدلة القطعية.

٦- إنكارهم لا معنى له، بل هو اتباع الهوى الذي يستحق صاحبه الذم.

ثم إن الذين يحاولون التشكيك في الحوض أو إنكار حقيقته لا يستندون

---

(١) الحياة الآخرة: ٣/ ١٤٧٩.

(٢) البداية النهاية: ٢/ ٢٩.

على أي دليل يصح الاحتجاج به، بل غاية ما تشبثوا به، مجرد الاستبعادات العقلية، وليس في ذلك حجة على أحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم الفاسدة فقد قبلته عقول قوم هم أقوى من عقولهم من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وتابعيهم، حتى جاء أهل الفتن وقال كل ما شاء ان يقول وتركوا سنة النبي ﷺ وراء ظهورهم، وليتهم جاءوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها وتتحد قلوبهم لها، بل كل فريق يدعي على العقل ما يطابق هواه، ويوافق ما يذهب إليه هواه، ومن هو تابع له، وبذلك خالفوا أمر الله ورسوله، فحقت عليهم كلمة العذاب والبعد المبين.

اللهم ارزقنا شربة من يد حبيبك وصفيك وخير خلقك صاحب الحوض المورود ﷺ الذي قربته إلى بساطك وخرقت به حجبك فقلت له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1] وهيأت له ولأحبابه جنتك، فلا نظمأ بعدها أبدا، مع الراحة لقلوبنا وأبداننا في جنانك العالية مع أحبابنا ومشايخنا وساداتنا إنك سميع قريب مجبي الدعاء.

(١) سورة النور: الآية ٤.

الفصل الثالث

الصراط جسر جهنم

المبحث الأول: الصراط لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: الصراط في الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: صفة الصراط والقنطرة.

المبحث الرابع: أحوال الناس على الصراط.

المبحث الخامس: هيبة المرور على الصراط وأسباب النجاة منه.

المبحث السادس: أول من يجوز على الصراط وشفاعته ﷺ للناس عليه.

المبحث السابع: حكم الإيمان بالصراط.

المبحث الثامن: المنكرون للصراط وردود أهل الحق عليهم.

المبحث الأول

الصراط لغة واصطلاحا

إن مسألة الصراط من المسائل الغيبية المهمة التي يجب الإيمان بها، لثبوتها بالقرآن الكريم والسنة المباركة، واعتقاد ما أثبتته النصوص فيها هو الحق، دون اللجوء إلى التأويلات في النصوص التي أثبتتها، لاستبعادها في عقول بعض الناس، بل نؤمن بها كما جاءت في الشرع من غير تأويل، مجتنبين ما صار إليه أهل البدع والضلال وغيرهم ممن نفاها بالكلية، أو أولها بالتأويلات البعيدة عن الصواب، فإن هذا ليس من الإيمان بها، ولا من التسليم لما جاء به الحق فيها، ولا هو بالأمر الذي صار عليه عامة السلف، كما سنبين ذلك في المباحث الآتية بعرض الأدلة وأقوال أهل العلم إن شاء الله تعالى.

الصراط لغة:

الصراط في اللغة بكسر الصاد ومعناه: الطريق الواضح المستقيم، وهو يستعمل بلفظ الصاد أو السين أو الزاي.

والسراط في الأصل: هو البلع، ومنه سمي صراطاً لأنه يسترط المارة فيه لكثرة سلوكهم به، أي يبتلعهم[(١)].

قال الفيروز آبادي: [السراط بالكسر: السبيل الواضح لأن الذاهب فيه يغيب غيبة الطعام المسترط، والصاد أعلى للمضارعة، والسين الأصل وقول من يقول بالزاي المخلصة (الزراط) خطأ خطأ][(٢)].

---

(١) ينظر مختار الصحاح: ٢٩٥.

(٢) القاموس المحيط: ٢/ ٨١٤ باب الصاد وينظر المنجد: ٤٢٢ ورويت قراءة (الزراط) عن حمزة وأبي عمرو، كما في السبعة "لابن مجاهد: ١٠٥، على ان العلماء قالوا: ما حكاه الاصمعي في هذه القراءة خطأ منه، انما سمع ابا عمرو يقرؤها بالمضارعة فتوهمها زايا، وقد قرأها خلف وخلاد الصاد زايا -أي بينهما، ينظر الحجة لابن زرعة: ٨٠.

وأوضح الأزهري فيما نقله عن بعض العلماء -في تعليل تسمية الطريق الواضح صراطا بقوله: [إنما قيل الطريق الواضح سراطاً لأنه كان يسترط المارة][1].

وذكر الفيومي أن السراط هو الطريق، ويبدل من السين صادا فيقال: صراط[2].

وبين الجوهري قائلاً: [سرطت الشيء بالكسر أسرطه سراطاً بلعته، واسترطه ابتلعه][3].

وذهب الراغب الأصفهاني إلى أن الصراط هو الطريق المستقيم واستدل بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ وقال عن إطلاقه بالسين: [السراط: الطريق المستهل، أصله من سرطت الطعام وزردته: ابتلعته، فقيل سرط تصوراً أنه يبتلعه سالكاً أو يبتلع سالكه][4].

وبين جبران مسعود أن الصراط بفتح السين مع التشديد وفتح الراء مع التشديد السَّرَّاط: ١- السريع البلع، ٢- الكثير الأكل.

والَسراط بفتح السين مع الضم: من السيوف القطاع، والسراط: بفتح السين مع التشديد: الطريق الواضح[5].

وقال الزمخشري: الصراط: الطريق وأصله بالسين من الاستراط بمعنى الابتلاع كأن الطريق يبتلع السالك، قال الشاعر:

شحنا أرضهم بالخيل حتى تركناهم أذل من الصراط][6]

ونقل ابن جرير رحمه الله: أن الأمة أجمعت على أن الصراط المستقيم

---

(١) تهذيب اللغة: ١٢/ ٣٣٠.

(٢) ينظر المصباح المنير: ١/ ٢٩٣ وينظر الأساس في التفسير: ١/ ٤١ وصفوة البيان لمعاني القرآن: ١/ ٣.

(٣) الصحاح: ٣/ ١٣٠.

(٤) ينظر المفردات: ٢٨٠، ونزهة الاعين النواظر: ٣٨٤، واللآلي البهية: ٧١.

(٥) ينظر الرائد: ١/ ٨١٥ باب سراط.

(٦) الكشاف: ١/ ١١ وينظر المفردات: ٢٣٠ والنشر الطيب: ٢/ ٣٧٩ وصفوة التفاسير: ١/ ٢٥.

هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وأن هذا الاستعمال كذلك في جميع لغة العرب، وذكر ان الشواهد على ذلك أكثر من ان تحصى[(١)].

وهذا الاجماع الذي ذكره الإمام الطبري في معنى الصراط هو أحد معانيه الواردة عن أئمة الدين، وهذا إجمالها:

١- ما رأه سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما من أنه: طريق الهداية والإرشاد.

٢- ما قاله سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ من أنه: القرآن الكريم.

٣- ما قاله جمع من الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم جابر بن عبد الله وابن مسعود وما روي عن ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد والنواس بن سمعان من أنه الإسلام.

٤- ويرى ابن الحنفية ﷺ أنه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره[(٢)].

وهناك أقوال أخرى في معنى الصراط ذكرها أهل العلم من علماء التفسير وغيرهم، والواقع أن هذه الأقوال ليست متباينة الغاية، فإن لفظة الصراط تصدق عليها جميعا من حيث الاعداد والانتماء، لأنها ترجع إلى شيء واحد وهو المتابعة لله ولرسوله ﷺ [(٣)] وسنبين ذلك في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

ومن الواضح أن السلف وأن كانوا يفسرون الصراط بمعناه اللغوي -من أنه الطريق أو طريق الهداية والرشاد- فإنهم ما كانوا يغفلون حقيقته الشرعية.

الصراط اصطلاحا

ذهب جمهور علماء التفسير والعقائد إلى أنه: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون، أدق من الشعر وأحدّ من السيف، يعبره أهل الجنة ويزل فيه أقدام أهل النار بقدر أعمالهم[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري: ١/ ٧٢-٧٥.

(٢) ينظر تفسير الطبري: ١/ ٧٥.

(٣) ينظر تفسير ابن كثير: ١/ ٢٧.

(٤) ينظر شرح المقاصد: ٢/ ١٦٤ ولوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٩، وشرح العقائد النسفية: ١٣٨، وشرح جوهرة التوحيد: ١٨٠ وشرح الطحاوية: ٤٠٧ والتذكرة: ٢/ ٤٤٢ وتفسير الرازي: ١/ ٢٥٧ والخازن: ٤/ ١٦ والطبري: ١٦/ ١١٠ وفتح القدير: ٥/ ٤٤٤.

واستدلوا بما ثبت عن رسول الله ﷺ في أحاديثه عن أهوال القيامة ومواقفها وقوله ﷺ: «... ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض، مزلة، فيها خطاطيف وكلاليب وحسك... الخ الحديث»(١).

وقد أوضح الإمام البخاري رحمه الله هذه المعاني عند ذكره المسألة والتبويب بها في كتابه الجامع الصحيح بقوله: [باب: الصراط جسر جهنم]، وعقب شارحاً الحافظ ابن حجر بقوله: [أي الجسر المنصوب على جهنم لعبور المسلمين عليه إلى الجنة](٢).

وبسط الإمام النووي القول في بيانه فقال: [وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم -أي منازلهم- والآخرون يسقطون فيها](٣).

وقال السفاريني: [والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل، كما ثبت في الصحيحين، والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة، من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق](٤). ووافقه المرداوي في مرور الخلائق من الأولين والآخرين عليه(٥).

وذكر البرديسي: إنه جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف يجوزه العباد بقدر أعمالهم(٦).

ويظهر من أقوال العلماء المذكورة آنفا اتفاقهم على أن الصراط هو جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الخلائق يوم القيامة برهم وفاجرهم سعيدهم وشقيهم، ولكن هناك من يعرف الصراط بأنه: الجسر الذي بين الجنة والنار

---

(١) صحيح الإمام مسلم: ١/١٦٩.
(٢) فتح الباري: ١١/٤٠٦، وينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث لابي داود: ١٢٠.
(٣) شرح النووي لصحيح مسلم: ١/٤٣٠.
(٤) لوامع الأنوار البهية: ٣/١٩٢.
(٥) اللآلي البهية: ٧١.
(٦) ينظر تكملة شرح الصدور: ٣٠.

يمر الناس عليه على قدر أعمالهم[١]، أو إنه: قنطرة جهنم بين الجنة والنار[٢]. ومشى على هذا التعريف بعض العلماء.

ولكن في هذا التعريف إشكال يبدو في قولهم: [بين الجنة والنار]، فإن المفهوم من الأحاديث أن الصراط منصوب على متن جهنم، وتكون جهنم تحته، ولهذا يسقط فيه من يسقط في أثناء عبورهم إلى الجنة، فإذا كان الصراط بين الجنة والنار، فكيف يتصور سقوط من يسقط فيه، أو خطف الكلاليب له في أثناء سيره إلى الجنة وقد تجاوز النار؟

فتعريف الصراط بأنه بين الجنة والنار تعريف مشكل، إلا ان يراد به أنه يبتدئ من أول النار ويستمر عليها إلى أن يصل إلى الجنة، مع أنه في الحقيقة إنما وضع لاجتياز الناس فوق النار، وقد ثبت أن المؤمنين إذا نجوا من الصراط اوقفوا على قنطرة، ليقتصوا مظالم كانت بينهم ليهذبوا وينقوا، وهذه القنطرة غير الصراط، وأن كان فيها خلاف سنذكره إن شاء الله عند بحث القنطرة، ولعل هذا التعريف الذي ذكروه ينطبق على هذه القنطرة عند من يسميها صراطاً آخر.

ولكن الصراط إذا اطلق في الاصطلاح: فإنه يراد به الجسر المنصوب على متن جهنم يعبره الخلق إلى الجنة، فأهل النار يقعون منه، وأهل الجنة يمرون عليه على أختلاف سرعتهم، ولكن ينال بعضهم منها شدائد نسأل الله السلامة منها، وأن نتدارك عند قوله بشفاعة سيدنا محمد ﷺ:

هو الحبيب الذي تُرجى شفاعته
لكل هولٍ من الأهوالِ مقتحمِ
إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي
فضلاً وإلا فقل يا زلة القدمِ[٣]

---

(١) ينظر شرح الآبانو: ٩٦ وشرح الطحاوية: ٤٠٧ والتذكرة: ٢/ ٤٤٢.

(٢) ينظر اللآلي البهية: ٧١ وهذا التعريف للمرداوي، وينظر نور الإسلام للشيخ عبد الكريم بياره: ٢٨٣ وينظر فتح الباري: ١١/ ٤٥٣ والاسئلة والأجوبة الأصولية: ٢٢٥ للشيخ عبد العزيز السلمان.

(٣) البردة للإمام البوصيري: ٢٢.

وقد ثبت أن من المؤمنين من يمر كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مُسلم وآخر مخدوش وآخر مكدوس في نار جهنم وبئس المصير(١).

وأشفق الحارث المحاسبي قدس الله سره من هول الصراط بقوله: [فتوهم نفسك يا أخي إذا صرت على الصراط، ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مظلمة، قد لظى سعيرها، وعلا لهيبها، وأنت تمشي أحياناً وتزحف أخرى](٢).

وقال آخر:

أبت نفسي تتوبَ فما احتياليَّ	إذا برزَ العباد لذي الجلالِ
وقاموا من قبورهم سُكارى	بأوزارٍ كأمثالِ الجبالِ
وقد نصب الصراط لكي يجوزوا	فمنهم من يكب على الشمالِ
ومنهم من يسيرَ لدى عدنٍ	تلقاه العرائس بالغوالي

يقول المهيمن:

يا ولي غفرت لك الذنوبَ فلا تبالي(٣)

ومن أول معناه وقال إن المراد بالصراط: الأدلة الواضحة، كما قال بعض المعتزلة وغيرهم(٤)، كما سيأتي بيانه، لا شك أنه أبعد النجعة عن الحقيقة، وعرفه بغير تعريفه الشرعي، وتأول تأويلا بعيداً، وقصر حقيقته الشرعية على الحقيقة وكلاليب تأبى هذا التعريف وترده، وسنفصل ذلك لاحقا إن شاء الله تعالى في مباحث هذا الفصل.

المبحث الثاني

الصراط في الكتاب والسنة

جاءت الكلمة الصراط في القرآن الكريم واضحة الدلالة والمعنى موافقة

(١) ينظر فتح الباري: ١١/ ٤٠٦ وشرح النووي لصحيح مسلم: ١/ ٤٣٠.
(٢) كتاب التوهم: ٩٨.
(٣) التذكرة: ٢/ ٤٢٤ ويوم الفزع الأكبر: ٣٢٨.
(٤) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي: ٧٣٧.

لمعنى الصراط في اللغة وهو الطريق الواضح المستقيم أو المنهج السوي القويم، لكنها لم تأت منفصلة بذاتها أبداً إلا مبينة، وقد ذكر الحق عز وجل لفظة الصراط في القرآن الكريم في تسعة وأربعين موضعا، تنوع المعاني في الخطاب والمقام، وقد جاءت بصيغة (الصراط المستقيم) أو (صراط مستقيم) خمس وعشرين مرة، وجاءت بصيغة (صراطاً مستقيماً) مكررة أربع مرات وغير ذلك، وذكر العلماء من المفسرين بعض المعاني الواردة في معنى الصراط ومنها:

١- بيان طريق الهداية والإرشاد

وهذا قول سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما[١]. كما في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[٢] أي: دلنا وأرشدنا يا رب إلى طريقك الحق ودينك المستقيم، وثبتنا على الإسلام الذي بعثت به أنبيائك ورسلك، وأرسلت به خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، واجعلنا ممن سلك طريق المقربين ممن تفضلت عليهم بالجود والإنعام من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ولا تجعلنا يا أرحم الراحمين ويا غياث المستغيثين من زمرة أعداءك الحائدين عن الصراط المستقيم السالكين غير المنهج القويم من اليهود المغضوب عليهم، أو النصارى الضالين الذين ضلوا عن شريعتك القدسية فاستحقوا الغضب واللعنة[٣].

٢- الإسلام

وهو قول جابر بن عبد الله ورواية أخرى عن ابن عباس، ورأي ابن مسعود، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ونواس بن سمعان الأنصاري -رضوان الله عليهم أجمعين[٤]-. بدلالة ما أخرج الإمام أحمد رحمه الله عن النواس بن

---

(١) ينظر تفسير الطبري: ١/ ٧٥.
(٢) سورة الفاتحة: الآيتان ٦-٧.
(٣) ينظر تفسير الزمخشري: ١/ ١١، وتفسير القرطبي: ١/ ١٢٣، وأبي حيان الأندلسي: ١/ ٣١، وكشف المعاني: ١/ ١٥.
(٤) ينظر تفسير الطبري: ١/ ٧٥.

سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم»(١).

وهذا دليل واضح على أن الصراط المستقيم هو الإسلام، وأن صراطك أيها المسلم هو الإسلام الحنيف وله داعيتان، داعية الفطرة وداعية الوحي الآلهي، فلا تفرط في هذا الإسلام بان ترتكب الحرام وتقترف المعاصي والكبائر فتدخل في متاهات طرق الشيطان والنفس الأمارة بالسوء. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾(٢) أي: إن هذا ديني الإسلام المستقيم شرعته لكم فتمسكوا به ولا تتبعوا الأديان السابقة المختلفة والسبل والنحل الملتوية فتفرقكم وتزيلكم عن سبيل الهدى، فتزل أقدامكم من على الصراط جسر جهنم يوم القيامة فتدخلوا النار مع الداخلين(٣).

٣- الحق

لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾(٤) قال المفسرون رحمهم الله: [وعلى هذا يكون معنى الآية: ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى فكيف يهتدون](٥).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٣/ ٣٢٥.

(٢) سورة الانعام: الآية ١٥٣.

(٣) ينظر تفسير الطبري: ١٢/ ٢٣٦، والبيضاوي: ١/ ١٨٤، والقرطبي: ٧/ ١٣٧، وأبي حيان الأندلسي: ٤/ ٢٥٤، وأبي مسعود: ٢/ ١٤٦، وابن كثير: ١/ ٦٣٣.

(٤) سورة يس: الآية ٦٦.

(٥) ينظر تفسير القرطبي: ١٥/ ٤٩ ومختصر ابن كثير: ٣/ ١٦٩ وسيد هوى في تفسيره: ٧/ ٢٦٤٧ والصابوني في تفسيره: ٣/ ٢٢.

٤- القرآن الكريم

وهو قول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١]، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾[٢].

٥- دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره

وهو قول ابن الحنفية[٣]، بدلالة قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤] أي: من يشأ الله اضلاله، ومن يشأ هدايته يرشده إلى الهدى ويوفقه لدين الإسلام[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾[٦] أي: وهذا الدين الذي أنت عليه يا حبيب الله محمد ﷺ هو الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه فاستمسك به وأدعو أمتك للاعتصام به فإن الله تعالى هو وليهم وهو سبحانه حافظهم وناصرهم ومؤيدهم جزاء لأعمالهم الصالحة[٧]. فإن وفقهم الله تعالى إليه في الدنيا وهداهم إليه فإنه سبحانه سينجيهم من الصراط جسر جهنم يوم القيامة بفضله ورحمته.

٦- جسر جهنم

ثبت الصراط بمعنى جسر جهنم في السنة النبوية بلفظة الصريح كما سنعرض بعض الأحاديث المثبتة لذلك، اما من القرآن الكريم فإنه لم يأت التصريح به كما جاء في السنة، غير أن هناك آيات بعض العلماء جعلها

---

(١) ينظر تفسير الطبري: ١/ ٧٥.
(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ٧٣-٧٤ وينظر تفسير الآية في تفسير الرازي: ٢٣/ ١٠٩٨ والقرطبي: ١٢/ ١٣٥ وأبي مسعود: ٤٠/ ٣٨.
(٣) ينظر تفسير الطبري: ١/ ٧٥.
(٤) سورة الانعام: الآية ٣٩.
(٥) ينظر تفسير الصابوني: ١/ ٢٨٦.
(٦) سورة الانعام: الآية ١٢٦.
(٧) ينظر تفسير الطبري: ١٢/ ١٠٩، والبيضاوي: ١/ ١٨٢، وأبي حيان الأندلسي: ٤/ ٢١٤، وابن كثير: ١/ ٣١٧، وزاد المسير: ٣/ ١١٨.

صريحة في ذكر الصراط الممتد على متن جهنم، وبعضهم يجعلها إشارة إليه، ويحمل ما ورد في القرآن الكريم من ذكر الصراط على ما يراد به من معناه اللغوي.

أدلة إثبات الصراط من القرآن الكريم

١- قال تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾[(١)]، قال الطبري في معنى الآية: [أي احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فوجهوهم إلى طريق جهنم][(٢)].

وهذه الآية ليس فيها التصريح التام بذكر الصراط في اصطلاح الشرع، إلا أن يقال: إن طريق الجحيم هو آخذهم إلى الصراط، ومنه إلى النار وبئس المصير.

وقال الخازن في قوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ : [قال ابن عباس: أي دلوهم إلى طريق الجحيم، ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ أي احبسوهم، ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[(٣)] لما سيقوا إلى النار، حبسوا عند الصراط للسؤال][(٤)].

وقال آخرون أي فارشدوهم إلى طريق جهنم ودلوهم إلى طريق النار وفي لفظ اهدوهم تهكم وسخرية، فإذا لم يهتدوا إلى الحق في الدنيا، فليهتدوا اليوم إلى الصراط الجحيم، لكن هيهات فهم على جسر جهنم[(٥)].

وهذا ما اشار إليه صاحب النشر الطيب، وذكر أن الآية في دلالتها على الصراط الآخروي احتمال وليس بصريح[(٦)].

٢- قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[(٧)].

---

(١) سورة الصافات: الآية ٢٣.
(٢) تفسير الطبري: ١٣/ ٤٧ وينظر تفسير ابن كثير: ٤/ ٤.
(٣) سورة الصافات: الآية ٢٤. (٤) تفسير الخازن: ٤/ ١٦.
(٥) ينظر تفسير الطبري: ٢٣/ ٢٩، وأبي السعود: ٤/ ٢٦٥ وأبي حيان الأندلسي: ٧/ ٣٥٥ والزمخشري: ٤/ ٣٠ والقرطبي: ١٥/ ٧٢ والبيضاوي: ٢/ ١٣٨ وابن كثير: ٣/ ١٧٧ وسعيد حوى في تفسيره: ٨/ ٤٦٩٧ والصابوني: ٣/ ٣١.
(٦) ينظر النشر الطيب: ٢/ ٣٨٠.
(٧) سورة الفاتحة: الآية ٦.

إن السر في التعبير بلفظة الصراط دون غيرها من الكلمات التي تؤدي هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ قال الإمام الرازي: [وإنما قال الصراط ولم يقل السبيل، ولا الطريق وأن كان الكل واحدا، ليكون لفظ الصراط مذكراً بصراط جهنم، فيكون الإنسان على مزيد خوف وخشية][١].

٣- وقوله عز وجل: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾[٢].

وذكر الوزاني أن أبا الحسن سيدنا أمير المؤمنين رضي الله عنه استدل بقوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ بأن العقبة هنا: هي الصراط، وهو ما قال به مجاهد والضحاك[٣].

وفي تفسير العقبة أقوال كثيرة، منها هذا القول: أي تفسير العقبة بأنها الصراط الذي يضرب على جهنم، وهو ما ذكره الشوكاني ونسبه إلى مجاهد والضحاك والكلبي أيضا[٤].

وهذا احتمال أيضا كما قال صاحب النشر الطيب[٥]، وليس بصريح في ثبوت الصراط الآخروي، ولهذا يقول الجمل: [العقبة في الأصل الطريق الصعب في الجبل، واقتحامها مجاوزتها، وليس هذا المعنى مرادا هنا، بل المراد بها هنا: مجاهدة النفس فيفعل الطاعات، وترك المحرمات، والمراد باقتحامها: فعلها وتحصيلها][٦].

٤- قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾[٧]، ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله بمناسبة الآية حديثاً شريفاً رواه سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني ممسك بحجزكم هلم عن

(١) تفسير الرازي: ١/ ٢٥٧.
(٢) سورة البلد: الآية ١١.
(٣) ينظر النشر الطيب: ٢/ ٣٧٩.
(٤) ينظر فتح القدير: ٥/ ٤٤٤.
(٥) ينظر النشر الطيب: ٢/ ٣٨٠.
(٦) الفتوحات الآلهية: ٤/ ٥٣٩.
(٧) سورة المؤمنون: الآية ٧٤.

النار، وتغلبوني تتقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب، فأوشك أن أرسل بحجزكم، وأنا فرطكم على الحوض فتردون علي جميعا وأشتاتاً، أعرفكم بسيماكم وأسمائكم، كما يعرف الرجل الغريب من الإبل في إبله، فيذهب بكم ذات اليمين وذات الشمال، فأناشد فيكم رب العالمين، أي رب قومي أي رب أمتي، فيقال: يا محمد إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم كانوا يمشون بعدك القهقري على أعقابهم»[1].

وفي الحديث بيان قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ أي ان الذين لا يؤمنون بالنبي محمد ﷺ من الكفار والمشركين والمنافقين فإنهم يذهبون ذات اليمين وذات الشمال خارج الصراط المضروب على متن جهنم، فيتهاوون داخل جهنم بعد أن ثبت ذودهم عن الحوض المورود[2].

٥- قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾[3].

قال الإمام القرطبي: [وبعد إعلان فضيحتهم -أي الكفار والمنافقون- يوم القيامة على رؤوس الأشهاد والمخلوقات، وذلك بختم أفواه الكفار ختماً يمنعهم من الكلام، ونطق أيديهم وأرجلهم وجوارحهم بأعمالهم القبيحة حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا، ويحلفون ما فعلوه، ولكن الحق يستنطق جوارحهم بما عملت فتشهد عليهم بالحق، وبعد ذلك يؤمرون بقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ أي تبادروا إلى الصراط لتجوزوه ولكن الله عز وجل طمس على أبصارهم فكيف يبصرونه وقد طمس على أعينهم لأنهم في قبضة القدرة ومستحقون للعذاب لكفرهم وإنكارهم فزلت أقدامهم على الصراط إلى النار][4].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٣٤٦ وقال حديث صحيح، وقال الالباني في مرويات الحوض: حديث صحيح ورجاله ثقات وذكره ابن كثير في تفسيره: ٢/ ٥٧٠.

(٢) ينظر تفسير الرازي: ٢٣/ ١٠٨ وأبي السعود: ٤/ ٣٨ والقرطبي: ١٢/ ١٣٥ وابن كثير: ٢/ ٥٧٠ وزاد المسير: ٥/ ٤٨٢.

(٣) سورة يس: الآية ٦٦.

(٤) تفسير القرطبي: ١٥/ ٤٦.

وقد جاءت أقوال العلماء من المفسرين وعلماء العقائد أن هذه الآية دلت على الصراط الممدود على متن جهنم، لأن الآية استمراراً للكلام عن عوالم ومواقف الآخرة[(١)]. وذهب آخرون إلى أن المراد بالصراط الحق، وجعلوا أهل الضلالة والبدع بعيدين عن الحقيقة والهدى[(٢)].

٦- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[(٣)].

قال المفسرون في معنى الآية: يأمر الحق عز وجل بالأخذ والانتزاع من كل فرقة ونحلة ارتبطت بما لا يرضي الله عز وجل وشايعت واتبعت غاويا، فكانوا أعصى لله وأشد تمردا، فيقذف بهم في جهنم ويقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم، أي الأعتى فالأعتى، ويبدأ بالاكابر جرما[(٤)].

والله تعالى هو الأعلم بمن هو أحق بدخول النار والاصطلاء بحرها وبمن يستحق تضعيف العذاب والخلود فيها، وقد أقسم الحق تبارك وتعالى بنفسه المقدسة العلية أنه فاعل بهم ذلك، وفي اقسامه باسمه العزيز مضافا إلى رسوله الكريم. تفخيم لشأن رسوله ﷺ، ثم ينصب الجسر على متن جهنم لعبور الخلائق عليه، فما من أحد من بر أو فاجر إلا وسيرد على النار، الأنبياء والمرسلون بلطفه للشفاعة والدعاء، والمؤمن بفضله تعالى للعبور، والكافر بعذابه للقرار، وهذا الورود كان قضاءً لازما، كائناً محتوماً على كل بني الإنسان لا يمكن خلفه، فينجوا المتقون من النار بعد مرور الجميع عليها، ويقع الظالمون في جهنم وبئس المصير[(٥)].

---

(١) ينظر تفسير الطبري: ٢٣/ ١٧، وابن حيان الأندلسي: ٧/ ٣٤٨، وحاشية الصاوي على الجلالين: ٣/ ٣٢٩، وحاشية زاده على البيضاوي: ١٣/ ١٣٢، والقرطبي: ١٥/ ٤٨، وأبي السعود: ٤/ ٢٦١، والتسهيل في علوم التنزيل: ٣/ ١٦٥ والصابوني: ٣/ ٢٢ وشرح المقاصد: ٢/ ١٦٤ وشرح الصحاوية: ٤٠٧ ولوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٩ والتذكرة: ٣٣١ وأصول الدين الإسلامي: ٤٧٩.

(٢) ينظر مختصر ابن كثير: ٣/ ١٦٩ وسعيد حوى في تفسيره: ٧/ ٤٦٤٧.

(٣) سورة مريم: الآيات ٦٨-٧١.

(٤) قاله ابن مسعود رضي الله عنه وقتاده رحمه الله، ينظر تفسير سعيد حوى: ٦/ ٣٢٩٩.

(٥) ينظر تفسير الرازي: ٢١/ ٢٤٢، والبيضاوي: ٢/ ٢٠، والقرطبي: ١١/ ١٤٤ وابن كثير: ٢/ ٤٦١ والصابوني: ٢/ ٢٢٥.

واختلف العلماء في معنى الورود على أقوال

أولا:

أ- الورود لغة: من ورد، بفتح الواو والراء والدال: أصلان أحدهما الموافاة إلى الشيء والثاني لون من الألوان، فالأول: خلاف الصدر، ويقال: وردت الإبل الماء، ترده وردا، والموارد: الطرق، وكذلك المياه الموردة. فالوارد عكس الصادر، والواردات ما يدخل خزينة الدولة من مكوس وضرائب[١].

ب- **الوارد اصطلاحا**: الموافاة إلى الشيء للارتواء منه أو الدخول فيه، فمن ورد الماء شرب منه وانتفع به، ومن ورد النار فقد دخلها والتذع بحرها[٢]، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾[٣] وقوله سبحانه: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾[٤] وقوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾[٥] إلى ساقيهم من الماء المورود.

وقال ابن خالويه: [تقول العرب: صدرت الإبل عن الماء إذا شربت منه وانصرفت ووردت الإبل الماء للشرب، والوارد من الناس: الذي يرد الماء][٦].

ثانيا: الورود بمعنى المرور على الصراط

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود ﷺ وكعب الأحبار ﷺ، ورواه السدي عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ، وروى الأحوص عن ابن مسعود ﷺ في قوله: «إلا واردها» قال: الصراط على جهنم[٧].

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس: مادة ورد.
(٢) ينظر كتاب المفردات في غريب القرآن: ٩٣.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩٨. (٤) سورة هود: الآية ٩٨.
(٥) سورة يوسف: الآية ١٩.
(٦) اعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه: ١٢٢.
(٧) ينظر فتح الباري: ١٣/ ١٤٩ والاعتقاد للبيهقي وشرح الطحاوية: ٣٥٠.

وبين العلامة الجمل بقوله: [وقالت فرقة: الورود: المرور على الصراط، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود وكعب الأحبار والسدي، ورواه السدي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ، وقاله الحسن أيضا، فالورود: أن يمروا على الصراط، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١﴾[(١)] قالوا: فلا يدخل النار من ضمن الله ان يباعده منها، وأجاب الأولون بأن معنى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ أنهم مبعدون عن العذاب فيها والاحتراق بها، قالوا: فمن دخلها وهو لا يشعر بها ولا يحس منها وجعا ولا ألما فهو مبعد منها][(٢)].

وقال الطبري: [حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة: «وإن منكم إلا واردها» يعني جهنم مر الناس عليها][(٣)].

وعن جابر رضي الله عنه قال: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ، يقول عند حفصة: «لا يدخل النار -إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول الله، فأنتهرها، فقالت حفصة: «وإن منكم إلا واردها» فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾»[(٤)].

وأوضح الإمام النووي رحمه الله قائلاً: [قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا كما صرح به في الحديث الذي قبله -حديث حاطب- وإنما قال: ان شاء الله للتبرك لا للشك][(٥)].

وحديثٍ حاطب الذي اشار إليه الإمام النووي هو ما رواه سيدنا جابر رضي الله عنه: إن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بدرا والحديبية»[(٦)].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠١. (٢) الفتوحات الآلهية: ٣/ ٧٤.
(٣) تفسير الطبري: ١٦/ ١١٤.
(٤) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ٣٦٤، وينظر تفسير الطبري: ١٦/ ١١٢.
(٥) شرح النووي لصحيح مسلم: ٥/ ٣٦٤.
(٦) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ٣٦٥.

أما قوله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد» أراد بذلك البشرى لأهل بيعة الرضوان الذين بايعوه تحت الشجرة على الموت، ووجه البشرى لهم بأنهم لا يعذبون في النار ولا يدخلونها دخول مكث وقرار فيها كما هو شأن من يعذبه الله تعالى في النار.

وأما دخول المرور والعبور بسلام وأمان فهذا لابد منه كما دلت عليه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى﴾ فذهبت السيدة أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها إلى أن أصحاب الشجرة لا يردون النار أصلا فاستشكلت! فأجابها حضرة الرسول ﷺ بأنهم لا يردونها ولكن الله تعالى ينجيهم بتقواهم ويسلمهم من حر جهنم فلا يمسهم منها سوء ولا مكروه، وفيه دليل للمناظرة والاعتراض والجواب على وجه الاسترشاد، وهو مقصود أم المؤمنين حفصة، لا أنها أرادت رد مقالته ﷺ، والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط، وهو جسر منصوب على جهنم(١).

قال خالد بن معدان: [يقول أهل الجنة يوم القيامة: ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: بلى ولكنكم مررتم عليها وهي خامدة](٢).

وذكر الإمام البيضاوي أن في الآية دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها، وأن المؤمنين يفارقون الفجرة بعد نجاتهم، ويبقى الفجرة على هيئاتهم(٣).

وقال ابن أبي العز: [واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ ما هو؟ والأظهر والأقوى: إنه المرور على الصراط](٤).

وعن يعلي بن منبه رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «تقول النار للمؤمنين يوم القيامة: جُزّ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»(٥) ألي: أمشِ وجاوزني بسلام

(١) ينظر شرح النووي لصحيح مسلم: ٥/ ٣٦٦.
(٢) فتح الباري: ٣/ ١٥٠ وينظر تفسير الطبري: ١٦/ ١٠٩ ونقله بسنده إلى خالد بن معدان.
(٣) ينظر تفسير البيضاوي: ٢/ ١٩. (٤) شرح العقيدة الطحاوية: ٤٠٩.
(٥) ذكره القرطبي في التذكرة بسنده: ٤٤٧ وقال: رواه الطبراني وابن عدي.

وأمان إلى الجنة، فإن نور إيمانك أيها التقي النقي اطفأ لهيبي وحري بقوته الروحية العظيمة، وذلك لأن نور الإيمان يطفئ النيران على نسبة قوته وضعفه، وأن دمعة عين المؤمن من خشية الله تطفئ بحوراً من نيران جهنم، فعن ابن مسعود مرفوعا: [ما من شيء إلا له مقدار وميزان إلا الدمعة فإنه يطفأ بها بحار من النار](١).

فالصراط مظلم والأرض المبدلة مظلمة والناس في ظلمة دون الصراط، وإنما ينير لكل إنسان نوره الذي اكتسبه بالإيمان والإحسان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾(٢) وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣).

ثالثاً: الورود هو الدخول في النار

وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعبد الله بن رواحة وجابر بن عبد الله، وأبو ميسرة، وابن جريج وخالد بن معدان، أما ابن عباس، فقد اشتهر رأيه هذا، في جوابه لنافع بن الأزرق في مسألات نافع لابن عباس المشهورة.

فقد جاء نافع يسأل ابن عباس رضي الله عنهما عن معنى الآية؟ فقال ابن عباس: الورود: الدخول، وقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ أورد هو أم لا؟ وقال: «يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود» أورود هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل تخرج منها أم لا. وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع(٤). وفي رواية أخرى بزيادة قوله رضي الله عنه: والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالماً وادخلني الجنة غانما(٥).

---

(١) ذكره الزرقاني في شرح المواهب: ٨/ ٣٨٩ وقال: هذا لفظ البيهقي في الشعب والإمام أحمد في الزهد نحوه بزيادة.

(٢) سورة الحديد: الآية ١٢.

(٣) سورة التحريم: الآية ٨.

(٤) تفسير الطبري: ١٦/ ١٠٩.

(٥) المصدر نفسه: ١٦/ ١١٠.

والروايات عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما في هذا كثيرة وبطرق متعددة، يرى أن الورود المذكور في الآية، يراد به الدخول لكل أحد، مسلما كان أم كافرا، وهو المشهور عنه(١)، قال الجمل رحمه الله: [وهذا هو تفسير ابن عباس الصحيح عند أهل السنة](٢).

وأما جابر بن عبد الله ﵁، فقد جاء عن أبي سمية أنه قال: اختلفنا ههنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعا، وينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله، فقلت: إنا أختلفنا ههنا في ذلك، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعا، فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الورود: الدخول)، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى أن للنار ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين(٣).

وأخرج الطبري بسنده عن غنيم بن قيس قال: [ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار للناس كأنها متن اهالة -أي ظهرها كالدسم الجامد- حتى يستوي عليها أقدام الخلائق، برهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد: أن امسكي أصحابك ودعي أصحابي، قال: فيخسف بكل ولي لها، ولهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم، قال: وقال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة، مع كل واحد منهم عمود له شعبان، يدفع به الدفعة فيصرع في النار سبعمائة الف](٤).

وأخرج عن أبي إسحاق قال: [كان أبو ميسرة إذا آوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل: وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أخبرنا أنا واردوها، ولم يخبرنا أنا صادرون عنها](٥).

---

(١) ينظر تفسير السيوطي: ٤/ ٢٨١. (٢) الفتوحات الإلهية: ٣/ ٨٣.

(٣) ينظر الترغيب والترهيب: ٤/ ٤٢٧، ومجمع الزوائد ١٠٠/ ٣٦٠ وتفسير السيوطي: ٤/ ٢٨٠ وقال: رواه أحمد ورواته ثقات والبيهقي باسناد حسن، وفي المسند: ٣/ ٣٢٨.

(٤) تفسير الطبري: ١٦/ ١٠٩.

(٥) المصدر نفسه: ١٦/ ١١٠.

وذكر الإمام السيوطي رحمه الله أن الورود في القرآن الدخول إلا في سورة القصص نحو: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ يعني: هجم عليه ولم يدخله[١].

وذكر السدي رحمه الله عن مرة الهمذاني عن أبي مسعود ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: داخلها[٢].

وعن ابن مسعود ﷺ أنه قال لما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: [وإن منكم إلا داخلها][٣]، والروايات عن ابن مسعود ﷺ كثيرة يفسر الورود في النار بالدخول فيها[٤].

وعن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعاً، لا يأخذه سلطانه بحرس، لم ير النار بعينه، إلا تحلة القسم، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾»[٥] ويدل الحديث على أن المراد بالورود هو الدخول، وكذا ما جاء عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم»[٦].

رابعاً: الورود هو الحمى

التي تصيب المؤمن في دار الدنيا وهي حظ المؤمن من النار فلا يردها، وهو قول مجاهد رحمه الله تعالى[٧] واستدل لما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ عاد مريضا من وعك به فقال له النبي ﷺ: «أبشر فإن الله تعالى يقول: هي ناري اسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة»[٨].

---

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن للسيوطي: ٢/ ١٠٩.
(٢) ينظر تفسير الطبري: ١٦/ ١١٠.
(٣) تفسير السيوطي رحمه الله: ٤/ ٢٨١.
(٤) ينظر المصدر نفسه: ٤/ ٢٨١.
(٥) ينظر تفسير الطبري: ١٦/ ١١٤.
(٦) المصدر نفسه: ١٦/ ١١٤.
(٧) المصدر نفسه: ١٦/ ١١١.
(٨) ينظر تفسير الطبري: ١٦/ ١١١ وذكره بسنده إلى أبي هريرة، وقال ابن كثير في تفسيره: ٣/ ١٣٣ انه غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه.

وهو بعيد، لأن الحديث عن الورود هو المرور على جسر جهنم، ولا يستبعد أن من ابتلاه الحق في الدنيا بالمرض والحمى وصبر واحتسب الآجر على الله نجاه سبحانه من النار عند المرور على جسرها.

خامسا: قالت طائفة الورود النظر إلى النار في القبر[(١)]

فينجي منها الفائز، ويصلاها من قدر عليه دخولها، ثم يخرج منها بالشفاعة أو بغيرها من رحمة الله تعالى، واحتجوا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما المرفوع: [إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي][(٢)]. وهو قول ضعيف أيضا، فالحياة البرزخية حياة حقيقة ثابتة، نصت عليها النصوص المعتبرة من الكتاب والسنة، والمراد بالورود هنا العبور على الصراط يوم القيامة والكلاليب تخطف الناس إلى قعر جهنم والعياذ بالله.

سادساً: الورود هو الإشراف على جهنم والاطلاع عليها والقرب منها[(٣)]

وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب، ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا إليه، ويصار بهم إلى الجنة، ونذر الظالمين: أي يؤمر بهم إلى النار، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي أشرف عليه لا أنه دخله، وهو قول بعيد عن معنى الآية والمراد بها، ويرده قول المؤمنين وشعارهم على الجسر اللهم سلم سلم[(٤)]. وقوله تعالى: ﴿وَّنَذَرُ﴾ أي ندع الظالمين في قعر جهنم بعد سقوطهم فيها من على الصراط[(٥)].

---

(١) التذكرة: ٢/٤٤٨ وشرح الطحاوية: ٣٥١.
(٢) صحيح الإمام البخاري: ٣/ ٢٤٣ وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ٢١٩٩ وسنن النسائي: ٤/ ١٠٧ وسنن ابن ماجه: ٢/ ١٤٢٧.
(٣) الفتوحات الإلّهية: ٣/ ٧٤.
(٤) سنن الترمذي: ٤/ ٦٢١ وقال حديث غريب وهو حسن بشواهده.
(٥) ينظر تفسير الطبري: ١٦/ ١٠٩ وابن كثير: ٣/ ١٣٢ والسيوطي في تفسيره: ٤/ ٢٧٨١ وسعيد حوى في تفسيره: ٦/ ٣٢٩٩.

سابعاً: الورود هو دخول الكفار في النار دون المؤمنين

ويعزى هذا الرأي لسيدنا ابن عباس رضي الله عنه، وقد ذكر هذا عنه الطبري، دون تعيين اسم الراوي عن ابن عباس، بل قال بسنده عن وكيع عن شعبه عن عبد الله بن السائب عن رجل سمع ابن عباس يقروها: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ يعني الكفار، قال: لا يردها مؤمن»[١].

ويعزى كذلك إلى عكرمة: إن المراد بالورود هنا ورود الكفار[٢]. ويذكر ابن كثير عنهما، إنهما كانا يقرآن الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ يعني الكفار[٣].

قال الجمل: [المناسبة الآيات التي قبل هذه، فإنها في الكفار وهي قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾، ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾، ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾، ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[٤] وكذلك قرأ عكرمة وجماعة لكن الأكثرون على أن المخاطب العالم كلهم كما تقدم][٥].

وقالت طائفة: المراد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾ الكفرة، والمعنى: قل لهم يا محمد وإن منكم[٦].

وهذا القول ضعيف أيضا ويرده قوله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار... الخ الحديث»[٧] وقوله ﷺ لما سألته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «فأين الناس يؤمئذ يا رسول الله؟ قال: على جسر جهنم»[٨] وفي الحديثين الشريفين دلالة قطعية على أن الناس برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم يؤمرون بالعبور على الصراط فينجي الله أهل الإيمان، ويُهلك أهل الكفر والنفاق.

---

(١) ينظر تفسير الطبري: ١٦/ ١١٠.
(٢) المصدر نفسه: ١٦/ ١١٠.
(٣) ينظر تفسير ابن كثير: ٣/ ١٣٢.
(٤) سورة مريم: الآيات ٦٨-٧١.
(٥) الفتوحات الآلهية: ٢/ ٧٤.
(٦) التذكرة: ٢/ ٤٤٩.
(٧) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٣٩٥.
(٨) الترمذي في سننه: ٥/ ٣٧٢ وقال: حديث حسن صحيح غريب.

ثامناً: الورود للجميع

أن يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم ويعزى هذا القول أيضا إلى سيدنا ابن مسعود ﷺ، وسبق وأن فسر رضوان الله عليه الورود بمعنى الدخول، واستدل بقوله ﷺ: «يرد الناس النار، ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رجله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه»(١).

وهو القول الراجح والله أعلم وذلك لتصريح الآية به: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ بالإضافة إلى ما ثبت عن حضرة النبي ﷺ في وصف الصراط ومرور الناس عليه بحسب أعمالهم.

وقول الطبري رحمه الله: [وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله ويهوي فيها الكفار، وورودها هو ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدوس فيها](٢).

وقال الشوكاني: [ولا يخفى أن القول بأن الورود: هو المرور على الصراط أو الورود على جهنم وهي خامدة فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة، فينبغي حمل هذه الآية على ذلك، لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود: على دخول النار، مع كون الداخل من المؤمنين مبعداً من عذابها أو بحمله على المضي فوق الجسر المنصوب عليها وهو الصراط](٣).

ويقول الإمام ابن حجر: [ولا تنافي بين القولين في معنى ورود النار -أي المرور أو الدخول- لأن من عبر بالدخول تجوز به عن المرور، لأن المار على النار فوق الصراط في معنى من دخلها لكن تختلف أحوالهم باختلاف

(١) الترمذي في سننه: ٥/ ٣١٧ وقال: حديث حسن، والإمام أحمد في مسنده: ١/ ٣٤٤.
(٢) تفسير الطبري: ١٦/ ١١٢.
(٣) فتح القدير: ٣/ ٣٤٤.

أعمالهم][١] ورجح هذا القول أيضا ابن أبي العز[٢].

وقال القرطبي رحمه الله: [والذي يجمع شتات الأقوال: أن يقال إن من وردها ولم تؤذه بلهبها وحرها فقد أبعد عنها ونجى منها، نجانا الله منها بفضله وكرمه، وجعلنا ممن وردها سالماً، وخرج منها غانما][٣].

وعلى هذا القول فإن الجميع يؤمر بالعبور، فالعصاة يدخلونها بجرائمهم، والأنبياء والأولياء والسعداء يدخلونها بشفاعتهم، ودعائهم لأحبابهم اللهم سلم، سلم[٤].

فإن قيل: ما الحكمة من دخول المؤمنين النار وقد كتب الله تعالى لهم النجاة منها؟

يجاب عنه: ان الله تعالى له الحكم والأمر، ولا يسأل عما يفَعل وهم يُسألون، وله سبحانه حكم عديدة وأسرار عظيمة، ولا يدركها إلا الراسخون في العلم، ونحن نؤمن بها سواء أظهرت لنا الحكمة أم لم تظهر، نصدق بما جاء به الشرع، ونعتقد ان فيه حكماً عظيمة واسراراً جليلة.

قال العلامة المفسر الخازن: [فإن قلت: إذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار؟ قلت: فيه وجوه:

أحدها: إن ذلك ما يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منها وأيقنوا بالنجاة من عذابها بعد أن عاينوها، وبذلك يفرحون ويطمئنون برحمة الله تعالى وفضله.

ثانيها: أن فيه -أي ورود المؤمنين جهنم- مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها بسلام وهم باقون فيها وقد باؤا بغضب الله وعذابه.

ثالثها: أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب الذي يكون على الكفار صار ذلك

---

(١) فتح الباري: ٣/ ١٥١.
(٢) ينظر شرح الطحاوية: ٤٠٩.
(٣) التذكرة: ٢/ ٤٥٠ وينظر تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٠ والرازي: ٢١/ ٢٤٢ وابن كثير: ٢/ ٤٦١.
(٤) ينظر الفتوحات الإلّهية: ٣/ ٧٤.

سبباً لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة][1].

أدلة إثبات الصراط من السنة النبوية المباركة

ثبت الصراط بأوصافه في السنة النبوية في أحاديث كثيرة، بلغت حد التواتر، ولهذا فقد وعت عقول العلماء حتميته، وبينوها ببعض الإيضاحات منها:

١- إخبار حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ عن الصراط بتصوير دقيق للجسر وحالة مرور الناس عليه، ووصف ما عليه من كلاليب التي تشبه شوك السعدان في الشكل لا في الحقيقة[2]، حتى ليكاد القارئ يشاهده، ويشاهد مرور الناس عليه، واختلاجهم فيه وبطش جهنم بهم بسبب أعمالهم.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال أناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فذكر الحديث، وهو حديث طويل، ومحل الشاهد منه قول سيدنا محمد ﷺ: (ويضرب جسر جهنم، فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو...»[3] إلى آخر الحديث الشريف.

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز عليه من الرسل بأمتي، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان...»[4].

وعنه أيضاً ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل...»[5].

(١) تفسير الخازن: ٣/ ٥٨ وينظر الفتوحات الآلهية: ٤/ ٥٣٩.
(٢) ينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١١٦.
(٣) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤٤٥ وبوب له قوله: (باب: الصراط جسر جهنم).
(٤) صحيح الإمام لبخاري: ١٣/ ٤١٩ ومسند الإمام أحمد: ٢/ ٢٩٣.
(٥) صحيح الإمام البخاري: ١٣/ ٤١٩ وصحيح الإمام مسلم: ١/ ٤٣٠.

٢- إخبار حضرة النبي ﷺ عن حال الأمم وهي تعبر الصراط، وتفاوتهم في سرعة السير وبطئه، وما يقع لهم في أثناء سيرهم من أهوال، فالجسر مدحضة مزلة منزلق شديد لا تثبت عليه قدم[١]، والخطاطيف والكلاليب قد نصبت لخطف من أمرت بخطفه، فمنهم من يسلمه الله تعالى، فلا يحس بألم تلك الخطاطيف والكلاليب، ومنهم من ينجو لكنه يصيبه خدوش تؤثر في جلده ومنهم من تخطفه فتنتهي به إلى قعر جهنم مكدوساً فيها مسوقاً بشدة وعنف، ليكون فوق من سبق، يكدسون كما تكدس الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضا.

فعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من حديث طويل، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم يؤتى بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب مفلطحة، لها شوكة عقيقاء، تكون بنجد يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبا»[٢].

وفي رواية أخرى: «يوضع الصراط بين ظهراني جهنم كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس، فناج مسلم»[٣] وفي أخرى: «ثم يوضع الصراط بين ظهري جهنم»[٤].

٣- إخبار حضرة النبي ﷺ بأن الأمانة والرحم ترسل فتقومان جنبتي الصراط والسبب في قيامهما ذلك: هو لأدائهما الشهادة للشخص، أو عليه بما كان يفعله تجاههما من القيام بهما، وأداء الواجب الذي أمر الله به نحوهما، والوفاء والتمام الذي كان يسير عليه في حياته الدنيا، أو تشهدان عليه

---

(١) الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الاقدام ولا تستمر ينظر شرح النووي لصحيح مسلم: ١/ ٤٣٧.

(٢) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤٥٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه: ٢/ ١٤٣٠ والإمام أحمد في مسنده: ٣/ ١١ وأبو داود السجستاني في لباب البحث: ١١٦.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٣/ ١٧.

بالخيانة والغدر وعدم القيام بالواجب نحوهما[١].

قال رسول الله ﷺ: «وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق...»[٢] الخ الحديث الشريف.

٤- إخبار حضرة الرسول الأعظم ﷺ أن الناس يكونون على الصراط يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، كما جاء في حديث أم المؤمنين سيدتنا الصديقة عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾[٣]، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: على الصراط)[٤].

وزاد الإمام أحمد على الرواية السابقة: «إن هذا الشيء ما سألني عنه أحد في أمتي قبلك»[٥] ثم ذكر الحديث كاملا، وهذا الحديث يدل على سعة الصراط، وأن الناس يكونون عليه حينما يحصل التبديل في الأرض والسماوات.

٥- إخبار حضرة النبي ﷺ عن شفاعته وشفاعة إخوانه الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام على الصراط ودعاءه لأمته بالنجاة واجتياز الصراط بسلام، فعن أنس رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «أنا فاعل، قال: قلت: يا رسول الله فأين اطلبك؟ قال «اطلبني أول ما تطلبني على الصراط»[٦]... الخ الحديث.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم يوضع الصراط بين ظهري جهنم، والأنبياء بناحيتيه، قولهم: اللهم سلم سلم...»[٧].

---

(١) ينظر لباب البحث: ١١٩.
(٢) صحيح الإمام مسلم: ١/ ٤٧٥.
(٣) سورة إبراهيم عليه السلام: الآية ٤٨.
(٤) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ٦٥٩ وأخرجه الترمذي في سننه: ٥/ ٢٩٦ وابن ماجه في سننه: ٢/ ١٤٣٠.
(٥) مسند الإمام أحمد: ٦/ ١٠١.
(٦) الترمذي في سننه: ٤/ ٦٢١ وقال حديث حسن غريب.
(٧) مسند الإمام أحمد: ٣/ ١٧ وينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١٢٠.

٦- إخبار حضرة الرسول المصطفى ﷺ أن الموت يؤتى به يوم القيامة على هيئة كبش فيذبح على الصراط، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط... إلى قوله: فيؤمر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين -أهل الجنة والنار- كليهما، خلود فيما تجدون، لا موت فيها أبدا»(١).

والأحاديث في إثبات الصراط كثيرة وما يتعلق به من أمور سنذكرها مفصلة في المباحث القادمة إن شاء الله رب العالمين.

المبحث الثالث

صفة الصراط والقنطرة

إن الصراط ممر رهيب، وعقبة خطيرة، عليه من أنواع التعذيب ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، عليه كلاليب مثل شوك السعدان، تخطف من أمرت بخطفه، لا يعلم قدر عظمها إلا الله سبحانه وتعالى، لا يتكلم عليه أحد غير الرسل، ودعاؤهم عليه: اللهم سلم سلم، وهو دحض مزلة ينزلق فيه المارة بسرعة، وأول من يجيزه حضرة الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ وأمته إكراما وتشريفا لهم، وثبت بالأدلة الصحيحة المعتبرة من السنة المطهرة أن الناس يختلفون في سرعة المرور عليه، ويختلفون في أخذهم لأنوارهم، كل ذلك حسب أعمالهم، وهم يدعون: اللهم سلم سلم.

وهذا ولا شك يشير إلى خطورة الصراط والمرور عليه، إذ هو مظنة الهلكة إن لم يكتب الله تعالى السلامة لمن يجتازه، فهذا يسقط، وهذا يزحف، وذلك يمر مسرعا، وهذا يصيب جوانبه النار، وهذا تخطفه الكلاليب، وحقا أنه من المسالك الخطيرة الرهيبة، اعاننا عليه الحق بفضله ورحمته.

وورد في وصف الصراط نصوص يحتمل بعضها المجاز، ولكن الأصل هو الحمل على الظاهر والتسليم حتى يقع، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: ٢/ ١٣١٧.

فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[١].

ومن النصوص الشريفة التي دلت على وصف الصراط ما روي عن سيدنا أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ويضرب جسر جهنم، فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم منهم الموبق بعمله، منهم المخردل ثم ينجو...»[٢].

وظاهر النص يدل على وصف دقيق للجسر وما عليه من أدوات التعذيب والخطف التي أعدها الحق عز وجل لخطف أهل الكفر والضلال، وهي والكلاليب التي تشبه شوك السعدان في الشكل لا في الحقيقة، حتى ليكاد القارئ يشاهده ويحسه ويرى ما فيه من دقة الخطف وخطورته.

وأما معنى تلك الكلاليب فهي جمع كلوب، قال الأزهري: [والكلاب والكلوب: خشبة في رأسها عقافة منها أو من حديد][٣].

وقال الإمام النووي في ضبط كلمة كلوب: [إنها بفتح الكاف ووضع اللام المشددة، وهي حديدة معطوفة الرأس، يعلق فيها اللحم، وترسل في التنور][٤]، ثم نقل عن صاحب المطالع قوله: [إن الكَلُّوب هي خشبة في رأسها عقائد حديد، وقد تكون حديدا كلها، ويقال لها أيضا كلاب][٥].

وهذه الكلاليب إنما شبهت بشوك السعدان في الصورة الظاهرة كما قلنا، وإلا فإن كلاليب جهنم ليست كهذه في الحجم، فقد جاء أن كل كلوب من كلاليب جهنم يأخذ أكثر من ربيعة ومضر[٦].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٣. (٢) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤٤٥.

(٣) تهذيب اللغة: ١/ ٢٥٩ وينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١١٩.

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم: ١/ ٤٣٠.

(٥) المصدر نفسه: ١/ ٤٣٠. وينظر لباب البحث: ١١٩.

(٦) ينظر الترغيب والترهيب للمنذري: ٤/ ٤٢٩ وقال: رواه البيهقي مرسلا وموقوفا على عبيد بن عمير.

وقد ذهب بعض العلماء في معنى تلك الكلاليب إلى تأويلها بمعنى الشهوات، فقد نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله عن القاضي أبي بكر بن العربي قوله: [وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في الحديث الماضي: (حفت النار بالشهوات)، قال: فالشهوات موضوعة على جوانبها، فمن اقتحم الشهوة سقط في النار لأنها خطاطيفها][(١)] وعن الزبير بن المنير قوله: [تشبيه الكلاليب شوك السعدان خاص بسرعة اختطافها، وكثرة الانتساب فيها، مع التحرز والتصون، تمثيلا لهم بما عرفوه في الدنيا، وألفوه بالمباشرة، ثم استثنى، إشارة إلى أن التشبيه لم يقع في مقدارها][(٢)]، ولم يعلق الحافظ ابن حجر على هذه الأقوال بشيء.

ونقل الوزاني عن أبي طاهر القزويني في قوله: [وما جاء من الكلاليب: هو عبارة عن علائق الدنيا، فكما تجذب صاحبها للدنيا كذلك تجذبه للهاوية، والحبو والزحف إشارة إلى تثاقل ظهور الناس بالمظالم، وأما الزالون فهم الناكبون في الدنيا عن الصراط المستقيم][(٣)].

وهذه الأقوال تأويلات تحتاج إلى إثبات، إذ كيف تتفق هذه التأويلات مع وصف حضرة النبي ﷺ لتلك الكلاليب بالكبر؟ ثم بالتمثيل لها بأشياء محسوسة معروفة؟ فكيف تكون الشهوات مثل شوك السعدان تخطف من أمرت بخطفه؟ هذا لا يتفق مع مفهوم الأحاديث والله أعلم.

ثم إنه لو ساغ تأويل الكلاليب بالشهوات، لساغ تأويل كثير من أمور الآخرة، وهو باب لا ينبغي فتحه، إذ أنه سيفضي إلى تأويل كل ما جاء به الشرع من أخبار الغيب واخبار اليوم الآخر وهذا أمر معلوم البطلان.

وقد بين حضرة النبي ﷺ موضع تلك الكلاليب أين تكون بالنسبة للصراط، من أنها تكون في حافتيه، وهو ما جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: **«وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة بأخذ من أمرت به»**[(٤)].

---

(١) فتح الباري: ١١/ ٤٥٣. (٢) فتح الباري: ١١/ ٤٥٣.
(٣) النشر الطيب: ٢/ ٣٨٠ وينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١١٩.
(٤) صحيح الإمام مسلم: ١/ ٤٣٠ وينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١٩٩.

وورد في بعض الروايات قوله ﷺ: «وبه كلاليب» أو: «وعليه كلاليب النار» أو كما في بعضها الآخر: «وفي جهنم كلاليب»، وليس في هذه الروايات تعارض، فإنه يتلخص من ذلك أن تلك الكلاليب معلقة بالصراط على امتداده، والصراط على جهنم، فإذا اضيفت تلك الكلاليب إلى الصراط، فباعتبار أنها معلقة به، وإذا اضيفت إلى جهنم، فباعتبار أن الصراط على جهنم.

ومن الأحاديث التي ذكرت صفات أخرى للصراط هو ما رواه سيدنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «... ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل يا رسول الله وما الجسر. قال: دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها سويكة، يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين...»(١).

قال الإمام النووي في معنى دحض: [هو بتنوين دحض وداله مفتوحة والحاء ساكنة ومزلة: بفتح الميم، والدحض والمزلة بمعنى واحد: وهو الموضوع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر، ومنه، دحضت الشمس، أي مالت، وحجة داحضة: لإثبات لها](٢).

وأما السعدان: فهو جمع، وواحدتها: سعدانة، وهو نبات ذو شوك يضرب به المثل في طيب مرعاة، ولهذا يقال: مرعى ولا كالسعدان، وهو ينبت في السهول، وهو من جيد مراعي الإبل(٣).

يقول الإمام النووي رحمه الله: [وأما السعدان -بفتح السين وإسكان العين المهملة- وهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب](٤).

وذكر البرديسي إن شوك السعدان هو نبات له شوك عظيم من كل الجهات مثل الحسك(٥).

---

(١) صحيح الإمام مسلم: ١/ ١٦٩. (٢) شرح النووي لصحيح مسلم: ١/ ٤٣٧.
(٣) مجمع الامثال: ٢٧٥، والنهاية لابن الاثير: ٢/ ٣٦٧.
(٤) شرح النووي لصحيح مسلم: ١/ ٤٣٠، وينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١١٩.
(٥) ينظر تكملة شرح الصدور: ٣١، والحسك ما يعمل من الحديد وهو من آلات العسكر، كما في مختار الصحاح: ١٣٦.

وروى الإمام أحمد رحمه الله بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوضع الصراط بين ظهراني جهنم، على حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس. . .»(١).

قال الزرقاني: [والسعدان: جمع سعدانه نبات ذو شوك والتشبيه به لسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها](٢).

ومن أوصاف الصراط أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة، وجاءت الأحاديث النبوية الشريفة مثبتة لهذا الوصف المخيف فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: «بلغني أن الجسر أدق من الشعرة واحد من السيف»(٣) وقد نسب ابن منده هذا القول إلى سعيد بن أبي بلال(٤)، وبعضهم يسميه سعيد بن هلال(٥).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «لجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله»(٦).

وروى الطبراني والبيهقي رحمهما الله تعالى بسند صحيح عن ابن مسعود ﷺ قال: [يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف، مدحضة مزلة، عليه كلاليب من نار يخطف بها»(٧).

وعن عبيد بن عمير ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «الصراط على جهنم مثل حرف السيف، بجنبتيه الكلاليب والحسك، فيركبه الناس فيختطفون، والذي نفسي بيده أنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر»(٨).

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٣/ ١١، وابن ماجه في سننه: ٢/ ١٤٣٠.
(٢) الإيمان بعوالم الآخرة: ٣٩٧.
(٣) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي: ١/ ٤٤١.
(٤) ينظر كتاب الإيمان للدكتور علي الفقهيي: ٣/ ٧٨١ وسنذكره لاحقا.
(٥) ينظر النشر الطيب: ٢/ ٣٨١.
(٦) مسند الإمام أحمد: ٦/ ١١٠ و ٣/ ١٢.
(٧) الترغيب والترهيب للمنذري: ٤/ ٤٢٥ وقال: رواه الطبراني باسناد حسن والبيهقي باسناد صحيح، وينظر شرح المواهب: ٩/ ٣٩٢.
(٨) الترغيب والترهيب: ٤/ ٤٢٩ وقال: رواه البيهقي مرسلا وموقوفا على عبيد بن عمير.

وكان عبيد بن عمير ﷺ يقول: [أيها الناس: إنه جسر أعلاه دحض مزلة، مر الأول فنجا ومر الآخر فناج ومخدوش، والملائكة على جنبات الجسر يقولون: رب سلم سلم، قال: وأن الصراط مثل السيف على جسر جهنم...][١].

وعن أنس ﷺ عن النبي قال ﷺ: «الصراط كحد الشفرة أو كحد السيف، وأن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات، وأن جبريل لآخذ بحجزتي، وإني لأقول: يا رب سلم سلم. فالزالون والزالات يومئذ كثير»[٢].

وعن أنس أيضاً عن حضرة النبي ﷺ قال: «على جهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف أعلاه نحو الجنة دحض مزلة، بجنبتيه كلاليب وحسك من النار، يحبس الله بها من يشاء من عباده، الزالون والزالات يومئذ كثير»[٣].

وقال سعيد بن أبي هلال: [بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعرة وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع][٤] ويقصد بذلك أهل الإيمان والتقوى فيثبت الحق أقدامهم على الصراط، ويسهل لهم العبور عليه، ويجعل نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

ولابن منيع عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: (الصراط كحد السيف)[٥].

وقال العلامة الخيالي في هامشه على شرح العقائد النسفية للتفتازاني: [وقوله أدق من الشعر وأحد من السيف، هكذا ورد في الحديث الصحيح المشهور][٦].

وهذه الروايات كلها تفيد صحة وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٢/ ١٧٩ وعزاه إلى ابن أبي الدنيا، وينظر الأساس في السنة: ٣/ ١٣٣٥.

(٢) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي: ١٦٩ وعزاه إلى البيهقي.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٩.

(٤) التذكرة: ٢/ ٤٤٤ وينظر كتاب الايمان: ٣/ ٧٨١.

(٥) النشر الطيب: ٢/ ٣٨٢.

(٦) حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية: ٨٦.

من الشعرة، وأنه ممر رهيب جداً، تقف الرسل على جانبيه يدعون للخلق المارين عليه بالسلامة والنجاة، وأن عليه كلاليب وخطاطيف وحسك مثل شوك السعدان، معلقة به تخطف من أمرت بخطفه، وإنه مدحضة مزلة، فهو على دقته أيضاً منزلق لا تثبت عليه قدم إلا إذا كتبت لها الثبات بان كان صاحبها من أهل السعادة.

وقد خالف بعض الناس في ثبوت هذا الوصف، وذهبوا إلى تأويلات وأقوال مضطربة تاركين ما بان ثبوته بالأحاديث الصريحة والصحيحة، وحمل بعضهم النصوص على المجاز فقالوا: أنه راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى، وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلا للغامض الخفي، وضرب حد السيف لإسراع الملائكة في المضي لامتثال أمر الله وإجازة الناس عليه، وإما أن يقال: إن الصراط نفسه أحد من السيف وأدق من الشعرة فذلك الوصف مدفوع بما وصف من إن الملائكة يقومون بجنبيه، وإن فيه كلاليب وحسكا، ودقة الشعر لا يحتمل هذا كله(١).

وقال القرافي تبعا للبيهقي: [كون الصراط أدق من الشعر، وأحد من السيف لم اجده في الروايات الصحيحة، وإنما يروى عن بعض الصحابة](٢).

وقد رد العلماء على هذه الأقوال رداً علمياً دقيقاً، سأبينه مفصلاً في المبحث الأخير من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

فإن قيل: جاء في الأحاديث الصحيحة إن هنالك قنطرة يحبس عليها المؤمنون، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، فما تكون هذه القنطرة، وأين يكون موضعها، وهل هي من الصراط، وهل هي متعددة، وما علاقتها بالحساب؟

يجاب عنه: هذه القنطرة ثبتت في السنة النبوية، وهي خاصة لمسلك

---

(١) ينظرالتذكرة: ٢/ ٤٤٦ ومقالات الإسلاميين: ٢/ ١٤٦ وتكملة شرح الصدور: ٣٢ والنشر الطيب: ٢/ ٣٨٢.

(٢) لوامع الأنوار: ٢/ ١٩٣ والنشر الطيب: ٢/ ٣٨١ والتذكرة: ٢/ ٤٤٧.

المؤمنين إلى الجنة، حيث يقفون عليها ليقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا، اذن لهم بدخول الجنة، وهي اشبه ما تكون بتصفية الذهب لجعله نقيا خالصا من كل شائبة مهما دقت، وقد اختلف العلماء فيها، هل هي صراط مستقل وله ميزات خاصه به؟ أم أنها من تتمة الصراط العظيم المنصوب على متن جهنم؟ والخلاف المشار إليه إنما هو في موضعها لا في ثبوتها، فهي ثابتة بما لا شك فيه كما يتضح من الأحاديث الصحيحة الآتية:

١- عن أبي سعيد الخدري ﷺ ان رسول الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرةٍ بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا، اذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفسي بيده لاحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا»(١).

وقال قتادة: [قال بعضهم: ما يشبه لهم إلا أهل جمعة حين انصرفوا من جمعتهم](٢)، والمراد بهذا التقاص بينهم أي تتبع ما بينهم من المظالم، واسقاط بعضها ببعض حتى يخلصوا من الآثام بمقاصة بعضها ببعض.

قال ابن حجر رحمه الله: [ويشهد لهذا الحديث قوله -في حديث جابر الآتي ذكره في التوحيد: (لا يحل لاحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد قبله مظلمة)](٣).

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح من مرسل الحسن قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «يحبس أهل الجنة بعدما يجوزون الصراط، حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلاماتهم في الدنيا ويدخلون الجنة، وليس في قلوب بعضهم على بعض غل»(٤).

وقال ابن حجر رحمه الله: [وهو شاهد كذلك لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ](٥).

(١) صحيح الإمام البخاري: ٥/ ٩٦ و ١١/ ٩٧ والإمام أحمد في مسنده: ٣/ ١٣.
(٢) مسند الإمام أحمد: ٣/ ٧٤.
(٣) فتح الباري: ٥/ ٩٦.
(٤) فتح الباري: ١١/ ٣٩٩.
(٥) المصدر نفسه: ١١/ ٣٩٩.

موضع القنطرة

اختلف العلماء في موضعها، وحاصل الخلاف يرجع إلى أمرين:

أولهما: أن تلك القنطرة هي جزء من الصراط، وتتمة له.

والثاني: أنها صراط مستقل بين الصراط الأول والجنة، لا سيما بمن كتبت لهم السعادة.

وبعض العلماء لم يترجح لديه أحد الأمرين، قال ابن حجر: [واختلف في القنطرة المذكورة فقيل: هي من تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل: إنهما صراطان](١).

وذهب القرطبي إلى القول بأن القنطرة ليست من الصراط الأول العظيم المنصوب على متن جهنم، وإنما هي صراط ثان، وقد بوب في كتابه التذكرة على هذا بقوله: [باب: ذكر الصراط الثاني وهو القنطرة التي بين الجنة والنار](٢).

وذكر أن المؤمنين إذا خلصوا من صراط جهنم حُبسوا على صراط آخر خاص بهم، بقوله: [ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد -إن شاء الله- لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم، والذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه، وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه](٣) وذهب إلى هذا القول أيضا مقاتل فيما نقله عنه القرطبي.

وينقل السفاريني عن السيوطي ترجيحه أن القنطرة طرف من الصراط الذي يلي الجنة، أي أنها جزء منه وتتمة له قال: [قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه البدور السافرة في علوم الآخرة: والأول يعني أنه طرف الصراط الذي يلي الجنة -هو المختار الذي دلت عليه أحاديث القناطرة والحساب على الصراط](٤).

---

(١) فتح الباري: ١١/ ٣٩٩.

(٢) التذكرة: ٣٣٩.

(٣) المصدر نفسه: ٣٣٩.

(٤) لوامع الأنوار: ٢/ ١٩٠ وعزاه للسيوطي في البدور السافرة (مخطوط).

أما الإمام ابن كثير فإنه يجعلها بعد نهاية النار، وكأنه يجعلها صراطاً مستقلاً منصوباً على هول لا نعلمه، فهو بعد أن ذكر كلام القرطبي ورأيه في هذه القنطرة من أنها صراط ثان قال معلقا عليه: [قلت: هذه بعد مجاوزة النار، فقد تكون القنطرة منصوبة على هول آخر، مما يعلمه الله ولا نعلمه نحن، وهو أعلم](١).

فهو لم يترجح لديه حسبما يظهر عن كلامه هل هي صراط اخر أو متصلة بالصراط العظيم الذي هو على متن جهنم، وكذلك الحافظ ابن حجر فإنه لم يرجح أياً من القولين حيث قال: [والذي يظهر أنها طرف الصراط مما يلي الجنة، ويحتمل أن يكون من غيره بين الصراط والجنة](٢).

والراجح في يظهر: أن القنطرة صراط مستقل، وليس بمتصل بالصراط العظيم الذي يعبر عليه جميع البشر وذلك لأمور هي:

١- إن قول حضرة النبي ﷺ: «حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار» يدل على أن هذه القنطرة منفصلة عن جهنم، لأن الصراط فوق النار، ويمتد إلى انتهائها، ثم تبدأ بعد ذلك القنطرة التي هي بين الجنة والنار، كما هو ظاهر الحديث، وإذا كانت منفصلة وهي صراط آخر فكيف وصولها والصراط قد انتهى؟ ولم أجد في ذلك جوابا ثابتاً، ولعله والله أعلم مشوا على شيء لا نعلمه، وأن هناك قناطر، ولكن هذه القنطرة هي التي يقف عليها المؤمنون.

٢- إن المقصود من وضع الصراط العظيم غير المقصود من وضع القنطرة، إذ الصراط المقصود من وضعه ليسقط عنه أعداء الله إلى النار، وأما القنطرة فليست كذلك وإنما هو لحكمة أرادها الله تعالى، لتنقية أحبائه من التبعات الخفيفة التي بقيت عليهم، حتى يدخلوا الجنة وليس في صدورهم غل.

٣- إن القنطرة قد اختصت بمزايا زائدة عن الصراط، ومن أهمها:

أ- إنه لا يسقط فيها أحد.

---

(١) البداية والنهاية: ٢/ ٩٥.

(٢) فتح الباري: ٥/ ٩٦.

ب- إنها لاقتصاص مظالم خاصة بين أهل الجنة.

ت- إن ذلك القصاص فيما بينهم لا يستنقذ حسنات أحد منهم[(١)].

تعدد القناطر

لقد ظهر مما سبق إن الأدلة كلها تدل على وجود قنطرة يعبر عليها المؤمنون إلى الجنة، قنطرة واحدة وليست قناطر متعددة، غير أن بعض العلماء يذكر أنها قناطر متعددة، ويجعلونها متصلة بالجسر، بما فيه هذه القنطرة.

قال القرطبي: [روي عن بعض أهل العلم أنه قال: لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل في سبع قناطر: فأما القنطرة الأولى: فيسأل عن الإيمان بالله، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها مخلصا -والإخلاص قول وعمل- جاز.

ثم يسأل على القنطرة عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز.

ثم يسأل على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فإن جاء به تاما جاز.

ثم يسأل على القنطرة الرابعة عن الزكاة، فإن جاء بها تامة جاز.

ثم يسأل على القنطرة الخامسة عن الحج والعمرة، فإن جاء بهما تامتين جاز.

ثم يسأل على القنطرة السادسة عن الغسل والوضوء، فإن جاء بهما تامتين جاز.

ثم يسأل على القنطرة السابعة -وليس في القناطر أصعب منها- عن ظلامات الناس][(٢)].

وهذا ما ذكره البيهقي رحمه الله عن مقاتل بن سليمان، وذكر أيضاً رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود ﷺ فيها: «وراء الصراط ثلاثة جسور»، وذكر أن هذا الخبر موقوف على ابن مسعود، ومرسل بينه وبين سالم بن أبي الجعد، ورواه أبو فزارة عن سالم بن أبي الجعد من قوله، غير مرفوع إلى عبد الله بن مسعود.

---

(١) ينظر الحياة الآخرة: ٣/ ١٣٣٢.

(٢) التذكرة: ٣٢٩ ويوم الفزع الأكبر: ٣٢٦.

قال البيهقي: [وإن صح، فإنما أراد والله أعلم لإن ملائكة الرب يسألونه عما فرط فيه][١].

ويقول السفاريني: [وفي بعض الآثار أن فيه سبع قناطر، يسأل كل عبد عند كل قنطرة منها عن أنواع من التكليف][٢].

وفي مجمع الزوائد عن سليمان بن حبيب المحاربي، عن أبي أمامة الباهلي ﷺ -من حديث طويل- قال فيه: «إن في جهنم جسرا له سبع قناطر، على وسطه العصاة، فيجاء بالعبد حتى إذا انتهى القنطرة الوسطى قيل له: ماذا عليك من الدين؟ قال: فيقول: يا رب عليَّ كذا وكذا، فيقال له: اقض دينك، فيقول: مالي شيء وما أدري ما أقضي منها، فيقال: خذوا من حسناته، فما يزال يؤخذ من حسناته حتى ما تبقى له حسنه».

وهذا الحديث في سنده راويان ضعيفان، وما ثبت في الصحيح من أنها قنطرة واحدة هو الذي ينبغي اعتقاده.

فيظهر أن القول بتعدد القناطر يفتقد إلى دليل يثبته، إذ الثابت أنها قنطرة واحدة لعبور أهل الجنة إليها.

وأيضاً فإن القرطبي رحمه الله وهو يذكر تعدد القناطر يصدر الكلام بقوله: [روى عن بعض أهل العلم] والمعلوم أن المسائل الغيبية الاعتقادية لا تثبت بمثل هذا الكلام، ثم إن تلك الأسئلة التي تقع على القناطر المذكورة من أوليات ما يسأل عنه العبد في الموقف عند الحساب، لأنها مشتملة على جميع ما يحاسب عليه العبد، ويتحدد مصيره بموجب النتيجة التي تسفر عنها.

وكذلك قول السفاريني رحمه الله، ليس فيه الجزم برفعها إلى حضرة الرسول ﷺ وقوله: [وفي بعض الآثار] كقول القرطبي رحمه الله: [وروى عن بعض أهل العلم].

وأما الحديث الذي ذكره الهيتمي معزوا إلى الطبراني فإن في سنده راويين ضعيفين، وفيه ما تدل ظواهر النصوص على خلافه، وهو أخذ الحسنات فوق

(١) ينظر الأسماء والصفات: ٥٤٦.
(٢) لوامع الأنوار: ٢/ ١٩١.

الجسر فإن ظواهر النصوص تدل على أن الحسنات تؤخذ في الموقف أثناء الحساب وقبل الميزان. وليس هناك حساب آخر على الجسر غير ما ورد في القنطرة.

والراجح من كل ما تقدم أنها قنطرة واحدة، تكون بعد عبور الجسر، وجعلها الله تعالى للمؤمنين خاصة، للذين نجوا من النار باجتياز الصراط وهذا هو الثابت في الصحيح.

ثم إن ظاهر الحديث الذي مر معنا- الذي فيه ان القناطر داخل جهنم- يعارضه الحديث الصحيح الذي فيه أن الصراط فوق جهنم، فكيف يمكن الجمع بين الحديث، الذي ينص الصحيح منهما أن الصراط فوق جهنم، وينص الآخر على أن القناطر في داخل جهنم؟

وزيادة عن ذلك فإن القناطر التي ذكرت خاصة بالمؤمنين، الذين يسألون عن الشهادة والصوم والزكاة. . .الخ، فكيف يكون ذلك وقد تجاوزوا الصراط، وكيف يدخلون جهنم ليجوزوا على هذه القناطر ويسألوا عن هذه الأمور، التي يقع عليها الحساب في الموقف ولابد؟

فكل ذلك مما يدل على ضعف هذا الحديث، ويؤكد أنه صراط واحد وقنطرة واحدة، والله أعلم.

ومما ينبغي التنبيه إليه: إن ما يذكره بعض العلماء من أن الجنة تكون بعد الصراط مباشرة، فيها إيهام وإغفال لذكر القنطرة، ولا يصدق هذا إلا على الخارجين من النار، لأنهم إذا خرجوا منها فإنهم لا يحبسون على القنطرة لعدم الداعي لذلك.

وقد ذكر القرطبي أن الدارقطني أورد حديثا في هذا، يفيد ان الجنة بعد الصراط، ولم يذكر القرطبي الحديث إلا أنه أجاب عنه بجوابين فقال: [ولعله أراد بعد القنطرة، بدليل حديث البخاري، أو يكون ذلك في حق من دخل النار وخرج بالشفاعة، فهؤلاء لا يحبسون بل إذا خرجوا بثوا على أنهار الجنة][١].

(١) التذكرة: ٤٠٨ وينظر أصول الدين: ٤٨٢.

فإن قيل: إذا ثبتت قنطرة واحدة يحبس عليها المؤمنون للقصاص فيما بينهم فما معنى هذا التقاص؟ وما الحكمة منه؟

يجاب عنه: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: [إن المراد به تتبع ما بينهم من المظالم واسقاط بعضها ببعض][(١)] وقال القرطبي رحمه الله: [هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم][(٢)].

وأما الحكمة من تأخير حساب هؤلاء السعداء بعد انقضاء حسابهم في الموقف فيمكن الجواب عنها من وجهين:

الأول: أن الله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وما دام النص قد ثبت بذلك فليس لأحد أن يعترض على ربه، ويسأله لماذا ابقيت حساب هؤلاء إلى هذا المكان؟

الثاني: أنه لا يلزم أن يحاسب الله المؤمنين عن كل شيء في مكان واحد، خصوصا عن مثل هذه التبعات التي تؤثر في دخولهم الجنة ونجاتهم من النار، فربما أن الله تعالى أخرها لتكون سعادتهم أكمل، ولتكون بمثابة استعداد تام لدخول الجنة وهم على طهارة تامة من الغل وشوائب النقص الأخرى والله أعلم بحقيقة ذلك.

مسافة الصراط

فإن قيل: جاءت الأخبار والأحاديث الصحيحة مخبرة عن مسافة الحوض وسعته، فهل وردت أيضا في تحديد مسافة الصراط وطوله؟

يجاب عنه: لم أجد نصاً صحيحاً يثبت مسافة الصراط، ومقدار ما يجتاز العابرون عليه من الزمن، حيث أن المسائل الغيبية لا يصح فيها القول إلا بدليل ثابت، فإنني سوف أورد هنا ما قاله بعض أهل العلم في مقدار السير عليه، وحكم هذه الأقوال للتنبيه عليها، ومن ذلك:

قال الفضيل بن عياض ﷺ: [بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر الف

(١) فتح الباري: ٩٦/٥.
(٢) المصدر نفسه: ٣٩٩/١١.

سنة، خمسة آلاف صعود، وخمسة آلاف هبوط، وخمسة آلاف مستو...][١].

وفي رواية أخرى عنه أنه قال لبشر بن الحارث: [يا بشر، مسيرة الصراط خمسة عشر ألف فرسخ، فانظر كيف تكون على الصراط][٢]، وقاله الوزاني وعزاه للإمام الغزالي رحمه الله[٣].

وروى فيض بن إسحاق عن الفضيل قال: [الصراط أربعون ألف فرسخ][٤]. ويعزو ابن كثير بسنده إلى أبي واعظ أنه قال: [بلغني ان الصراط ثلاثة آلاف سنة، الف سنة يصعد الناس عليه، وألف سنة يستوي الناس، وألف سنة يهبط الناس][٥]. وقال به الأقفهسي أيضا[٦].

وذكر القرطبي رحمه الله قائلا: [فمنهم من يجوز الصراط على مائة عام، واخر يجوز على الف][٧].

ويقول سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره: [إن طوله ثلاثمائة سنة من سني الآخرة، يجوزه الأبرار، وتزل عنه الفجار، وقيل: ثلاثة آلاف سنة من سني الآخرة][٨] وهو قول محمد بن السماك، نسبه إلى زهاد البصرة[٩]. وذكره البرديسي في تكملة شرح الصدور[١٠].

والواقع أن تلك الأقوال وغيرها مما ورد في تحديد مسافة الصراط، مما لم يتضح دليله وتكلف القول بالتحديد، دون دليل ظاهر فيها، مما لا ينبغي، ولا أدل على هذا من البون الشاسع فيما ذكروه من المسافات.

---

(١) فتح الباري: ١١/ ٤٥٤.
(٢) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٩١.
(٣) ينظر النشر الطيب: ٢/ ٣٨٠.
(٤) التخويف من النار: ١٧٥-١٧٦.
(٥) البداية والنهاية: ٢/ ١٨٠.
(٦) ينظر النشر الطيب: ٢/ ٣٨٠.
(٧) التذكرة: ٣٣٠.
(٨) الغنية: ١/ ٧١.
(٩) ينظر التخويف من النار: ١٧٦.
(١٠) ينظر تكملة شرح الصدور: ٣٢.

ومعلوم أن سبب ذلك يرجع إلى عدم وجود نص قاطع عن حضرة النبي ﷺ وتبقى هذه الأقوال الواردة عن بعض العلماء أقوالا لا يثبت بها مثل هذا الأمر الغيبي.

أضف إلى هذا أن العلماء الأكارم رحمهم الله وهم يذكرون تلك المسافات لم يجزموا برفعها إلى حضرة الرسول الأعظم ﷺ بسند صحيح، بل صدروا كلامهم عند الأخبار لهذه المسافات بصيغ لا تدل على الحزم، بل يقولون: روي، وقيل، وبلغنا، وحكم الحافظ ابن حجر على رواية الفضيل بن عياض بأن خبرها: (معضل لا يثبت) وعلى رواية سعيد بن أبي هلال بأن خبرها: (مرسل أو معضل)[١].

وأرى والله أعلم أن العلماء عليهم سحائب الرحمة والرضوان أرادوا تهذيب النفوس الأمارة بالسوء وتخويفها من هول العبور على الصراط وطول مسافته فتبتعد النفس عن الشهوات والآثام.

وقال الوزاني بعد أن نقل هذه الأقوال: [إن القول الحق في هذا هو عدم التعويل على عدد][٢] وعلى هذا فإن القول بتحديد مسافة العبور على الصراط بمدة محدودة أمر غير ثابت، وأن مرد ذلك إلى العمل، كما تفيده النصوص، فتكون السرعة والبطء إنما هو نتيجة للعمل لا لطول المسافة ولا لقصرها والله أعلم بحقيقة ذلك، ونسأله تعالى بجاه نبيه المصطفى ﷺ أن يسهل علينا مسافته المخيفة ويكتب لنا النجاة عند المرور ويشمل برحمته جميع الأمة إنه سميع مجيب.

المبحث الرابع

أحوال الناس على الصراط

ورد في الأحاديث الصحيحة أن الناس في الظلمة دون الصراط[٣] مرعوبين

(١) ينظر فتح الباري: ١١/ ٤٥٤. (٢) النشر الطيب: ٢/ ٣٨٠.

(٣) ينظر حديث السيدة عائشة رضي الله عنها الذي أخرجه الترمذي في سننه: ٥/ ٣٧٢ وقال حديث حسن صحيح غريب.

خائفين، يشغل بالهم هول الصراط وسرعة خطف الكلاليب وعمق جهنم وزفيرها، فالنار مظلمة وأرض المحشر مظلمة، والصراط مظلم، وإنما ينير لكل إنسان نوره الذي اكتسبه بإيمانه وعمله الصالح.

ويفزع أهل الإيمان إلى الأنبياء والرسل ليؤذن للناس بالمرور على الصراط، كما كانوا يفزعون إليهم في الملمات والمصائب في الدنيا فيفرج الله عنهم بسبب دعاء الصالحين والعارفين، فيعتذرون لهول ذلك اليوم وانشغالهم بأنفسهم، إلا حبيبنا وسيدنا محمد ﷺ فيشفع[(١)]، فيكون هو وأمته أول من يجوز على الصراط، وهذا الجواز هو الذي فسر فيه بعضهم قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[(٢)].

قال البرديسي: [فإذا وقع السؤال، ونصبت موازين الأعمال، وتطايرت الكتب عن اليمين والشمال، وضع الصراط على متن جهنم][(٣)] وهو ما قاله القرافي أيضا[(٤)].

وترجيح القول بأنه يقع بعد هذه الامور التي تتم في الموقف، نظراً إلى أن الغرض من وضع الصراط إنما هو لإنصراف الناس إلى أماكن استقرارهم من الجنة أو النار، فهو متأخر عن كل ما يقع في الموقف.

قال علي ابن أبي العز الحنفي: [ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذ انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي هي دون الصراط... وذكر حديث عائشة رضي الله عنها، ثم قال: [وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم][(٥)].

وتختلف أحوال العباد حين يمرون على الصراط فمنهم السالم الذي ينجو،

---

(١) ينظر صحيح الإمام مسلم: ١/ ١٧٦-١١٨.
(٢) سورة مريم: الآية ٧١.
(٣) تكملة شرح الصدور: ٣٠.
(٤) المصدر نفسه: ٣١.
(٥) شرح الطحاوية: ٤٩٦.

ومنهم الهالك ومنهم الذي يخدش ثم ينجو، بدلالة ما قاله حضرة الرسول الأعظم ﷺ: «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ فقال: دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم...»[(١)].

وذكر الإمام النووي في شرحه للحديث الشريف: (فناج مسلم... إلى ومكدوس في النار)، بقوله: [معناه أنهم في ثلاثة:

١- قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً.

٢- وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص.

٣- وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم][(٢)].

وقد بينت الأحاديث النبوية المباركة أن الخلق يختلفون في مرورهم عليه اختلافاً عظيماً ومتفاوتاً غاية التفاوت، قوةً وبطئا، صعوداً وانحدارًا، فوزاً وخسارة، ذلك أن السير عليه يكون بطريقة لا مثيل لها في الدنيا، وبمركب لا عهد للناس به، ذلك المركب هو العمل، وعلى كثرته أو قلته يكون السير على الصراط.

ولأن الناس أعمالهم مختلفة، فأحوالهم مختلفة، والعبور عليه يكون كذلك مختلفا، فقسم من الناس يمرون عليه مثل طرف العين، وهؤلاء أعلى الناس مرتبة وأشرفهم منزلة، وقسم آخر يمرون مثل البرق، وهؤلاء مثل أهل المنزلة السابقة، أهل الأعمال الكثيرة والدرجات العظيمة العالية، وبعدها قسم يمرون كالريح، وهم أقل من السابقين وأكثر ممن بعدهم، وهم على خير كثير وفوز عظيم.

وبعدهم قسم آخر، وهم أناس يمرون مثل أجاويد الخيل، وهؤلاء أقل عملًا وفوزًا ممن سبقهم، وهم أول درجات الضعف في المرور على الصراط،

---

(١) صحيح الإمام مسلم: ١/ ١٦٤، ومسند الإمام أحمد: ٢/ ١١، وابن ماجه في سننه: ٢/ ١٤٣١.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم: ٣/ ٣.

ثم يأتي بعدهم من يمر كأجاويد الركاب.

ثم بعد هؤلاء الفضلاء تأتي الأقسام الأخرى، وهم الذين يخاف عليهم، وهؤلاء يعبرون بعد الجهد والمشقة، ومنهم من يخرج ويتم العبور، ومنهم من لم تكتب له السعادة مطلقا أو مؤقتا، فتخطفهم النار ويهوون فيها، وأول هؤلاء من يخرج وهو ناج مسلم، لكنه بعد أن يئس ورأى أنه من الهالكين، ولكنه أحسن حظا ممن يليه، وهم الذين ينجون ويتمون العبور على الصراط لكن أصابتهم الخدوش، ورأوا من الاهوال ما توقعوا به السقوط لولا لطف الله بهم، وحينما يخرجون، يلتفتون إلى النار ويقولون: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحدا(١).

ثم يأتي بعد أولئك، آخر الناجين وأضعفهم سيرا، وهم من يسحبون سحبا، أو يزحفون زحفا على الصراط، وربما فيهم من كان في الدنيا يقطع المسافات الطويلة في ساعات قليلة بل في لحظات، ولكنه هنا، بطل حوله وقوته، فليس له مركب إلا عمله، الذي لم يسعفه في هذا الموقف الخطير كما اسعفته قوته في الدنيا.

ثم يبقى القسم الأخير: وهم من ساء حظه وغلبت عليه شقوته، وهؤلاء لا يتمون المرور، بل يكدسون ويسقطون في جهنم، تخطفهم الكلاليب من كل جانب لأنهم ليس لهم ما يمنعهم منها كما حصل لمن سبقهم.

وهناك أحوال كثيرة في صفة مرورهم على الجسر، وكلها تدور على أن المرور على الصراط انما يتم وفق مقدار العمل الصالح الذي قدمه الإنسان لنفسه في حياته الدنيا فهو المركب الوحيد هنا(٢).

ويمر الناس على الصراط بسرعات مختلفة وأنوار مختلفة، والمنافقون لا نور لهم قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا

(١) ينظر فتح الباري: ١٣/ ٤٢١ وشرح النووي لصحيح الإمام مسلم: ١/ ٤٣٨.

(٢) ينظر فتح الباري: ١١/ ٥٤٤ وشرح النووي لصحيح الإمام مسلم: ١/ ٤٣٠ و ١/ ٤٧٥.

فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾[١].

قال المفسرون في معنى الآية: [أخبر الله تعالى عن المؤمنين الأبرار، وما يتقدمهم من الأنوار على الصراط فقال: «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم» أي اذكر يوم ترى أنوار المؤمنين والمؤمنات تتلألأ من أمامهم ومن جميع جهاتهم ليستضيئوا بها على الصراط، وتكون وجوههم مضيئة كاضاءة القمر في سواد الليل وبشرهم بجنات الخلد والنعيم، وأن نور كل واحد منهم على قدر إيمانه، وأنهم متفاوتون في النور فمنهم من يضيء نوره ما قرب من قدميه ومنهم من يطفأ نوره مرة ويظهر مرة][٢].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣].

وذكر أهل التفسير في معنى الآية: أن نور هؤلاء المؤمنين يضيء لهم على الصراط، ويسطع أمامهم وخلفهم وعن إيمانهم وشمائلهم كإضاءة القمر في سواد الليل ودعائهم: يا ربنا اكمل علينا هذا النور وادمه لنا، ولا تتركنا نتخبط في الظلمات[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [هذا دعاء المؤمنين حين اطفأ الله نور المنافقين يدعون ربهم به اشفاقاً حتى يصلوا إلى الجنة وينجون من الصراط جسر جهنم][٥].

وثبت أن النبي ﷺ يعرف أمته يوم القيامة بالنور الذي يسطع على جباههم وأيديهم من أثر الوضوء، وبشرهم بالنور التام يوم القيامة إذا ما حافظوا على

(١) سورة الحديد: الآيات ١٢-١٤.
(٢) ينظر تفسير القرطبي: ١٧/ ٢٤١ والرازي: ١٩/ ٢٢٠ وأبي السعود: ٥/ ١٣٩ والخازن: ٤/ ٣٢ والصابوني: ٣/ ٣٢٣.
(٣) سورة التحريم: الآية ٨.
(٤) ينظر تفسير الخازن: ٤/ ١٢١ وأبي السعود: ٥/ ١٧٥ وابن كثير: ٣/ ٥٢٥ والآلوسي: ٢٨/ ١٦٢.
(٥) تفسير القرطبي: ١٨/ ٢٠١.

الصلاة في الليل وداوموا على المشي ليلا إلى المساجد[١].

وقال شيخي حضرة الدكتور عبد الله مصطفى رضي الله عنه في رثاء تلميذه البار الشهيد مثنى عبد الوهاب العبيدي رحمه الله واسكنه فسيح جناته:

كم جيئةٍ للفجرِ تسبق نوره ... والوجهُ بشرٌ والخلائقُ أطيبُ

والى العشاءين المسير إذا الدُجى ... أرخى السدول نجومها تتوثبُ

كم جلسة غراء بعد صلاتنا ... فيها المعارف للهداية تطلبُ

انت الشهيد وقد سعيت لجنةٍ ... وسعى إليك الخالدون وطيَّبُ[٢]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال -في صفة مرورهم وتوزيع الأنوار عليهم-: «فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطي نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطي نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطي نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطي دون ذلك بيمينه حتى يكون آخر من يعطي نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ مرة، إذا اضاء قدم قدمه، وإذا اطفأ قام.

قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال لهم، امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل يرمل رملا، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخر يد وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون، فإذا خلصوا -أي عبروا الصراط- قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحدا»[٣].

وعند ابن أبي حاتم في التفسير -من طريق أبي الزعراء عن ابن مسعود

---

(١) ينظر صحيح الإمام مسلم: ١/ ٢١٨ و ١/ ٢١٧ وسنن الترمذي: ٢٢٣ وأبي داود: ٥٦١ وابن ماجه: ٧٨١ والحاكم: ١/ ٢١٢.

(٢) نفحات الحياة: ٩٥، الشهيد مثنى العبيدي رحمه الله استشهد في سوح الوغى دفاعا عن العراق العظيم عام ١٩٨٦ في معركة قادسية صدام المجيدة.

(٣) قال الحافظ العراقي في تخريج احاديث الاحياء: ٤/ ٥٣٥ رواه ابن عدي من حديث ابن مسعود والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٧٦، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: ١٨١ رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم واللفظ له.

ﷺ في صفة مرورهم على الصراط: [إنهم يمرون كمر البرق، ثم الريح، ثم الطير، ثم أجود الخيل ثم الإبل، ثم كعدو الرجل، حتى ان آخرهم رجل نوره على موضع إبهامي قدميه لم يتكفأ به الصراط](١).

فالمؤمنون الصادقون يمرون على الصراط في أمان وسلام يضيء لهم نور إيمانهم وأعمالهم الصالحة ويسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، قال الزمخشري رحمه الله: [وإنما قال: «بين أيديهم وبإيمانهم» لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم](٢).

فكل مؤمن يمشي على الصراط يهديه نور إيمانه الشامل للاعتقاد والعمل والقول، وقوة نورهم هي على حسب قوة إيمانهم فمنهم قوي النور، ومنهم الأقوى فالأقوى، قال قتادة ﷺ: [ذكر لنا النبي ﷺ كان يقول: «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن آبين، وصنعاء، فدون ذلك، حتى أن يضيء نوره موضع قدميه»](٣) وصح عنه ﷺ أنه قال: «لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم يوم القيامة»(٤).

وذكر العلامة المناوي رحمه الله في قوله ﷺ: «كنت له نورا يوم القيامة» فقال: [أي يصير الشيب نفسه نورا يهتدي به صاحبه ويسعى بين يديه في ظلمات الحشر والصراط إلى أن يدخله الجنة، ثم قال: فَكُرِهَ نتف الشيب من نحو لحية وشارب وحاجب وعنفقة وعذار للفاعل والمفعول به](٥) فشيبة الإسلام تضيء الصراط، وصبغ النفاق والفساد ظلمات فوقها ظلمات.

وإذا كان أهل الإيمان والتقوى يمرون على الصراط بسلام وأمان، وبعض

---

(١) فتح الباري: ١١/ ٤٥٣.
(٢) تفسير الزمخشري: ٤/ ٣٢٤.
(٣) مختصر ابن كثير: ٣/ ٤٤٨.
(٤) رواه ابو داود في سننه: ٢٤٠٢ والترمذي في سننه: ٢٨٢٢ وقال: حديث حسن صحيح والنسائي في سننه: ٨/ ١٣٦ وسنده حسن
(٥) الإيمان بعوالم الآخرة: ٣٩٩، والعنفقة: الشعر الذي يكون تحت الفم من جهة اللحية، والعذار: هو الشعر المتصل بالرأس واللحية ويسمى الزلف.

العصاة يتساقطون في النار، فإن أهل النفاق لا يعبرون على الصراط أصلاً على قول للعلماء، وبعض العلماء يقول: إن السور الذي يضرب بينهم وبين أهل الإيمان يكون في آخر الصراط أو في مكان مأمنه، وعلى هذا القول؛ فإن أهل النفاق يمرون على الصراط أو على بعضه، ولكنهم لا نور لهم فيسقطون في جهنم وبئس المصير.

وقد اختلف العلماء في إعطاء المنافقين أنواراً يمشون بها كالمؤمنين، هل يحصل ذلك أو لا؟

اختلفوا فيه إلى قولين ذكرهما ابن رجب الحنبلي رحمه الله بقوله: [وقد اختلف السلف: هل يقسم للمنافق نور مع المؤمنين ثم يطفأ؟ أو لا يقسم له نور بالكلية؟ على قولين:

الأول: قول من ينفي ذلك، وأنه لا يقسم له نور بالكلية، قال صفوان بن عمرو: [حدثني سليم بن عامر سمع أبي أمامة يقول: يغشى الناس ظلمة شديدة -يعني يوم القيامة- ثم يقسم النور، فيعطى المؤمن نورا ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئا، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه، قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾(١).

فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا﴾(٢).

قال: وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين، قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾(٣) فيرجعون إلى الموضع الذي قسم فيه النور، فلا يجدون شيئاً، فينصرفون إليهم قال تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ

(١) سورة النور: الآية ٤١.
(٢) سورة الحديد: الآية ١٣.
(٣) سورة النساء: الآية ١٤٢.

وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾[(١)].

قال سليم بن عامر: [فلا يزال المنافق مغترا حتى يقسم النور ويميز الله بين سبيل المؤمن والمنافق][(٢)].

الثاني: إنه يقسم للمنافقين النور مع المؤمنين، كما كانوا مع المؤمنين في الدنيا ثم يطفأ نور المنافق إذا بلغ السور، وهو قول مجاهد.

وروى عتبة بن يقظان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ليس لأحد من أهل التوحيد ألا يعطى نورا يوم القيامة، فأما المنافق فيطفأ نوره، فالمؤمن يشفق مما يرى من اطفاء نور المنافق، فهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[(٣)]، وقال آدم بن اياس: أنبأنا المبارك بن فضلة عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «يدفع يوم القيامة إلى كل مؤمن نور، وإلى كل منافق نور، فيمشون معه، فبينما نحن على الصراط إذ غشينا ظلمة، فيطفأ نور المنافق ويضيء نور المؤمن فعند ذلك قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ حين يطفئ نور المنافقين][(٤)].

فالمنافقون لما كانوا في الدنيا يخادعون وذلك بإظهارهم الإسلام وإبطانهم الكفر، فإن الله تعالى هو خادعهم في الدنيا، بأن عصم دماءهم وأموالهم استدراجاً لهم في الضلال والطغيان وهو خادعهم في الآخرة، وذلك بأن يتمثل لهم إسلامهم الذي تظاهروا به في الدنيا، يتمثل لهم بشيء من النور يمشون به خطوات قليلة على الصراط حتى يظن أحدهم أنه قد أمن ونجا، فبينما هم كذلك ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات كفرهم ونفاقهم لا يبصرون، وإذا بهم يستغيثون بالمؤمنين أمامهم يقولون لهم: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي انتظرونا نستضيء بنوركم ولا تسرعوا إلى الجنة، بل انظروا إلينا نذهب معكم.

---

(١) سورة الحديد: الآيات ١٣-١٥.

(٢) التخويف من النار: ١٧٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) سورة التحريم: الآية ٨.

(٤) التخويف من النار: ١٧٣ وينظر تفسير الخازن: ٤/ ٣٤ والقرطبي: ١٧/ ٢٤٧ والرازي: ٢٩/ ٢٢٩ وابن حيان: ٨/ ٢٢٢ والالوسي: ١٧/ ١٧٧.

قال البيضاوي رحمه الله: [فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور من بين أيديهم][١] وحينئذ أجابهم المؤمنون بما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾.

ومعنى ذلك الأمر في تلك اللحظات الرهيبة العصيبة هو الرجوع إلى الحياة الدنيا والتماس النور من خلال تحصيل المعارف الآلهية والأخلاق الفاضلة، فإن النور يتولد منها، أو ارجعوا إلى ساحة الموقف فإنه تقسم فيها الأنوار لأصحابها، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾][٢].

وقال قتادة رضي الله عنه: [وما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله تعالى في نار جهنم][٣].

وفي هذه اللحظات العصيبة لا يقبل منهم بدل ولا عوض، لأن الكفار والمنافقين جحدوا بآيات الله ونعمه، فعن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يقول للكفار أرأيتك لو كان لك أضعاف الدنيا أكنت تفتدي بجميع ذلك من عذاب النار؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول الله تبارك وتعالى قد سألتك ما أيسر من ذلك وانت في ظهر أبيك آدم، أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك»[٤].

وعلى هذا فإن مقامهم يوم القيامة ومنزلهم نار جهنم هي عونهم وسندهم وناصرهم لا ناصر لهم غيرها، وهذه أعلى درجات التهكم فإنها بئس المرجع والناصر والمنقلب[٥].

وأخبر الصادق المصدوق ﷺ أن الزالين على الصراط يومئذ كثير لكن أكثرهم في النساء فعنه ﷺ أنه قال: «الزالون على الصراط كثير، وأكثر من يزل عنه النساء»[٦] وهذه الرواية تنسجم مع قوله ﷺ: «إن أقل ساكني الجنة

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٥٢.

(٢) ينظر تفسير القرطبي: ١٧/ ٤٧، وابن حيان الأندلسي: ٨/ ٢٢٢ والالوسي: ٢٧/ ١٧٨ والإيمان بعوالم الآخرة: ٤٠٠.

(٣) تفسير الصابوني: ٣/ ٢٢٥.

(٤) رواه الشيخان، ينظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

(٥) ينظر تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٥٢ والرازي: ٢٩/ ٢٢٩ والقرطبي ١٧/ ٢٤٧ وابن حيان: ٨/ ٢٢٢ والالوسي: ١٧/ ١٧٧.

(٦) رواه القرطبي بسنده في التذكرة: ٢/ ٤٤٤ وفي كتاب يوم الفزع الأكبر: ٣٣٠.

النساء»[١] وقوله ﷺ: «وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء»[٢] وقوله ﷺ: «واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[٣].

وذكر الحبيب المصطفى ﷺ في رواية أخرى بسبب كونهن أكثر أهل النار بقوله ﷺ: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير» وأوصاهن بالصدقة والاستغفار.

وفي ختام هذا المبحث أذكر هذا الحديث المبارك الجامع لأحوال الناس على الصراط جسر جهنم، الذي قاله حضرة النبي ﷺ: «فإذا صار الناس على طرف الصراط نادى ملك من تحت العرش يا فطرة الجبار، جوزوا على الصراط، وليقف كل عاصم منكم وظالم، فيالها من ساعة ما أعظم خوفها!! وما أشد حرها!! يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفاً مهيناً، ويتأخر عنها من كان عظيماً مكينا، ثم يؤذن لجمعهم بعد ذلك بالجواز على الصراط على قدر أعمالهم في ظلمتهم وأنوارهم، فإذا عصف الصراط بأمتي نادوا: وامحمداه، وامحمداه، فأبادر من شدة اشفاقي عليهم ولا فاطمة ابنتي، والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون: رب سلم سلم، وقد عظمت الأهوال واشتدت الاوجال، والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال، والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والأغلال، وينادونهم: أما نهيتم عن كسب الأوزار؟ أما خوفتم عذاب النار؟ أما أنذرتم كل الإنذار؟ أما جاءكم النبي المختار؟»[٤].

ولما كان حال المارين على الصراط هو على حسب نور إيمانهم وأعمالهم الصالحة، وسلامتهم من الخدش والكلاليب هي على حسب صلاح أعمالهم وامتثالهم لأوامر الله تعالى واجتناب ما نهى عنه فإنهم في خير كثير ورحمة عظيمة، وإلا فإن ذنوبهم وخطاياهم هي التي تحرك عليهم كلاليب وخطافات جهنم، فتخدشهم وتصرعهم، فما عليهم إلا المسارعة بالتوبة والإنابة لله عز

---

(١) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ٢٠٩٧.
(٢) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤١٥ وصحيح الإمام مسلم: ٤/ ٢٠٩٦.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: ١/ ٢٣٤ والهيتمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٦١ وقال: [رواه أحمد واسناده جيد].
(٤) روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق: ٩٥. ومعناه صحيح.

وجل وحث السير في طلب رضا الله عز وجل وطاعة نبيه عليه الصلاة والسلام واتباع سنته السنية وتطبيق منهجه الكريم والابتعاد عن الغفلة والقسوة التي أصابت قلوبهم نتيجة مباشرتهم للذنوب والمعاصي، فكلما زكى الناس نفوسهم وطهروها بالطاعة والتقوى واتباع منهج الصالحين كلما رقت أرواحهم وقويت قلوبهم واستعدت لتجاوز المحن والفتن في اليوم الآخر، ومنها الصراط وعوالم الموقف، بل أصبحت مؤهلة لنيل النعيم الروحي في الجنة قبل اليوم الآخر.

المبحث الخامس

هيبة المرور على الصراط وأسباب النجاة منه

إن أهوال الصراط عظيمة وفتنته مخيفة رهيبة، وأن لورود الناس جهنم ومرورهم على جسرها المضروب على ظهرانيها فزعاً ورعباً في قلوب الواردين وخوفا وشفقة من زلة الأقدام والسقوط في نار جهنم وبئس المصير، ولهيبة المرور على الصراط شؤون، واحداث نقف على محطات من شأنها أن تبين لك عظم أهوال الصراط ومخاطره، وهيبة المرور عليه منها:

أولا: تنبيه حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ الأمة لأهوال الصراط

نبه رسول الله ﷺ إلى خطورة ذلك الورود في أحاديث كثيرة صحيحة صريحة فقال بأبي هو وأمي: «ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم»(١).

وفي رواية أخرى: «ويضرب جسر جهنم فاكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم وبه كلاليب مثل شوك السعدان، غير انها لا يعلم قدر عظمها إلا الله فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو..»(٢).

---

(١) صحيح الإمام مسلم: ١/ ١٦٩.
(٢) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤٥٣.

ففي تنبيه حضرة النبي ﷺ بأحوال وصفة المرور على الصراط ترهيب وبيان لهيبة المرور عليه لمن لم يستعد له.

ثانيا: مواطن لا يخطئها حضرة النبي ﷺ لعظم الأمر وشدته

روى الإمام الترمذي رحمه الله عن سيدنا أنس ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، قال: «أنا فاعل ذلك إن شاء الله» قال: قلت: فأين اطلبك؟ قال: أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا اخطئ هذه الثلاثة مواطن»[(١)].

ومما تقدم يتبين لنا ان رسول الله ﷺ حدد هذه المواطن الثلاثة التي يفتن بها الناس لعظم أمرها وخطرها، وللكرب والشدة التي تصيبهم بها، بل إن الناس تنشغل عن أرحامهم لهول ما يرون فلا يذكر أحد احد، إلا الشفيع الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى رحمة للعالمين.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله: «ما يبكيك»؟ قلت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد احد، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل؟ وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه؟ في يمينه أم في شماله؟ أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع ظهراني جهنم حتى يجوز»[(٢)].

فذكر حضرة النبي ﷺ لهذه المواطن الثلاث وتواجده الفعلي فيها دليل على عظم الأمر فيها وشدته، وهيبة المرور على الصراط خاصة، وحاجة الناس لشفاعته بأبي هو وأمي ﷺ.

---

(١) رواه الترمذي في سننه: ٤/ ٥٣٦ (٢٤٣٣) وقال حديث حسن صحيح.

(٢) رواه ابو داود في سننه: ٢/ ٥٤١ وسنده صحيح، وينظر الفتح الرباني: ٢٤/ ١٤٥، وبيان الحجة للاصفهاني: ٤٨٠ وفي رواية اخرى بزيادة. (حين يخرج عنق من النار) كما في مسند الإمام أحمد: ٦/ ١١٠.

ثالثا: دعاء الرسل وشعار المؤمنين

إن أهوال الصراط عظيمة مخيفة، مفزعة للناس كافة، فما أعظم ذلك المرور وما اخطره حتى ان جميع المارين عليه لزموا الصمت فلا تسمع منهم كلاما، ومن أين يأتي الكلام والخلائق بين أيدي بعضهم البعض يزلون ويتعثرون وتتنازلهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وهم ينتكسون فتتسفل إلى جهة النار رؤوسهم وتعلوا أرجلهم، فياله من منظر ما أفظعه، ومرتقى ما اصعبه، ومجاز ما أضيقه، فكيف لا يبكم الناس وهم بين ظهراني جهنم، فهم خرس لا يتكلمون من هول المطلع إلا الأنبياء والرسل عليهم السلام وكلامهم يومئذ: «اللهم سلم سلم»[١]، فراحوا صلوات الله عليهم يدعون الله تعالى لاتباعهم وأممهم بالسلامة والأمان، والنجاة من هذا المجاز الرهيب، وهم يعبرون الصراط آمنين من المخاوف والمكاره.

فما أرحم الرسل بأتباعهم وما أشد رأفتهم وعطفهم على الذين آمنوا بهم، وتمسكوا حق التمسك بشريعتهم، لقد أمر أتباعهم فراحوا يلجون بالدعاء ان يرحمهم الله تعالى وينجيهم من مفزعات الصراط ومخاوفه والسنتهم تلهج بالدعاء إلى الباري عز وجل ان ينجي هؤلاء المارين ويخرجهم بسلام، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم».

وفي رواية أخرى: «فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: (اللهم سلم سلم»[٢].

ورسول الله ﷺ أعظمهم رحمة وأشدهم رأفة وقد تمثل بحقه قول تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾[٣] فهو يصرح بأنه يدعو ربه ويلح بالدعاء لأمته بأن ينجوا من هول هذا الموقف العصيب فيقول: «ونبيكم

---

(١) ينظر صحيح الإمام البخاري: ٢/ ٢٩٢، وصحيح الإمام مسلم: ١/ ١٦٩، وفتح الباري: ١١/ ٤٥٣، والاحياء: ٤/ ٥٢٤.

(٢) صحيح الإمام البخاري: ٢/ ٢٩٣، وصحيح الإمام مسلم: ١/ ١٧٠.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء بالرجل فلا يستطيع السير إلا زاحفا»[١].

فدعاء الرسل والمؤمنين يومئذ بالسلامة دليل واضح على عظم هيبة المرور على الصراط وخطورته، فعن المغيرة بين شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: «شعار المؤمنين على الصراط: رب سلم سلم»[٢]، وقال ابن حجر [ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين ان ينطقوا به، بل تنطق به الرسل، يدعون بالسلامة فسمي ذلك شعارا لهم][٣].

رابعا: تلقي الملائكة للعباد ودعائهم لهم

إن من رحمة الله تعالى بعباده وعطفه عليهم أن سخر لهم من يدعو لهم ويشفع لهم من ملائكته الكرام عند المرور على الصراط الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعرة فصح عن حضرة النبي ﷺ أنه قال: «يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبيه ملائكة يقولون: اللهم، سلم سلم..»[٤].

وروى الإمام أحمد رحمه الله عن أبي بكرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتتقادع بهم جنبتا جهنم تقادع الفراش في النار، فينجي الله تعالى برحمته من يشاء ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا، فيشفعون ويخرجون من كان في قلبه ذرة من إيمان»[٥].

وروى القرطبي بسنده عن عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن سلام رضي الله عنهما أنه قال: [إذا كان يوم القيامة جمع الله الأنبياء نبياً نبيا، وأمة أمة، حتى يكون آخرهم مركزاً محمد ﷺ وأمته، ويضرب الجسر على جهنم وينادي مناد: اين أحمد وأمته؟ فيقوم نبي الله محمد ﷺ وتتبعه أمته برها وفاجرها،

---

(١) صحيح الإمام مسلم: ١/ ١٧٠.
(٢) رواه الترمذي في سننه: ٥/ ٦٢١، وقال حديث غريب وهو حسن بشواهده.
(٣) فتح الباري: ١١/ ٤٥٢ وينظر شرح النووي لصحيح مسلم: ١/ ٤٣٠.
(٤) صحيح الإمام مسلم: ١/ ١٦٩.
(٥) مسند الإمام أحمد: ٥/ ٤٣ وفي الروض الداني: ٢/ ١٤٢ وكشف الاستار: ٤/ ١٧١ ومجمع الزوائد: ١٠/ ٣٥٩ وقال: ورجاله رجال الصحيح.

حتى إذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا في النار يمينا وشمالا، ويمضي النبي ﷺ والصالحون معه فتتلقاهم الملائكة فيدلونهم على طريق الجنة، الجنة على يمينك، على شمالك، حتى ينتهي إلى ربه فيوضع له كرسي من الجانب الآخر](١).

فدعاء الملائكة للعباد تثبيتاً لهم عند المرور، وتلقى الأنبياء واتباعهم دليل على عظم هيبة المرور على الصراط فوق ظهراني جهنم.

خامسا: اشفاق أهل الحق من هول هيبة المرور

قال سيدنا الغزالي قدس الله سره: [فكيف بك إذا وضعت عليه احدى رجليك، فأحسست بحدته، واضطرت إلى أن ترفع الثانية، فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهق النار وتغطيها، فانظر إلى حالك وانت تزحف عليه وتصعد إليه وانت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت يمينا وشمالا إلى الخلق وهم يتهافتون في النار والرسول ﷺ يقول: يا رب سلم سلم، والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط](٢).

ورحم الله من يقول: [فتوهم: يا أخي إذا صرت على الصراط ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مظلمة قد لظي سعيرها وعلا لهيبها وأنت تمشي أحيانا وتزحف أخرى](٣).

وبكى سيدنا عبد الله بن رواحه رضي الله عنه في مرضه، فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني قد علمت أني وارد النار، فما ادري: أناج منها أنا أم لا، وكذلك بكاء أبا ميسرة إذا أوى فراشه فيقول: أخبرنا أنا واردوها، ولم يُخبرنا أنا صادرون عنها(٤).

---

(١) التذكرة للقرطبي: ٢/ ٤٥٤، وكتاب يوم الفزع الأكبر: ٢١٧.
(٢) إحياء علوم الدين: ٤/ ٥٢٤.
(٣) كتاب التوهم: ٧٢.
(٤) ينظر تفسير الطبري: ١٦/ ١٠٩-١١١.

وأشفق أحد العارفين رحمه الله بقوله:

[إذا مد الصراط على جحيم تصول على العصاة وتستطيل
فقوم في الجحيم لهم ثبور وقوم في الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف الغطاء وطال الويل واتصل العويل](١)

فإشفاقهم رضوان الله عليهم من هول المرور على الصراط جاء من قوة أرواحهم وقلوبهم القوية الزكية تلك التي أهلتهم لمعرفة طرق ومسالك اليوم الآخر فعاشوا هيبة المرور على الصراط وقنطرته بقلوبهم وأرواحهم، واستنشقوا عبير الجنان ونعيمها الروحي وهم على الأرض يمشون، فنصحوا العباد ووجوههم إلى إقتفاء أثرهم على طرق الوصول إلى الحضرة الآلهية، والنجاة من أهوال ومواقف يوم القيامة.

أسباب النجاة على الصراط

ذكر العلماء من أمة حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ أولئك المخلصين لدينهم وعقيدتهم الإسلامية السمحة، مسائل وأمور من شأنها ان تخفف عن صاحبها هول هيبة المرور على الصراط وتثبيت قدمه عند الورود وتأخذ بيده إلى طريق النجاة أثناء الجواز على جسر جهنم باذن الله تعالى وتنجيه من خدش الكلاليب والخطاطيف التي تخطف الناس يمينا وشمالا إلى قعر جهنم وبئس المصير.

ومنها ما يجعل طريق السالك منوراً، يضيء له المسالك والطرق في ظلمات الصراط الحالكة، فيكون مع موكب النور والسرور حيث حضرة البشير النذير سيدنا محمد ﷺ وأصحابه وأحبابه من آل بيته الأطهار، وصحبه الأخيار، وأولياء أمته من المرشدين الكاملين والعلماء العاملين، ذلك الموكب الذي تتلقاه الملائكة الكرام بالبشرى والسلام، وأعدت لهم من الخير الكثير الوفير، ومن هذه الأمور والوسائل:

---

(١) كتاب الفزع الأكبر: ٢١٧.

أولا: رحمة الله وعفوه جل جلاله وعم نواله

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾(١).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ﴾(٢)، وليس للعباد عليه حق ولا واجب ولا ملزم له منهم، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، وإنما هو سبحانه يحق على نفسه ويكتب على نفسه ويحتم على نفسه، ويوجب على نفسه ويحرم على نفسه جل جلاله وعم نواله، كل ذلك من باب التفضل على عباده والتكرم، والتعطف والترحم كما هو مقتضى حكمة ربوبيته ورحمانيته تبارك وتعالى:

وفي الحديث القدسي: «سبقت رحمتي غضبي» وعن قتادة رحمه الله عن سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ قال: [تجوزون الصراط بعفو الله، وتدخلون الجنة برحمة الله وتقتسمون المنازل بأعمالكم](٣).

وعن أبي بكر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «فتتقادع بهن جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار فينجي الله تعالى برحمته من يشاء..»(٤).

ثانيا: الإيمان بالرسول ﷺ من حيث رسالته ومكانته وتأثيره

بدلالة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾(٥).

وقد استدل العلماء عليهم سحائب الرحمة والرضوان بهذه الآية على الإيمان المطلق برسول الله سيدنا محمد ﷺ والتسليم له فهو ثابت الوحي والدلالة، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه.

(١) سورة الزمر: الآية ٥٣.
(٢) سورة الانعام: الآية ١٢.
(٣) روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق: ٩٧.
(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٤٣، والهيتمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٥٩، وقال: رواه أحمد والطبراني والبزار ورجاله رجال الصحيح.
(٥) سورة الحديد: الآية ٢٨.

ولقد جاءت المعادلة القرآنية واضحة البرهان في ترجيح كفة الإيمان وجعلت مقابل هذا الإيمان: الإيتاء بنصيبين يحفظان صاحبهما من الهلكة في المعاصي كما يحفظ الكساء الراكب، وبذلك يتحقق الأجر على مرتين قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾(١)، نصيبا لتقوى الله، والآخر لإيمانه برسوله.

ومما يقابل الإيمان بالرسول المصطفى ﷺ من الثواب، أن جعل القرآن لصاحبه "نورا يمشي به" أي بيانا وهدى، وضياء يمشي به صاحبه في الآخرة على الصراط وفي القيامة لتنير له طريقه إلى الجنة، ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم(٢).

ثالثا: الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وشفاعتها

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾(٣)، أي: إن الله جل وعلا يرحم نبيه ويعظم شأنه ويرفع مقامه الشريف، وملائكته الأبرار يدعون للنبي المبارك ويستغفرون له، ويطلبون من الله تعالى أن يمجد عبده ورسوله وينيله أعلى المراتب وأرقى الشفاعات والمنجيات.

قال القرطبي: [والصلاة والسلام من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره](٤).

وذكر الصاوي رحمه الله ان في هذه الآية أعظم الدليل على أنه ﷺ مهبط الرحمات وأفضل الأولين والآخرين على الإطلاق، إذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم، ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾(٥) فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين

---

(١) سورة القصص: الآية ٥٤.

(٢) ينظر تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٥٧، وابن حيان الأندلسي: ٨/ ٢٢٨، والقرطبي: ١٧/ ١٧٢-١٧٣، والتسهيل: ٤/ ١٠٢ وابن كثير: ٣/ ٤٥٦، وتفسير الجلالين للسيوطي: ٤/ ١٧٧، والصابوني: ٣/ ٣٢٤.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(٤) تفسير القرطبي: ١٤/ ٢٣٢.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٤٣.

المقامين، وبذلك صار ﷺ منبع الرحمات ومنبع التجليات[١].

وأمر الحق عز وجل عباده المؤمنين بالاكثار من الصلاة عليه والتسليم، فحقه عليهم عظيم، فهو المنقذ للأمة من الضلالة إلى الهدى، والمخرج لهم من الظلمات إلى النور، فوجب عليهم كلما ذكر اسمه الشريف أو وصفه الكريم أو نعته الحبيب ان يقولوا: اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، فهو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت للخلق أجمعين، ومنها نعمة النجاة بالصلاة عليه من هول الصراط وعذابه، فبحقه صلوا عليه وسلموا تسليما.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا»[٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[٤].

وعنه أيضا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلِ عليَّ»[٥] أي: لصق أنفه بالرغام وهو التراب يوم القيامة، وهو كناية عن الذل والحقارة وحرمانه من شفاعته ﷺ في ذلك اليوم العصيب ومواقفه، واهمها جسر جهنم.

فكفى بالعبد نبلا أن يذكر اسمه بالخير بين يدي رسول الله ﷺ فتناله البركة

---

(١) ينظر حاشية الصاوي على الجلالين: ٣/ ٢٨٧.

(٢) صحيح الإمام مسلم: ٣٨٤ و ٤٠٨ وسنن أبي داود: ١٥٣٠ والنسائي: ٣/ ٥٠ والترمذي: ٤٨٥.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: ٤٨٤، وابن حبان في صحيحه: ٢٣٨٩.

(٤) أخرجه ابو داود في سننه: ٢٠٤٢ بإسناد صحيح والإمام أحمد في مسنده: ٢/ ٣٦٧ بإسناد حسن.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: ٣٥٣٩ واسناده حسن، وصححه ابن حبان: ٢٣٨٧ والحاكم: ١/ ٥٤٩.

والرحمة ويتشرف برد السلام عليه من أشرف الخلق أجمعين، وقد قيل في هذا المعنى:

[ومن خطرت منه خطرة حقيق بان يتقدما

وقال آخر:

أهلاً بما لم اكن أهلاً لموقعه قول المبشر بعد اليأس والفرج

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج][1]

فإذا كانت الصلاة على النبي ﷺ في الحياة الدنيا سببا لهداية العبد وحياة قلبه وقربه من نبيه ﷺ فإنه كلما أكثر من الصلاة عليه، وذكره استولت محبته على قلبه حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره، ولا شك في شيء مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوباً مسطوراً في قلبه، لا يزال يقرؤه على تعاقب أحواله، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة ومعرفة ووصولاً ازدادت صلاته عليه بأبي هو وأمي ﷺ.

ويوم القيامة وعند الورود على جهنم بالمرور على الصراط، جاءته صلاته على نبيه الطيب المبارك لتثبته على الصراط، وليجتازه بسلام وأمان، لما جاء في حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبي ﷺ وفيه: «رأيت رجلا من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحيانا، ويتعلق أحيانا، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه وأنقذته»[2] اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد، صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقض لنا بها جميع الحاجات، في الحياة وبعد الممات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات، وعلى آله وصحبه ما دامت الأرض والسماوات.

رابعا: التوبة النصوحة

قال الإمام النووي: [النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أمور: استغراق جميع

---

(١) جلاء الافهام في فضل الصلاة والسلام على خير الانام: ٤٥٣.

(٢) ذكره ابن القيم في جلاء الافهام: ٤٥٣ وقال: رواه ابو موسى المديني وبنى عليه كتابه الترغيب وقال: حديث حسن جدا.

الذنوب وإجماع العزم بحيث لا يبقى عنده تردد، وتخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها، ووقوعها لمحض الخوف من الله تعالى وخشيته، والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده][1].

ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتوبوا إليه من ذنوبهم ومخالفتهم قبل أن يأتي عليهم يوم الحسرة والندامة، وليمروا على الصراط آمنين سالمين فقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾[2].

فالله تبارك وتعالى نادى عباده المؤمنين من هذه الأمة المحمدية على رسولها أفضل الصلاة والسلام ناداهم بصيغة التأييه لما في ذلك من قوة التنبيه إلى الأمر الذي يأتي وراء النداء وهو قوله سبحانه: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي ليتب كل مؤمن منكم من ذنوبه التي صدرت منه، فنصح التوبة عندئذ إما بسلامتها من الغش وذلك بأن تكون عن ندم القلب وحسرة النفس مما جنت وارتكبت كما هو الشأن في العمل الناصح وهو السالم من الغش والعكر، وإما أن يكون نصح التوبة هو استيفائها لعامة الذنوب، بأن يتوب المؤمن من ذنوبه كلها لا أنه يتوب من ذنب ويبقى مصراً على الاخر.

وبين الحق سبحانه ان من ثمرات التوبة النصوحة فتح أبواب الرجاء والغفران وتكفير السيئات على مصارعها، وادخال المؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار، فهو سبحانه يعطيهم ما يرجون من تكفير السيئات ودخول الجنات في ذلك اليوم العظيم الذي اخزى الله تعالى فيه الكفار المنافقين والظالمين والفاسقين والمنكرين، وما أعظمه من خزي وما أشده من خذلان وهوان.

أما حضرة النبي ﷺ فهو في أعلى درجة الإكرام وعزة المقام وعلو الشأن

---

(١) رياض الصالحين للنووي: ٢٥-٢٦.
(٢) سورة التحريم: الآية ٨.

والمكان، والذين آمنوا به واتبعوه هم معه في عزة وكرامة وعطاء وفضل، وفازوا بالنجاة عند المرور بجسر جهنم لأنهم فازوا بإيمانهم فجعل الله تعالى لهم نوراً أضاء لهم ظلمات الصراط فاجتازوا بأمن وأمان، قال سبحانه: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ فلقد اكتنفهم نور إيمانهم من جميع جهاتهم فهم يمرون على الصراط ونورهم محيط بهم وهم يدعون ربهم عز وجل: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: [هذا دعاء المؤمنين حين أطفأ الله نور المنافقين](١).

خامسا: التوقي

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾(٢).

والآية دلت دلالة واضحة على ثمرات التقوى وبيان منزلة تقوى الله تعالى وآثارها في وقاية المتقي من المكاره والمهالك يوم القيامة ومنها الصراط جسر جهنم المضروب على ظهرها ليعبره الناس كافة إلى الجنة، فيسقط من هلك وينجو منها المتقين بعد مرور الجميع عليها.

قال البيضاوي رحمه الله: [إن المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة بعد نجاتهم ويبقى الفجرة فيها على هيئاتهم](٣)، فمن اتقى الله تعالى فقد توقى عذاب الله سبحانه وعقابه وغضبه، فعن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «اتقوا الله، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا أمرائكم تدخلوا جنة ربكم»(٤) وفيه

---

(١) تفسير القرطبي: ١٨/ ٢٠١، وينظر تفسير الخازن: ٤/ ١٢٣ وتفسير أبي السعود: ٥/ ١١٥ وابن كثير: ٣/ ٥٢٣ والآلوسي: ٢٨/ ١٦١.

(٢) سورة مريم: الآيتان ٧١-٧٢.

(٣) تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٠ وينظر تفسير الرازي: ٢١/ ٢٤١ والقرطبي: ١١/ ١٤٤ وابن كثير: ٢/ ٤٦١.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: ٦١٦ وقال حديث حسن صحيح، والإمام أحمد: ٥/ ٢٥١ وابن حبان في صحيحه: ٧٩٥، والحاكم: ١/ ٣٨٩.

دلالة واضحة على أن التقوى سبب مهم من أسباب النجاة والثبات على الصراط فوق جهنم.

والتقوى هي على مراتب ووقاياتها على مراتب أيضا، والتوقي من عذاب الله وعقابه وغضبه إنما يكون بامتثال أوامره سبحانه واجتناب ما نهى عنه، ولابد للعاقل أن يفهم بأن الأعمال والأقوال التي شرعها الحق عز وجل لعباده لها آثارها وأنوارها في نفوس العباد وقلوبهم وأفكارهم وأجسادهم فمن امتثل أوامر الله تعالى واجتنب ما نهى عنه سبحانه فقد انصبغ بصبغة الله تعالى النورانية ووقاه الله عز وجل بالوقايات حتى أنه ليمر على الصراط المضروب على جهنم ولا تمسه بسوء بل تكون عليه برداً وسلاماً، وذلك لأن لباس التقوى فيه الوقاية والمنعة قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾(١).

ومن ترك أوامر الله وارتكب ما نهى الله تعالى عنه وهو مصر على ذلك معرض عن جميع ما هنالك، فقد ظلم نفسه حيث لم يتعاط لها أسباب الوقايات، فإن النار تؤلمه وتتصل بذرات جسمه، بل تطلع على فؤاده وما ذاك إلا بقساوة قلوبهم وظلمهم لأنفسهم، فلم يقوها من النار، بل أعرضوا عن التقوى ففقدوا الوقاية من جهنم، والله تعالى أمرهم بوقاية نفوسهم وأهليهم من النار وذلك بالإئتمار والطاعة، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾(٢).

سادسا: من حمى مؤمنا

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾(٣) وأكد سبحانه على ذلك الفضل بقوله: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٤).

وبين ذلك حضرة النبي ﷺ بقوله: «من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مؤمنا بشيء يريد شينه

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٦.
(٢) سورة التحريم: الآية ٦.
(٣) سورة المائدة: الآية ٢.
(٤) سورة الحج: الآية ٧٧.

حبسه الله عز وجل على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»[١].

ويشهد للحديث قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ[٢] فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[٣] ومن مفهوم المخالفة فإن الذي يستر على إخوانه المؤمنين ويدعو إلى الفضيلة فإنه ينجو من عذاب النار عند المرور على الصراط وقال ﷺ: «لا يستر عبد عبدا في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة»[٤].

سابعا: الصدقة

قال سبحانه: وتعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٥] وقوله عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[٦].

ومن ذلك البر والإنفاق إحسان الصدقة والتي تكون من مال حلال وأن تقع موقعها فقد روى أبو نعيم والأصبهاني مرفوعا: «من أحسن الصدقة جاز على الصراط مدلا»[٧].

وقال ابن كثير رحمه الله: [مدلا: أي منبسطا لا خوف عليه وهو من الادلال][٨] وفي رواية: عدلا، أي آمنا غير خائف[٩].

ثامنا: ملازمة المساجد

إن من كمال شريعة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ أنها تحث المؤمن على

---

(١) رواه ابو داود في سننه: ٢/ ١١٢. والشين العيب وهو ضد الزين، ينظر كتاب يوم الفزع الأكبر: ٣٣٠.
(٢) الفاحشة: الفعل القبيح المفرط القبح، أو القول السيء كما في تفسير الصابوني: ٢/ ٢٢٥.
(٣) سورة النور: الآية ١٩.
(٤) صحيح الإمام مسلم: ٢٥٩.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٩٢.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٦٧.
(٧) تكملة شرح الصدور: ٣٢..
(٨) النهاية والبداية: ٢/٩٨.
(٩) تكملة شرح الصدور: ٣٢.

تعاطي الأعمال التي من شأنها تثبيت اقدامه عند المرور على الصراط ومن ذلك ملازمة المساجد وتعلق القلوب فيها وكثرة الخطى والمشي إليها.

فعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المسجد بيت كل تقي، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والريحان والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة»(١).

وذكر القرطبي في هذا المجال أن شيخاً يكنى أبا جعفر قال: رأيت في منامي كأني واقف على قناطر جهنم فنظرت إلى هول عظيم فجعلت أفكر في نفسي كيف العبور على هذه؟ فإذا قائل يقول من خلفي: يا عبد الله ضع حملك واعبر، فقلت: وما حملي؟ قال: دع الدنيا واعبر.

وعلق القرطبي رحمه الله بعد أن ذكر حديث سيدنا أبي الدرداء ﷺ بقوله: [والحديث يصحح ما ذكرناه من الرؤيا فإن من سكن المسجد واتخذه بيتا وأعرض عن الدنيا وأهلها وأقبل على الآخرة وعمل لها فإنه سينجو على الصراط من نار جهنم](٢).

ويشهد له حديث بريدة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»(٣) أي بالنور على الصراط يسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

تاسعا: إقالة المسلم بيعته وعثرته

عن سيدنا أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أقال مسلما بيعته أقاله الله عثرته يوم القيامة»(٤).

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري: ٢/ ٥١ وقال: رواه الطبراني في الكبير والاوسط والبزار واسناده حسن، وعزاه الزرقاني في المواهب إلى سيدنا سعيد بن منصور ﷺ.

(٢) التذكرة: ٢/ ٤٤٩.

(٣) رواه ابو داود في سننه: ٥٦١، والترمذي: ٢٢٣ وابن ماجه: ٧٨١ والحاكم: ١/ ٢١٢ وصححه الذهبي.

(٤) رواه المنذري في الترغيب والترهيب: ٢/ ٢٣ وقال رواه ابو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم.

وفي رواية أخرى: «من أقال مسلما عثرته أقاله الله عثرته في يوم القيامة»[١].

وفي رواية أخرى فيها تفسير للحديث الذي رواه أبو هريرة: «من أقال نادما أقاله الله نفسه يوم القيامة»[٢].

عاشرا: إعانة العباد وقضاء حوائجهم

حض رسول الله ﷺ أمته على التعاون والتكافل وقضاء حوائج بعضهم البعض ونفهم بما يتيسر من علم أو مال أو جاه أو نصح أو دلالة على خير أو عانه بنفسه أو سفارته أو وساطته أو شفاعته أو دعائه وتوجهه له بظهر الغيب، فعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»[٣] وهل هنالك كربة وشدة وعسر أشد من كربة وشدة الصراط.

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه ان رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: أي الناس احب إلى الله؟ فقال: «أحب الناس إلى الله انفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا، ولأن امشي مع أخي في حاجة أحب الي من أن اعتكف في هذا المسجد شهرا، ومن كظم غيظه ولو شاء ان يمضه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام»[٤].

وفي رواية أخرى: «من أعان عبداً في حاجته ثبت الله له مقامه يوم تزول الأقدام»[٥].

(١) رواه ابن حبان في صحيحه: ٢/ ٥٥. (٢) رواه ابو داود في المراسيل: ١/ ٧١.
(٣) صحيح الإمام البخاري: ٥/ ٧٠ وصحيح الإمام مسلم: ٢٥٨٠ و ٢٦٩٩.
(٤) تكملة شرح الصدور: ٣٢ وقال: رواه الاصبهاني وعزاه لابن أبي الدنيا.
(٥) صحيح ابن حبان: ٢/ ٥٦ وعزاه للطبراني في الكبير والاوسط.

أحد عشر: الشفاعة الحسنة

قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[١] أي: من يشفع بين الناس شفاعة موافقة للشرع الشريف يكن له نصيب من الأجر والثواب لأن الله عز وجل قادر مقدار يجازي كل أحد بعمله[٢].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: «اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب - وفي رواية ما شاء -..»[٣]، ومعنى ذلك: تيسير الإنسان ما عسر على غيره.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في مبلغ بر أو تيسير عسير أعانه الله تعالى على إجازة الصراط يوم القيامة عند دحض الأقدام»[٤] وفي رواية: (ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام»[٥].

والخلاصة: إن من أراد أن يتبين له أمر سيره على الصراط غدا في الآخرة وأحب أن يعرف كيف مشيه على صراط الآخرة، فلينظر مشيته على صراط شريعة الله تعالى ورسول ﷺ وكيفية سيره عليها، هل هو يمشي سويا مستقيما عليها بلا ميل إلى محرمات الشهوات ولا انحراف نحو الشبهات والضلالات؟ أم هو في ذلك يروغ روغان الثعالب، يستقيم تارة في سيره وينحرف انحرافات، ويخادع مخادعات تارة أخرى.

وورد أن رسول الله ﷺ قال: «ضرب الله مثلا صراطاً مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا قال: ويحك لا تفتحه

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٥.

(٢) ينظر تفسير ابن حيان الأندلسي: ٣/ ٩٣٠، وابن كثير: ١/ ٤١٥.

(٣) صحيح الإمام البخاري: ٣/ ٢٣٨ وصحيح الإمام مسلم: ٢٦٢٧.

(٤) رواه المنذري في الترغيب: ٢/ ٥١ وقال: رواه الطبراني في الصغير والاوسط ورواه ابن حبان في صحيحه.

(٥) رواه البرديسي في تكملة شرح الصدور: ٣٢ وعزاه إلى الطبراني وابن حبان وغيرهما في باب مكارم الاخلاق.

فإنك إن تفتحه تلجه -أي تدخله- قال، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم»[١].

فالجواز على الصراط وعدمه إنما يرجع إلى ما جاء في النصوص النبوية المباركة من أنها الأعمال، فكل عمل طيب خالص لوجه الله، يرجى من ورائه الجواز على الصراط، كما أن قلة العمل أو عدمه هو الذي يبطئ بالشخص أو يسقطه في النار، وما ذكره العلماء في عد الخصال التي توجب سرعة السير على الصراط، فإنما هو من باب زيادة في التفصيل.

وهذه المسائل التي ذكرت لا شك إنها أعمال طيبة، فإذا تقبلها الله تعالى كانت من الأسباب التي تنجي صاحبها من الوقوع في النار، وكانت سبباً لاجتياز الصراط بأمان والروايات التي استدل بها هي من باب الترغيب، بغض النظر عما قيل في الحكم عليها والله تعالى أعلم.

حكمة الباري عز وجل من نصب الصراط

ذهب بعض الناس مذاهب عديدة في دراسة الحكم المستنبطة من مواقف وعوالم الآخرة، وخاضوا في مجالات لا تنسجم مع اعتقاد أهل الحق من علماء أهل السنة والجماعة، المتمثل من أن الله تبارك وتعالى حكم في خلقه، وفي كل أمر من الأمور، بعضها مما يكون للعقل في استنباطه مجال، وبعضها لا يستطيع ادراك شيء منها، لضعفه وقصوره عن ادراكها.

ومن تلك المسائل التي ليس للعقل في تفصيلها مجال إلا بالاستناد إلى النص: الحكمة من نصب الصراط، إذ ان الله تعالى لو شاء أن يجتاز الخلق إلى الجنة والى النار دون نصب الصراط لكان ذلك ممكنا في مقدور الله تعالى، إذ ليس الغرض من نصبه ليستطيع الخلق السير، وإنما في ذلك حكم كثيرة وأسرار عظيمة[٢].

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٩٧، وعزاه للترمذي والنسائي والإمام أحمد وقال: حديث اسناده حسن صحيح.

(٢) ينظر شرح العقائد النسفية للتفتازاني: ١٣٨ وشرح المقاصد: ٢/ ١٦٤ ولوامع الأنوار: ٢/ ١٩٢ والاقتصاد والاعتقاد: ٩٩.

ومع ذلك فإن بعض العلماء يحاولون استنباط بعض الحكم، ويجهدون عقولهم في ذلك ومنها ما قاله البدر الزركشي: [الحكمة في نصبه: ظهور عظيم فضل الله تعالى للمؤمنين في النجاة من النار، ومصيرهم الجنة بعد أسر قلوبهم، وليتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في الورود](١).

ولعل هناك حكما أخرى لم يطلع عليها أحد إلا الله سبحانه وتعالى، وليس تكلف القول في البحث عن الحكم مما كلفنا به، وإنما المهم في هذا هو الإيمان بما ورد به النص من نصب الصراط ومرور الناس عليه على الحالات التي وصفها رسول الله ﷺ(٢).

المبحث السادس

أول من يجوز على الصراط وشفاعته ﷺ للناس عليه

قال سيدنا الإمام الغزالي قدس الله سره في بيان أول الناس مرورا على الصراط: [إنه لم يبق في الموقف إلا المؤمنون والمسلمون والمحسنون، والعارفون والصديقون والشهداء والصالحون، والمرسلون ليس فيهم مرتاب، ولا منافق، ولا زنديق، فيقول الله تعالى: يا أهل الموقف من ربكم؟ فيقولون: الله فيقول لهم: اتعرفونه؟ فيقولون: نعم، فيتجلى لهم ملك عن يسار العرش، لو جعلت البحار السبع في نفرة إبهامه لما ظهرت، فيقول لهم، أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، فيتجلى لهم الرب سبحانه في صورة غير صورته التي كانوا يعرفونه، وسمعوا وهو يضحك، فيسجدون له جميعهم، فيقول: أهلا بكم، ثم ينطلق بهم سبحانه إلى الجنة فيتبعونه، فيمر بهم على الصراط، والناس أفواج، المرسلون ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم المؤمنون، ثم العارفون، ثم المسلمون، منهم المكبوب لوجهه، ومنهم المحبوس في الأعراف، ومنهم قوم قصروا في تمام الإيمان: فمنهم من يجوز الصراط في مائة عام، وآخر يجوز في ألف، ومع ذلك كله، لم تحرق النار

(١) تكملة شرح الصدور: ٣٢.
(٢) ينظر تكملة شرح الصدور: ٢/ ٤٥٣ والحياة الآخرة: ٣/ ١٢٦٧.

من رآى ربه عيانا لا يضام في رؤيته، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[(١)(٢)].

فإن قيل من أول من يجوز الصراط؟

يجاب عنه: ثبت أن حضرة الرسول الأعظم ﷺ وأمته هم أول من يجوزون الصراط تكريما وتشريفا لهم، وإظهارا لمكانة نبينا محمد المصطفى ﷺ وأمته بين الأمم، وقد قال ﷺ كما في حديث سيدنا أبي هريرة ﷺ: «ويضرب جسر جهنم، فاكون أول من يجيز...»[(٣)].

وفي رواية أخرى: «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون أنا وأمتي أول من يجيز»[(٤)].

ومعنى قوله ﷺ: «أول من يجيز» أي أول من يقطعه ويمضي عليه، قال الإمام النووي رحمه الله في ضبط هذه الكلمة انها: [بضم الياء وكسر الجيم، والزاي آخره، ومعناه: يكون من يمضي عليه ويقطعه، ويقال: اجزت الوادي وجزته، لغتان بمعنى واحد، وقال الأصمعي: اجزته، قطعته، وجزته: مشيت فيه][(٥)].

وقال القرطبي: [يحتمل أن تكون الهمزة هنا للتعدية، لأنه لما كان هو وأمته أول من يجوز على الصراط، لزم تأخير غيرهم حتى يجوز، فإذا جاز هو وأمته فكأنه أجاز الناس][(٦)].

وصفة ذلك أنه يناديهم مناد ليعبروا وهم بين الامم، فيقوم الرسول ﷺ حين يسمع ذلك النداء، ثم تتبعه أمته، كما في حديث عبد الله بن سلام وفيه: «ثم ينادي مناد: اين محمد وأمته؟ فيقوم، فتتبعه أمته برها وفاجرها، فيأخذون

(١) سورة القيامة: الآيتان: ٢٢-٢٣.
(٢) كتاب كشف علوم الآخرة: ١٧ وينظر فتح الباري: ١١/ ٤٥٣ ولباب البحث في شرح كتاب البعث: ١١٣.
(٣) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤٤٥.
(٤) صحيح الإمام مسلم: ١/ ٤٣٠.
(٥) شرح النووي لصحيح مسلم: ١/ ٤٣٠.
(٦) ينظر فتح الباري: ١١/ ٤٥٢.

الجسر، فيطمس الله أبصار أعدائه، فيتهافتون عن يمين وشمال، وينجو النبي والصالحون»[(١)].

وعن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: «فتفرج لنا الأمم عن طريقنا، فنمر غراً محجلين من آثار الطهور، فتقول الأمم، كادت هذه الأمة ان يكونوا أنبياء»[(٢)].

وقال البرديسي: [وأول من يجوز عليه محمد وأمته، فيمر أولهم كالبرق الخاطف ثم كالريح، ثم كالطير، ثم كالخيل، ثم عدوا، ثم مشيا، ومن الناس من يزحف زحفا، ومن الناس من يسحب سحبا، فمنهم من يسلم، ومنهم من يزل فيقع في جهنم، ومنهم من تخطفه كلاليب فتلقيه في النار، ويسمع للواقعين جلبة عظيمة وصياح عظيم يدهش العقول، والملائكة والأنبياء يقولون: رب سلم، رب سلم، ولا ينطق يومئذ إلا الرسل][(٣)].

ويظهر مما تقدم أن أول من يجوز الصراط بأمته ويشرفه بنظره ونعله، وينوره للمؤمنين ليسيروا في ضيائه وعلى محجته، هو سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي جمع الله تبارك وتعالى له فضائل الأوليات الجامعة لاكمل المراتب وأعلى الدرجات.

فهو الذي لا يؤذن للناس بالمرور على الصراط إلا بشفاعته، فعن سيدنا حذيفة بن اليمان وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟ لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلا من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه تكليما، قال: فيأتون موسى فيقول: لست صاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك،

(١) ذكره ابن حجر في الفتح: ١١/ ٤٥٢ وعزاه إلى الحاكم في المستدرك: ٤/ ٥٨٦.
(٢) فتح الباري: ١١/ ٤٥٢.
(٣) تكملة شرح الصدور: ٣٠.

فيأتون محمد ﷺ، فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولهم كالبرق... إلى قوله: ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم»(١). وبذلك يكون حضرة النبي ﷺ أول من يشفع على الصراط وأول من يعبر الجسر فينوره ويشرفه، فتتبارك أرض الجسر بأقدامه الشريفة ﷺ فصح عنه أنه قال: «ويضرب جسر جهنم فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم»(٢).

وكيف لا وهو ﷺ أول الأنبياء في الخلق في عالم الأرواح وآخرهم في البعث في عالم الأشباح، فأول الأرواح البشرية خلقا هو روح السيد الأعظم ﷺ كما أخبر عن ذلك بقوله الشريف: «كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث»(٣) وفي رواية: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث»(٤)، فهو ﷺ أولهم في عالم الأرواح وخاتمهم في عالم الأشباح، وهو أول من نبأه الله تبارك وتعالى في عالم الأرواح قبل الأنبياء كلهم، فبحضرته ﷺ فتحت النبوة في عالم الأرواح وبه ﷺ ختمت في عالم الأشباح فهو الفاتح وهو الخاتم ﷺ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال ﷺ: «وآدم بين الروح الجسد»(٥) وفي رواية أخرى: «كنت نبيت وآدم بين الروح والجسد»(٦).

وهو ﷺ أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة فيقوم من مرقده الشريف وروضه المنيف سالماً مسلما، اغض من الورد الطري واطرا، ينادي ويقول

---

(١) صحيح الإمام مسلم: ١/١٨٦. وينظر كتاب محمد الانسان الكامل: ٥٥.

(٢) صحيح الإمام البخاري: ١١/٤٥٣ وينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١١٦.

(٣) رواه سعد في طبقاته: مرسلا بإسناد صحيح، ورواه ابو نعيم وابن أبي حاتم في تفسيره والديلمي وابن لآل.

(٤) رواه الديلمي: ٧٧ وأبو نعيم وابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه الترمذي سننه: ٣٢٤ وقال: حديث حسن صحيح وعزاه إلى أبي نعيم والبيهقي والحاكم والطبراني والبزار.

(٦) رواه الإمام أحمد: ٥/٢٥٢ والبخاري في تاريخه: ٣٣١ ورواه الطبراني والحاكم وصححه الحافظ البيهقي في رجال أحمد والطبراني وقال رجالهما رجال الصحيح.

أمتي أمتي لا تخافي ولا تحزني لكم لسعادة الدائمة والبشرى، فعنه ﷺ أنه قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أول من ينشق عنه القبر -وأنا أول شافع وأول مشفع»[١] وفي رواية أخرى: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا شافع وأول مشفع ولا فخر»[٢].

وهو ﷺ أول من يشفع عند الله تعالى ويقبل الله تعالى شفاعته، وذلك لأن الناس يفزعون إلى حضرته ﷺ يوم القيامة ثلاث فزعات كما كانوا يفزعون إليه في الدنيا فيفرج الله عنهم الهم والكربات ويرفعهم في الجنة درجات ودرجات، ويزيدهم قرباً وكرامات، أنه تعالى سميع قريب مجيب الدعوات، وهذه الفزعات يوم القيامة ثلاثة:

الأولى: لفصل القضاء، بدلالة ما رواه سيدنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «...فيفزع ثلاث فزعات، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: إني أذنبت ذنبا فاهبطت به إلى الأرض، ولكن ائتوا نوحا، فيأتون نوحا، فيقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم.. وهكذا إلى سيدنا عيسى فيقول: ولكن ائتوا محمدا ﷺ، فيأتوني فانطلق معهم... إلى قوله: «فيقال لي: ارفع رأسك، سل تعط واشفع تشفع، وقل يسمع لقولك»[٣].

الثانية: لعبور الصراط، بدلالة ما رواه سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن حضرة النبي ﷺ أنه قال: (...فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولهم كالبرق... الخ الحديث»[٤].

---

(١) رواه الإمام مسلم: ٥/١٣٦، وقال الحافظ العراقي في تخريجه لاحاديث الاحياء: ٤/٥٢٦ [أخرجه الترمذي وقال: حسن وابن ماجه من حديث ابن سعيد الخدري].

(٢) رواه الترمذي في سننه: ٥/٣٠٨.

(٣) رواه الترمذي في سننه: ٥/٣٠٨.

(٤) صحيح الإمام مسلم: ١/١٨٦.

الثالثة: دخول الجنة، بدلالة قوله ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»(١). وعن عمران بن حصين رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين»(٢) وقوله: «آتي باب الجنة فأستشفع فيقول الخازن: من؟ فأقول محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»(٣).

ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة يتبين لنا أن الناس يفزعون إلى حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ثلاث فزعات. وله في كل منها شفاعة، ومن أعظم شفاعاته ﷺ شفاعته لفصل القضاء ثم شفاعته لعبور الصراط ثم شفاعته لدخول الجنة ومن شفاعته ﷺ أنه شفع في قوم يدخلون الجنة بغير حساب، وشفاعته في قوم حبسوا واستحقوا العذاب إلا يعذبوا، وشفاعته في إخراج عصاة المؤمنين من النار، وشفاعته لرفع درجات المؤمنين في الجنة(٤).

وذكر العلامة ابن كثير رحمه الله أنواع الشفاعات الخاصة بحضرة النبي وأوصلها إلى ثمانية أنواع، شملت جميع الخلق وعمت أهل الموقف والجنة والنار(٥).

وأما شفاعته عند الصراط فهي شفاعة عامة للخلق أجمعين لقول ﷺ: «فيأتون محمدا فيقوم ويؤذن له...»(٦) وشفاعة خاصة لأمته رحمة بهم ووفاء منه ﷺ معهم لقوله: «ونبيكم قائم على الصراط، يقول: رب سلم سلم»(٧) وهذا الدعاء الكريم هو أعظم شفاعة منه في ذلك الموقف الرهيب حيث الصراط دحض مزلة

(١) صحيح الإمام مسلم: ١/ ١٨٨.
(٢) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤١٦ وأبو داود: ٤/ ٢٣٦ والترمذي: ٤/ ٧١٥.
(٣) صحيح الإمام مسلم: ١/ ١٨٨ والترمذي: ٤/ ٩٨٩ وقال: حديث حسن صحيح.
(٤) ينظر صحيح البخاري: ١٣/ ٣٩٢ و ١٣٠/ ٤٢٢ و ١١/ ٩٦ وصحيح الإمام مسلم: ١/ ١٨٨.
(٥) ينظر البداية والنهاية: ٢/ ٢٧٥ والتذكرة: ٣٤٩ والأساس في السنة: ٣/ ١٣٣٩ وسنن الترمذي: ٢٥٥٤، والقسطلاني: ٩/ ٣٢٥ و: ١٠/ ٤٠٦ ولوامع الأنوار: ٢/ ٢١١ وفتح الباري: ١١/ ٤٢٨-٤٢٩.
(٦) صحيح الإمام مسلم: ١/ ١٨٦.
(٧) المصدر نفسه: ١/ ١٨٦.

أحد من السيف وأرفع من الشعرة، تتحرك فيه الكلاليب والخطاطيف فتخطف من زلت أقدامه بسبب عصيانه وطغيانه على منهج خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وهذه الدعوة ادخرها ﷺ لمثل هذه الساعة فقال: «لكل نبي دعوة قد دعاها لأمته وإني اختبأت دعوتي، شفاعة لأمتي يوم القيامة»(١).

بل أنه ﷺ اختار في مثل هذا اليوم على أن تدخل نصف أمته الجنة بغير حساب فقال: «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا»(٢) وفي رواية أخرى صرح باسم من جاءه فقال ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام آنفا فخيرني بين الشفاعة وبين أن يغفر لنصف أمتي فأخترت الشفاعة، فنهض القوم إليه فقالوا: يا رسول الله اشفع لنا، قال: شفاعتي لكم»(٣).

إن هذه الدعوة والحديث عن الشفاعة العظمى في ذلك اليوم الرهيب العصيب حركت قلوب الصحابة رضوان الله عليهم فأقبلوا عليه فرادا أو جماعات يسألونه الشفاعة: فقالوا يا رسول الله: اشفع لنا، فقال: شفاعتي لكم(٤)، فعمت جميع أصحابه وأحبابه، وعن سيدنا انس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله ﷺ ان يشفع لي يوم القيامة: فقال: أنا فاعل إن شاء الله، قلت: فأين اطلبك؟ فقال: أول ما تطلبني على الصراط...»(٥).

وعن مصعب الأسلمي رضي الله عنه قال: انطلق غلام منا فأتى النبي ﷺ فقال: اني أسألك سؤالا، قال «وما هو؟ قال: أسألك أن تجعلني ممن تشفع له يوم القيامة، قال: من علمك هذا؟ قال: ما أمرني به أحد إلا نفسي، قال: فإنك ممن اشفع له يوم القيامة»(٦) اللهم ارزقنا شفاعته وزيارته وجواره يا أرحم الراحمين.

---

(١) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٩٦.
(٢) رواه الترمذي في سننه: ٤/ ٦٢٧ وقال حديث حسن، ورواه ابن ماجه في سننه: ٢/ ١٤٤١.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ٤١٥ والهيتمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٦٨ وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات.
(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ٤١٥ والهيتمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٦٨.
(٥) رواه الترمذي فس سننه: ٤/ ٦٢١ وقال: حديث حسن غريب..
(٦) رواه الطبراني في الكبير: ٨/ ٢٣٧ والهيتمي في مجمع الزوائد: ٥/ ٣٣٥ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

ومن رحمته بأمته من بعده وبركته عليهم أنه ارشدهم إلى الطريق الذي ينالون به شفاعته العظمى ﷺ فقال: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وارجوا ان أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[١].

وقوله ﷺ: «ومن قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة»[٢].

ومن الأسباب التي ينال العبد بها شفاعته ﷺ الدعاء عقب الأذان وسؤال الوسيلة والموت في أحد الحرمين[٣]، وكثرة الصلاة على النبي ﷺ فعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة»[٤].

وبحضرته ﷺ يفتح باب الشفاعات، فتشفع الرسل والأنبياء، ويشفع الصديقون والشهداء والعلماء والأولياء والصلحاء، والملائكة، فعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار، فينجي الله تعالى برحمته من يشاء، قال: ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء ان يشفعوا، فيشفعون ويخرجون، من كان في قلبه ما يزن ذرة من إيمان»[٥].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يفتقد أهل الجنة ناساً كانوا يعرفونهم في الدنيا فيأتون فيذكرونهم فيشفعون فيهم، فيشفعون، يقال لهم

(١) صحيح الإمام مسلم: ٣٨٤.
(٢) صحيح الإمام البخاري: ٢/ ٧٧-٧٨.
(٣) ينظر الأساس في السنة: ٣/ ١٣٣٧.
(٤) رواه الترمذي في سننه: ٤٨٤ وقال حديث حسن، وابن حبان في صحيحه: ٢٣٨٩ ورجاله ثقات.
(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢/ ١٤٢ وفي الروض الداني: ٢/ ١٤٢ وكشف الاستار: ٤/ ١٧١ والهيتمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٥٩ ورجاله رجال صحيح.

الطلقاء وكلهم طلقاء، يصب عليهم ماء الحياة»[١].

وعنه أيضا رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «يخرج من النار قوم بالشفاعة، كأنهم الثعارير، قلنا وما الثعارير؟ قال: الضغابيس»[٢] والثعارير: صغار القثاء.

وعن عبد الله بن أبي الجدعاء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم، قلنا: سواك يا رسول الله؟ قال: نعم سواي»[٣].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي الحيين ربيعة ومضر، فقال رجل: يا رسول الله أو ما ربيعة من مضر، قال: إنما أقول ما أقول»[٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة»[٥].

وعن سيدنا عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»[٦] وقوله ﷺ: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»[٧].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أمتي من يشفع في الفئام من الناس، ومنهم من يشفع بالقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم يشفع للواحد حتى يدخلوا الجنة»[٨].

---

(١) رواه الهيتمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٧٩ وقال: رواه الطبراني في الاوسط واسناده حسن.

(٢) صحيح الإمام البخاري: ١١/ ٤١٦ وصحيح الإمام مسلم: ١/ ١٧٨.

(٣) رواه الترمذي في سننه: ٤/ ٦٢٦ وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه الإمام أحمد: ٥/ ٢٥٧ والهيتمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٨١ وقال: رواه الطبراني وأحمد ورجالهما رجال الصحيح.

(٥) رواه البزار كشف الاستار: ٤/ ١٧٤ والهيتمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٨٢ وقال رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٦) رواه ابن ماجه في سننه: ٢/ ١٤٤٣ بسند حسن، والتاج الجامع للأصول: ١/ ٦٥.

(٧) رواه ابو داود في سننه: ٢/ ١٥.

(٨) رواه الترمذي في سننه: ٢/ ٦٢٧ وقال: حديث حسن، والفئام: هم الجماعة من الناس.

وعن بعض الأصحاب رضي الله عنهم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنه يقال للولدان يوم القيامة ادخلوا فيقولون: يا رب حتى يدخل آباؤنا وامهاتنا، قال: فيأبون، قال: فيقول الله عز وجل: مالي أراهم محبنطئين ادخلوا الجنة، قال: فيقولون: يا رب آباؤنا فيقول: ادخلوا الجنة انتم وآباؤكم»[١] والمحبنطيء: هو الممتنع امتناع طلبة لا امتناع إباء.

وتشفع الأعمال الصالحة والأقوال الطيبة بصاحبها، فالصيام يشفع بصاحبه والقرآن يشفع بصاحبه والصلاة على النبي ﷺ تشفع بصاحبها، والذكر ومجالس الذكر، فعن أبي أمامه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[٢].

وفي رواية أخرى: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما»[٣].

وقوله ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان في العبد يوم القيامة»[٤] وقوله ﷺ «إن مما تذكرون من جلال الله تعالى التسبيح والتحميد والتكبير يتعاطفن حول العرش يذكرن بصاحبهن»[٥].

وقال سيدنا الغزالي قدس الله سره: [اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين، بل شفاعة العلماء والصالحين. وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه، فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة، وذلك بأن لا تحتقر آدمياً أصلا فإن الله تعالى خبأ ولايته في عباده، فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله، ولا تستصغر معصية أصلا فإن الله خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه،

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ١٠٥ والهيتمي في المجمع: ٣/ ١١ وقال رواه أحمد ورجاله ثقات.
(٢) صحيح الإمام مسلم: ١/ ٨٠٤.
(٣) صحيح الإمام مسلم: ١/ ٨٠٥ وأخرجه الترمذي في سننه: ٢٨٨٦.
(٤) الحلية: ٧/ ٢٠٦.
(٥) الإيمان بعوالم الآخرة.

ولا تستحقر أصلا طاعة فإن الله خبأ رضاه في طاعته فلعل رضاه فيه][١].

فجميع هذه الشفاعات إنما هي فتح بابها حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فهو الفاتح الأول والشفيع الأفضل، صاحب مقام الوسيلة وأعلى درجات الفضيلة، الحبيب الأكرم والسيد الأفخم المعظم ﷺ، رحمة الله تعالى المهداة للعالمين ليرحمهم الله عز وجل بحضرته في جميع العوالم، وهذه منقبة كبرى ومنزلة عظمى خص بها نبينا وسيدنا محمد ﷺ وهي ان جميع الخلائق يحتاجون إلى شفاعته بهم عند الحق عز وجل، وهو غير محتاج إلى من يشفع له فهو ﷺ الشفيع لغيره ولا شفيع له. اللهم ارزقنا شفاعته ومحبته ودوام النظر إليه والجلوس بين يديه وجواره في الدارين إن ربنا على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

فإن قيل: هل يمر على الصراط جميع الناس؟

يجاب عنه: اختلف العلماء في هذه المسألة إلى فريقين:

الأول: ذهب بعضهم إلى القول بأن بعض الخلق لا يمر عليه تشريفا لهم كالأنبياء، أو إهانة لهم وتعذيبا، كعتاة الكفار والمشركين، بل يذهب بهم مباشرة إلى النار قبل وضع الصراط، وهو قول الحليمي وابن مرجان والسيوطي والحكيم الترمذي وابن رجب الحنبلي[٢].

الثاني: يمر عليه جميع العباد مكلفهم وغيرهم، ذكورهم وإناثهم، سعيدهم وشقيهم، فدخل الأنبياء والصديقون والعارفون والشهداء والصالحون والمرتابون والمنافقون والزنادقة والمسلمون، وهو قول الجمهور واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[٣]، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم، والأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون بشفاعاتهم، لما ثبت عن النبي ﷺ في أحاديث صحيحة كثيرة[٤].

---

(١) احياء علوم الدين: ٤/ ٥٢٦.

(٢) ينظر النشر الطيب: ٢/ ٢٧٩ وتكملة شرح الصدور: ٣٢ والتخويف من النار: ٧١٧.

(٣) سورة مريم: الآية ٧١.

(٤) ينظر تفسير الطبري: ١٦/ ١١٢ وفتح القدير: ٣/ ٣٤٤ وتفسير ابن كثير: ٣/ ١٣٢ والفتوحات الالهية: ٣/ ٧٤ وشرح العقائد النسفية: ١٣٨ وشرح الطحاوية: ٤٠٩ وشرح المقاصد: ٢/ ١٦٤ ولوامع الأنوار: ٢/ ١٨٩ والاقتصاد في الاعتقاد: ٩٩ وشرح المواقف: ٢/ ٤٥٣ وفتح الباري: ٢/ ٢٩٢.

وأجاب العلماء على استدلات الفريق الأول المتمثلة بأن الكفار لا يمرون على الصراط، فقالوا إنها محمولة على انتهاء المرور لا ابتدائه(١).

وقد اشار ابن حجر رحمه الله إلى أن بعض الكفار لا يمرون عليه، بل يقذفون في النار قبل الصراط(٢)، ولعله يريد عتاة الكفار لا جميعهم، ويكون مرور الكفار الآخرين على الصراط زيادة في تعذيبهم. والله تعالى أعلم.

اللهم ثبت أقدامنا عند المرور على الصراط واكتبنا من الناجين وارحمنا برحمتك، واكتب لنا السلامة والعافية من كل هم وضيق بجاه النبي الشفيق وآله وأصحابه وللمسلمين أجمعين انك رؤوف رحيم.

المبحث السابع

حكم الإيمان بالصراط

أجمعت الأمة الإسلامية على أن الصراط حق والإيمان به واجب(٣). لما تقدم من الأدلة الصحيحة الصريحة، وأن مسألة الصراط من المسائل الغيبية التي يجب الإيمان بها لثبوتها بالقرآن الكريم والسنة النبوية المباركة، واعتقاد ما أثبتته النصوص فيها هو الحق، دون اللجوء إلى التأويلات في النصوص التي أثبتتها، لاستبعادها في عقول بعض الناس.

بل نؤمن بها كما جاءت في الشرع من غير تأويل، مجتنبين ما ذهب إليه أهل الفرق الضالة والنحل المنحرفة عن شريعة الإسلام الحنيف أولئك الذين تمسكوا بما جاءوا به من تلمسات بعض الأدلة، فإنها داحضة مردودة تردها الأدلة الثابتة في الكتاب والسنة والتي بلغتنا متواترة.

ونبه الإمام الغزالي قدس الله سره على ذلك بقوله: [إياك أن تنكر شيئا من عجائب الدنيا، ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها، وفي

---

(١) ينظر تكملة شرح الصدور: ٣٣.
(٢) فتح الباري: ١١/ ٤٥٢.
(٣) ينظر شرح المقاصد: ٢/ ١٦٤، وشرح العقائد النسفية للتفتازاني: ١٣٨ والاقتصاد في الاعتقاد: ٩٩، وشرح المواقف: ٢/ ٢/ ٤٥٣، ولوامع الأنوار: ٢/ ١٩٢، وشرح الطحاوية: ٣٥٠، وشرح الجوهرة: ١٨٠، وفتح الباري: ٢/ ٢٩٢.

طبع الآدمي إنكار لكل ما لم يأنس به، ولو لم يشاهد الحية وهي تمشي على باطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشي على غير رجل، والمشي بلا أرجل مستبعد عند من لم يشاهد ذلك، ولو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوان، وقيل له: إن له صانعاً يصنع من النطفة المذرة مثل هذا الآدمي المصور، العاقل، المتكلم، المنصرف، ... لاشتد نفور باطنه عن التصديق به،

ففي خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب اعضائه، أعاجيب تزيد على الأعاجيب في بعثه وإعادته، فكيف ينكر ذلك مع قدرة الله وحكمته، من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته!؟ فإن كان في إيمانك ضعف فوق الإيمان بالنظر في النشأة الأولى، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[(١)(٢)].

وقال السفاريني رحمه الله: [والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل، كما ثبت في الصحيحين، والمسانيد، والسنن، والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة من إنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق][(٣)].

وقال العلامة النسفي: [والصراط حق] وعلق العلامة التفتازاني على ذلك بقوله: [وهو جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف يعبره أهل الجنة ويزل فيه أقدام أهل النار][(٤)].

وذكر العلامة الخيالي في هامشه على قول التفتازاني: [أدق من الشعر وأحد من السيف] بقوله: [هكذا ورد في الحديث الصحيح][(٥)] وهو قول البرديسي والمرادي[(٦)] وابن حجر والنووي وغيرهما[(٧)].

(١) سورة القيامة: الآيات ٣٦-٤٠.
(٢) احياء علوم الدين: ٤/ ٥١٤.
(٣) لوامع الأنوار: ٣/ ١٩٢.
(٤) شرح العقائد النسفيه: ١٣٢.
(٥) حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية للتفتازاني: ٢/ ٨٢.
(٦) ينظر تكملة شرح الصدور: ٣٠، واللالي البهية: ٧١ وشرح الإبانة: ٩٦.
(٧) ينظر فتح الباري: ١١/ ٤٠٦، وشرح النووي لمسلم: ١/ ٤٣٠.

وذكر العلامة عبد القاهر البغدادي رحمه الله في بيان الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة والجماعة واتفقوا فيها على قول واحد وضللوا من خالفهم فيها بقوله: [وقالوا بالحوض والصراط والميزان، ومن أنكر ذلك حرم من الشرب من الحوض ودحضت قدمه من الصراط إلى نار جهنم](١).

وذكر الإمام البيهقي في كتابه الاعتقاد: إن الصراط حق وهو اعتقاد مذهب السلف من أهل السنة والجماعة وأورد أدلة من حديث حضرة النبي ﷺ في ثبوت الصراط يوم القيامة، وهو جسر يضرب فوق متن جهنم(٢).

والنصوص الواردة في الصراط كثيرة تمر بمناسبات متعددة وقد ذكرنا معظمها في صفحات هذا الفصل، وفقنا الله تبارك وتعالى إلى التفصيل والبيان، نسأله تعالى التوفيق والرشاد وحسن الخاتمة ونحن نؤدي أمانة العلم بكل إخلاص محافظين على اعتقاد أهل الحق، وبينا أن هذه النصوص الواردة في وصف الصراط نصوص يحتمل بعضها المجاز، ولكن الأصل هو الحمل على الظاهر والتسليم حتى يقع(٣).

قال شيخنا العلامة مصطفى كمال الدين قدس الله سره: [إعلم إنا نعتقد إعتقاداً جازماً بأن البعث حق والميزان حق والصراط حق والكوثر حق... وأن كل ما جاءت به الرسل حق يجب الإيمان به، فمن أنكر مما جاءوا به أمراً فهو كافر لا محالة ومصيره نار جهنم وبئس المصير](٤).

فإن قيل: إن أهل الحق يعتقدون بوجود الجنة والنار وإنهما مخلوقتان

(١) الفرق بين الفرق: ٢٧٠.
(٢) ينظر الاعتقاد للبيهقي: ١١٤.
(٣) ينظر شرح المقاصد: ٢/ ٢٢٣ وشرح المواقف: ٥٩٢، وشرح الطحاوية: ٤٠٩، والاحياء: ٤/ ٥٣٥، ولوامع الأنوار: ٢/ ١٩٠، وأصول الدين للاسفرائيني: ٤٨٢، وشرح عبد السلام على الجوهرة: ٢٣٥، والباجوري على الجوهرة: ٢/ ٨٥، ورسالة في التوحيد: ١١٤، والمسامره على المسايرة: ٢٥٧، وحاشية الدواني على العضدية: ٢٥٨، ومعالم أصول الدين للرازي: ١٣٨ والوسيلة: ٤٩٨، واليواقيت والجواهر: ٢/١٥٨. والإبانة: ٧٤، والتذكرة: ٢/ ٤٤٩.
(٤) النجم الزاهر: ٩١.

الآن[١]، فهل يعتقدون بوجود الصراط وخلقه الآن؟

يجاب عنه: هذه المسألة مهمة وحساسة وهي من المسائل الغيبية التي تحتاج إلى نص من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المباركة، ومن خلال البحث والتدقيق لم اجد فيها نصاً من الكتاب والسنة ينص على وجود الصراط أو عدمه الآن، ولذلك فإنه يحتمل ان يكون قد وجد منذ أن وجدت النار، كما يحتمل ان ينشيء الله خلقه في يوم القيامة لغرض اجازة الناس عليه، والذي يقول بوجوده الآن يلحظ ما أتفق عليه جميع السلف من وجود الجنة والنار الآن، ولكن هل الصراط موجود بوجود النار أو لا؟ كل ذلك قابل للامكان.

قال القاضي عياض: [يجوز ان الله تعالى يحدث الصراط يوم الجزاء، أو أن يكون مخلوقاً موجوداً الآن كجهنم][٢].

وقال عبد السلام في شرحه للجوهرة: [قلت: وفي كلام ابن الفاكهاني أنه موجود، وفي كنز الأسرار -نقلا عن بعضهم- جواز ان يخلقه تعالى حين يضرب على متن جهنم ويجوز ان يكون خلق حين خلقت جهنم][٣].

وظاهر كلام السفاريني يشعر بالجزم بوجوده الآن حيث قال: [إن الصراط مخلوق الآن][٤].

والواقع ان كل ما قيل عن وجوده أو عدم وجوده مجرد احتمالات والله تعالى هو وحده العالم بحقيقة ذلك والحق ان العبرة بوجوده يوم القيامة بهذه الأوصاف المرعبة المظلمة، إنما هي للسير على صراط الشريعة ومجاهدة النفس للنجاة من زلاتها في متاهات طرقها المحفوفة بالمخاطر والمكاره.

ويقول الإمام الغزالي قدس الله سره: [فهذه أهوال الصراط وعظائمه،

---

(١) ينظر شرح العقائد النسفية: ١٣٩، وشرح المقاصد: ٢/ ١٦١، وشرح المواقف: ٢/ ٤٤٥، وشرح الطحاوية: ٣٥٤، والفصل في الملل والاهواء والنحل: ٤/ ٨٢ وشرح النووي لصحيح مسلم: ١٧/ ٣٠٠.

(٢) تكملة شرح الصدور: ٣٢.

(٣) شرح عبد السلام على الجوهرة: ٢٣٦.

(٤) لوامع الأنوار: ٢/ ١٩٤.

فطول فيه فكرك، فإن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره في الدنيا، فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد، فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة، ولست اعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك، فما ذاك من الخوف في شيء؟ بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا طلبه، فلا ينجيك إلا خوف يمنعك عن معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته، وأبعد من رقة النساء خوف الحمقى إذا سمعوا الأهوال سبق إلى السنتهم الاستعاذة.

فقال أحدهم: استعنت بالله، نعوذ بالله، اللهم سلم سلم، وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم، فالشيطان يضحك من استعاذتهم، كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فإذا رأى السبع وصولته من بعد قال بلسانه: أعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه وأحكام اركانه، فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد بمكانه، فإني يغني ذلك عن السبع، وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله صِداقا، ومعنى صدقه: أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره، من اتخذ إلهه هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده وأمره، فحضر في نفسه، فإن عجزت عن ذلك كله فكن محباً لرسول الله ﷺ حريصاً على تعظيم سننه ومشوقاً إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركاً بأدعيتهم فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة][1].

اللهم اجعلنا ممن يحظى بالشفاعة، وهيىء لنا من ينقلنا بنوره وبركته وهمته الروحية القوية، فننجو تحت حمى عباءته وهمته، إنك سميع قريب مجيب يا رب العالمين.

فإن قيل: هل يبقى الصراط إلى خروج عصاة المؤمنين من النار أم لا؟

---

(١) إحياء علوم الدين: ٤/ ٥٢٥-٥٢٦.

يجابه عنه:

هذه المسألة لم يرد فيها نص أو إشارة بالنفي ولا بالإثبات، سوى بعض الاحتمالات التي ذكرها بعض العلماء[(١)]، وهذه الاحتمالات كلها تحتاج إلى نص صريح لاعتقادها، ولعل التوقف في إثبات أحد الأمرين أو نفيه وترك هذه المسألة وغيرها إلى علم الله تبارك وتعالى أولى.

المبحث الثامن

المنكرون للصراط وردود أهل الحق عليهم

لقد أجمعت الأمة الإسلامية على وجوب الإيمان بالصراط يوم القيامة، وذلك لثبوته في الكتاب والسنة المطهرة، ويتضح جليا أن ثبوت الصراط وصفاته أمر حق لا جدال فيه، وأن الإيمان به واجب، وأن المنكرين له مهما تمسكوا به من تلمسات بعض الأدلة فإنها واهنة داحضة مردودة، تردها الأدلة القطعية الثابتة التي بلغتنا متواترة، فصار الإيمان به من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، واتفقت الكلمة على إثبات الصراط جملة لكل أهل السنة يثبتونه على ظاهره من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعر يعبره الناس أجمعين.

وقال البغدادي رحمه الله في ذكر الأصول التي اتفق عليها أهل الحق وضللوا من خالفهم فيها: [وقالوا: بالحوض، والصراط، والميزان، فمن أنكر ذلك حرم الشرب من الحوض، ودحضت قدمه من الصراط إلى نار جهنم][(٢)].

وقال الأشعري رضي الله عنه: [واختلفوا في الصراط:

١- فقال قائلون: هو الطريق إلى الجنة والى النار، ووصفوه فقالوا: هو أدق من الشعرة وأحد من السيف، ينجي الله عليه من يشاء. (وهم أهل الحق).

٢- وقال قائلون: هو الطريق، وليس كما وصفوه بأنه أحد من السيف وأدق من

(١) ينظر لوامع الأنوار: ٢/ ١٩٤ وعزاها إلى الحليمي، وتكملة شرح الصدور: ٣٢.

(٢) الفرق بين الفرق: ٢٧٠.

الشعرة، ولو كان كذلك لاستحال المشي عليه][1] وهم المنكرون له ولصفاته. أما أولئك المنكرون فليس لهم ما يتمسكون به، لا من النقل، ولا من العقل، ويتمثل إنكارهم فيما يأتي:

أولا: المنكرون له مطلقا

ثانيا: المنكرون لصفاته الواردة له في الشرع وارجعوها إلى معان أخرى بتأويلات باطلة.

ثالثا: المنكرون لعبور أهل الإيمان عليه وتخصيصه بالكفار والمنافقين وهو قول جواد عفانة، وسنقوم إن شاء الله تعالى بتفصيل ذلك وبيان أدلتهم الضعيفة وردود أهل الحق عليها حسب الترتيب.

أما الذين نسب إليهم إنكاره مطلقا، فيما يذكر بعض العلماء عنهم هم:

أ- المعتزلة:

قال العلامة النسفي رحمه الله: [والصراط حق][2] وذكر العلامة التفتازاني في شرحه قائلا: [وأنكره أكثر المعتزلة لأنه لا يمكن العبور عليه، وأن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين][3].

وقال الشيخ الطيب: [وأنكره المعتزلة رأساً، قالوا: لأنه لا يمكن العبور عليه، وإن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين][4].

ويقول الوزاني عنهم: [وحملوا الصراط الوارد في الأحاديث على معناه اللغوي، فقالوا: المراد به طريق الجنة وطريق النار، ومعنى هذا أنهم ينكرون الصراط من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم الوارد به وبصفاته الشرع الشريف، ونقل عنهم أيضا أنهم يقولون عن الصراط أن المراد به الأدلة الواضحة][5].

---

(١) مقالات الإسلاميين: ٢/ ١٤٦.

(٢) العقائد النسفية: ١٣٨.

(٣) شرح العقائد النسفية للتفتازاني: ١٣٨.

(٤) النشر الطيب: ٢/ ٣٨٠ ولوامع الأنوار: ٢/ ١٩٢.

(٥) النشر الطيب: ٢/ ٣٨٠.

وهو كذلك ما يذكره عنهم السفاريني في كتابه لوامع الأنوار[١]. وبينه العلامة التفتازاني في شرح المقاصد فقال: [وينكر هذا الظاهر أكثر المعتزلة زعما منهم أنه لا يمكن عبوره عقلا، وإن أمكن ففيه تعذيب للمؤمنين، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾[٢] وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾[٣] ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة، وقيل: العبادات كالصلاة والزكاة ونحوهما، وقيل: الأعمال الردية التي يسأل عنها ويؤاخذ بها فإنه يمر عليها ويطول المرور بكثرتها ويقصر بقلتها][٤].

والجواب على قولهم:

١- إن الله تعالى قادر على أن يمكن العباد من المرور عليه ويسهله على المؤمنين[٥]، كما جاء في الحديث أن منهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من هو كالريح ومنهم من هو كالجواد، ومنهم من تخور رجلاه وتتعلق يداه ومنهم من يخر على وجهه[٦].

٢- إن هذا الكلام باطل لوجوب حمل النصوص على حقائقها وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء والوقوف فيه[٧]. وقد أجاب الرسول ﷺ على سؤال حشر الكافر على وجهه، إن القدرة صالحة لذلك، فالذي أمكنه أن يخلق له قدرة المشي على الهواء ولم يخلق في ذاته هويا إلى أسفل ولا انحرافا في الهواء، فالصراط أثبت من الهواء بكل حال[٨].

---

(١) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٩٣.
(٢) سورة سيدنا محمد ﷺ: الآية ٥.
(٣) سورة الصافات: الآية ٢٣.
(٤) شرح المقاصد: ٢/ ١٦٤.
(٥) شرح العقائد النسفية: ١٣٨.
(٦) رواه الإمام مسلم في صحيحه: ١/ ١٨٧ ك الإيمان ورقمه ١٩٥.
(٧) شرح المقاصد: ٢/ ١٦٤ وينظر لوامع الأنوار: ٢/ ١٩٢ وشرح المواقف: ٥٩٢.
(٨) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي: ٩٩ والإحياء: ١/ ١٢٠.

٣- وعلق السيد محمد بن علوي المالكي حفظه الله ونصره في شرحه لقول العلامة السيد أحمد المرزوقي المكي في منظومة عقيدة العوام[١] قائلا: [يجب على كل مكلف أن يصدق باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾[٢] وبما اشتمل عليه ومن ذلك: الإيمان بالصراط، وهو طريق يوضع على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون بعد انصرافهم من الموقف، فتثبت عليه اقدام المؤمنين الطائعين، ويمر عليه أهل الجنة، كلمح البصر أو كالبرق وذلك كله حسب أعمالهم، وتزل عنه أقدام الكافرين والعصاة من المؤمنين فيقعون في النار][٣].

فإن قيل: هل أنكر جميع المعتزلة من أولهم إلى آخرهم الصراط؟

يجاب عنه: قال العلامة التفتازاني في شرحه للعقائد النسفية: [وأنكر أكثر المعتزلة... الخ][٤] وفي عبارته دليل على أنهم لم يجتمعوا على قول واحد في إنكارهم للصراط، وعند الرجوع إلى كتب المعتزلة فإننا نجد القاضي عبد الجبار يفسر الصراط بأنه الطريق فقط، وأن إثبات صراط أحد من السيف وأدق من الشعرة إنما هو من وصف الحشوية -كما يزعم- غير أنه لم يرتض قول كثير من مشايخهم -فيما يذكر- من ذهابهم إلى أن الصراط المراد به الأدلة الواضحة[٥].

ويظهر بوضوح من تعريف القاضي عبد الجبار للصراط بأنه لا يثبت صراحة ذلك الصراط الوارد به وبصفاته الشرع فهو يقول: [وهو طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه][٦].

وفي هذا التعريف الذي أثبته عبد الجبار المعتزلي لا ينطبق على الصراط

(١) منظومة عقيدة العوام: ٥.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٣) جلاء الافهام شرح عقيدة العوام: ٦٦-٦٧.
(٤) شرح العقائد النسفية: ١٣٨.
(٥) ينظر النشر الطيب: ٢/ ٣٨١.
(٦) شرح الأصول الخمسة: ٧٣٧.

الذي قدمنا وصفه من السنة النبوية، بل هو إثبات للصراط دون صفاته المذكورة في الأحاديث التي مر ذكرها.

وزعم القاضي عبد الجبار أن ما ورد من وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة، وأن المكلفين يكلفون اجتيازه والمرور به، فمن اجتازه فهو من أهل الجنة، ومن لم يمكنه ذلك فهو من أهل النار، زعم أن هذا الوصف إنما يعتقده الحشوية، لأن تلك الدار في زعمه، ليست هي بدار تكليف حتى يصح إيلام المؤمن، وتكليف المرور على ما هذا سبيله في الدقة والحدة.

وهذا غير مسلم: فقد ذكر بعض العلماء في الرد على المعتزلة وأمثالهم أن التكليف لا ينقطع حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار والشواهد على ذلك كثيرة، منها سؤال القبر، ومنها التكليف باجتياز الصراط إلى غير ذلك[١].

ثم يعود القاضي عبد الجبار فيذكر عن كثير من مشايخهم أنه ليس هناك صراط حسي، لا واسع ولا ضيق، وأن ما ورد من ذكر الصراط فإنما يراد به المعاصي والطاعات، كما في قوله: [وقد حكى عن كثير من مشايخنا ان الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وافضى إلى الجنة والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك واستحق من الله تعالى النار][٢].

ولكنه لم يرتض هذا القول، حيث رده بقوله: [إنه مما لا وجه له، لأن فيه حملا لكلام الله تعالى على ما ليس يقتضيه ظاهره]، وأن هذا القول لم يحك إلا عن عبادة المعتزلي على حد قول عبد الجبار المعتزلي[٣].

ويتحصل مما سبق تقريره من مذهب المعتزلة: أن بعضهم ينفي الصراط مطلقا، وأن بعضهم يثبته لكن بغير وصفه الذي نص عليه الحديث وإنما يثبتونه على أنه طريق واضح بين الجنة والنار، يضيق على أهل العصيان ويتسع

(١) شرح المواقف: ٥٩٢، شرح المقاصد: ٢/ ٢٢٣، شرح العقائد النسفية: ١٣٣.
(٢) شرح الأصول الخمسة: ٧٣٧.
(٣) شرح الأصول الخمسة: ٧٣٨.

للمؤمنين. وظهر كذلك أن من نسب إلى المعتزلة القول بإنكار الصراط مطلقا، وانهم يؤلونه بالأدلة الدالة على وجوب الواجبات وقبح المقبحات، ليس دقيقا في حكمه، لأن هذا الرأي ليس لجميعهم، وإنما هو رأي تفرد به عبادة المعتزلي حسب ما ذكر القاضي عبد الجبار، وهو من كبار علماء المعتزلة.

ب- الخوارج

أنكر الخوارج ومنهم الأباضية وجود الصراط وما ورد من صفاته كما يذكر ذلك الطالبي في كتابه (آراء الخوارج) فيقول عنها بأنها: [تعتقد أن الصراط والميزان معنويان][1].

ثم قال -ناقلا عن أحد علمائهم وهو المصعبي: [وذكر عبد العزيز المصعبي صاحب كتاب (معالم الدين)[2] أن الإباضية تنكر الصراط][3].

ثم علق الطالبي على كلام المصعبي بقوله: [ولعله يقصد بذلك نكران الصراط الحسي][4].

والجواب على آرائهم الفاسدة:

إن مذهب الخوارج في إنكار الصراط وما ورد في صفاته لا يختلف عن مذهب المعتزلة في ذلك، وردود أهل الحق على المعتزلة كفيلة في جعل قول الخوارج فاسداً لأنه لا شاهد بصحة قولهم من اللغة ولا من القرآن الكريم ولا من السنة المطهرة، ويخالف النصوص القطعية التي أثبتت الصراط وما ورد من صفاته شرعا، وخالفوا اجماع الأمة واتفاق كلمتها على أصول الدين ومنها وجوب الإيمان بالصراط كما وردت به النصوص القطعية.

ج- الجهمية[5]

أنكرت الجهمية الصراط ونفوا وجوده، وزعيمهم بذلك الإنكار هو

---

(١) آراء الخوارج: ١٨٠.

(٢) مخطوط بدار الكتب المصرية نقل منه الطالبي في كتابه اراء الخوارج: ٢٦٠.

(٣) اراء الخوارج: ١٨١. (٤) المصدر نفسه: ١٨١.

(٥) الجهمية: نسبة للجهم بن صفوان، وهي فرقة دعت إلى ان الانسان مجبور على افعاله لا قدرة له ولا ارادة فسميت بالجبرية لمخالفتها اعتقاد أهل السنة والجماعة، كما في أصول الدين: ٢٨.

الجهم بن صفوان، فهو ينكر أن يكون في يوم القيامة صراط مادي ينصب على جهنم ليعبر عليه البشر قبل ذهابهم إلى الجنة، وهو في إنكاره هذا ليس له ما يستند عليه من الشرع، ولم تعرف له حجة ولا برهان، شأنه شأن غيره ممن ينفي الصراط الحسي يوم القيامة من الخوارج والمعتزلة دون دليل نقلي أو عقلي.

ومن خلال متابعة آراء الجهم بن صفوان والجعد بن درهم(١)، لم أجد لهم أي حجة أو برهان من النقل أو العقل في نفي وجود الصراط يوم القيامة.

قال خالد العلي: [ولا تذكر المصادر الحجج والبراهين التي استند عليها الجهم في نفي الصراط المادي](٢).

وقد تلمس له بعض الحجج في هذا الإنكار، وهي حجج أو اعتذارات غير مجدية لجهم بن صفوان في نفي الصراط، فيقول: [وربما كان نفي جهم لفكرة الصراط متأتياً عن اعتقاده بأن المؤمن يذهب إلى الجنة مباشرة، وأن لا حاجة للجسر ليختبر عليه العباد، فالمؤمنون يذهبون إلى الجنة، والكفار إلى النار، وذلك لأن جهماً يعتقد ان الإيمان لا يقبل الزيادة ولا النقصان، فمن كان في قلبه إيمان دخل الجنة بدون اختبار.

ومن جهة أخرى قد يكون اعتقادهم أن الإسلام هو الصراط، وبذلك يدخل الجنة كل من اتبع الإسلام وآمن به، وتكون النار مصير من حاد عنه وزاغ عن طريقه](٣).

وحجتهم ضعيفة وقولهم فاسد لا دليل له من الكتاب والسنة، وخالفوا ما قد اتفق عليه جمهور أهل السنة والجماعة على أصول أركان الدين ومنها الإيمان بوجود الصراط وما ورد من صفاته في الشرع.

---

(١) الجعد بن درهم من موالي بني الحكم، فارسي الاصل، اول من قال بالجبر واظهر مقالته في زمن هشام بن عبد الملك فأرسله هشام بن عبد الملك إلى والي العراق فقتله وإلى العراق عام ١٢٠هـ، كما في أصول الدين: ٤٥.

(٢) جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي: ٢٤٣.

(٣) جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي: ٢٤٤.

وأما تأويل جهم للصراط بأنه الإسلام فمردود وأن كان سائغ من جهة اللغة، ولكن ينبغي أن يلاحظ أنه وأن ساغ ذلك في اللغة، لكنه ليس بسائغ من جهة الشرع(١).

قال الشوكاني: [وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل، وجب الأخذ بالظاهر، وصارت هذه الظواهر نصوصا](٢).

وهو ما ذهب إليه الزجاج والقشيري وأيده القرطبي بأنه لا يجوز حمل الميزان على العدل، كما لا يمكن حمل الصراط على معنى الدين الحق، لأن الأولى أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح(٣).

ثانيا: المنكرون لصفات الصراط

قد خالف بعض الناس في ثبوت هذا الوصف، وذهبوا إلى تأويلات وأقوال مضطربة، تاركين ما بأن ثبوته من أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة، وقد صح عن حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ عن رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «بلغني أن الجسر أدق من الشعرة واحد من السيف»(٤)، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء»(٥).

وهذه الروايات وغيرها كلها تفيد صحة وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة(٦).

وقد ذكر الإمام الأشعري رحمه الله أن المسلمين اختلفوا في وصف

(١) تهذيب اللغة: ١٣/ ٢٥٧ ولسان العرب: ١٧/ ٣٣٨.
(٢) فتح القدير: وتفسير القرطبي: ٧/ ١٦٥.
(٣) تفسير القرطبي: ٧/ ١٦٥ والتذكرة: ٣٦٥.
(٤) صحيح الإمام مسلم: ١/ ٤٤١ بشرح النووي.
(٥) مسند الإمام أحمد: / ١١٠.
(٦) ينظر النشر الطيب: ٢/ ٣٨١، والترغيب والترهيب للمنذري: ٤/ ٤٢٩ والنهاية: ٢/ ١٧٩ وكتاب الايمان: ٣/ ٧٨١، والتخويف من النار: ١٦٩.

الصراط إلى قولين رئيسيين:

الأول: فريق يثبت الصراط على ضوء ما تقدم من النصوص.

الثاني: وفريق يؤول ما جاء من هذا الوصف إلى تأويلات بعيدة كالقول بأنه طريق للعبور عليه فحسب، وبعضهم يذهب إلى أبعد من هذا، حيث يذكر أن هذا الوصف من ضرب المثل للخفي الغامض بالشيء المعروف(١).

ولكنه رضي الله عنه لم يذكر أو يبين من هم الذين وصفوه بتلك الأوصاف ومن هم الذين امتنعوا عن وصفه، وسنشير إليهم.

والواقع أن الخلاف في صفة الصراط لا ينحصر في هذين الأمرين، فقد ذكر العلماء أقوالاً أخرى، فهناك من يقول: [إنه يدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره، فعرض صراط كل أحد بقدر انتشار نوره](٢).

وهناك من يذهب إلى التوقف في حقيقته، كالوزاني، في قوله: [ولو قيل: بالوقف ما بعد، لأن كيفيته لا تتلقى إلا من الشارع، ولم يرد فيه نص صريح](٣).

وهناك من يذهب إلى تأويلات أخرى، كنقل الوزاني والبرديسي عن الكمال في شرحه لما ورد في صحيح الإمام مسلم من وصف الصراط أنه أحد من السيف وارق من الشعرة: [بأن ذلك يضرب مثلا للخفي الغامض، وأول كونه أحد من السيف: بسرعة إنقاذ الملائكة أمر الله تعالى بإجازة الناس عليه، إلى أن يقول: وقال بعضهم: كل من الرقة والحدة، كناية عن شدة المشقة](٤).

ويقول القرطبي: [ذهب بعض من تكلم على أحاديث هذا الباب في وصف الصراط بأنه أدق من الشعر واحد من السيف: ان ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى، لخفائها وغموضها.

---

(١) ينظر مقالات الإسلاميين للاشعري: ٢/ ١٤٦.

(٢) النشر الطيب: ٢/ ٣٨٣ وينظر تكملة شرح الصدور: ٣١.

(٣) النشر الطيب: ٢/ ٣٨٢-٣٨٣ وينظر تكملة شرح الصدور: ٣٢١.

(٤) المصدر نفسه: ٢/ ٣٨٣ والمصدر الثاني نفسه: ٣١.

وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي دقيقاً، فضرب المثل له بدقة الشعر، فهذا والله أعلم من هذا الباب.

ومعنى قوله: واحد من السيف: ان الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في اجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف، ومضيه، اسراعا منهم إلى طاعته وامتثاله، ولا يكون له مرد، كما أن السيف إذا نفذ بحدة وقوة ضاربة في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد.

وأما أن يقال الصراط نفسه أحد من السيف وأدق من الشعر فذلك: مدفوع بما وصف من ان الملائكة يقومون بجنبيه، وأن فيه كلاليب وحسكاً، أي أن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من يزل ثم يقوم، وفيه ان من الذين يمرون عليه من يعطي النور بقدر موضع قدميه، وفي ذلك اشارة إلى أن للمارين عليه مواطئ الأقدام، ومعلوم أن رقة الشعر لا يحتمل هذا كله.

ثم قال أيضا: وقال بعض الحفاظ: إن هذه اللفظة -أي الصراط- ليست بثابتة][1].

ولكن الإمام القرطبي رحمه الله وهو ينقل هذه الآراء لم يوافق عليها كما سيأتي.

وذهب القرافي كذلك إلى إنكار أن يكون الصراط أدق من الشعرة واحد من السيف كما ينقله عنه الشيخ الطيب في قوله: [وقال القرافي: لم يصح في الصراط أنه أدق من الشعر واحد من السيف شيء، والصحيح أنه عريض، وفيه طريقان يمنى ويسرى، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة ذات الشمال، وفيه طاقات، كل طاقة تنفذ لطبقة من جهنم][2].

وقال السفاريني: [وأنكر العلامة القرافي كون الصراط أدق من الشعر واحد من السيف، وسبقه إلى ذلك شيخه العز بن عبد السلام][3].

ويقول السفاريني عن القرافي أنه تبعا للبيهقي يؤول ما جاء في وصف

---

(١) التذكرة: ٣٣٣، وينظر أصول الدين الإسلامي: ٧٨١.
(٢) النشر الطيب: ٢/ ٣٨١.
(٣) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٩٣.

الصراط -السابق الذكر-: بأن أمره أدق من الشعر، فإن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى، وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلا للغامض الخفي، وضرب حد السيف لإسراع الملائكة في المضي لامتثال أمر الله واجازة الناس عليه(١).

ويذكر الوزاني أن هذا الرأي لم ينفرد به القرافي، بل قال به جماعة من المحققين كعز الدين الزركشي والبيهقي(٢).

وقد أيد الشيخ علي الأجهوري رأي القرافي، وذكر أنه لا ينبغي أن يعدل عنه لحديث عائشة رضي الله عنها في ذكر وقوف الناس على الصراط، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات(٣)، كما نقله عنه الوزاني في قوله: [وقال الشيخ علي الأجهوري: الظواهر تدل لما قاله القرافي، فلا يعدل عنها، منها: حديث ان الناس يكونون عليه يوم تبدل الأرض غير الأرض وهو في الصحيح](٤).

والواقع أن تلك الأقوال تأويلات، فقد رأينا مما سبق ثبوت وصف الصراط بأنه جسر أدق من الشعرة وأحد من السيف، وأما الآراء السابقة، فيتضح من استعراضنا الآتي لها، أنها ليس عليها دليل صريح وقطعي.

أما رأي القرافي الذي تقدم فإنه يرد عليه إنه نفي صفات وأثبت صفات أخرى تحتاج إلى دليل، وكان الأولى أن يقول بما جاء به الدليل فإثباته أن فيه طريقين يمنى ويسرى، وأنه عريض، وأن فيه طاقات، لا يتفق مع مفهوم الأحاديث الصحيحة المتقدمة التي تفيد أنه طريق واحد كما وصف في الأحاديث السابقة.

---

(١) المصدر نفسه: ٢/ ١٩٤.
(٢) النشر الطيب: ٢/ ٣٨١.
(٣) أخرجه الترمذي: ٥/ ٣٧٢ وقال حديث حسن صحيح غريب فعن ابن عباس ﷺ قال: حدثتني عائشة رضي الله عنها انها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، قالت: قلت فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟، قال: ((على جسر جهنم)) وفي رواية: ((في الظلمة دون الجسر)).
(٤) النشر الطيب: ٢/ ٣٨١.

ولهذا يذكر صاحب النشر الطيب أنه قد تعقبه ابن ناجي بحديث مسلم عن أبي سعيد[(١)].

وقد انتقده أيضا صاحب إضاءة الدجنة فقال:

وما يقال أنه أرق ... من شعر صدقه فهو حق
وفي صحيح مسلم ما أرشدا ... إليه والضرير فيه انشدا
والرب لا يعجزه امشاؤهم ... عليه إذ لم يعبه إنشاؤهم
وللقرافي هنا كلام ... نيط به من أجله ملام[(٢)]

وأما الاستدلال بحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها -في ذكر ان الناس يكونون على الصراط يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات- على أن الصراط ليس بذلك الوصف: (أي أدق من الشعرة وأحد من السيف)، فإنه لا يتم الاستدلال به على نفي صفة الصراط المراد إثباته.

وذلك أن الجسر هذا الذي يقف عليه الناس لا يلزم منه أن يكون المقصود به جسر جهنم، فقد ذهب بعض العلماء إلى أن هذا مكان آخر يقف عليه الناس، وليس هو الجسر الذي يمرون فوقه إلى الجنة، أو لعل المراد بهذا الجسر: الظلمة التي هي دون الصراط، والتي فيها تقسم الأنوار[(٣)].

وهذا ما ذهب إليه الآبي أيضا في شرحه لصحيح مسلم، حيث قال: [الصراط يحتمل أنه الصراط المعروف، ويحتمل أنه اسم لموضع غيره تستقر الخلق عليه، وكأنه الأظهر، للحديث المتقدم، وقد سألته عائشة رضي الله عنها: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض؟ قال: (هم في الظلمة دون الجسر)[(٤)].

وأما قول من ذهب إلى التوقف في صفة الصراط بحجة أنه لم يرد به نص، أو ورد عن الصحابة دون التصريح برفعه، فإنه قول يحتاج إلى إثبات، إذ النصوص

---

(١) النشر الطيب: ٢/ ٣٨١.
(٢) الحياة الآخرة: ٣/ ١٢٤٩.
(٣) ينظر الأساس في السنة، العقائد الإسلامية: ٣/ ١٣٣٤.
(٤) شرح الابي لمسلم: ٧/ ١٩٤.

تشهد بخلافه، وقد تقدم في الأدلة ما يثبت الصراط بالصورة المذكورة.

وخلاصة القول: أنه يتضح مما سبق في وصف الصراط: أنه أحد من السيف، وأدق من الشعرة، وأن قول من ذهب إلى أنه من ضرب المثل للخفي الغامض بالشيء المعروف، أو أن كونه أحد من السيف بسرعة إنفاذ الملائكة لأمر الله، وإن كلا من الرقة والحدة كناية عن شدة المشقة، أو أن ذلك الوصف للصراط راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات... إلى آخر أقوالهم السابقة.

فإنها كلها تأويلات لا تتفق مع ظواهر النصوص، وليس لأهلها ما يستندون عليه في هذا النفي، إلا مجرد الإستبعاد لإن يكون الصراط بهذا الوصف الدقيق، مع ما جاء أن الملائكة تقف على جانبيه، وأن الناس يمشون عليه، وأن عليه كلاليب وحسكاً، إلى آخر اوصافه التي تدل -بزعمهم- على نفي أن يكون أحد من السيف وأدق من الشعرة.... وقد سبق أن ذلك غير مستحيل على الله تعالى.

وعلى هذا، فإن القول الراجح: أن هذه الأوصاف، وإن كانت واردة في الصراط فإنها لا تمنع أن يكون الصراط بهذا الوصف من الدقة، ويمشي عليه الناس، فإن قدرة الله تعالى ليس لها حدود، **ويدل على هذا الترجيح أمور**:

١- ورود روايات وأخبار تفيد ذلك، كما ذكرت سابقا.

٢- إن هذه الصفات هي التي قواها جمهور العلماء واعتقدوا صحتها، كما تدل عليه أقوالهم الآتية:

أ- قال الحافظ عبد الله العكبري: [جاء في الحديث: أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة][1].

ب- وقال الإمام النووي: [وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف، كما ذكره أبو سعيد الخدري رضي الله عنه][2].

(١) كتاب الإبانة: ٩٦.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: ١/ ٤٣٠.

ت- قال السفاريني: [قال العلماء: الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف وأحمى من الجمرة][(١)].

ث- وقال القرطبي -يرد على من يزعم استبعاد وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة: [ما ذكره هذا القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار، وأن الإيمان يجب بذلك، وإن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة، ولا استحالة في ذلك للآثار الواردة في ذلك، وبيانها بنقل الأئمة العدول، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور][(٢)].

٣- إن الذين نفوا ثبوت تلك الصفات، ليس لهم مستند في نفيهم إلا الاستبعاد العقلي أن يكون بهذه الصفة ويمشي عليه البشر، ولكن هذا الاستبعاد كما قدمنا لا يدل على أن الصراط لا يكون بذلك الوصف الذي يثبته أهل السنة: (أدق من الشعرة وأحد من السيف) لأن الله قادر على أن يمشيهم على ما هذه صفته وليس ذلك على الله بعزيز[(٣)].

فنفي صفة الصراط بحجة أنه لا يمكن المشي عليه وهو بهذه الدقة والحدة تأويل بعيد جداً، وذلك التأويل باطل لوجوب حمل النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء أو الوقوف فيه.

ثالثا: القائل بأن الكفار وعصاة المسلمين يحشرون مع الشياطين ويردون النار.

وهو قول جواد موسى عفانه صاحب كتاب حقيقة عذاب القبر[(٤)] الصادر

(١) لوامع الأنوار: ٢/ ١٩٠.

(٢) التذكرة: ٣٣٣ وينظر شرح المقاصد: ٢/ ٢٢٣ وشرح المواقف للسيد الشريف: ٥٩٢ وإحياء علوم الدين: ١/ ١٢٠.

(٣) ينظر لوامع الأنوار: ٢/ ١٩٤ وشرح الطحاوية: ٤٠٧-٤٠٨ وشرح عبد السلام على الجوهرة: ٢٣٥.

(٤) كتاب حقيقة عذاب القبر من أوله إلى آخره مخالف لاعتقاد أهل الحق ويتهم مؤلفه أهل الحق بضياع الحضارة الإسلامية لانهم قالوا بعذاب القبر ونعيمه، فافهم!!.

في سلسلة الجديد في التجديد. وهو من المنكرين لعذاب القبر ونعيمه، وكذلك أنكر عبور المؤمنين من الأنبياء والشهداء والصالحين على الصراط وقال كلاما لا يرضاه الله تعالى ولا رسوله وخالف به إجماع الأمة الإسلامية على وجوب الإيمان بالصراط واتفاق كلمتها على ما ورد به من النصوص الصريحة الواضحة الصحيحة التي أكدت عبور الأولين والآخرين على الصراط المضروب فوق متن جهنم وشعار المؤمنين عليه يومئذ "اللهم سلم سلم" وتساقط الكفار والمشركين والمنافقين وعصاة المؤمنين من على حافته وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف.

وذكر المهندس جواد عفانة أموراً لم أر اجرأ منه في اساءة الأدب، بذكرها مع حضرة النبي ﷺ ولم أسمع بأن هنالك أسوا منه خلقا وهو يجرح علماء الأمة من الرعيل الأول من الصحابة والتابعين وتابع التابعين وعلماء السلف والخلف فقال:

١- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[١] فقال: أرى أن أبين تفسيراً للآية التي كان سوء فهمها السبب الرئيس في تمرير هذا الحديث على رواة الحديث المعتبرين، ناهيك عما وضع من أحاديث تتفق مع المفهوم الخطأ الذي فهمه بعض علماء المسلمين في القرن الثاني الهجري وربما في النصف الثاني من القرن الأول، ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري في صحيحه وما رواه مسلم في صحيحه][٢].

٢ - أنكر جميع الأحاديث الواردة في إثبات الصراط ومرور أهل الإيمان يوم القيامة بحجة أن هذه الأحاديث موضوعة ولم يرد بها نص من القرآن الكريم بقوله: [أين إشارة القرآن إليها][٣].

٣- قال: [وعليه فمن اعتقد بورود المؤمنين النار فقد اخطأ، ومن اعتقد بمرور

(١) سورة مريم: الآية ٧١.
(٢) حقيقة عذاب القبر، مناقشة حديث الصراط: ٢٢٤.
(٣) المصدر نفسه: ٢٣١.

الأنبياء والمؤمنين على النار أو حتى مجرد عرضهم عليها أو عرضها عليهم فقد اخطأ. . . إلى أن قال: ثبت لنا أن أحاديث تبديل المقاعد ووجود مقعد في النار سلفاً لكل مؤمن جميعها باطلة وموضوعة أو وهم فيها رواتها، فلنعد إلى حديث الصراط، لكي نقف على ما ادخل في دماغ المسلم من خرافات وأباطيل لم تقف عند حد الأحكام وتبديلها بل دخلت صلب عقيدته، حتى صارت عقيدته مزيجاً من الحق والباطل، فتحول إلى المنهج الخرافي وصار بذلك متردداً هياباً فكان ما كان من تقهقر المسلمين وضياع أمجادهم واستعمار بلادهم](١)!!!

٤- قال في حديث الصراط الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه(٢): [هذا حديث طويل في متنه كلام كثير وخطير، وللحقيقة فلكثرة ما فيه من مغالطات وسخافات فقد كنت سأتخلى عن التعليق عليه، إلى أن قال: فجاء كل ما فيه مخالفاً للقرآن، متناقضاً معه ومع الأحاديث الصحيحة. . . ثم قال: من زور هذا الحديث استند على خطأ أحدهم في تفسير آية قرآنية. . وقال: والأرجح أنه قول أحدهم دسه هنا، فجاء كلامه هذا مكشوفاً مفضوحاً، وليس غريبا أن يمر هذا على البخاري، فالبخاري يخطئ ويصيب فالعصمة لا تكون إلا لنبي](٣).

والجواب على أقواله الفاسدة

١- لقد ثبت ذكر الصراط في آيات كثيرة من القرآن الكريم وفي أحاديث كثيرة عن حضرة النبي ﷺ، وإذا ثبت ذلك عن الصادق المصدوق سيدنا محمد ﷺ فقد وجب علينا الإيمان به لتواتر الأدلة القطعية بذلك، وانعقد اجماع الأمة الإسلامية على أنه أصل من أصول الدين، اتفقت كلمة أهل السنة عليها وضللوا من خالفهم بذلك.

٢- إن المؤلف المشبوه يقتصر على القرآن الكريم فقط وليته يفهمه، وهو أشبه

---

(١) المصدر نفسه: ٢٣١.
(٢) ينظر فتح الباري: ١١/ ٤٥٣ وصحيح مسلم: ١/ ١٦٤.
(٣) حقيقة عذاب القبر: ٢٣٢.

بالخوارج الذين أنكروا كثيراً من الأحاديث بحجة عدم ورودها بالقرآن، فهذا الضلال بعينه لأن حضرة النبي ﷺ إنما يشرع بإذن الله عز وجل: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾(١).

٣- ولابد أن يعلم أهل الإسلام أنه لا ينبغي أن يتكلم في العلم إلا ذووه فعلم القرآن وعلم الآثار النبوية لهما رجالهما، فلا يقبل دخيل ضليل لا يعرف مداخل القرآن ومتطلبات فهمه، كما لا يعرف ميزان أصول فقه الدين ليخرج من أزمة التعارض والنف التي أطبقت على مخيلته فأضلته ضلالاً بعيدا.

٤- إن عرض المؤمنين على جهنم يذكرهم بعظم تكريم الله لهم إذ أنجاهم من النار وقد صدقهم الوعد، وأن عرض الكافرين والمنافقين على جهنم لهو زيادة تعذيب لأنفسهم إذ سيزدادون ندماً وحسرة لما فرطوا في جنب الله وحقوق الناس.

٥- إن المؤلف المشبوه سليط اللسان على علماء هذه الأمة وخاصة محدثيها، وهو بحاله كحال الخوارج ومن لف لفهم إذ دعوا إلى ترك الاحتجاج بالسنة فضلوا، والمؤلف من الذين يشككون في صحة وصول السنة، فبان عواره، وجعل في قوله تركه، فالناقد بصير، وهذا السفيه حاله من حال سلفه المختار بن عبيد الثقفي وغيره من مرتزقة الخوارج والفرق الضالة المضلة.

٦- إن دعوى المؤلف إلى التشكيك في صحة أحاديث الصحيحين، بدعوة ان أحاديث البخاري ومسلم وجميع أخبار الآحاد صحيحة السند لا يجوز أخذها أخذ أعمى، فإن في كلامه هذا هدما لجل السنة، لأن معظم السنة قد ورد عن طريق الآحاد، وأجمع المحدثون ومعهم علماء الفقه والأصول على أنه يجب العمل بخبر الواحد الثقة وأن أفاد الظن.

والمؤلف يا للأسف لم يفرق بين الخطيئة أو الأثم وبين الخطأ العلمي،

(١) سورة النساء: الآية ٨٠.

فالخطأ العلمي قد يعصم الله عنه غير النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فالأمر في أصله أنه صحيح حتى يرد عليه ما يثبت عدم صحته، فضلا من جسارة المؤلف على الصحيحين نفسيهما، بدون أن يورد أدلة علمية على إثبات الخطأ فيهما، وما ذاك إلا لأنه من صنائع الاستخراب من اليهود والصليبيين في جسد الأمة الإسلامية لإثارة الفتن والجدالات العقيمة التي تورث الحقد والتجاسر بين المسلمين وهدر دمائهم.

وإذا كان قد وجد من ينفي الصراط أو صفاته وهو اعتقاد خاطئ فإنه قد وجد في الجانب المقابل من يغالي في إثبات الصراط حتى يصل في إثباته إلى الخرافات ونفي حقيقة الصراط، حيث يذهب إلى القول بان الصراط هو شعرة من شعر جفون مالك خازن النار.

وهؤلاء النفاة والمغالين في الإثبات على طرفي نقيض، فإن النفاة أنكروا ما ثبت وقوعه، وهؤلاء أثبتوا ما لم يثبت وقوعه، وهؤلاء في إثباتهم هذا قد نفوا الصراط الحقيقي، حيث أثبتوه شعرة من شعر جفون مالك خازن النار.

والقول الحق هو الوسط بلا إفراط ولا تفريط، الإيمان به على هيئة ما ورد وثبت في الأحاديث الصحيحة، أما قول هؤلاء بأن الصراط شعرة من شعر جفون مالك خازن النار فقول ساذج بين السقوط.

وقد شنع على أصحابه السفاريني بقوله: [ومن الخرافات الباردة، زعم من زعم أن ماهية الصراط شعرة من شعر جفون مالك خازن النار، وهو كلام تنبو عنه المسامع ويكذبه كل سامع فلا ينبغي ان يلتفت إليه ولا يعول عليه](١).

اللهم ثبت على الصراط أقدامنا ونور فيه بالحق مسعانا، وجنبنا زلة القدم يا مولانا بجاه المختار محمد بالحق جاءنا وآله وأصحابه يوم النصر فرسانا، والطف بنا واجعل شعارنا، اللهم سلم سلم.

---

(١) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٩٢.

الفصل الرابع

الميزان

المبحث الأول: الميزان لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: أدلة إثبات الميزان في الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: الموزون ودقة الموازين.

المبحث الرابع: صفات الميزان وحكمته.

المبحث الخامس: لمن ينصب الميزان ومرجحاته.

المبحث السادس: وزن أعمال الجن وتعدد الموازين.

المبحث السابع: حكم الإيمان بالميزان وكيفيته.

المبحث الثامن: المنكرون للميزان والرد عليهم.

المبحث الأول

الميزان لغة واصطلاحا

الميزان لغة: معروف، وزن الشيء من باب وعد، وزنة أيضا، ويقال: (وزنت) فلانا ووزنت لفلان، قال عز من قائل: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[1]، وهذا يزن درهما. قال الرازي: [قلت معناه: يساوي درهما في القيمة لا في الثقل كذا وقع لي]. ومنه الحديث: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر شربة ماء» أي: تعدل وتساوي[2] وهو الذي وقع في نفس الإمام زين الرازي اللغوي (ت ٦٦٦هـ).

وذكر عبد السلام في شرحه للجوهرة رحمه الله قائلا: [والوزن في أصل اللغة: معرفة كمية بأخرى على وجه مخصوص، والميزان هو العدل والقضاء، وأصل ميزان موزان، قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها][3].

وقال الليث: [الوزن ثقل شيء بشيء مثله، وقد اطلقت لفظة الوزن والميزان على عدة معان، فهو يطلق ويراد به بيان قدر الشيء وقيمته، أو خسة الشيء وسقوطه، كما قال تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[4]. ويراد بها المثقال والكتاب والتسوية][5].

وأوضح أبو العباس قائلا: [قال ابن الأعرابي: العرب تقول: ما لفلان عندنا وزن، أي: قدر لخسته، ويقال: وزن الشيء إذا قدره، ووزن ثمر النخل إذا خرصه ومنه الحديث الشريف: «سبحان الله عدد خلقه وزنة عرشه» أي: بوزن عرشه في عظم قدره][6].

---

(١) سورة المطففين: الآية ٣.

(٢) مختار الصحاح للرازي: ٧١٩ مادة وزن، وينظر المعجم الوسيط: ٣/ ١٠٣٠.

(٣) شرح عبد السلام على الجوهرة: ٢٣٤، والتذكرة: ٢/ ٤٢٢.

(٤) سورة الكهف: الآية ١٠٥.

(٥) تهذيب اللغة: ١٣/ ٢٥٦.

(٦) المصدر نفسه: ١٣/ ٢٥٧.

وذكر الزهري بعدما تقدم من تلك المعاني اللغوية: إن الميزان يأتي مراداً به العدل أيضا، كما يأتي ويراد به الكتاب الذي فيه أعمال الخلق، ثم قال: [وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ](١).

وبين الراغب قائلاً: [الوزن معرفة قدر الشيء.. والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسط والقبان](٢).

ثم ذكر بعض الآيات التي تدل على أنه يأتي مرادا به المعدلة في جميع ما يتحراه الإنسان من الأفعال والأقوال نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾(٣) وقوله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾(٤).

وأنه يأتي بمعنى العدل في محاسبة الناس، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾(٥) وهو قول مجاهد والضحاك والأعمش.

أما الميزان فهو الآلة التي يوزن بها الأشياء ويجمع على موازين وجائز ان يقال للميزان الواحد -بأوزانه وجميع آلته- الموازين، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يريد نضع الميزان ذا القسط(٦).

وجاء إطلاق الموازين على الأعمال: كما قال عز وجل: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾(٧).

قال الأزهري: [أراد والله أعلم: فمن ثقلت أعماله التي هي حسناته](٨).

وذكر الراغب: أن مجيء الميزان على صيغة الجمع تارة ومجيئه تارة

---

(١) ينظر تهذيب اللغة: ١٣/ ٢٥٧، ولسان العرب: مادة وزن: ١٧/ ٣٣٩.
(٢) المفردات: ٥٢٢.
(٣) سورة الشعراء: الآية ١٨٢.
(٤) سورة الرحمن: الآية ٩.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٤٧، وينظر لسان العرب: ١٧/ ٣٣٩، والقرطبي: ٧/ ١٦٥، والزمخشري والكشاف: ٢/ ٦٧ والالوسي: ٧/ ٢٨٠ والرازي: ١٤/ ٢٨ والماوردي: ٢/ ١٠ والنسفي: ٢/ ٤٥ وفتح الباري: ١٣/ ٥٣٩.
(٦) ينظر المفردات: ٥٢٢.
(٧) سورة الأعراف: الآية ٨.
(٨) ينظر تهذيب اللغة: ١٣/ ٢٥٧.

أخرى بالإفراد فإنما هو باعتبار المحاسب والمحاسبين، فمجيئه بلفظ الواحد اعتبار بالمحاسب، ومجيئه بالجمع اعتبارا بالمحاسبين(١).

وقال ابن منظور: [الموازين واحدها ميزان وهي المثاقيل واحدها مثقال ويقال: ميزان للآلة التي يوزن بها الأشياء](٢).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في التذكرة: [ذكر الله تعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع وجاءت السنة بلفظ الأفراد، فقيل: يجوز أن يكون هناك موازين للعمل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من الأعمال كما قال:

ملك تقوم الحادثات لعدله ... فلكل حادثة لها ميزان

تتصرف الأشياء في ملكوته ... ولكل شيء مدة وأوان

ويمكن أن يكون ميزاناً واحداً عبر عنه بلفظ الجمع كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾(٣) و ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾(٤) وإنما هو رسول واحد، وقيل المراد بالموازين: جمع موزون أي الأعمال الموزونة لا جمع ميزان، وخرج اللالكائي عن حذيفة قال: صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام](٥).

وقيل: ذكره بلفظ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾(٦) وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ للاستعظام، وقيل: إن لكل مكلف ميزانا وإنما هو ميزان واحد كبير إظهار لجلالة الأمر وعظمة المقام(٧).

وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره: [وقيل: الميزان -هو- الكتاب الذي فيه أعمال الخلق](٨).

---

(١) المفردات: ٥٢٢، روح المعاني للعلامة الآلوسي: ٧/ ٨٢.
(٢) لسان العرب: مادة وزن ١٧/ ٣٣٨.
(٣) سورة الشعراء: الآية ١٢٣.
(٤) سورة الشعراء: الآية ١٠٥.
(٥) التذكرة: ٢/ ٤٣١.
(٦) سورة القارعة: ٨.
(٧) شرح العقائد النسفية: ١٣٧، وشرح المقاصد: ٢/ ١٦٤.
(٨) تفسير القرطبي: ٧/ ١٦٥.

وبعد أن استعرض ابن سيده بعض هذه المعاني للكلمة -ميزان- قال: [وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائد، إلا أن الأولى ان يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح، فإن جاء الخبر أنه ميزان له كفتان من حيث ينقل أهل الثقة فينبغي أن يقبل ذلك](١).

قلت: وهو عين ما قاله الزجاج: [هذا سائغ من جهة اللسان والأولى أن يتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان](٢).

لكن القشيري رحمه الله: لم يرتض هذا القول، لأنه لو جاز حمل كلمة الميزان على أي معنى من هذه المعاني التي يختارها الباحث فليحل الصراط أيضا على معنى الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة(٣).

وقد أيد القرطبي ما قاله القشيري وأضاف أن الأمة قد أجمعت في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر، وصارت هذه الظواهر نصوصا(٤).

والميزان اصطلاحا: اختلف العلماء فيه على أقوال:

القول الأول

إن المراد بالميزان في الاصطلاح الشرعي فهو الميزان الذي أخبر الله تعالى عنه في كثير من آيات القرآن الكريم، وأخبر عنه حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ في الأحاديث الشريفة في أكثر من مناسبة، تنويها بعظم شأنه وخطورة أمره، وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به أعمال العباد خيرها وشرها يوم القيامة، وقد أخبر الله جل جلاله وعم نواله عنه في القرآن الكريم اخباراً مجملاً من غير تفصيل لحقيقته، وجاءت السنة النبوية المباركة فبينته،

---

(١) لسان العرب: ١٧/ ٣٣٨.
(٢) تفسير القرطبي: ٧/ ١٦٥ وينظر: غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول: ٥/ ٣٧٦.
(٣) تفسير القرطبي: ٧/ ١٦٥.
(٤) المصدر نفسه والتذكرة للقرطبي: ٣٦٥.

وهو قول الجمهور لظاهر الأحاديث الواردة[١].

وأكد المعنى الإمام الأشعري بقوله: [قال أهل الحق في تعريف الميزان: له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأخرى السيئات، فمن رجحت حسناته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فادخله الجنة][٢].

فميزان الآخرة في عقيدة أهل الحق ميزان حسي له لسان وكفتان، أحدهما نيرة وهي اليمنى المعدة للحسنات والآخرى مظلمة وهي اليسرى المعدة للسيئات[٣]، يراه الناس بأم اعينهم.

وهذا هو رأي الرعيل الأول رضي الله عنهم ومنهم سيدنا سلمان الفارسي ﷺ، فقد أخرج اللالكائي في السنة عن سيدنا سلمان أنه قال: [يوضع الميزان وله كفتان، ولو وضع في إحداهما السموات والأرض ومن فيهن لوسعه][٤].

وهو مذهب ابن عباس رضي الله عنهما فقد قال فيه: [إنه ميزان له لسان وكفتان، لا يوزن فيه إلا الأعمال[٥]، وفي رواية أخرى: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان][٦].

والحسن البصري رحمه الله فقد جاء من طريق عبد الملك بن أبي سليمان أن ذكر الميزان عند الحسن فقال: [له لسان وكفتان][٧].

---

(١) ينظر رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة: ١١٤، الحياة الآخرة: ١٠٨٥ وأصول الدين الإسلامي: ٤٧٣.
(٢) مقالات الإسلاميين للاشعري: ٢/ ١٤٦.
(٣) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب: ٧٢-٧٣.
(٤) فتح الباري: ١٣/ ٥٣٩ والتذكرة: ٣٦٤ والالوسي: ٧/ ٧٤ والمسايرة: ٢٣٨.
(٥) تفسير القرطبي: ٧/ ١٦٦ وتفسير روح البيان: ١٠/ ٥٠٠.
(٦) تفسير القرطبي: ٧/ ١٦٦ وشرح النسفية للسعدي: ١٣٥ والإيمان باليوم الآخر لسعد محمد الصاغرجي: ٨٣ ط١ دار القبلة السعودية ١٩٩٣.
(٧) فتح الباري: ١٣/ ٥٣٩، وتفسير البروسوي: ٢/ ١٠، والمسايرة: ٢٣٨، والزمخشري: ٢/ ٦٨ والحياة الآخرة: ٣/ ١٠٨٥.

قلت: وهذا هو مذهب جمهور المفسرين وأكثرهم[١]، وزادوا: ان له كفتين ولسانين وساقين[٢] والسواد الأعظم من المسلمين من الأشاعرة والماتريديه والحنابلة[٣].

قال القرطبي رحمه الله: [وقد جاء في الخبر ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى، كفة الحسنات النيرة عن يمين العرش مقابل الجنة، وكفة السيئات المظلمة عن يسار العرش مقابل النار، ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الأصول][٤].

قلت: ومما تقدم فإن هذا التعريف للميزان هو تعريف أهل الحق وقول السواد الأعظم من المسلمين فهو ميزان حسي جسماني مشاهد له لسان وكفتان وساقان تشهد له الأدلة الصحيحة والصريحة والواضحة ينصبه الحق عز وجل لعباده يوم القيامة ليزن فيه حسناتهم وسيئاتهم.

القول الثاني:

الميزان هو العدل والإنصاف والقضاء السوي في تقدير ما به يكون الجزاء على الأعمال، لأن حمل الوزن على هذا المعنى سائغ في اللغة، وذلك لأن العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالكيل والوزن في الدنيا فلا يبعد جعل الوزن كناية عن العدل[٥]. وهذا هو قول مجاهد والضحاك والأعمش وإليه ذهب المعتزلة، إلا أن منهم من جوز الوزن بالمعنى المتعارف عليه عقلا وأن لم يقض بثبوته كالعلاف وبشر المريسي، ومنهم من أحاله لأن الأعمال

(١) المسايرة: ٢٣٨ وحاشية أفندي على شرح النسفية: ٣٢٩.
(٢) حاشية أفندي على شرح النسفية: ٣٢٩.
(٣) مقالات الاشعري: ٢/ ١٤٦، وحاشية افندي: ٣٢٩، وتنوير القلوب: ٧٢، واليواقيت والجواهر: ٢/ ١٦٣ وشرح الفقه الأكبر للملا علي القارئ: ٧٦، ٧٧ وشرح الطحاوية: ٢/ ٦٠٩ والمسايرة: ٢٣٨ والالوسي: ٧/ ٨٤ ونور الايمان: ١٠١.
(٤) التذكرة: ٣٦٤، وينظر تفسير الرازي: ١٤/ ٢٧ و ٢٨.
(٥) رسالة في التوحيد: ١١٤، والزمخشري: ٢/ ٦٨، والبروسوي: ٢/ ١٠، والرازي: ١٤/ ٢٨، والقرطبي: ٧/ ١٦٥، والنسفي: ٢/ ٤٥، وفتح الباري: ١٣/ ٥٣٩، وشرح النسفية للتفتازاني: ٣٢٩، والمسايرة: ٢٣٩، وشرح المواقف: ٨/ ٣٢١.

اعراض وهي لا تبقى ومما لا يمكن اعادتها، وبهذا يتبين لك أن قول ابن فورك رحمه الله: [أنكرت المعتزلة الميزان][١] عام على كل المعتزلة.

وقال الإمام ابن حزم رحمه الله: [الميزان عبارة عما يبين الله به لعباده مقادير أعمالهم من خير أو شر من مقدار الذرة أو أقل التي لا تحس وزنها في موازيننا أصلا فما زاد][٢].

ورد الشيخ ابن تيمية رحمه الله على ذلك مبينا: أن الميزان هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل، كما دل على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾[٣] وقوله سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٤]، وساق بعض الأحاديث التي فيها وزن الأعمال... ثم قال: [هذا وامثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين يبين بها رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس، فهو مما به يتبين العدل][٥].

وبعد هذه الأقوال لعلماء السلف يتبين لنا فساد القول الثاني الذي فسر الميزان بالعدل والإنصاف، وذلك لسببين:

الأول: لأن الميزان موصوف بالثقل والخفة وكونه معروفا بهذين الوصفين مما لا خلاف فيه بين اثنين من العقلاء، وتفسيره بالعدل والإنصاف تأويل يجرده عن وصفيه الضرورين وهو باطل.

الثاني: الإنسان يوم القيامة إما ان يكون مؤمنا بأن الله عادل منزه عن الظلم، حكيم منزه عن السفه وإما أن لا يكون مقرا بذلك.

فإن كان معتقدا بعدله سبحانه فقد كفاه اعتقاده هذا حكم الله تعالى في أعماله الصالحة والطالحة، وهو عندئذ لا يحتاج إلى ميزان يزن أعماله بناء على أن معنى الميزان هو العدل والله عدل، وهو فاسد لأن الدليل القطعي قام

(١) الآلوسي: ٧/ ٨٤، والقرطبي: ٧/ ١٦٥ وشرح المواقف: ٨/ ٣٢١.
(٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل: ٤/ ٦٥.
(٣) سورة القارعة: الآية ٥.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.
(٥) ينظر الارشاد إلى صحيح الاعتقاد: ١/ ٢٦٥.

على إثبات نصب الميزان يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[١].

وإن كان الإنسان غير معتقد بعدل الله سبحانه واتصافه بصفات الكمال وأنه تعالى منزه عن الظلم والجور فهو لا يستطيع ان يشاهد عدله يوم القيامة لأن الميزان عبارة عن العدل والإنصاف وهو أمر معنوي لا جسمي يرى بالعين، فلابد اذن من كون الميزان آلة محسوسة، توافقا للنصوص القاطعة به، وحتى لا تبقى لدى الكافر حجة ولكي يفضح أمره بين أهل المحشر.

القول الثالث:

الميزان هو موازنة الحسنات والسيئات بعلامات يراها الناس يوم القيامة[٢] وهذا الرأي في الميزان وجدته في تفسير الماوردي رحمه الله دون أن ينبه إلى قائله، ولم أجد في ما اطلعت عليه في كتب التفسير والكلام والله تعالى أعلم.

وهو قول فاسد من وجوه عديدة:

أ- لا شاهد بصحة هذا التأويل من القرآن الكريم ولا من السنة المطهرة ولا من اللغة.

ب- ما هي هذه العلامات؟، وما هي مميزاتها؟

ت- من هو صاحب هذا القول، وما هي حجته على صحة قوله؟

ث- كيف يمكن الجمع والتوفيق بين هذا القول وما جاء بالنصوص القطعية؟

والراجح: هو قول الجمهور، يؤكده قول الإمام الغزالي قدس الله سره مبيناً حكمة الميزان الحسي: [إن الناس بعد السؤال ثلاث فرق، فرقة ليس لهم حسنة قط، فيخرج من النار عنق اسود فليتقطهم لقط الطير الحب، وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار، وينادي عليهم شقاوة لا سعادة بعدها.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.
(٢) تفسير الماوردي: ٢/ ١٠.

وقسم آخر: لا سيئة لهم فينادي مناد ليقم الحمادون لله على كل حال، فيقومون ويسرحون إلى الجنة، ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى، وينادي عليهم سعادة لا شقاوة بعدها.

ويبقى قسم ثالث: وهم الأكثرون، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، وقد يخفى عليهم، ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم، ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب، فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال؟ ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات، وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق][1].

ومن المعلوم لنا أن وزن الأعمال انما يكون بعد انقضاء الحساب يوم القيامة، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فالمحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها[2]، قال عز وجل: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾[3].

المبحث الثاني

أدلة إثبات الميزان في الكتاب والسنة

تمهيد: من المعلوم أن الناس يحشرون في الموقف ويجمعون مصطفين وينتظرون ثم تكون الشفاعة لفصل القضاء، ثم يعرض الناس على ربهم عرضة يكون فيها جدال واعتذارات وتنصلات وأسئلة وإجابات ثم تكون عرضة أخرى وتكون بها إقامة حجة[4]، فتشهد الرسل وتشهد هذه الامة، وتشهد الأرض

(١) ينظر إحياء علوم الدين: ٤/ ٥٢٠.
(٢) ينظر لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٣، والتذكرة: ٢/ ٤١٧، وشرح الطحاوية: ٤١٠، وشرح المواقف: ٥٩٤.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.
(٤) ينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١٢٣.

وتقوم الحجة على الخلق، ثم تطير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وأخذ وراء ظهره، ويكون في هذه المرحلة أو قبلها شرب من الحوض، ثم يكون الحساب والميزان فيسأل الإنسان عما كلف به، يسأل عن سمعه وعن بصره وفؤاده قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾(1).

ويسأل عما استرعاه الله، ويسأل عن العمر والعلم والمال والجسم والشباب ويسأل عن النعيم قال تعالى ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾(2) ويسأل عن آلالاء والنعم، ويحاسب على أعماله ما أراد بها فيسأله عن النيات والإخلاص قال عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾(3).

ويحاسب الإنسان على أعمال الظاهر والباطن وخطايا الظاهر والباطن ويحاسب على أمراض القلوب قال سبحانه: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾(4) وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ﴾(5).

وأول ما يحاسب عليه العباد من حقوق الله الصلاة، وأول ما يحاسب عليه من حقوق العباد الدماء، ومن أشد ما يحاسب عليه العبد الزكاة والعقوبة عليها تبدأ عند الموت وتستمر في البرزخ وتكون في الحشر والموقف ويحاسب عليها أشد الحساب.

وشهادات يوم القيامة كثيرة والشهداء كثر، فهناك شهادة الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وشهادة الملائكة وشهادة الجوارح وشهادة العباد

---

(1) سورة الإسراء: الآية ٣٦.
(2) سورة التكاثر: الآية ٨.
(3) سورة هود: الايتان ١٥-١٦.
(4) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.
(5) سورة آل عمران: الآية ٣٠.

بعضهم على بعض وشهادة الأرض وكل من هؤلاء يؤدي شهادته في الوقت المناسب يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾(١) وقوله سبحانه: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾(٢) وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾(٣).

وسيجد المكلفون أن الأمور مضبوطة في غاية الضبط فكتاب عام محصى فيه كل شيء، وكتاب خاص لكل مكلف على حدة(٤) قال عز وجل: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾(٥) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٦) وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾(٧) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(٨).

أدلة إثبات الميزان من القرآن الكريم

ثبت ميزان الأعمال الذي ينصبه المولى جلت قدرته لإظهار مقادير أعمال الخلق الذين يحاسبهم في موقف فصل القضاء ثبوتا واضحا، وقد جاء ذكره في كتاب الله تعالى في أكثر من موضع ومنها:

١- قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.
(٢) سورة ق: الآية ٢١.
(٣) سورة النور: الآية ٢٤.
(٤) الأساس في السنة: ٣/ ١٣١٧.
(٥) سورة الجاثية - الآية: ٢٩.
(٦) سورة المؤمنون: الآية ٦٢.
(٧) سورة الإسراء: الآية ١٣-١٤.
(٨) سورة الكهف: الآية ٤٩.

كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾[(١)].

فوزن صحف الأعمال والأقوال يوم القيامة هو حق ثابت محقق الوقوع لا محالة لإظهار الحق، والوزن للأعمال يوم القيامة كائن بالعدل ولا يظلم ربك أحدا.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ جمع موزون وهو العمل أو جمع ميزان وهو ماله لسان وكفتان توزن فيه صحف الأعمال والأقوال.

قال سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ﴾ [توزن صحائف الأعمال، وقال القرطبي بعد أن ذكر قول ابن عمر: وهذا هو الصحيح وهو الذي ورد به الخبر][(٢)].

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أي فمن رجحت موازين أعماله بالإيمان وكثرة الحسنات، ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي الناجون غدا من العذاب الفائزون بجزيل الثواب الذين ظفروا بالرضى ونالوا غاية الأماني، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: ومن خفت موازين أعماله بسبب الكفر والنفاق واجتراح السيئات فرجحت سيئاته على حسناته، ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ أي: خسروا أنفسهم وسعادتهم وهو أعظم الخسران، ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم وجحودهم بآيات الله، فإنهم لما ظلموا بآيات الله تعالى وضيعوها ولم يرعوها حقها باتباع ما جاء فيها، اضاعهم الله تعالى وأوقعهم في الخسران المبين والعياذ بالله رب العالمين[(٣)].

٢- قال عز وجل: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ۝٤٧﴾[(٤)].

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان: ٨-٩.

(٢) تفسير القرطبي: ٧/ ١٦٥.

(٣) ينظر تفسير البحر المحيط: ٤/ ٢٧٠، والبيضاوي: ١٦٠، والخازن: ٢/ ١٧٣ ومختصر ابن كثير: ٢/ ٧ وصفوة التفاسير: ١/ ٤٣٧ وعوالم الآخرة: ٢٨٩.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

في هذه الآية الكريمة تتجلى عظمة الفضل الآلهي، وحقيقة العدل الرباني، فإن المحاسبة والميزان سوف يأتيان على مثاقيل الحبات ومقادير الذرات، لأن الرقيب على أعمال العباد هو الحسيب العليم الحاسب، هو الله تعالى رب العالمين الذي لا تخفى عليه خافية، يقول سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: ونقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحف الأعمال في يوم القيامة حيث تحضر الموازين ذات القسط الذي هو العدل، وهي الموازين المستقيمة كل الاستقامة فلا يجري فيها ظلم ولا ينقص محسن من إحسانه ولا يزد مسيء على إساءته، ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: وإن كان العمل الذي عملته صغيرة جزئية على زنة حبة من خردل جئنا بها وأحضرناها مكتوبة في صحف الأعمال.

قال أبو السعود: [أي وإن كان في غاية القلة والحقارة، فإن حبة الخردل مثل في الصغر][(١)] ومن المعلوم أن هذا شيء صغير جداً جدا، ولكنه مثل ضربة الله تعالى لأقل الأشياء ليبين لعباده أنه لا يظلم أحداً شيئا من قليل أو كثير، ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ أي: كفى بربك أن يكون محصياً لأعمال العباد مجازياً عليها.

قال الخازن: [والغرض منه التحذير فإن المحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء، وفي القدرة بحيث لا يعجزه عن شيء فحقيق بالعاقل أن يكون على أشد الخوف منه][(٢)]، والله عز وجل قادر على إحضار صحف الأعمال للحساب ووضعها في الميزان لأنه لا يغيب عن عمله شيء ولا تعجز قدرته تعالى عن إحضار شيء فهو سبحانه بكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير، وإنما أنت ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة[(٣)].

٣- قال عز من قائل: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ

---

(١) تفسير أبي السعود: ٣/ ١٢٤.
(٢) تفسير الخازن: ٤/ ٤٠٣ وينظر حاشية الجمل: ٣/ ١٣١.
(٣) ينظر تفسير البحر المحيط: ٦/ ٣١٢ والقرطبي: ١١/ ٢٩٠ وزاد المسير: ٥/ ٣٥٤ ومختصر ابن كثير: ٢/ ٥٠٥.

مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[١].

ذكر العلامة الشيخ سعيد حوى رحمه الله كلمة في السياق بقوله: [لاحظ بداية السورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ ولاحظ قوله تعالى هنا: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ثم لاحظ الآية اللاحقة: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ تجد أن السورة كلها تصب مصباً واحداً، الفلاح للمؤمنين، والخسارة للكافرين، وتذكر بعد ذلك محور السورة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ... وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ... أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٢].

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: فمن رجحت حسناته على سيئاته فأولئك هم السعداء الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة، وقوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي زادت سيئاته على حسناته فهم الأشقياء الذين خسروا سعادتهم الأبدية بتضييع أنفسهم وتدنيسها بالكفر والمعاصي، فهم مقيمون في جهنم لا يخرجون منها أبدا تلفح وجوههم النار، فتحرقها بشدة حرها، وتخصيص الوجوه بالذكر لأنها أشرف الأعضاء[٣].

٤- قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾[٤].

هذه الآية الكريمة دلت على وجود الميزان يوم القيامة وهو ميزان حقيقي له كفتان ولسان على رأي الجمهور، توزن فيه الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات، وروي عن ابن عباس[٥] رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة، وبالأعمال السيئة على صور قبيحة، فتوضع في الميزان، فمن رجحت حسناته سعد، ومن رجحت سيئاته شقي والمراد به وزن صحف الأعمال والله أعلم.

---

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ١٠٢-١٠٣.

(٢) الأساس في التفسير: ٧/ ٣٦٦٩.

(٣) ينظر تفسير القرطبي: ١٢/ ١٥٤ والرازي: ٢٣/ ١٢٧ والتسهيل: ٣/ ٥٧ والاساس: ٧/ ٣٦٦٩.

(٤) سورة القارعة: الآيات ٦-٩.

(٥) تفسير الصابوني: ٣/ ٥٩٧.

ومعنى قوله تعالى: ﴿مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي فمن رجحت موازين حسناته وزادت حسناته على سيئاته فهو في عيش هنيء رغيد سعيد في جنان الخلود والنعيم، قال الإمام الخازن: [أي باتباعهم الحق وهي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وحظ عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾] نقصت حسناته عن سيئاته، أو لم يكن له حسنات يعتد بها][1].

قال ابن كثير رحمه الله: [أي رجحت سيئاته على حسناته فمسكنه ومصيره نار جهنم يهوى في قعرها][2].

وذهب العلامة الخازن في معنى قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾: أي فمسكنه ومأواه النار، وقيل للمأوى أم على التشبيه لأن الأم مأوى الولد ومفزعة][3].

وذكر العلامة سعيد حوى كلمة في السياق بقوله: [بينت السورة عاقبة المتقين الذين ثقلت حسناتهم، وعاقبة الكافرين الذين لا يقبل الله عز وجل منهم عملا، وفي ذلك دعوة للإيمان والتقوى والعمل الصالح، كما أن فيها دعوة للتحرر من الكفر والفجور، وصلة ذلك بمقدمة سورة البقرة لا تخفى][4].

٥- وقال جل جلاله وعم نواله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[5].

والمراد بهم الذين كفروا بالقرآن وبالبعث والنشور فبطلت أعمالهم فليس لهم عند الله قيمة ولا وزن ولا قدر ولا منزلة، قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [أي: فلا نجعل لهم ثقلا،

---

(١) تفسير الخازن: ٤/ ٤٠٣ وينظر الرازي: ٣١/ ٧٢ وحاشية الصاوي: ٤/ ٣٤٧ وأبي السعود: ٥/ ٢٨٢ وأبي حيان الأندلسي: ٨/ ٥٠٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٢٠.

(٣) تفسير الخازن: ٤/ ٤٠٣ والقرطبي: ٢٠/ ١٦٨ والتسهيل: ٤/ ٢١٤ والالوسي: ٣٠/ ٢٢٣.

(٤) الأساس في التفسير: ١١/ ٦٦٥١.

(٥) سورة الكهف: الآية ١٠٥.

وإنما عنى بذلك: أنهم لا تثقل بهم موازينهم، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل][١].

وبدلالة ما روي في الحديث الشريف:

أ- روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضه -قال: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾»[٢].

ب- وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل الأكول، الشروب، العظيم، فيوزن بحبة فلا يزنها، قال: وقرأ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾»[٣].

وخلاصة القول: إن دلالة تلك الآيات البينات على إثبات الميزان يوم القيامة أمر ظاهر، وقد وصف الله فيها الموازين بالثقل والخفة، ووصفها كذلك بأنها موازين عدل، وأن من ثقل ميزانه فقد أفلح وعاش عيشة راضية، ومن خف ميزانه فقد خسر وهوى في جهنم، وإذا كان الأمر كذلك فليستكثر العبد الصالح إذا أراد ثقل موازينه، وليطمئن إلى أنه لا يفوته مما قدم من أعمال الخير شيء.

أدلة إثبات الميزان من السنة المطهرة

لقد جاء ذكر الميزان في سنة المصطفى ﷺ في أكثر من مناسبة وأجمع على القول به واعتقاده جميع السلف الصالح من أهل الإسلام ممن يعتد بقولهم في باب العقائد، وأما أدلة إثبات الميزان من السنة النبوية المباركة فهي كثيرة، نذكر أهمها وهي:

١- إخبار حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بالأمور التي تكون ثقيلة في ميزان العبد إذا فعلها مخلصا من قلبه، كما في حديث أبي هريرة ﷺ

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٦/ ٣٥.
(٢) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ٦٥٥.
(٣) ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح وعزاه إلى ابن مردويه: ٨/ ٣٢٤.

قال: قال النبي ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحانه الله العظيم»[١].

وفي قوله ﷺ: «كلمتان» إطلاق كلمة على الكلام، وهو مثل كلمة الإخلاص وكلمة الشهادة، والمعنى: محبوب قائلهما، وخص لفظ «الرحمن» بالفكر لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الكثير[٢].

ومعنى وصفهما بالخفة والثقل هو لبيان قلة العمل وكثرة الثواب، ومعنى وصفهما بالخفة إشارة إلى قلة كلامهما وأحرفهما ورشاقتهما[٣].

قال الطيبي رحمه الله: [الخفة مستعارة للسهولة، وشبه سهولة جريانها على اللسان بما خف على الحامل من بعض الامتعة فلا تتبعه كالشيء الثقيل، وفيه إشارة إلى أن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة، وهذه سهلة عليها مع أنها تثقل الميزان كثقل الشاق من التكاليف،

وقد سئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة وخفة السيئة فقال: [لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها، فثقلت، فلا يحملك ثقلها على تركها، والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها، فلذلك خفت، فلا يحملنك خفتها على ارتكابها][٤].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله ملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة بزهان، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[٥].

قال الإمام النووي رحمه الله عن مزية هذا الحديث الشريف: [هذا حديث

(١) صحيح الإمام البخاري: ١٣/ ٥٣٧، وصحيح الإمام مسلم: ٥/ ٥٤٨.
(٢) ينظر رياض الصالحين للعلامة النووي: ٢٥.
(٣) ينظر الحياة الآخرة: ٣/ ١٠٩١.
(٤) فتح الباري: ١٣/ ٥٤٠.
(٥) صحيح الإمام مسلم: ١/ ٥٠١.

عظيم، وأصل من أصول الإسلام، وقد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام][1].

ورجح رحمه الله قول العلماء ان المراد بالإيمان هنا: الصلاة كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[2]، والطهارة شرط في صحة الصلاة، فصارت كالشطر، وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفا حقيقيا[3].

وهذه الألفاظ التي ذكرها الرسول ﷺ من أن «الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السموات والأرض» تفضل عظيم من الله تعالى على عباده، حيث جعل جزاء هذه الكلمات اليسيرة ذلك الأجر العظيم حينما يتقبل الله قولها من العبد، إذ أن ذلك شرط لابد منه، فليس كل من قالها يحصل له هذا الفضل العظيم بمجرد القول وأن لم تتحقق فيه أهلية قبولها، ومنها حضور القلب أثناء الذكر، والله تعالى كما أخبر في كتابه الكريم أنه لا يتقبل إلا من المتقين لا سواهم.

وأخرج النسائي عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «إسباغ الوضوء شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، والتسبيح والتكبير يكلأ السموات والأرض، والصلاة نور... الخ الحديث»[4].

وهذا الحديث دلالته كدلالة الحديث السابق في بيان فضل الله على عباده يوم القيامة فيملأ الميزان بذكره جل جلاله وعم نواله المكتوب في صحف الأعمال.

وأخرج الترمذي بسند حسن عن جرير النهدي عن رجل من بني سليم قال: (عدهن رسول الله ﷺ في يدي أو في يده: «التسبيح نصف الميزان والحمد يملأه، والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض..»[5].

وعن مولى لرسول الله ﷺ قال: «بخ بخ، خمس ما أثقلهن في الميزان: لا

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم: ١/ ٥٠٠. (٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.
(٣) ينظر شرح النووي بصحيح مسلم: ١/ ٥٠١.
(٤) سنن النسائي رحمه الله: ٥/ ٥.
(٥) سنن الترمذي رحمه الله: ٥/ ٥٣٦ وفي رواية لأحمد في مسنده: ٥/ ٣٧٠، والطهور نصف الميزان.

إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده)[١].

وهذا الحديث ظاهر في فضائل تلك الأمور التي ذكرت فيه، وقوله ﷺ «بخ بخ» هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء وتكرر للمبالغة[٢].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة، إلا وهما يسير، ومن يعمل بهما قليل: يسبح الله في دبر كل صلاة عشرا، ويحمده عشرا، ويكبره عشرا»، قال: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده، قال: «فتلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، وإذا أخذت مضجعك تسبحه وتكبره وتحمده مائة، فتلك مائة باللسان وألف في الميزان، فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة»؟ قالوا: وكيف لا يحصيهما؟ قال: «يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته، فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا، حتى ينتقل، فلعله لا يفعل، ويأتيه وهو في مضجعه، فلا يزال ينومه حتى ينام»[٣].

وما دامت الحسنة بعشر أمثالها، فإن الحسنات ستكون كثيرة جداً أكثر من السيئات إذ ان الشخص لا يمكن ان يفعل في اليوم ألفين وخمسمائة سيئة، كما اشار إليه الحديث.

٢- إخبار حضرة النبي ﷺ عن بعض الأعمال والتي تكون ثابتة في ميزان العبد ثواباً على ما عمل من الأعمال والتي يوضحها حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من احتبس فرسا في سبيل الله إيماناً وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزان يوم القيامة»[٤].

---

(١) مسند الإمام أحمد رحمه الله: ٣/ ٤٤٣.

(٢) ينظر النهاية في غريب الحديث لابن الاثير: ١٠١/١.

(٣) سنن الترمذي: ٤٧٨/٥ وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود في سننه: ٢/ ٦١١، وأخرجه ابن ماجه في سننه: ١/ ٢٩٩، وشرح الحديث صاحب تحفة الاحوذي: ٩/ ٣٥٦، وروى عن زيد بن ثابت وانس وابن عباس رضوان الله عليهم أجمعين.

(٤) صحيح الإمام البخاري: ٦/ ٥٧، وأخرجه النسائي في سننه: ٥/ ٢٢٥. ونحوه في المسند: ٦/ ٤٥٥.

وفي الحديث الشريف بيان فضل من احتبس فرسا في سبيل الله عز وجل، وقال ابن حجر رحمه الله في معنى كون روثه في ميزان العبد: [يريد ثواب ذلك، لا أن الأرواث بعينها توزن](١).

وعن فائدة تنصيص حضرة النبي ﷺ على ذكر هذه الأمور، وأنها تكون في ميزان العبد، يقول ابن أبي جمرة المحدث الورع: [يستفاد من هذا الحديث أن هذه الحسنات تقبل من صاحبها، لتنصيص الشارع على أنها في ميزانه، بخلاف غيرها، فقد لا تقبل فلا تدخل الميزان](٢).

ومثل هذا الحديث أيضا ما رواه سيدنا معاذ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده ما شحب وجه، ولا اغبرت قدم في عمل تبتغي فيه درجات الجنة، بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله، ولا ثقل ميزان عبد كدابة تنفق له في سبيل الله أو يحمل عليها في سبيل الله»(٣).

٣- إخبار حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ عن ذلك الميزان العظيم، وأنه لا يؤثر فيه الثقل المادي لصحف الأعمال، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضه، اقرؤا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾(٤)»(٥).

وأخرج الإمام الترمذي والإمام أحمد رحمهما الله تعالى عن أبي الدرداء رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وأن الله ليبغض الفاحش البذيء»(٦). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة، فيوضع ما أحصي عليه، فتمايل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار، فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول: لا تعجلوا لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها: لا

---

(١) فتح الباري: ٦/ ٥٧.
(٢) المصدر نفسه: ٦/ ٥٨.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٢٤٦.
(٤) سورة الكهف: الآية ١٠٥.
(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ٥/ ٦٥٥.
(٦) أخرجه الترمذي: ٤/ ٣٦٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٦/ ٤٤٢.

إله إلا الله، فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان»[١].

٤- عندما ينصب الميزان يبلغ الخوف والهلع بالناس إلى أقصى حدوده، بحيث ينسى الحبيب حبيبه، ويذهل فيه كل ذي لب عن أهله وعن كل شيء إلا فكره في الميزان، وماذا ستكون نتيجة وزن عمله، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك»؟ قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل.. الخ الحديث»[٢].

وعنها رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال ﷺ: «يا عائشة، أما عند ثلاث فلا: أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا.. الخ الحديث»[٣].

٥- وعن ضخامة الميزان وسعة كفاته، ورد عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعهن، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله: لمن شئت من خلقي، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[٤]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (خلق الله عز وجل كفتي الميزان ملء السموات والأرض فقالت الملائكة: يا ربنا ما تزن بهذا؟ قال: أزن به ما شئت)[٥].

ونظرا لهذا المنظر الهائل للميزان، فإن الملائكة قد تقالت عبادتها، رغم أنهم طول أوقاتهم في عبادة الله تعالى وطاعته، فقد رأوا أن أعمالهم لا تساوي شيئا في جانب هذا الميزان الهائل. وما أحرى بالإنسان ان يأخذ عبرة

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢/ ٢٢١.

(٢) أخرجه ابو داود في سننه: ٢/ ٥٤١ واللفظ له.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٦/ ١١٠، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب: ٤/ ٤٢٥ واسنده إلى الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وذكره السفاريني في لوامع الأنوار: ٢/ ١٨٥ واسنده إلى الحاكم ايضا.

(٥) ذكره صاحب الاتحافات السنية: ١٩٣ وعزاه إلى الديلمي وله حكم المرفوع.

من هذا الموقف للملائكة مع ربهم، فيستحي من الله عز وجل ويقصر عن غيه وإعراضه عن طاعة ربه تبارك وتعالى، ولسان حاله يقول:

حتى تجليت فالأكوان شاهدة ... بأنك الله ذو الآلاء والقدسِ
وقد أتيتُ ذنوبناً أنت تعلمها ... آتيهِ جهلاً أو أتيهِ على هوسِ
وأنتَ في العفوِ لم تُقنع أخا سرفِ ... ولم تكن فاضحي فيها بفعلِ مسِ
وشفع المصطفى يوم الجزاء ... ولا تجعل عليَّ إذاً في الدين من لبسِ[(١)]

المبحث الثالث

الموزون ودقة الموازين

اختلف العلماء في ما يوزن، تبعا لاختلاف الأحاديث الواردة فيه، ولدى متابعة أقوال العلماء ظهر لنا أنها تكون في خمسة أمور هي:

القول الأول

وزن العامل، وهو الإنسان صاحب العمل وهو الذي يوزن في الميزان[(٢)] وهو رأي عبيد بن عمير حيث قال: [يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة][(٣)]، ولم أجد أحدا وافقه عليه من العلماء فيما اطلعت عليه من كتب التفسير والكلام والحديث.

القول الثاني

وزن العمل: أي الأعمال التي توضع في كفتي الميزان وتوزن بنفسها وهو قول سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري والسدي، وإبراهيم النخعي، وبعض العلماء[(٤)].

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: [إن هذه الأعمال الظاهرة

(١) نفحات الحياة: ٢٩٦.
(٢) ينظر تفسير البروسوي: ٢/ ١٠ والبيضاوي: ٣/ وشرح الطحاوية: ٢/ ٦١٠ وابن كثير: ٢/ ٣ والماوردي: ٣/ ١٣٧ والالوسي: ٧/ ٨٣.
(٣) تفسير البروسوي: ٢/ ١٠.
(٤) ينظر تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٠٣ والالوسي: ٧/ ٨٣ وتفسير البروسوي: ٢/ ١٠ وشرح جوهرة التوحيد: ٢٣٤ وأصول الدين الإسلامي: ٤٧٧.

في هذه النشأة بصورة عرضية تظهر في النشأة الآخرة بصورة جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح][١].

وقال الحسن البصري ﷺ: [إن الذي يوزن هو الحسنات والسيئات بوضع أحدهما في كفة والأخرى في كفة][٢].

القول الثالث

وزن صحف الأعمال، وهي التي توضع في كفتي الميزان وتوزن وهو قول جمهور العلماء[٣]، وقول سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[٤]، وعامة المفسرين.

كما قال الرازي وغيره[٥]، وصححه ورجحه القرطبي وابن عبد البر، وصوبه الشيخ مرعي[٦]، وهو مذهب الطيبي كما ذكره الحافظ ابن حجر[٧]، وبه قال الأشاعرة ومنهم البغدادي، والإمام الغزالي والعلامة التفتازاني[٨]، وعليه جمهور الماتريدية وغيرهم[٩].

القول الرابع

وزن الكل، فقد رويت آثار كثيرة في ثبوت وزن كل واحد من تلك الثلاثة أمور الواردة آنفاً، فإن شاء الله عز وجل وزن العمل، وأن شاء وزن العامل، وأن شاء وزن صحف الأعمال، وأن شاء وزن الجميع.

---

(١) تفسير الآلوسي: ٧/ ٨٣.
(٢) تفسير البروسوي: ٢/ ١٠.
(٣) ينظر الآلوسي: ٧/ ٨٢، وتفسير البروسوي: ٣/ ١٣٧.
(٤) ينظر تفسير البروسوي: ٢/ ١٠ والقرطبي: ٧/ ١٦٥، والتذكرة: ٣٦٤.
(٥) ينظر تفسير الرازي: ١٤/ ٢٨ وشرح جوهرة التوحيد: ٢٣٤ وأصول الدين الإسلامي: ٤٧٥ وشرح الفقه الأكبر: ٧٧.
(٦) ينظر تفسير القرطبي: ٧/ ١٦٥ والتذكرة: ٣٦٤ وأصول الدين الإسلامي: ٤٧٥.
(٧) ينظر فتح الباري: ١٣/ ٥٣٩.
(٨) ينظر أصول الدين: ٢٤٦، وشرح المواقف: ٨/ ٣٢١، وإحياء علوم الدين: ١/ ١٠٦ والاقتصاد في الاعتقاد: ١٣٧ وشرح العقائد النسفية: ٣٢٩.
(٩) ينظر المسايره: ٢٣٩، والكشاف: ٢/ ٦٧ ونهاية الإقدام: ٤٧ وشرح الطحاوية: ٢/ ٦١٣ وتفسير ابن كثير: ٢/ ٢٠٣.

واختلف العلماء فيما بينهم، فبعضهم يثبت الميزان لواحد من تلك الثلاثة أمور، وبعضهم يثبت وزن الكل.

قال ابن كثير رحمه الله: [وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار، بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها](١).

وقال العلامة علي بن أبي العز الحنفي رحمه الله: [فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال وثبت أن الميزان له كفتان، والله أعلم لما وراء ذلك من الكيفيات](٢).

وقد بوب الإمام البخاري لثبوت وزن العمل بقوله: [باب قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن](٣).

وقال البرديسي: [انعقد الاجماع على أنه ميزان حسي له كفتان ولسان يوضع فيه صحف أعمال العباد](٤).

ثم قال في شرحه للكلمة: (يوضع فيه صحف أعمال العباد) فقال: [هذا قول، وقيل: تجسد الأعمال وتوزن، وقيل: توزن الذوات، لحديث: «يؤتى بالثقيل العظيم فلا يزن عند الله جناح بعوضه»(٥)](٦).

وذلك قولهم: الكل جائز، فهو ضعيف من وجهين:

أحدهما: لا دليل على صحة هذه الدعوى.

الثاني: الأحاديث الشريفة - على الرغم من اختلافها في ذكر الموزون، صحف الأعمال وذوات الأعمال، حددت الموزون وعينته، ولم يرد حديث بإطلاق كل ذلك حتى يمكن حمل هذه الدعوى عليه في هذا الموضوع من السمعيات.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٠٢، وينظر في نهاية الاقدام في علم الكلام للشهرستاني: ٤٧٠ ونور الايمان: ١٠١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ٤٧٥.

(٣) فتح الباري: ١٣/ ٥٣٧.

(٤) تكملة شرح الصدور: ١٤.

(٥) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ٦٥٥.

(٦) ينظر تكملة شرح الصدور: ١٤.

القول الخامس

علامات الأعمال هي توزن في كفتي الميزان[١]، أي موازنة الحسنات والسيئات بعلامات يراها الناس يوم القيامة[٢]. وتوضيح ذلك بصورة أخرى: أن حسنات الإنسان إذا كانت أعظم من سيئاته رجحت إحدى الكفتين على الأخرى، فكان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل الجنة، وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء على كفة الحسنات، كان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل النار[٣].

قلت: ونرد على هذا القول مباشرة لضعفه وعدم وجود أدلة تؤيده، فكل من تعرض لهذا الرأي في كتابه من علماء التفسير والكلام لم يتعرض إلى ذكر أصحابه ولم يبين اسم واحد قال به، كما لم أجد أيضا أحداً ذكر لهذا القول دليلا يمكن ان يدعمه ويقويه، الأمر الذي جعلني افتقد وجوده في كثير من مصنفات التفسير والكلام.

ومع ذلك فإن المقصود من هذا القول كما يبدو من خلال قرائته بدقة أن الله تعالى عندما ينصب الميزان يوم القيامة، يخلق بقدرته سبحانه ثقلا في كفة ميزان الفائزين، وخفة في كفة ميزان الخاسرين، فعندما يراهما الناس يعلمون من هم الفائزون الناجون، ومن هم الخاسرون الهالكون، فيكون الثقل والخفة علامتين على النجاة والهلاك من خلال الميزان والله تعالى أعلم.

وحينما ننظر في تلك الأحاديث الشريفة التي وردت في شأن الميزان نجد أنها تدل على أن الموزونات تشمل الأقوال الثلاثة الأولى. وفيما يلي نورد ما جاء في إثبات كل واحد من تلك الثلاثة أمور بالتفصيل:

أولا: أدلة وزن العامل

وردت النصوص في السنة بان العامل نفسه يوزن كما سبق الإشارة إليه، ومن أدلة ذلك ما يلي:-

(١) حاشية رمضان أفندي على شرح العقائد النسفية للتفتازاني: ٢٣٠.
(٢) تفسير البروسوي: ٢/ ١٠.
(٣) مقالات الإسلاميين للاشعري: ٢/ ١٤٧.

١- عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾(١)»(٢).

٢- وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها، قال: واقرؤا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾(٣).

٣- وعن ابن مسعود ﷺ، أنه كان يجتني سواكا، من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، قال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»(٤).

وأخرج ابن أبي الدنيا رحمه الله عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما - رفعه في إحدى روايات حديث البطاقة- أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان، فيخرج له تسعة وتسعون سجلا، كل سجل منها مد البصر فيها ذنوبه وخطاياه، فتوضع في كفة، ثم يخرج له قرطاس مثل الأنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فتوضع في الكفة الأخرى، فترجح بخطاياه»(٥).

وقد علق الإمام ابن كثير على هذا الحديث بقوله: [وهذا السياق فيه غرابة وفيه فائدة جليلة وهو أن العامل يوزن مع عمله](٦).

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾: [أي فلا

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٥.
(٢) صحيح الإمام البخاري: ٨/ ٤٢٦، وصحيح مسلم: ٥/ ٦٥٥ (النووي) وينظر تفسير الطبري: ١٦/ ٣٥.
(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٢/ ٩٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وعزاه ابن حجر إلى ابن مردويه، كما في الفتح: ٨/ ٣٢٤.
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ١/ ٤٢١ وقال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٩٢ [وتفرد به أحمد واسناده جيد قوي].
(٥) البداية والنهاية لابن كثير: ٢/ ٩٣.
(٦) المصدر نفسه: ٢/ ٩٤.

نجعل لهم ثقلا، وإنما عني بذلك: انهم لا تثقل بهم موازينهم، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل][1].

ويقرر ابن أبي العز وزن العامل مستدلا بما تقدم في الصحيحين، وهو ما يستدل به كثير من العلماء[2].

وقال الدكتور غالب علي عواجي: [ومما تقدم من النصوص ظاهر في وزن العامل][3].

قلت: فإنني أرى هذا القول ضعيفاً ويحتاج لدراسة علمية دقيقة لأن في بعض أقوال العلماء من يفسر قول الرسول ﷺ في الرجل السمين الكافر أنه لا يزن جناح بعوضة أو حبة يؤوله بأن معنى هذا إشارة إلى حقارته وعدم انتفاعه بسمنه وأنه لا ثواب له.

وفي هذا يقول القرطبي رحمه الله -فيما ينقله عن العلماء- أن معنى هذا الحديث: [أنه لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب، فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار، وقال أبو سعيد الخدري: يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئا، وقيل: يحتمل أن يريد المجاز والاستعارة، كأنه قال: فلا قدر لهم عندنا يومئذ][4].

لأن الوزن يأتي في اللغة بمعنى المقدار[5]، كما تقدم في المبحث الأول، ولذلك جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[6] أي: لا نجعل لهم مقداراً واعتبارا[7].

ويقول العلامة الآلوسي رحمه الله: [والخبر ليس نصا في الدعوى كما لا يخفى][8].

وقال السفاريني، نقلاً عن الشيخ مرعي في بهجته، بعد أن أورد حديث

---

(١) تفسير الطبري: ١٦/ ٣٥.
(٢) ينظر شرح العقيدة الطحاوية: ٤٧٣، والاسئلة والاجوبة الأصولية: ٢٢٢.
(٣) الحياة الآخرة: ٣/ ١١٣٥.
(٤) التذكرة: ٣٧٣.
(٥) لسان العرب، مادة وزن: ١٧/ ٣٣٨.
(٦) سورة الكهف: الآية ١٠٥.
(٧) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٣٧.
(٨) الآلوسي في تفسيره: ٧/ ٨٣.

صاحب البطاقة، قال: [ثبت بهذا الحديث الصحيح أن الموزون صحائف الأعمال، وهو الحق،

فإن قيل: قد أخرج الشيخان عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» فقد صرح بأن الموزون نفس بدن الإنسان، فالجواب: أن هذا ضربه النبي ﷺ مثالا للذي يغتر ببعض الأجسام، وهو كناية عدم اكتراث الله بالأجسام، فإن الله لا ينظر للصور وإنما ينظر للأعمال والقلوب، فكم من جسيم وسيم وهو عند الله من أصحاب الجحيم][١].

ورد الدكتور غالب عواجي على ذلك بقوله: [وهذا جنوح إلى التأويل وإبعاد عن ظاهر الحديث فيما يظهر إذ المفهوم من ظاهر الحديث أنه في وزن العامل.

أما قول سيدنا أبي سعيد الخدري ﷺ: «يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئا» فالظاهر أنها أعمال فاسدة، إما لأن صاحبها قد استوفى حقها في الدنيا، كما هو الحال في حسنات الكفار -وإما لأنها أعمال رياء لم يرد بها وجه الله تعالى وإما لغير ذلك، ولا يدل أيضا قول سيدنا أبي سعيد على عدم وزن العامل وإنما يدل على أن أعمالا توزن لا تساوي شيئا ولا تنفع صاحبها.

وهذا كله جنوح إلى تأويل النص من غير دليل ولا قرينة على ايراده غير الظاهر، وإذا كان وزن العامل يوم القيامة ليس مستحيلا عقلا. بل هو من الممكنات الجائزة، فينبغي أن يفهم الكلام على ظاهره من أن العامل نفسه يوزن يوم القيامة إذا شاء الرحمن الرحيم ذلك][٢].

قلت: لو جئنا ندرس هذه الآراء دراسة علمية دقيقة، ونلقي عليها نظرة عقلية فاحصة، مع التجرد الكامل وعدم الميل إلى قول معين لاتضح لنا فساد مذهب القائلين بوزن الأشخاص أصحاب الأعمال أنفسهم، لماذا؟

(١) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٨.
(٢) الحياة الآخرة: ٣/ ١١٣٥.

لأن الميزان كما نعلم كفتان، فإذا وضع صاحب العمل في أحدهما فما يوضع إذن في الكفة الثانية، فإن قيل: يوضع في مقابلة المؤمن الكافر، قلنا: هذا مما لم يرد به دليل، وإنما جاء الدليل بوزن الأعمال كما تقدم.

أما حديث الرجل السمين فمعناه: لا قدر ولا اعتبار عند الله تعالى يوم القيامة وأما حديث ابن مسعود ﵁، فمن المعلوم أن جبل أُحد على الرغم من اختصاصه بمزية عظيمة هو وسائر الجمادات مما لا يوضع في الميزان ويوزن، حيث لم يرد دليل في هذا.

إذن فالحديث جاء يوضح عظمة ابن مسعود وكبير فضله وعلو مناقبه، مستخدماً أكبر الجمادات المحسوسة مثلا، مبالغة في البيان، وأكثر وقعاً في النفس.

القول الثاني: أدلة وزن العمل

وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري والسدي وإبراهيم النخعي رحمهم الله تعالى وبعض العلماء حيث قالوا: جاء في السنة النبوية المباركة ما يفيد أن العمل يوزن، ولا التفات إلى ما يقوله بعض الناس من أن الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، فإن كثير من العلماء ذهب إلى أن الأعمال والأقوال توزن في الميزان(١)، ومن الأدلة التي تثبت وزن العمل هي:

١- عن أبي مالك الأشعري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان»(٢).

٢- وعن سيدنا أبي هريرة ﵁ ان النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(٣).

٣- وعن سيدنا أبي الدرداء ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٠٣، والآلوسي: ٧/ ٨٣ وتفسير الماوردي: ٢/ ١٠ وشرح جوهرة التوحيد: ٢٣٤ وأصول الدين الإسلامي: ٤٧٧.
(٢) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ٦٥٥.
(٣) صحيح الإمام البخاري: ١٣/ ٥٣٧٠ وصحيح مسلم: ٥/ ٥٤٨.

ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وأن الله ليبغض الفاحش البذيء»[١]. وعن ابن أبي الدنيا بلفظ: «اثقل شيء يوضع في الميزان خلق حسن»[٢].

وقال ابن أبي الدنيا فيما يعزوه إليه ابن كثير عن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ قال: [يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه، ويجاء بشيء مثل الغمامة أو مثل السحاب كثرة فيوضع في كفة أخرى في ميزانه، فيرجح، فيقال: أتدري ما هذا؟ فيقال: هذا العلم الذي تعلمته وعلمته الناس فعلموه وعملوا به بعدك][٣].

وقال ابن كثير رحمه الله في قوله ﷺ: «والحمد لله تملأ الميزان» فيه دلالة على أن العمل نفسه -وإن كان عرضا قد قام بالفاعل- يحيله الله تعالى يوم القيامة فيجعله ذاتاً وتوضع في الميزان][٤].

ويقول ابن أبي العز: [وقد وردت الأحاديث أيضا يوزن الأعمال أنفسها][٥].

٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل، فقعد بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني ويعصونني وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم: كان كفافا، لا لك ولا عليك، وأن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك، وأن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم، اقتص منك الفضل» فتنحى الرجل وجعل يهتف ويبكي، فقال له رسول الله ﷺ: «أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فقال الرجل: يا

---

(١) الترمذي في سننه: ٤/ ٣٦٣ وقال حديث حسن صحيح، والإمام أحمد في مسنده: ٦/ ٤٤٢.
(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٩٣ وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.
(٣) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ١٠٠ وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.
(٤) البداية والنهاية لابن كثير: ٢/ ٩٣.
(٥) شرح الطحاوية: ٤٧٤.

رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء شيئا خيراً من مفارقتهم، أشهدك انهم كلهم أحرار»[١].

٥- عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله»[٢] يعني أنه يؤجره الله تعالى عليها إذا انفقها على أهله وعياله وهو يحتسبها كما ورد.

فإن قيل: كيف تتم عملية وزن الفعل عند المثبتين؟

يجاب عنه: وزن العمل وهو عرض مما لم تقبله بعض العقول، وحارت في القول به، استشكالا لإمكانية وقوعه، ولو رجع هؤلاء إلى عقولهم واتهموها لرأوا أنها قد افترضت -حينما نفت ذلك- نقصا في جانب الله عز وجل، وهو عدم قدرته سبحانه على ذلك، إذ لا معنى للقول باستحالة ذلك إلا هذا التوهم ولابد][٣].

وحاصل الخلاف في هذه المسألة يمكن تقسيمه إلى ما يأتي:

أولا: منهم من ذهب إلى أنه يوزن العمل نفسه، وهو قول ضعيف.

ثانيا: ومنهم من ذهب إلى أن العمل -وهو عرض- يحول إلى جسم ثم يوزن، وهو ضعيف أيضا.

ثالثا: وبعضهم لم يقل لا بوزن العمل ولا بوزن العرض بل قال بوزن الصحف وهو أصح الأقوال كما سنرى في نهاية أقوال العلماء.

رابعاً: وبعضهم ذهب إلى أن الله يجعل علامة من نور أو ظلمة في كفتي الميزان، تكون علامة على الحسنات أو السيئات وهو أضعف الأقوال.

وقال د. غالب علي عوادي: [والذي تؤيده النصوص من تلك الآراء: هو القول بوزن العمل نفسه، دون القول بتحويله إلى جسم أو غير ذلك من الأقوال السابقة، على أنه لا مانع أن يحول الله عز وجل الأعراض إلى

---

(١) الترمذي في سننه: ٥/ ٣٢٠ وقال: حديث غريب وهو حديث حسن.

(٢) رواه المنذري في الترغيب.

(٣) ينظر الحياة الآخرة: ٣/ ١١٣٧.

أجسام، لكن القول بأنه تعالى لا يزنها إلا إذا حولها إلى أجسام يحتاج إلى دليل، فقد رأينا فيما تقدم من النصوص التي تدل على وزن العمل ما يوجب الإيمان بذلك، وهو وزن الله للأعمال أنفسها، وأما الذين نفوا وزن العمل فيقال لهم: ما فائدة ذكر الميزان والوزن ووصفه بالخفة والثقل إن لم يكن هناك عمل يوزن؟

إذ كيف يتصور ميزان وصف بصفات ظاهرة معلومة، ثم وصف كذلك في القرآن بالخفة والثقل، ثم لا يكون للأعمال أي وزن؟ فما الذي يتصور أن يوزن أولى من الأعمال التي هي القصد الأول من الحساب والجزاء والثواب والعقاب؟][1].

وقال ابن أبي العز: [فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام، فإن الله يقلب الأعراض أجساما][2].

وقال بعض العلماء: [ويبعد بعضهم جدا فيرجعون وزن الله أعمال العباد - وهي أعراض- إلى النور والظلمة، حيث تجعلان علامة على الخير والشر، فيقولون: ليس يمتنع أن يجعل الله تعالى النور علما للطاعة، والظلمة إمارة للمعصية، ثم يجعل النور في إحدى الكفتين والظلمة في الكفة الأخرى، فإن ترجحت كفة النور حكم لصاحبه بالثواب، وأن ترجحت الأخرى حكم له بالأخرى][3].

وهذا قول القاضي عبد الجبار، وهو ان كان يرد على من يقول إن الميزان هو العدل، ويبطل قوله، غير أنه أول تأويلا بعيدا في الموزون وهو قوله الآنف الذكر، ذلك أن النصوص ترد مثل هذا التأويل، بل هو قول بعيد، وأقرب منه قوله الذي وافق فيه غيره من العلماء، وهو أنه: [لا يمتنع أن يجعل الطاعات في الصحائف، ثم توضع صحائف الطاعات في كفة،

---

(١) ينظر الحياة الآخرة: ٣/ ١١٣٨.
(٢) شرح العقيدة الطاحوية: ٤٧٤.
(٣) شرح الأصول الخمسة: ٧٣٥.

وصحائف المعاصي في كفة، فأيهما ترجحت حكم لصاحبه به][١].

قال غالب عواجي: [أما قوله بوزن النور والظلمة وتكون عبارة عن الأعمال، فهو مخالف لظواهر النصوص التي تدل على وزن العمل نفسه وليس عبارة عن النور والظلمة][٢].

ويذكر السفاريني رأيا لبعض العلماء وهو أنه: (توزن نفس الأعمال، فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية، ثم تطرح في كفة النور، وهي اليمنى المعدة للحسنات، فتثقل بفضل الله سبحانه، وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح في الكفة المظلمة، وهي الشمال المعدة للسيئات، فتخفف بعدل الله سبحانه كما جاء به الحديث، ثم قال: [وقيل: إن الله تعالى يخلق أجساما على عدد تلك الأعمال من غير قلب لها][٣].

وقال العلامة عبد الله سراج الدين جوابا على سؤال: كيف توزن الأعمال وهي أعراض؟ قال: [والجواب عن ذلك كما قال المحققون من أهل العلم والمعرفة هو: ان هناك عالما يسمى عالم المثال تتمثل فيه جميع المحسوسات والمعاني والأعمال حسب المناسبات، فهناك تتمثل الأعمال الصالحة والأقوال الطيبة بصورة حسنة نيرة، وهناك تتمثل الأعمال الخبيثة بصور قبيحة مظلمة كل ذلك حسب المناسبات لتلك العوالم التي تتمثل فيها][٤].

وذهب صاحب كتاب الحياة الآخرة إلى أن هذا القول لا يخرج عن قول القاضي عبد الجبار السابق، وهو تأويل يحتاج إلى إثبات، كما ثبت القول بوزن الأعمال وأما ما وراء ذلك التفصيلات فهي مسائل غيبية يتوقف القول بها على صحة الدليل، وقد رد السفاريني هذا القول، لكنه أثبت أن الموزون هو صحف الأعمال[٥].

---

(١) ينظر شرح الأصول الخمسة: ٧٣٦، وهو قول ابن كثير في النهاية: ٢/ ٩٣-٩٤ حيث قال بعدم امتناع (أن يوزن بوضع الصحيفة التي كتب فيها).

(٢) الحياة الاخرة: ٣/ ١١٣٨.

(٣) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٧.

(٤) الإيمان بعوالم الآخرة: ٣٠٢.

(٥) ينظر الحياة الآخرة: ٣/ ١١٤١.

وقال د. غالب عواجي: [ونقل السفاريني عن أكثر العلماء قولهم بهذا، وهذا قول، غير أن الاقتصار على القول بوزن الصحف فقط غير مسلم، إذا لم يؤخذ في الحسبان وزن الأمور الأخرى، ومنها وزن العمل، كما يفهم من أقوال بعضهم، مثل قول السفاريني: [والحق ما قدمناه أن الموزون صحف الأعمال](١)](٢).

وذكر السفاريني من أقوال العلماء في تأييد هذا القول فقال رحمه الله: [صححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما، وصوبه الشيخ مرعي في بهجته، وذهب إليه جمهور من المفسرين، ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات، رواه الترمذي وحسنه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم: على شرط مسلم](٣). ورجح الدكتور غالب عواجي قائلا: [ويظهر لي والله أعلم أن القائلين بوزن الصحف فقط لا يريدون ان يقولوا بوزن الأعمال منفصلة عن الصحف](٤).

ويعزو الإمام القرطبي إلى بعض المتكلمين إنكارهم لوزن الأعراض، ولكنه يذكر ان الصحيح هو: ان الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١﴾(٥).

ويعزو هذا إلى ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: [توزن صحائف الأعمال](٦).

ولأن الصحف أجسام فإن الله يجعل كما قال القرطبي رحمه الله: [رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليل على كثر أعماله بإدخاله الجنة أو النار](٧).

---

(١) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٧.
(٢) الحياة الآخرة: ٣/ ١١٤٢.
(٣) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٨.
(٤) الحياة الآخرة: ٣/ ١١٤٣.
(٥) سورة الانفطار: الآية ١٠، ١١.
(٦) التذكرة: ٣١٣.
(٧) شرح العقيدة الطحاوية/ ٤٧٢، وينظر التذكرة: ٣١٣.

وقد جاء في السنة النبوية المباركة ما يفيد قلب الأعراض إلى أجسامها ومنها:

١- عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يوم القيامة كأنهما غمامتان -أو كأنهما فرقان - من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة»(١).

٢- وعن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك»(٢).

٣- ما جاء في حديث سيدنا البراء بن عازب ﷺ، وفيه أن المؤمن يمثل له عمله في صورته «رجلٍ حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح» وكذلك الكافر فإنه يمثل له عمله في صورة «رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسؤوك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث».

قلت: من المعلوم أن مسألة الميزان من المسائل الإسلامية السمعية التي تحتاج إلى دليل صريح قطعي، فإذا جئت تدرس أدلة هذا القول وتتأمل في دلالتها على صحة القول سجلت ما يأتي:

١- الدليل الأول والثاني، وهما أن سورة البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، وأن القرآن يأتي صاحبه في صورة شاب، فهذا وأن كان صحيحاً سنداً ومتنا، غير أنه ليس نصاً في أن الأعمال هذه أو غيرها هي

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٤٥٧، سميت بالزهراوين لنورهما وهدايتهما/ والبطلة هم السحرة.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: ٢/ ١٢٤٢ وقال في الزوائد: اسناده صحيح ورجاله ثقات.

التي سوف توضع في إحدى كفتي الميزان وتوزن، وإنما هو مجرد إشارة إلى جواز أن تأتي الأعمال مجسمة في صورة متنوعة لصاحبها يوم القيامة، كما حصل في الدليل الثالث فيجاء العمل الصالح بصورة رجل حسن الوجه مؤنسا لصاحبه في القبر.

٢- وأما حديث حضرة النبي ﷺ: «والحمد لله تملأ الميزان» فهو مجاز مرسل(١)، معناه أن ثواب هذه العبادة يملأ صحف الميزان، لا الميزان عينه، وهذا من باب اسناد الفعل إلى مكانه كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾(٢) فإن الأنهار لا تجري من تحت الذين يستحقون الجنة، وإنما هي امكنة للمياه الجارية، وكذا أعمال بني آدم، فإنها لا توضع في الميزان، وإنما هو مكان لوزن صحف أعمالهم، أو هنالك علاقة محلية بين المعنى المنقول منه والمعنى المنقول إليه وذلك فيما إذا ذكر لفظ المحل، أريد به لفظ الحال فيه كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾(٣) والمراد هو من يحل في النادي لا عين النادي، وكقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾(٤) فالمراد يقولون بالسنتهم، لماذا؟ لأن القول لا يكون عادة إلا بها، فالقرآن اذن ذكر هنا لفظ المحل لكنه أراد الحال فيه لما بينا، وكذلك حضرة النبي ﷺ ذكر لفظ المحل وهو الميزان ولكنه أراد الحال وهو الصحف، لماذا؟ لأن الصحف عادة إذا أريد وزنها توضع في الميزان.

٣- وأما قول حضرة النبي ﷺ: «ثقيلتان في الميزان» فهو مجاز مرسل معناه: ثقيلتان في صحف الميزان، لأن الصحف هي محل تدوين الأعمال، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ

---

(١) المجاز المرسل: هو الكلمة السمتعملة قصدا في غير معناها الاصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينه دالة على عدم ارادة المعنى الوضعي، وسمي مرسلا لاطلاقة عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة، بل له علاقات كثيرة والقصد من العلاقة هو تحقق معنى الارتباط، كما في جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي: ٢٩٢.

(٢) سورة الانعام: الآية ٦.

(٣) سورة العلق: الآية ١٧.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٦٧.

مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾(١) فالصحف أو الكتب هي محل ثقل الأعمال وخفتها، والموازين هي محل ثقل الكتب وخفتها(٢)، كما أن الجنة هي محل رحمة الله ونزولها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾(٣) أي: في جنته التي هي محل رحمته.

ومما تقدم تبين لنا أن الله تعالى قادر على أن يقلب الأعراض أجساما ثم يزنها، على أنه لا يمنع أن الله تعالى يزن الأعمال دون أن يقلبها إلى أجسام وهي مدونة مكتوبة في صحف الأعمال، وقد جاءت العلوم الحديثة بوزن الأعراض بآلاتها الخاصة ومنها المقاييس التي يستعملها الأطباء لقياس درجة حرارة المريض، وقياس السرعة والضغط، فإذا امكن ذلك في حق المخلوق فكيف بالخالق القادر على كل شيء، وربما يكون الأولى عدم الخوض في مثل هذه المسائل ورد علم ذلك إلى الله عز وجل والانشغال بالأعمال الصالحة وزيادة البر والتقوى فإنه هو الأنفع والله تعالى أعلم.

أدلة وزن صحائف الأعمال

أشرنا فيما مضى في القول الثالث إلى أن الصحف توزن، وهو قول كثير من علماء السلف الصالح والجمهور من علماء أهل السنة والجماعة ومن أدلتهم على ذلك ما يلي:

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: اتنكر من هذا شيء؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى ان لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع

(١) سورة الإسراء: الآية ١٣.
(٢) ينظر تفسير القرطبي: ١٠/ ٢٢٥.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٧.

السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم، قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»[١].

فهذا الحديث صريح في أن الذي يوضع في الميزان هو كتب الأعمال والأقوال وقد استدل به العلامة ابن أبي العز على صفة الميزان وثبوت وزن الصحف فقال: [والذي عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان][٢].

ثم قال: [روى الإمام أحمد من حديث أبي عبد الرحمن قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي... الخ الحديث»][٣].

وهذا الحديث قد ثبتت صحته وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي وحسنه الترمذي ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي[٤].

وقد ألف العلامة أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي الكتاني كتابا سماه «جزء البطاقة»[٥] وقال عنه: [إنه من أحسن الحديث] وكل من يثبت وزن الصحف فإنه يستدل بهذا الحديث[٦].

وسئل سيدنا رسول الله ﷺ عما يوزن يوم القيامة؟ فقال: «الصحف»[٧] وفي لفظ آخر قال: «توزن صحائف الأعمال»[٨].

(١) أخرجه الترمذي في سننه: ٥/ ٢٥، وابن ماجه في سننه: ٢/ ٤٣٧، وقال الترمذي بعد اخراجه له: هذا حديث حسن غريب، والبطاقة: هي الرقعة وقال محمد بن يحيى: واهل مصر يقولون: بطاقة، أصول الدين الإسلامي: ٤٧٦.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ٤٧٢.
(٣) سبق تخريج الحديث آنفا.
(٤) أصول الدين الإسلامي: ٤٧٦.
(٥) مخطوطة بمكتبة الشيخ حماد الانصاري في المدينة المنورة صلى الله على ساكنها.
(٦) ينظر الاسئلة والاجوبة الأصولية: ٢٢٢.
(٧) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٧.
(٨) الاقتصاد في الاعتقاد: ١٣٧ وشرح المواقف: ٨/ ٣٢١.

وقال سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: [توزن صحائف الأعمال][(١)] ويقول البرديسي: [وانعقد الإجماع على أنه ميزان حسي له كفتان ولسان، يوضع فيه صحف أعمال العباد ليظهر الرابح والخاسر][(٢)].

فمن يتأمل هذه الأدلة الواضحة، ويلقي نظرة متفحصة على ألفاظها الصريحة يجد من غير عناء أنها تدل على صحة مذهب السواد الأعظم من أهل السنة، أن المعرض للوزن مباشرة نحو كفتي الميزان الإلهي هو الصحف والكتب التي دون الملائكة فيها أعمال العباد.

فإن قيل: كيف رجحت بطاقة شهادة هذا على تلك السجلات المليئة بالذنوب مع أن جميع العصاة من المسلمين عندهم هذه الشهادة ولم ترجح على كتب معاصيهم وذنوبهم؟

يجاب عنه: من وجوه متعددة:

القول الأول

إن كلمة الشهادتين قد تكون هي بها الإسلام، وقد تكون حسنة من الحسنات التي أتى صاحبها بعد الدخول في الإسلام: فمن كان كافرا فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ودخل بها في الإسلام، فإن هذه الشهادة وهي شهادة الإسلام تهدم ما قبلها من الذنوب والمعاصي، كما جاء في صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له حين جاء يبايعه على الإسلام: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها وأن الحج يهدم ما قبله»[(٣)].

القول الثاني

وأما من كان مسلماً وتشهد أو هلل فإن ذلك يعتبر حسنة. بل من أكبر الحسنات كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر

(١) تفسير الماوردي: ٢/ ١٠ والقرطبي ٧/ ١٦٥ والتذكرة: ٣٦٤ والإيمان باليوم الآخر: ٨٢.
(٢) تكملة شرح الصدور: ١٤.
(٣) صحيح الإمام مسلم: ١٢١ ورياض الصالحين للنووي: ٢٥٧.

رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله: أوصني! فقال ﷺ: «إذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحها» قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: «هي أفضل الحسنات»(١).

والمعنى: أن لا إله إلا الله تمحو من السيئات على حسب إخلاص قائلها فيها، هو شأن سائر الحسنات، بل هي أفضل الحسنات، بل هي أفضل الحسنات، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾(٢).

فصاحب البطاقة الوارد ذكره في الحديث السابق فيه قولان:

أحدهما: يحتمل أنه كان كافرا ثم أسلم في آخر عمره وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وختم له بذلك فحينئذ يكون بها إسلامه، والإسلام يهدم ما قبله من الذنوب.

والآخر: أنه كان مسلما لكنه مسرف على نفسه بكثرة ذنوبه التي ملأت تسعة وتسعين سجلا بالخطايا والذنوب، ولكنه له حسنة كبيرة قد تقرب بها إلى الله عز وجل وهي: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) المسطورة في البطاقة الصغيرة الحجم لكن صاحبها قد قالها في آخر عمره، وقد نطق بهاتين الشهادتين منيباً إلى ربه، تائباً من ذنوبه، خائفاً من العقاب ومن سوء الحساب، مقبلاً بقلبه على الله تعالى، خائفاً من ذنبه، راجياً رحمة ربه، هكذا كانت خاتمة عمره فكانت المغفرة عاقبة أمره.

والحاصل أن خاتمة هذا الرجل كانت حسنة، وهي الشهادة الصادرة عن قلب منيب، وعن توبة إلى الله تعالى من جميع الذنوب، وعن خوف منه سبحانه وتعالى أن يعاقبه على ذنوبه، وعن رجاء من الله أن يرحمه فيغفر له.

وكان له ذلك لأن العبرة بالخواتيم فيكون هذا الرجل هو نظير الرجل الآخر الذي ورد أنه قتل تسعة وتسعين نفساً ثم ذهب إلى القوم العابدين ليعبد الله تعالى، تائباً من ذنبه منيباً إلى الله تعالى بقلبه، فجاءه الموت قبل أن ينتهي إلى القوم العابدين، وهناك يأمر الله تعالى الملائكة أن يقيسوا بين الأرض التي

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٣/ ٤٤٥.
(٢) سورة هود: الآية ١١٤.

خرج منها، والأرض التي أرادها، فإلى أيهما أقرب؟ فإذا هو أقرب إلى الأرض التي أرادها بشبر، فغفر الله تعالى وألحقه بالتائبين العابدين[١].

فصاحب البطاقة الذي نحن في بحثه، وشمول المغفرة له هو من جهة حسن العاقبة نظير هذا الرجل الذي قتل مائة نفس الذي قالت فيه ملائكة العذاب: أنه لم يعمل خيراً قط، ولكن قالت فيه ملائكة الرحمة: أنه جاء تائباً مقبلاً إلى الله تعالى.

القول الثالث:

قال بعض العلماء: إن صاحب البطاقة أراد الله الغفور الرحيم أن يكرمه إكراما خاصا، ويعلن ذلك على رؤوس الخلائق، فغفر له جميع ذنوبه ومحاها عنه بسبب تلك الشهادة التي تقرب بها إلى الله سبحانه[٢].

فهذا من باب الإكرام الإلهي الخاص به، كما يشير إلى ذلك قوله ﷺ في صدر الحديث: «إن الله تعالى سيخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق».

هذا وأن الله تعالى الغفور الرحيم يغفر لمن يشاء من المذنبين المرتكبين الذين لم يتوبوا، فضلا منه وكرما، كما هو الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ويعذب من يشاء من العصاة المرتكبين، بالأمر عائد إليه سبحانه وتعالى.

وبعد ذكر جميع الأقوال في الموزون وبيان أدلتها ومناقشتها واستعراض أقوال العلماء فيها نخلص إلى أن أدلة هذه الأقوال ليست نصاً في المسألة ولم يبق إلا القول بوزن صحف الأعمال وذلك لعدة أسباب:

١- قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ الآية فالميزان منا نعلم بعد الحساب، والحساب على الأعمال يكون بقراءة الكتاب الذي سجلت الملائكة فيه الأعمال والأعمال أعراض لا جوهر، والاعراض

---

(١) ينظر صحيح الإمام البخاري: ٣٧٣، ٣٧٤، وصحيح الإمام مسلم: ٢٧٦٦ ورياض الصالحين للنووي: ٢٧.

(٢) الإيمان بعوالم الآخرة: ٣٦٥.

لا تنفك عن الجواهر بل هي ملازمة لها، وكل هذه الأمور حقائق لم يختلف فيها اثنان من العقلاء، فلو أمكن للبشر رؤية الأعراض من غير جواهر لرأى الإنسان أعماله أثناء الحساب من غير كتاب، والقرآن يقول: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ ولم يقل عملك أو انظره.

٢- الحكمة من الميزان هو إظهار العدل الإلهي للمخلوق لأن الله تعالى أعلم بأعمال المخلوق، بعمله القديم الأزلي فهو غني عن الميزان، ولن يتم للمخلوق معرفة العدل الإلهي وفضله ورؤيته إلا إذا كان الميزان جسماً محساً، وبما أن الميزان المحسوس يزن الأجسام المحسوسة، والأعمال أعراض لا أجسام، إذن فالميزان لا يزن الأعمال بمفردها وهي متمثلة بذاتها، إلا وهي مكتوبة في صحفها وسجلاتها وكتبها.

٣- إذا كان لا يمكن للإنسان قراءة أعماله ورؤيتها من غير أن تكون مدونة في كتاب -كما تقدم- لأنها أعراض، فكيف يمكنه رؤيتها في الميزان ليرى عدل الله تعالى وانعامه، فانعدام الرؤية في الحساب يستلزم انعدامها في الميزان، وبانعدامها تنعدم الحكمة من وزن الأعمال، تعالت أفعاله سبحانه عن العبث والسفه.

٤- الميزان نوعان: معنوي وحسي.

ودليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾[1]، أي: بميزان الحكمة، وهو ثابت في تفكير الإنسان عندما يوازن بين صلاح الفعل الفلاني ومفسدته مثلا، وكثيراً ما يستخدم هذا الميزان الفقهاء في دراسة الواقعة، لتقرير حكم شرعي، يراعي الصالح العام.

ودليل الحسي: قوله تعالى﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾[2] والفرق بينهما أن الأول واسطة أدركه الفكر والبصيرة، والثاني واسطة أدركه إحدى الحواس.

فإذا جئنا لدراسة الأعمال وجدناها أعراضا غير محسة، فهي إذن لا توزن بالميزان الحسي لاختلاف الحقيقتين، وبما أن ميزان الأعمال ثبتت بالأدلة

(١) سورة الحجر: الآية ١٩.
(٢) سورة المطففين: الآية ٣.

المعتبرة حسيته، فلا بد اذن من وزنها وهي في بيت محس، ولا يكون ذلك البيت إلا الصحف والسجلات وهو المطلوب.

٥- وجدت في صحيح مسلم رحمه الله حديثا أن الصحف هي محل الحسنات والسيئات فعنه ﷺ أنه قال: «يؤتي المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل، حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف، قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم، فيعطي صحيفة حسناته»[١]، قال القرطبي (فقوله): «فيعطي صحيفة حسناته» دليل على أن الأعمال تكتب في الصحف وتوزن[٢].

دقة الميزان

ما أعظم تلك الساعة، ساعة وقوف الإنسان أمام الميزان الآلهي العادل ليرى بأم عينيه صحف أعماله كلها وهي توزن بميزان رباني دقيق، لتحدد بعد ذلك مصيره وعافيته، أنه مشهد رهيب حقا، يبعث في نفس الإنسان الرعب والخوف والقلق والذعر، فلا يدري أترجح سيأته على حسناته فيساق إلى جهنم، حيث السياط والنار والعذاب والهلاك، أم ترجح حسناته على سيئاته فيساق إلى جنة الله تعالى ورضوانه، حيث النعيم والسعادة والسرور والحور، نسأله تعالى ان يثقل بالحسنات ميزاننا، ويجعل الصالحات أعمالنا، ويشفع فينا نبينا محمداً ﷺ آمين.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٣].

هذه الآية تدل على دقة الموازين وتتجلى عظمة الفضل الآلهي وحقيقة العدل الرباني، فإن الميزان سوف يأتي على مثاقيل الحبات ومقادير الذرات، فما من صغيرة جزئية إلا أتى الله بها ووضعها في الميزان لأنه تعالى لا يغيب عن عمله شيء ولا يعجز قدرته أحضار أي شيء، ونظير هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

(١) صحيح الإمام مسلم: ١٧/ ٩٣-٩٤ (٢٧٦٨).
(٢) تفسير القرطبي: ٧/ ١٦٥-١٦٦.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[١].

فهو سبحانه لا يظلم مثقال ذرة أي لا يزيد في عقوبة المسيء مثقال ذرة فوق إساءته وعقابه، ولا ينقص من أجر المحسن مثقال ذرة من حسنته وثوابه.

قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: [الذرة رأس نملة حمراء، وقال بعضهم: الذرة كل جزء من أجزاء الهباء الذي يكون في الكوة إذا كان فيها ضوء شمس][٢].

ومن المعلوم أن هذا شيء صغير جداً، ولكنه مثل ضربه الحق عز وجل لأقل الأشياء ليبين لعباده أنه لا يظلم أحداً شيئا من قليل ولا من كثير، ويدل دلالة على دقة الميزان يوم الفصل والقضاء.

وأنشد شيخي الدكتور عبد الله مصطفى ﷺ في هذا المعنى أبيات:

تداركني بلطفك يا إلهي فقد غرتني هاتيك الملاهي
وطال بي الزمان وكنت الهو بنيران المعاصي أو أباهي
ولكن أُشهد العلام أني مضيت موحداً نشد التناهي
فإن تغفر فذاك ندا غفور وإن تعدل أطاح بي المناهي
فأسبغ لطفك الموعد دربي وزدنا يا آلهي يا آلهي[٣]

المبحث الرابع

صفات الميزان وحكمته

لقد أثبت أهل الحق صفات للميزان يوم القيامة فوصفوه بأنه ميزان حسي له لسان وكفتان إحداهما نيرة والأخرى مظلمة توزن في اليمنى الحسنات وفي اليسرى السيئات، فمن رجحت حسناته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته دخل النار[٤]. وهو قول جمهور العلماء والرعيل الأول من الصحابة رضوان الله

(١) سورة النساء: ٤٠.
(٢) الإيمان بعوالم الآخرة: ٢٩٨.
(٣) نفحات الحياة: ٧٨.
(٤) ينظر مقالات الإسلاميين: ٢/١٤٦، وتنوير القلوب: ٧٢-٧٣، وفتح الباري: ١٣/٥٣٩ والتذكرة: ٣٦٤.

عليهم أجمعين، وجمهور المفسرين وأكثرهم، والسواد الأعظم من المسلمين من الأشاعرة والماتريدية والحنابلة(١).

فإن قيل: هل تلك الأوصاف التي ثبتت للميزان محل اتفاق بين العلماء؟ أم أن هناك خلافاً بينهم؟

يجاب عنه: الواقع أن العلماء لم يتفقوا على إثبات أوصاف الميزان واختلفوا في ذلك إلى فريقين:

الأول: فهم المثبتون لصفات الميزان الحسية، من أن له كفتين... إلى آخر أوصافه وهؤلاء، وأن أثبتوا هذا، لكنهم يرجعون صفة تلك الكفات واللسان إلى علم الله تعالى.

الثاني: فهم النافون لتلك الصفات.

وسنذكر رأي الفريقين مفصلا وكما يأتي:

أولا: المثبتون لصفات الميزان

إن أهل الحق يثبتون أن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان وله لسان كذلك، يقررون هذه الحقيقة غير ملتفتين إلى من تشمئز قلوبهم من سماعها لعدم قبول عقولهم لها، وعدم تفهم ما ورد عن المصطفى ﷺ في ذلك.

ذلك أن الحق ضالة المؤمن، وما ورد به الشرع هو الذي ينبغي أن يقدم على هوى النفس وحكم العقل، وسنذكر أدلة المثبتين للميزان وذكر أوصافه وكما يلي:

١- قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما في الميزان: [أنه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال](٢). وفي رواية أخرى: [توزن الحسنات

---

(١) ينظر المسايرة: ٢٣٨، وتفسير البروسوي: ١٠/ ٥٠٠ والقرطبي: ٧/ ١٦٦ والزمخشري: ٢/ ٦٨، وشرح النسفية للسعدي: ١٣٥ وفتح الباري: ١٣/ ٥٣٨، والالوسي: ٧/ ٨٤، والمعتقد الايماني: ٢٢ واليواقيت والجواهر: ٢/ ١٦٣ وحاشية أفندي على شرح النسفية للتفتازاني: ٣٢٩ ونور الايمان: ١٠١ وشرح الفقه الأكبر للملا علي القارئ: ٧٦-٧٧ وشرح الطحاوية: ٢/ ٦٠٩ ومختصر الاسئلة الأصولية: ١١٣ وأصول الدين الإسلامي: ٤٧٣.

(٢) تفسير البروسوي: ١٠/ ٥٠٠ وتفسير القرطبي: ٧/ ١٦٦ والتذكرة: ٣٧٨.

والسيئات في ميزان له لسان وكفتان][١]، ويريد بذلك صحف الأعمال.

٢- قال سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه: [يوضع الميزان وله كفتان، لو وضع في إحداهما السموات والأرض ومن فيهن لوسعه][٢].

٣- عن عبد الملك بن أبي سليمان عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال عندما ذكر الميزان: [له لسان وكفتان][٣].

٤- قال القرطبي رداً على من ينكر الميزان، ويؤول الوزن بأنه من ضرب المثل وأن الوزن يراد به العدل والقضاء، قال: [وهذا القول مجاز، وليس بشيء، وإن كان شائعاً في اللغة -للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي، ووصفه بكفتين ولسان، وأن كل كفة منها طباق السموات والأرض][٤].

٥- وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: [الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات، فيؤتى بالحسنات في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان، فتثقل على السيئات، فتؤخذ فتوضع في الجنة... ويؤتى بالسيئات في أقبح صورة فتوضع في كفة الميزان فتخف...][٥].

٦- ويقول ابن قدامة رحمه الله: [والميزان له كفتان ولسان، توزن به الأعمال لقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾[٦]][٧].

٧- وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في معرض بيانه لاختلاف الناس في الميزان ومبينا رأي أهل السنة: [فقال أهل الحق: له لسان وكفتان...][٨].

---

(١) تفسير القرطبي: ٧/ ١٦٦ وشرح النسفية للسعدي: ١٣٥ والإيمان باليوم الآخر: ٨٣.
(٢) فتح الباري: ١٣/ ٥٣٩ والتذكرة: ٣٦٤ والالوسي: ٧/ ٨٤، والمسايرة: ٢٣٨.
(٣) فتح الباري: ١٣/ ٥٣٩ وتفسير الماوردي: ٢/ ١٠ والزمخشري: ٢/ ٦ والمسايرة: ٢٣٨.
(٤) التذكرة: ٣٧٨.
(٥) الدر المنثور: ٣/ ٧٠، والإيمان باليوم الآخر: ٨٣.
(٦) الآيتان ١٠٢-١٠٣ من سورة المؤمنون. (٧) ابن قدامة في لمعه الاعتقاد: ٣٣.
(٨) مقالات الإسلاميين: ٢/ ١٦٤.

٨- ويثبت ابن كثير رحمه الله: أن للميزان كفتين حسيتين، ويستدل على هذا من السنة بحديث صاحب البطاقة المشهورة وغيره من الأحاديث[١].

٩- وأخرج الطبري عن ابن جريج قال: [قال لي عمرو بن دينار: في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ قال: إنا نرى ميزانا وكفتين..][٢].

١٠- ويقول ابن أبي العز رحمه الله: [والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان][٣].

١١- قال أبو إسحاق الزجاج رحمه الله -كما نقل عنه الحافظ ابن حجر: [أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال][٤].

١٢- ويقول السفاريني: [فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان، كما قال ابن عباس والحسن البصري، وصرح بذلك علماؤنا والأشعرية وغيرهم، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وانعقد عليه إجماع أهل الحق من المسلمين][٥].

١٣- يقول البرديسي: [وانعقد الاجماع على أنه ميزان حسي له كفتان ولسان، يوضع فيه صحف أعمال العباد ليظهر الرابح والخاسر][٦].

١٤- ويقول الهراس: [وهناك تنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد وهي موازين حقيقية، كل ميزان منها له لسان وكفتان... فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة][٧].

ونقتصر في إثبات أن الميزان له لسان وكفتان على ما قدمناه من ذكر أقوال العلماء التي دلت دلالة واضحة على أن الميزان الذي سوف ينصبه الله تعالى

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٢/ ٢٤.
(٢) جامع البيان: ٨/١٢٣.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ٤٧٢.
(٤) نقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ١٣/٥٣٨.
(٥) لوامع الانورا البهية: ٢/ ١٨٥.
(٦) تكملة شرح الصدور: ١٤.
(٧) شرح العقيدة الواسطية: ١٢٣.

لعباده يوم القيامة ميزان جسماني، حسي وليس أمراً معنوياً يعبر عنه بالعدل والقضاء، لأن السجلات والصحف والكتب والسموات والأرض كلها أجسام محسوسة، وجواهر ملموسة، فلا بد أن يكون الميزان كذلك، توافقا وانسجاماً.

وبهذا يتبين أن أهل الحق من علماء أهل السنة والجماعة يثبتون حقيقة الميزان على ضوء ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، لا يتأولون معناه، ولا يردون ما جاء في وصفه، ويقولون: الله وحده هو الذي يعلم قدرهما وكيفيتهما.

إذ لو لم يكن له لسان وكفتان، بل هو بمعنى العدل والقضاء، كما ذهب إليه بعض العلماء، لو لم يكن كذلك لما وصف في السنة النبوية بأن له لسانا وكفتين وأنه يخف ويثقل، إذ العدل لا يقال فيه تلك الصفات، فصح أنه ميزان حقيقي يزن الله تعالى فيه صحف أعمال العباد، فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار والعياذ بالله، على ما علم من مذهب السلف.

وإذا كنا نثبت صفات على ضوء ما جاء به الشرع، فإنه لا ينبغي ان نتكلف فنثبت له أوصافاً تحتاج إلى إثبات من الشارع، أو نستند إلى اخبار لم تثبت فإن الغلو في هذا مذموم، ونذكر على سبيل المثال بعض الأمثلة ومنها:

١- قال بعض الناس: [أن كفتي الميزان من ذهب](١).

٢- ما يروى عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: «من كبر تكبيرة في سبيل الله، كان صخرة في ميزانه اثقل من السموات السبع وما فيهن وما تحتهن، وأعطاه الله بها رضوانه الأكبر، وجمع بينه وبين محمد وإبراهيم والمرسلين في دار الجلال: ينظر إلى الله بكرةً وعشيا»(٢).

(١) الفصل لابن حزم: ٤/ ٦٥.

(٢) قال السيوطي في اللالئ المصنوعة: (قال بن حبان لا اصل له، اسحاق يأتي بالمصنوعات عن الثقات، قلت -السيوطي-: وكذا قال الدارقطني في غرائب مالك: إنه موضوع): ٢/ ١٣٧.

٣- وفي رواية أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كبر تكبيرة على ساحل البحر، كان في ميزانه صخرة، قيل: يا رسول الله: وما قدرها؟ قال: تملأ ما بين السماء والأرض»(١).

قلت: إن الميزان من المسائل السمعية التي تحتاج لإثباتها فضلاً عن اعتقادها إلى نص صحيح، فإن بعض الناس يتساهلون فيما يقررونه من هذه المسائل فوجب التنبيه(٢).

فإن قيل: كيف تكون صفة الوزن؟

يجاب عنه: قال السفاريني: [ظواهر الآثار وأقوال العلماء: إن كيفية الوزن في الآخرة خفة وثقلاً مثل كيفية الوزن في الدنيا، ما ثقل نزل إلى أسفل ثم يرفع إلى عليين، وما خف طاش إلى أعلى ثم نزل إلى سجين، وبه صرح جموع منهم القرطبي.

وقال بعض المتأخرين: بل الصفة مختلفة، وأن عمل المؤمن إذا رجح صعد وسفلت سيئته، والكافر تسفل كفته لخلو الأخرى من الحسنات، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾(٣).

وذكر بعضهم في صفة الميزان: أن تجعل جميع أعمال العباد في الميزان في مرة واحدة، الحسنات في كفة النور، وهي يمين العرش جهة الجنة، والسيئات في كفة مظلمة وهي عن يساره جهة النار، ويخلق الله لكل إنسان علماً ضرورياً يدرك به خفة أعماله وثقلها.

وقيل: بل علامة الرجحان عمود نور يقوم في كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات وعلامة الخفة عمود ظلمة يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات لكل أحد](٤).

---

(١) قال ابن عدي: هذا ما وضعه النخعي، وزيد ليس بشيء ينظر اللآلى المصنوعة: ٢/ ١٣٧.

(٢) وردت اخبار وحكايات ضعيفة لا دليل لها من النصوص المعتبرة لم نذكرها. ينظر: التذكرة: ٣١٣ وجامع البيان: ٨/ ١٢٣ ولوامع الأنوار: ٢/ ١٨٤.

(٣) سورة فاطر: الآية ١٠.

(٤) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٨-١٨٩ والتذكرة: ٣١٤ وعزاه القرطبي إلى الترمذي الحكيم.

قلت: والظاهر أن هذه الكيفيات كلها تحتاج إلى إثبات، فهي مسألة غيبية، والله تعالى له القدرة على ما يشاء.

ثانيا: النافون لصفات الميزان

وهم من ذهب إلى القول بإثبات الميزان مجرداً عن كل وصف فيقولون: نؤمن بان هناك ميزانا يوم القيامة، لكننا لا نعلم عنه ولا عن وصفه شيئا بل نؤمن به فحسب، دون ذكر أي وصف له هؤلاء قالوا بعكس ما قاله الفريق الأول، حيث احجموا عن وصف الميزان بالأوصاف التي تقدمت، وأكتفوا بإثبات ان هناك ميزانا فقط. ونذكر أهم الأقوال في هذا المجال ثم نرد على بعضها للتوضيح متوكلين على الحي القيوم الذي لا يغيب عن علمه شيء ولا يحد قدرته شيء لا في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم منها:

١- يقول محمد رشيد رضا صاحب كتاب تفسير المنار في نفي الصفات عن الميزان وفي رده على الزجاج: [وإذا لم يكن في الصحيحين ولا في كتب السنة المعتمدة حديث صحيح مرفوع في صفة الميزان: أن له كفتين ولسانا، فلا تغتر بقول الزجاج ان هذا مما أجمع عليه أهل السنة، فإن كثيرا من المصنفين يتساهلون بإطلاق كلمة الاجماع، ولا سيما غير الحفاظ المتقنين، والزجاج ليس منهم، ويتساهلون في عزو كل ما يوجد في كتب أهل السنة إلى جماعتهم، وإن لم يعرف له أصل من السلف ولا اتفق عليه الخلف منهم، وهذه المسألة مما اختلف فيه السلف والخلف كما علمت][١].

وقال أيضا: [والأصل الذي عليه سلف الأمة في الإيمان بعالم الغيب: أن كل ما ثبت من أخباره في الكتاب والسنة فهو حق لا ريب فيه، نؤمن به، ولا نحكم رأينا في صفته وكيفيته، فنؤمن إذا بأن في الآخرة وزنا للأعمال قطعاً، ونرجح بأنه ميزان يليق بذلك العالم، يوزن به الإيمان والأخلاق والأعمال، ولا نبحث عن صورته وكيفيته إن صح الحديث فيهما -كما صوره الشعراني في ميزانه][٢].

(١) تفسير المنار: ٨/ ٣٢٢.
(٢) تفسير المنار: ٨/ ٣٢٣.

والواقع أن ما قاله محمد رشيد رضا من إنكار أن يكون هناك أي إشارة إلى أن الميزان له كفتان من السنة -غير مسلم، فقد جاء في السنة بعض الأحاديث التي تدل على وزن صحف الأعمال وصفة الميزان، كما أخرج البخاري رحمه الله: «يؤتى بالرجل فيوضع في كفة» وكقوله ﷺ: «فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» وغيرها من الأحاديث التي قدمنا ذكرها، وفيها إشارة واضحة صريحة إلى إثبات أن ميزان الأعمال له كفتان.

بالإضافة إلى شيء آخر مهم جداً وهو أن قول سيدنا ابن عباس وسيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنهما: الميزان له لسان وكفتان، له حكم الحديث المرفوع لماذا؟ لأن مثل هذه الأخبار السمعية التي ترد عن الصحابة مما لا مجال فيها للاجتهاد والتفكر فهي في حكم المرفوع[١].

ثم إن إثبات أن الميزان له كفتان ولسان لم يقل به الزجاج وحده، بل هو ما عليه الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم وهو مذهب جمهور المفسرين وغيرهم والسواد الأعظم من المسلمين من الأشاعرة والماتريدية والحنابلة وغيرهم.

٢- ما علقه الدكتور طه محمد الزيني على ترجمة ابن كثير رحمه الله في إثبات أن للميزان كفتين حسيتين بقوله: [لا يوجد دليل قاطع في القرآن ولا في الحديث على أن كفتي ميزان الحساب يوم القيامة حسيتان -أي يدركان بإحدى الحواس الخمسة، وأقرب الحواس إلى إدراك الكفتين اللمس باليد، بل كل ما في القرآن والحديث يحتمل أن يكون الوزن معنوياً، بل هو الارجح، لأن أعمال يوم القيامة أكثرها معنوي يقرب إلى الأذهان بتشبيهه بالحسيات][٢].

وهذا القول من الدكتور طه الزيني يعتبر بعيداً عما قرره العلماء، ومخالفاً لما جاءت به السنة في وزن صحف الأعمال يوم القيامة، وليس ما يذكره من أعمال يوم القيامة من الأشياء المتخيلة التي يشبه فيها المعنوي بالحسي. فإن

(١) ينظر القواعد الاساسية في علم مصطلح الحديث للسيد محمد المالكي: ٢٩.
(٢) البداية والنهاية: ٢/٩١.

القول بهذا يفتح باباً خطيراً من التشكيك في أمور الآخرة، وينبغي على من يقول بهذا أن يعيد النظر فيه.

٣- ما يقوله أحمد محمد شاكر في تعليقه على قول الإمام الزهري رحمه الله: [أن الوضوء يوزن][(١)] فيما حكاه عنه الإمام الترمذي، علق على هذا القول أحمد شاكر رحمه الله بقوله: [هذا تعليل غير صحيح، فإن ميزان الأعمال يوم القيامة ليس كموازين الدنيا، ولا هو مما يدخل تحت الحس في هذه الحياة، وإنما هي أمور من الغيب الذي نؤمن به كما ورد][(٢)].

قلت: هذا تعليق غير مناسب على عبارة الزهري، فإن مقتضى نقد عبارة الزهري أن يقول: إن وزن الوضوء لا ينافي تنشيفه[(٣)]، وما ساقه من وصف الميزان فهذا ما لم يتعرض له الزهري حسب ما ذكره عنه الترمذي هنا.

فإن قيل: من أين جاء هؤلاء المتأخرون بهذه الأقوال؟

يجاب عنه: لعلهم قالوا بهذا القول لأنهم قد تأثروا بما سبقهم إليه ابن حزم رحمه الله، حيث قرر ذلك بقوله: [ونقطع على أن تلك الموازين اشياء يبين الله عز وجل بها لعباده مقادير أعمالهم من خير أو شر، من مقدار الذرة التي لا نحس وزنها في موازيننا أصلاً فما زاد، ولا ندري كيف تلك الموازين، إلا أننا ندري أنها بخلاف موازين الدنيا... إلى أن يقول: وأما من قال بما لا يدري أن ذلك الميزان ذو كفتين، فإنما قاله قياسا على موازين الدنيا، وقد أخطأ في قياسه، إذ في موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرسطون][(٤)].

قلت: وهذا الرأي إن كان يقصد أصحاب إثبات الميزان الوارد به وبصفاته الشرع، دون التنطع بعد ذلك من وصفه بأنه من فضة أو ذهب أو غير ذلك فهذا قول صحيح، وأن كانوا يقصدون إثبات ميزان مجرداً عن كل وصف،

---

(١) سنن الترمذي: ١/ ٧٧ وشرح الترمذي في تحفة الاحوذي: ١/ ٥٧.
(٢) سنن الترمذي: ١/ ٧٧.
(٣) تحفة الاحوذي: ١/ ٥٧ والمنار المنيف: ١١٩.
(٤) الفصل: ٤/ ٦٤.

فإن ما ورد من إثبات ان له لسانا وكفتين لا يتفق مع هذا القول.

فإن قيل: وما الحكمة من ذكر وصف الميزان؟

يجاب عنه: ليس الخلاق العظيم جل جلاله وعم نواله محتاجا إلى وزن أعمال عباده ليعرف مقادير ثواب وعقاب كل منهم، وهو أعلم بها وكيفيتها، كبيرها وصغيرها، علينها وخفيها، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[1] فلماذا اذن يكون الوزن وما الحاجة إليه؟

والجواب على ذلك

١- أن من يتأمل في خلقة الإنسان الترابية ويدرس طرق معرفته وأسباب علمه، ويعرف طريقة تفكيره، وتوضيح الشيء إليه ومدى ارتباطه بالماديات وتعلقه بها طوال عمره في الدنيا، ويعلم أن حياة الإنسان تحت سيطرة قانون المادة سنوات طويلة جعلته يكون مع المادة علاقة وطيدة، ومودة صادقة فهو يحبها وهي تحبه.

وقد ضرب لنا سيدنا رسول الله ﷺ أروع مثال ورسم لنا أجمل صورة لتوضيح هذه الحقيقة الائتلافية في محبة جبل أحد، فقال: «أحد جبل يُحبنا ونُحبه» وما حنينُ الجذع الذي كان ﷺ يخطب عليه وبكاءه شوقاً إليه إلا دليل آخر على صدق هذه المودة.

أقول: من يتأمل طويلاً في دراسة هذه الحقيقة يجد أن في إقامة الميزان يوم القيامة بشكله الحسي المشاهد، بيانا للإنسان ان مضمون الحياة الثانية ليس إلا انعكاسا دقيقا لمضمون الحياة الأولى تماما، كما يكون موسم الحصاد انعكاسا دقيقا لموسم البذر والزرع.

ولا يتضح هذا المعنى للإنسان اتضاحا تاما لو قيل له إن الخالق جل جلاله يثيب كلا أو يعاقبه حسب ما استقر في علمه عز وجل من سابق كسبه وأعماله، دون أن يطلعه على تلك الأعمال ويذكره بها ويضعها ماثلة بين عينيه ليقارن بينها وبين نتيجتها الماثلة أيضا أمامه في ذلك اليوم، فلذلك اقتضت

---

(١) سورة غافر: الآية ١٩.

حكمة الله تعالى أن يقام للأعمال ميزان حسي[(١)].

إذن حكمة الميزان دليل جسمانيته المتمثلة بإظهار العدل الآلهي للمخلوق لأن الله سبحانه وتعالى أعلم بأعمال المخلوق بعلمه القديم الأزلي فهو غني عن الميزان، ولن يتم للمخلوق معرفة العدل الآلهي وفضله ورؤيته إلا إذا كان الميزان جسماً محسا.

٢- إن وصف الميزان سبب لردع الإنسان من التمادي في غيه وعصيانه وانتهاكه لحرمات الله عز وجل، فوقوف الإنسان في تلك الساعة أمام الميزان الآلهي العادل، وجهاً لوجه، يراقب حسناته في كفته اليمنى، وينظر إلى سيئاته في كفته اليسرى، والأهوال المخيفة تحيط به من حوله، والزبانية من خلفه ينتظرون نتيجة الميزان، وينظرون، وهناك أصوات مرعبة، وصيحات العذاب المخيفة، ونيران تلتهب، وسياط تضرب، وظلمات حانكة، كتل نارية تتساقط، وخوف قاتل، وقلق مخيف، وانتظار مميت.

إنه مشهد خطير حقا، ووقوف مذعر فعلا عندما يقفه الإنسان ليسمع العدل والقضاء، فالإيمان بالميزان وهو ظاهر للناس في هذه الصورة يردعهم عن القدوم على شرب الخمر وسرقة الأموال وسفك الدماء وسائر المعاصي والمظالم الأخرى، ودوام تذكره وهو بهذه الرؤية يدفعهم إلى الصالحات من الأعمال، فهو اذن منهج قويم لتقويم أخلاق المجتمع وتصرفات أبنائه في كل زمان ومكان.

قال القاضي عبد الجبار: [وإن المرء مع علمه أن أعماله توزن على الملأ، كان عندئذٍ أقرب إلى اداء الواجبات واجتناب المقبحات وهذه فائدة عظيمة][(٢)].

٣- إن لله عز وجل حكمة عظيمة في نصبه يوم القيامة، من أعظمها وأجلها إظهار أقصى كمال عدله عز وجل بين عباده حتى لا يساوي المحسن بالمسيء وليظهر التفاوت بين البشر جليا واضحا، يقتنع كل مخلوق بذلك

---

(١) ينظر كبرى اليقينيات الكونية للدكتور محمد سعيد البوطي: ٣٥٢.

(٢) شرح الأصول الخمسة: ٧٣٦.

كما يقتنعون بما يرجحه الميزان في الدنيا، ويقتنعون بما يعلمونه من أعمالهم، فلا تبقى حجة ولا اعتراض لمعترض، ولله الحكمة البالغة.

وذكر الثعلبي في بيان حكمة الله في اقامة الميزان قائلا: [تعريف الله عباده عدد مالهم عنده من الجزاء من خير أو شر][(١)].

وقال الشيخ مرعي -فيما ينسبه إليه السفاريني-: [بل الحكمة فيه: إظهار العدل وبيان الفضل، حيث أنه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[(٢)]][(٣)].

وبين البرديسي رأيه في حكمة الميزان قائلاً: [وحكمة الوزن ليبين ما يستحقه من العذاب وما يكون فيه من درجات الجنة][(٤)]، فهي فائدة عظيمة في تعجيل مسرة المؤمن وغم الكافر يوم القيامة[(٥)].

والخلاصة: ان حكمة الوزن تكون أعظم مظهر لعدل الله تعالى ولعلمه وحكمته وعظمته في ذلك اليوم العظيم، إذ يرى فيه عباده افراداً وشعوباً وأمما ذلك باعينهم ويعرفونه معرفة ادراك ووجدان في أنفسهم، وهم يرون بأعينهم رجحان الكفتين إما إلى خير وإما إلى شر، فياله من مظهر رهيب، وما أشد غفلة من قال: [إنه لا حاجة إليه للاستغناء بعلم الله عنه][(٦)].

ومهما قيل في الحكمة فإن الأمر لا يزال يتطلب الإيمان الكامل بأن وزن الأعمال هو عين الحكمة، وأن هذه مجرد استنباطات للعلماء، وتبقى حقيقة علم ذلك إلى الله وحده.

المبحث الخامس

لمن ينصب الميزان وما هي مرجحاته

لو جئنا ندرس هذه المسألة دراسة علمية دقيقة، ونلقي عليها نظرة عقلية

---

(١) لوامع الأنوار: ٢/ ١٨٨.
(٢) سورة النساء: الآية ٤٠.
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ١٨٩، والآية ٤٠ من سورة النساء.
(٤) تكملة شرح الصدور: ٢٩.
(٥) ينظر شرح الأصول الخمسة: ٧٣٦.
(٦) تفسير المنار: ٨/ ٣٢٥.

فاحصة، مع التجرد الكامل وعدم الميل إلى قول معين، للاحظنا أن الظواهر من النصوص من القرآن الكريم وسنة حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ تشير إلى أن كل عبد لابد من إقامة الميزان له، غير أن في بعض الروايات ما يفيد اختصاص طوائف من البشر بعدم إقامة الميزان لهم، إما إكراماً وإظهاراً لشرفهم وفضلهم، وإما إظهاراً لذلهم وخزيهم.

قال الإمام القرطبي: [والميزان حق، ولا يكون في حق كل واحد][1] ودليله لهذا بما ورد في حديث الشفاعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: [فيقول يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة][2].

وبين ذلك بقوله: [وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر ممن خلط عملا صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين، وقد يكون للكافرين على ما تقدم ويأتي، فإذا كان هؤلاء لا يحاسبون فمن باب أولى أن لا يقام لهم ميزان][3].

وأوضح البرديسي قائلاً: [لا يكون لكل أحد، فمن يدخل الجنة بغير حساب لا يوزن له عمل على أحد القولين، وقيل: إن أهل الصبر لا توزن أعمالهم بل يصب لهم الأجر صبا][4].

وذكر ابن حجر في تعليقه على قول الإمام البخاري رحمه الله: [باب: قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وأن أعمال بني ادم وقولهم يوزن][5] قال البخاري رحمه الله: [إن ظاهرة التعميم، لكنه يخص بطائفتين:

إحداهما: طائفة كفار لم يعملوا حسنة، فإنهم يقعون في النار من غير حساب ولا ميزان.

والأخرى: وطائفة مؤمنون بسيئات لهم، ولهم حسنات كثيرة زائدة على

(١) التذكرة: ٣٨٥.
(٢) صحيح الإمام البخاري: ٨/ ٣٩٥، وصحيح الإمام مسلم: ١/ ٤٦٩.
(٣) التذكرة: ٣٧٥.
(٤) تكملة شرح الصدور: ١٥.
(٥) فتح الباري: ١٣/ ٥٣٨.

محض الإيمان، وهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب، كالسبعين الألف، ومن شاء الله أن يلحقهم بهم، وهم الذين يمرون على الصراط كالبرق الخاطف، وكالريح وكأجاويد الخيل][١].

قال ابن حجر: [ومن عدا هذين من الكفار والمؤمنين يحاسبون، وتعرض أعمالهم على الموازين][٢].

فعن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل الف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثياته»[٣] نسأل الله تعالى بجاه نبيه ﷺ أن يجعلنا منهم إنه سميع مجيب الدعاء.

وهناك أقوام لا يرفع لهم ميزان ولا توزن لهم أعمال ولا يؤتون صحفا، وإنما هي براءات مكتوبة فيها «لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ» هذه براءة فلان ابن فلان قد غفر له وسعد سعاده لا يشقى بعدها، فما مر عليه شيء أسر من ذلك المقام[٤]. بدلالة قوله ﷺ: «وعدني ربي أن لا يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا» الذي رواه سيدنا أبو أمامة ﷺ[٥].

وذكر القرطبي فيما يعزوه إلى أهل العلم أن الناس في الآخرة ينقسمون إلى ثلاث طبقات:

١- متقون لا كبائر لهم.

٢- مخلطون، وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر.

٣- كفار.

---

(١) صحيح الإمام البخاري: ١٣/ ٥٣٧.

(٢) فتح الباري: ١٣/ ٥٢٨.

(٣) صحيح الإمام مسلم: ١/ ١٣٦ بالفاظ متقاربة، وسنن الترمذي: ٤/ ٥٤٠ والتاج الجامع للأصول: ٥/ ٣٧٣.

(٤) التذكرة: ٢/ ٣٢٠ وينظر اعداد الانسان للآخرة: ١١٣.

(٥) صحيح الإمام مسلم: ١/ ١٣٦ بالفاظ متقاربة، وسنن الترمذي: ٤/ ٥٤٠ والجامع للأصول: ٥/ ٣٧٣.

فأما المتقون: فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، وصغائرهم إن كانت لهم في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا، وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح وترتفع ارتفاع الفارغ الخالي.

وأما المخلطون: فحسناتهم توضع في الكفة النيرة، وسيئاتهم في الكفة المظلمة، ويكون لكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل بصؤابة[1] دخل الجنة وأن كانت السيئات اثقل ولو بصؤابة دخل النار، إلا أن يعفو الله، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف، هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين الله، وأما إن كانت عليه تبعات، وكانت له حسنات كثيرة، فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات لكثرة ما عليه من التبعات، فيحمل عليه من أوزار من ظلمهم، ثم يعذب على الجميع، هذا ما تقتضيه الأخبار[2].

ثم ذكر تقسيما آخر لأحمدَ بن حرب وهو قوله: [تبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق:

١- فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة.

٢- وفرقة فقراء.

٣- وفرقة أغنياء، ثم يصيرون فقراء مفاليس في شأن التبعات][3].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: [إنك إن تلق الله عز وجل بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه، اهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد][4].

قال الدكتور غالب عواجي: [ونذكر هنا أخباراً لم أجد نصاً صحيحاً يثبتها في عدم إقامة الميزان لأهل البلاء في الدنيا، نذكرها للتنبيه عليها وعدم الاغترار بخبر لم يقله الصادق المصدوق ﷺ ومن تلك الأخبار ما يلي:

١- روى عن النبي ﷺ أنه قال: «تنصب الموازين يوم القيامة، فيؤتى بأهل

(١) الصؤابه: بالهمزة: بيضة القملة، ينظر مختار الصحاح: ٢٨٠.
(٢) ينظر التذكرة: ٣١٤.
(٣) المصدر نفسه: ٣١٤.
(٤) الحياة الآخرة: ٣/ ١١٧٢.

الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصيام، فيوفون أجورهم بالموازين، -ثم ذكر أهل الصدقة والحج كذلك إلى أن قال: «ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، وينصب عليهم الأجر صباً بغير حساب»[١].

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب... ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، فيصب لهم الأجر صباً، حتى إن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسامهم قرضت بالمقاريض لما يرون من حسن ثواب الله تعالى لهم»[٢]][٣].

قلت: لعله يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٤]. أي بمعنى: إنما يعطى الصابرون جزائهم بغير حصر، وبدون عدد أو وزن والله أعلم[٥].

قال الأوزاعي رحمه الله: [ليس يوزن لهم ولا يكال إنما يُغرف غرفا][٦].

وزن أعمال الكفار

فإن قيل: هل توزن أعمال الكفار يوم القيامة؟

يجاب عنه: سبقت الإشارة إلى أن عتاة الكفار الذين لا خير معهم لا ينصب لهم ميزان ولا يقفون لحساب. وإذا كان المراد من الميزان تقابل

---

(١) ذكره القرطبي في التذكره: ٣١١ وعزاه للقاضي البلوطي وذكره الحنبلي في تسلية أهل المصائب وعزاه إلى منجويه في تفسيره.

(٢) ذكره القرطبي وعزاه إلى أبي نعيم في الحلية، وقد ذكر القرطبي في التذكرة: ٣١١ بانه حديث غريب من حديث جابر الجعفي وقتادة، وتفرد به قتاده عن جابر عن ابن عباس عن مجاعة بن الزبير.

(٣) ينظر الحياة الاخرة: ٣/ ١١٤٠.

(٤) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٥) ينظر تفسير الرازي: ٢٦/ ٢٥٠. والقرطبي: ١٥/ ٢٤٢. والتسهيل: ٣/ ١٩٢. وحاشية الصاوي ٣/٣٦٨.

(٦) تفسير ابن كثير: ٣/ ٢١٥.

حسنات العبد بسيئاته ليكون المصير بعد ذلك حسب نتيجة الوزن، فما الذي يوجد مع الكافر حتى ينصب له الميزان، فتقابل حسناته بسيئاته ليتبين مقادير كل منهما؟ فهو لا حسنات له، إذ ان كفتي ميزانه قد شغلت كلها بالسيئات، فهل يعني هذا أنه لا ينصب له ميزان البتة؟ أم أنه ينصب له باعتبار ما قد يوجد عنده من الحسنات، كالتصدق وصلة الرحم، وما إلى ذلك من أعمال البر؟

والحق أن أقوال العلماء قد اختلفت حول هذه المسألة، بعضهم يقول: لا توزن، وبعضهم يقول: توزن، والمسألة فيما يظهر قابلة لكل الاحتمالات.

قال القرطبي رحمه الله: [إنما توزن أعمال المؤمن المتقي لإظهار فضله، كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذله، فإن أعماله توزن تبكيتا له على فراغه وخلوه عن كل خير، وكذلك توزن أعمال المتقي تسحينا لحاله، وإشارة لخلوه من كل شر، وتزينا لامره على رؤوس الأشهاد][١].

وقد وجه القول في وزن الله عز وجل لأعمال الكفار وعدم وزنها لها بوجهين:

أحدهما: أن الكافر يحضر له ميزان، فيوضع كفره وسيئاته في إحدى كفتيه ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى، فلا يجدها، فيشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة، فذلك خفة ميزانه، وهذا ظاهر الآية لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة، لا الموزون، وإذا كان فارغاً فهو خفيف.

الثاني: إن الكافر يكون منه صلة الأرحام، ومواساة الناس، وعتق المملوك نحوها مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة، فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع في ميزانه، غير أن الكافر إذا قابلها رجح بها، ولم يخل من ان يكون الجانب الذي فيه الخيرات من ميزانه حفيفا، ولو لم يكن له إلا خيرًا واحدًا أو حبة واحدة لأحضرت ووزنت كما ذكرنا][٢].

---

(١) التذكرة: ٣١٥.
(٢) التذكرة: ٣١٢.

ويجزم بعض العلماء بالقول: بعدم وزن الله تعالى أعمال الكفار، وأن الوزن خاص بالمؤمنين. ويستدلون على هذا بقوله سبحانه وتعالى:

١ـ ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[(١)].

٢ ـ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[(٢)].

٣ ـ ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[(٣)].

وفي هذا يقول السفاريني: [والحق أن الكفار لا يقيم الله لهم وزنا لقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾][(٤)].

٤ ـ وقال محمد رشيد رضا: [لكن بعض العلماء يقولون إن الوزن للمؤمنين خاصة لأنه تعالى قال في الكفار: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾][(٥)].

٥ ـ وظاهر رأي ابن تيمية: القول بعدم وزن أعمال الكفار، وهذا في قوله: [وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها، ويجزون بها][(٦)].

وهذا غير مسلم عند من يقول بوزن الله تعالى أعمالهم ويجيبون بما يلي:

١- أما قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ فإن المراد من الآية أي: لا نجعل لهم مقدارا واعتبارا[(٧)]، أو أنه تعالى لا يقيم لهم وزنا نافعا كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: كالهباء في عدم نفعه وحصول فائدته[(٨)].

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٢٣.
(٢) سورة ابراهيم: الآية ١٨.
(٣) سورة الكهف: الآية ١٠٥.
(٤) لوامع الأنوار: ٢/ ١٨٥.
(٥) تفسير المنار: ٨/ ٣٢٠.
(٦) شرح العقيدة الواسطية: ١٢٥.
(٧) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٣٧ ولسان العرب مادة وزن: ١٧/ ٣٣٨ و ٣٣٩.
(٨) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٥.

وقال محمد رشيد رضا في رده على من يمنع وزن أعمال الكفار: [أما قولهم بعدم وزن أعمالهم استنادا لقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ إن الوزن هنا يراد به القدر، أي أنه لا يكون لهم قيمة ولا قدر][1]. وذكر استدلال المثبتين بقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[2].

وقد استغرب محمد رشيد رضا قول ابن تيمية رحمه الله، واعتبره سهواً منه، سببه ما كان عالقا في ذهنه من أقوال الذين يذهبون إلى عدم وزن أعمال الكفار يقول: [ومن المستغرب أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال -بما ذكرنا آنفا- (ان الكفار لا يحاسبون محاسبة... إلى قوله ويجوزن بها].

وقال: يرد عليه: [وما من كافر إلا له حسنات، ولكن الكفر يحبطها فتكون هباءً منثورا، وهي تحص مع السيئات، وتضبط بالوزن الذي به يظهر مقدار الجزاء وتفاوتهم فيه، واستدلوا على تخفيف العذاب عن الكافر بسبب عمله الصالح بما ورد في الصحيح من التخفيف عن أبي طالب][3]... إلى آخر كلامه في الاحتجاج على وزن أعمال الكفار، وأن لهم حسنات يجازون بها في الآخرة، بالتخفيف عنهم، وعدم تساويهم في العذاب، وهذا الذي أرجحه والله أعلم.

وقال الهراس: [والصحيح أن أعمال الخير التي يعملها الكافر يجازى بها في الدنيا فقط، حتى إذا جاء يوم القيامة وجد صحيفة حسناته بيضاء، وقيل يخفف بها عنه من عذاب غير الكفر][4].

ولعله يشير بهذا إلى ما جاء في السنة النبوية من أن الكافر يطعم بحسنات ما قدم في الدنيا، حتى إذا جاء يوم القيامة لم يجد له حسنة، كما جاء في صحيح مسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يظلم

(١) تفسير المنار: /٣٢٠.
(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ١٠٢-١٠٣.
(٣) تفسير المنار: ٨/ ٣٢٠-٣٢١.
(٤) شرح العقيدة الواسطية: ١٢٥.

مؤمنا حسنة، يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا افضى إلى الآخرة لم تكن له حسنات يجزى بها»(١).

وقال الإمام النووي رحمه الله: [أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقربا إلى الله تعالى، وصرح في هذا الحديث بأنه يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي بما فعله متقربا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم، والصدقة، والعتق، والضيافة، وتسهيل الخيرات، ونحوها، وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثوابه إلى الآخرة، ويجزى مع ذلك أيضا في الدنيا، ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده](٢).

وقال: [ومعنى قوله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة» أي: لا يترك مجازاته بشيء من حسناته](٣).

وعلق محمد رضا على هذا الحديث بقوله: [لا يمنع وزنها في الآخرة وأن لا يكون لها مع الكفر والسيئات دخل في رجحان موازينهم](٤).

وجاء أيضا: أن رسول الله ﷺ سئل عن عبد الله بن جدعان، وقيل له: أنه كان يقرى، ويصل الرحم، ويعين في النوائب، فهل ينفعه ذلك؟ فقال: «لا، لأنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».

وسأله عدي بن حاتم عن ابيه مثل ذلك، فقال ﷺ: «إن أباك طلب امرأً فأدركه»(٥).

وأجاب القرطبي رحمه الله على الحديثين آنفاً بقوله: [بأن ذلك يطلق على

---

(١) صحيح الإمام مسلم: ٥/ ٦٧٣ وجاء الحديث تحت الترجمة: (باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا).
(٢) شرح النووي لمسلم: ٥/ ٦٧٤.
(٣) المصدر نفسه: ٥/ ٦٧٤.
(٤) تفسير المنار: ٨/ ٣٢١.
(٥) تفسير المنار: ٨/ ٣٢١.

التخفيف من العذاب، وأنهما لا يدخلان الجنة، لأن الله لا يجازيهما بحسناتهما، فقد قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ ولم يفصل بين نفس ونفس، فخيرات الكافر توزن ويعزى بها، لأن الله تعالى حرم عليه الجنة، فجزاؤه ان يخفف عنه، بدليل حديث أبي طالب، فإنه قيل له: يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ فقال ﷺ: «نعم، وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» وما قاله ﷺ في ابن جدعان وحاتم، انما هو في انهما لا يدخلان الجنة ولا يتنعمان بشيء من نعيمها][1].

ولا يلزم من ذلك أن يخفف عن الكافر بحسناته في الدنيا حتماً، فقد يجازيه الله بحسنات ما قدم في الدنيا، وهو الاغلب، للنصوص السابقة، وإذا لم يجازه في الدنيا، فالظاهر ان يجزيه بها في الآخرة التخفيف عنه.

وأما الاستدلال بحديث أبي طالب على عموم الكفار، فإنه لا يدل على أن الكفار يخفف عنهم من عذابها، وإنما ذلك التخفيف خاص بأبي طالب وحده دون سائر الكفار، كما تفيده ظواهر النصوص وأقوال العلماء من أنه قد فاز بشفاعة خير الأنام[2].

ويتبين من هذه الأقوال أن الوزن يكون لأعمال الذين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئا من المؤمنين لينال كل جزاءه، وتوزن أعمال المؤمنين المخلصين المتقين لإظهار شرفهم وفضلهم، وتوزن أعمال الكافرين إظهاراً لخزيهم وذلهم[3].

نصب الموازين

فإن قيل: متى تنصب الموازين؟

يجاب عنه: مما هو معلوم أن الله عز وجل ينصب يوم القيامة الموازين

(١) التذكرة: ٣١٢.
(٢) المصدر نفسه: ٣١٢.
(٣) ينظر اعداد الانسان للاخرة: ١٠٩.

لوزن صحف العباد وذلك لكمال عدله ورحمته بهم، وإذا تقرر هذا فمتى تنصب تلك الموازين؟ وما ترتيبها بالنسبة لمواقف يوم القيامة؟

من المعلوم أيضاً أن الميزان وترتيب عمله يوم القيامة من المسائل الغيبية التي لا مجال للخوض فيها إلا بدليل ثابت عن المصطفى ﷺ، فلا تحتاج إلى أعمال فكر أو إبداء رأي خارج عن نصوص الشريعة الغراء.

وحيث أنه لم يرد نص يبين تلك الأعمال مرتبة، فليس أمامنا هنا إلا ما قاله أهل العلم والمعرفة فيها نذكرها للأستئناس وكما يأتي:

قال القرطبي: [قال العلماء: إذا انقضى الحساب، كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها](١).

وهذا الترتيب مناسب من ناحية الزمن، لأن الله تعالى يحاسب الشخص على أعماله ويقدره بها، ثم بعد ذلك ينصب له الميزان، ليكون نتيجة لتلك المحاسبة، ليطلع الله العبد على مصداق تلك المحاسبة ظاهراً في ميزانه.

وقال البرديسي: [وقت الوزن عند الفراغ من السؤال والحساب](٢).

وقال ما يتعلق بترتيب الميزان والحساب، وهناك مسألة أخرى تتعلق بترتيب الميزان بالنسبة للحوض، هل هو قبله أم بعده؟ وقد ذكرنا في الفصل الأول من الرسالة، ونشير هنا إلى أن هناك خلافاً في المسألة فقيل الميزان قبل، وقيل الحوض قبل.

والظاهر من النصوص أن الحوض قبل الميزان، وهو ما يقتضيه الحال، ولهذا يقول أبو الحسن القابسي: [والصحيح أن الحوض قبل](٣).

وقال القرطبي: [والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيقدم الحوض على الصراط والميزان](٤).

---

(١) التذكرة: ٣٠٩.
(٢) تكملة شرح الصدور: ٢٩.
(٣) يوم الفزع الأكبر: ٢٧٦.
(٤) المصدر نفسه: ٢٧٧.

ومعلوم أنه ليس بعد الحساب والميزان إلا النتيجة النهائية لكلا الفريقين ولا يتصور أن يؤخر الحوض بعد الميزان إلا عند القائلين بوجود حوضين: أحدهما قبل الصراط، والآخر بعده، وقد بينا ذلك في الفصل الأول بما يكفي، والفضل لله عز وجل على ما انعم وبارك.

مرجحات الميزان

فإن قيل: وما هي مرجحات الميزان؟

يجاب عنه: من البديهي معرفة أن مرجحات الميزان في يوم القيامة هو العمل الصالح، والتقرب إلى الله بالأفعال الطيبة، وفق ما أمر به سبحانه أو أمر به نبيه الكريم المبارك ﷺ.

ومن المعلوم أن الأعمال الصالحة كثيرة متنوعة يطول تعدادها، وأن كان بعض العلماء قد ذكر اشياء في ذلك على انها مرجحات للميزان، مثل ما ذكر البرديسي في قوله: [للميزان مرجحات كثيرة منها: قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، لحديث البطاقة المشهور المتقدم][١].

- فلا يثقل الميزان إلا بالحسنات والأعمال الصالحة، فإن بها صلاح النفس وصلاح الأهل وصلاح المجتمع، وبها يصلح الإنسان لأن يدخل في حضرة الله تعالى وأن يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، ويكون في جنة الله عز وجل، ويحل في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ومن جملة الحسنات المثقلة للميزان: الإكثار من التسبيح والتحميد وفي الحديث الشريف قال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٢].

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بخ بخ خمس ما أثقلهن في الميزان، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه»[٣].

---

(١) تكملة شرح الصدور: ٣٢.

(٢) صحيح الإمام البخاري: ١٣/ ٥٣٧، وصحيح الإمام مسلم: ٥/ ٥٤٨.

(٣) رواه النسائي في سننه: ٣/ ٢١ وابن حبان في صحيحه، والإمام أحمد في مسنده: ٣/ ٣٤٤.

وما رواه عبد الله بن عمرو أنه ﷺ قال: «. . .وإذا أخذت مضجعك تسبحه وتحمده مائة فتلك مائة باللسان وألف بالميزان. . . الخ الحديث»[١].

- مما يثقل الميزان: حسن الخلق وطول الصمت، فعن أنس ﷺ قال: لقي رسول الله ﷺ أبا ذر فقال: «ألا ادلك على خصلتين: هما خفيفتان على الظهر واثقل في الميزان من غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: «عليك بحسن الخلق وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما»[٢].

- وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من شيء يوضع في الميزان يوم القيامة اثقل من خلق حسن»[٣].

- ومما يثقل الميزان: قضاء حاجة المسلم، ففي الحديث الشريف: «من قضى لأخيه المسلم حاجة، كنت واقفاً عند ميزانه يوم القيامة. فإن رجح والإ شفعت له»[٤].

- ومما يثقل به الميزان أيضا: كثرة الدعاء فعن أبي الأزهر قال: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «بسم الله، وضعت جنبي لله، اللهم اغفر لي ذنبي، واخسئ شيطاني، وفك رهاني، وثقل ميزاني، واجعلني في النديَّ الأعلى»[٥].

-ومما يثقل به الميزان قراءة القرآن وتعليم الناس الخير ومداد العلماء وأثر العلم النافع، فقد أخرج ابن عبد البر عن إبراهيم النخعي رحمهما الله قال: [يجاء

---

(١) سنن الترمذي: ٥/٤٧٨ وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه: ١/٢٩٩، وأبو داود: ٢/٧١١ وتحفة الاحوذي ٩/٣٥٦.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا والبزار وأبو يعلى والطبراني والبيهقي بسند حسن، الإيمان بعوالم الآخرة: ٢٩٠.

(٣) أخرجه الترمذي: ٤/٣٦٣ وقال: حديث حسن صحيح وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٦/٤٤٢.

(٤) قال القرطبي في التذكرة: ذكره ابو نعيم الحافظ باسناده من حديث مالك بن انس والعمري عن نافع عن ابن عمر.

(٥) الدر المنثور: ١/١٥.

بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه فترجح كفته، فيقال له: اتدري ما هذا؟ فيقول: لا، فيقال له: هذا فضل العلم الذي كنت تعلمه الناس][١].

- وأخرج عبد الله بن المبارك في الزهد عن حماد بن أبي سليمان رحمهما الله قال: [يجيء رجل يوم القيامة فيرى عمله محضرا، فبينما هو كذلك إذ جاءه مثل السحاب حتى يقع في ميزانه فيقال له: هذا ما كنت تعلم الناس من الخير فورث بعدك فأجرت فيه][٢].

-ومما يثقل به الميزان النفقة على الأهل، فعن جابر ﵁ عن النبي ﷺ قال: «أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله»[٣] يعني: أنه يؤجره الله تعالى عليها إذ أنفقها على أهله وهو يحتسبها كما ورد.

-ومما يثقل به الميزان الصلاة على خير الأنام ومصباح الظلام رسول الله الملك العليم العلام عليه من الله أفضل الصلاة وأتم السلام، فقد ذكر العلامة الآلوسي رحمه الله في تفسيره حديثاً أخرجه ابن أبي الدنيا والنميري في كتاب الأعلام عن سيدنا عبد الله بن عمرو أيضا قال: [ان لآدم ﵇ من الله عز وجل موقفا في فسح من العرش عليه ثوبان أخضران، كأنه نخلة سحوق، ينظر إلى من ينطلق به من ولده إلى الجنة، ومن ينطلق به إلى النار، فبينا آدم على ذلك، إذ نظر إلى رجل من أمة محمد ﷺ - ينطلق به إلى النار، فينادي آدم ﵇: يا محمد يا أحمد، فيقول عليه الصلاة والسلام: لبيك يا أبا البشر، فيقول: هذا رجل من أمتك ينطلق به إلى النار، قال ﷺ: فأشد المئزر وأسرع في أثر الملائكة فأقول: يا رسل ربي قفوا، فيقولون: نحن الغلاظ الشداد الذين لا نعصي الله تعالى ما أمرنا ونفعل ما نؤمر.

فإذا أيس النبي ﷺ -قبض على لحيته بيده اليسرى، واستقبل العرش بوجهه، فيقول: يا رب قد وعدتني أن لا تخزيني في أمتي، فيأتي النداء من

(١) المصدر نفسه: ١/ ١٦.
(٢) المصدر نفسه: ١/ ١٦.
(٣) رواه الطبراني في الاوسط: ١/ ٢٢٣.

قبل العرش: أطيعوا محمدا، وردوا هذا العبد إلى المقام، فيخرج ﷺ بطاقة بيضاء كالأنملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى وهو يقول: بسم الله، فترجح الحسنات على السيئات، فينادي المنادي: سَعُدَ وسَعَدَ جده وثقلت موازينه، انطلقوا به إلى الجنة، فيقول العبد: يا رسل ربي، قفوا حتى اسأل هذا العبد الكريم على ربه، فيقول العبد: بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وأحسن خلقك، من أنت، فقد أقلت عثرتي، ورحمت عبرتي، فيقول ﷺ: أنا نبيك محمد، وهذه صلاتك التي كنت تصلي بها عليَّ، وفيتكها أحوج ما تكون إليه][1].

اللهم فصلي وسلم وبارك على حبيبك سيدنا محمد خاتم أنبيائك ورسلك صاحب الحكمة والشريعة الهادي بأمرك إلى التماس حبك ومرضاتك صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات، من جميع الخيرات، في الحياة وبعد الممات، وتغفر لنا بها جميع الذنوب والسيئات، وعلى آله وصحبه ما دامت الأرض والسماوات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات.

- ومما يثقل الميزان زيارة النبي المصطفى ﷺ: لأنها من أعظم القربات وأفضل المندوبات وأشرف الغايات وأجل الطاعات وأقرب الموصلات، وكيف لا تكون كذلك، وقد ضم هذا الضريح المبارك جسده الشريف وحوى بدنه الطاهر فهو خير البقاع وأفضلها، وأن المسلمين يزورونه ﷺ طمعاً في شفاعته ومحبته ومجاورته، وهم يعبدون الله عز وجل ويتوسلون بأحب خلقه إليه، كيف لا وهو السيد الأكرم والشفيع المعظم وهو وسيلتهم إليه جل جلاله وعم نواله ووسيلة أبيهم آدم عليه السلام من قبلهم[2].

وانشد الإمام ابن القيم رحمه الله ونفعنا والمسلمين من بركات علومه

---

(١) تفسير الالوسي: ٧/ ٨٣، وذكره القشيري وكذا القرطبي في تفسيره: ٧/ ١٦٧ وفي التذكرة: ٣١١.

(٢) ينظر: كتاب الشفا: ٣٠٢ وشرح الشفا: ٣/ ٣٩٨ وفتح الباري: ٣/ ٦٦ وكشاف القناع: ٢/ ٥٩٨ والمغني لابن قدامة: ٣/ ٥٥٦ والمدارك للقاضي: ٧٢ وصحيح مسلم بشرح النووي: ٩/ ١٠٦.

الشريفة في قصيدته النونية أبياتاً كريمات:

فإذا أتينا المسجد النبوي صلـ ـينا التحية أولاً ثنتانِ
بتمام أركان لها وخشوعها وحضور قلب فعل ذي الإحسانِ
ثم أنثنينا للزيارة نقصد الـ ـقبر الشريف ولو على الأجفانِ
فنقوم دون القبر وقفة خاضع متذلل في السر والإعلانِ
فكأنه في القبر حي ناطق فالواقفون نواكس الأذقانِ
ملكتهم تلك المهابة فاعترت تلك القوائم كثرة الرجفانِ
وتفجرت تلك العيون بمائِها ولطالما غاضت على الأزمانِ
وأتى المسلمُ بالسلامِ بهيبةٍ ووقارِ ذي علم وذي إيمانِ
لم يرفعَ الأصواتَ حول ضريحه كلا ولم يسجد على الأذقانِ
هذي زيارةُ من غدا متمسكاً بشريعةِ الإسلامِ والإيمانِ
من أفضل الأعمالِ هاتيكَ الزيارة وهي يوم الحشر في الميزانِ[1].

وتدبر رحمك الله قوله الشريف: [من أفضل الأعمال هاتيك الزيارة] وأظن بعض العيون تتعامى عن قراءتها فأنكرتها على الناس، تريد بذلك حرمانهم من قوله: [وهي يوم الحشر في الميزان] فأخذوا يقولون "انها مفسدة راجحة"[2] تعالى الله عز وجل عما يقولون، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم، فاؤلئك الذين أساؤوا الأدب مع الحبيب ﷺ فحبط عملهم، يريدون بذلك حرمان هذه الأمة من هذه النعمة الكبرى، اللهم ارزقنا زيارته ومحبته ومجاورته انك سميع مجيب.

-ومما يثقل به الميزان يوم القيامة اتباع الحق والأمر بالعدل واجتناب الباطل ويشير إلى ذلك ما جاء في وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الفاروق رضي الله عنه حين استخلفه وأوصاه فقال له: [يا عمر إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ، يا عمر إن لله حقاً في الليل ولا يقبله في النهار، وحقاً في النهار ولا يقبله في الليل، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة.

---

(١) القصيدة النونية لابن القيم: ٥١.
(٢) ينظر مناسك الزيارة النبوية: ٧٥.

ألم تر يا عمر إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا حق أن يكون ثقيلا، ألم تر يا عمر إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا الباطل أن يكون خفيفا.

ألم تر يا عمر إنما أُنزلت آية الرجاء مع آية الشدة، وآية الشدة مع آية الرجاء، ليكون المؤمن راغباً راهباً، لا يرغب رغبته يتمنى على الله تعالى ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيديه - أي بأن يقنط من رحمة الله تعالى.

ألم تر يا عمر إنما ذكر الله تعالى أهل النار بسوء أعمالهم فإذا ذكرتهم قلت، إني لأرجو أن لا أكون منهم، وإنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز عما كان من سيء، فإذا ذكرتهم قلت: أين عملي من عملهم، أي فتنظر إلى تقاصر أعمالك بالنسبة لأعمالهم ولكنك ترجو من الله أن يجعلك منهم ويكرمك بما أكرمك][1].

-وقال البرديسي: [ومن مرجحات الميزان إجمالاً قراءة القرآن وتعليم الناس الخير ومداد العلماء، واتباع الجنائز، والولد يموت للإنسان فيحتسبه، والصلاة على النبي ﷺ وكثرة الاستغفار، والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، والصدقة وتخفيف العمل على الخادم، والأضحية، وإهالة التراب على قبر المسلم، ورجحان الميزان في الدنيا، كما وردت بذلك كله الأحاديث][2].

وكل هذه المسائل التي ذكرها البرديسي وغيرها مما لم يذكره يشملها كلها وجود العمل الصالح فهو الذي عليه مدار الثقل والخفة.

المبحث السادس

وزن أعمال الجن وتعدد الموازين

إن المتابع لآيات الله عز وجل وسنة نبيه الكريم المبارك ﷺ يجدها قد

(١) الإيمان بعوالم الآخرة: ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) تكملة شرح الصدور: ٣٨ وينظر لباب البحث في شرح كتاب البعث: ١٨٣.

فصلت وبينت جميع الأحكام الدنيوية والآخروية للمكلفين، وأنها تشمل جميع أحوالهم منذ وجودهم على الأرض حتى دخولهم الجنة أو النار مرورا بحياة البرزخ، فهي بذلك عامة شاملة، وبما أننا فصلنا ذلك فيما يخص النوع الثاني من المكلفين وذكرنا أحوالهم عند الحوض والصراط والميزان، فلابد من تسليط الضوء على النوع الأول من المكلفين وتفقد أحوالهم في تلك المواقف، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(١) ولأجل ما يتعلق بالجن من أحكام الآخرة، ربنا عليك توكلنا وإليك المصير.

فإن قيل من هم الجن وما هي أدلة وجودهم؟

الجن لغة

له عدة معان تدور أكثرها حول الاستتار والاختفاء، قال الليث: [الجن جماعة ولد الجان وجمعهم الجنة](٢).

والجان هو أبو الجن، خلق من نار، ثم خلق منه نسله، ويطلق الجان أيضاً على الحية البيضاء الكبيرة، ويقال لكل ما ستر: قد جنّ وقد أجنّ، وقد سموا جناً لأنهم أستجنوا من الناس فلا يرون، أو لأنها تتقى ولا ترى(٣).

وقال الراغب: [أصل الجن، ستر الشيء عن الحاسة، يقال: جنة الليل وأجنة وجن عليه فجنه ستره](٤).

الجن اصطلاحا

قال الراغب: [الجن على وجهين:

الأول: للروحانيين: المستترة عن الحواس كلها بازاء الإنس، فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين، فكل ملائكة جن، وليس كل جن ملائكة، وعلى هذا قال أبو صالح: الملائكة كلها جن.

الثاني: بل الجن بعض الروحانيين، وذلك أن الروحانيين ثلاثة: أخيار

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.
(٢) ينظر تهذيب اللغة للازهري: ١٠/ ٤٩٦ والمغرب في ترتيب العرب ١/ ١٦٦.
(٣) ينظر القاموس المحيط: ٤/ ٢١٢ والصحاح: ٥/ ٢٩٣، والمفردات: ٩٨.
(٤) المفردات: ٩٨.

وهم الملائكة، وأشرار وهم الشياطين، وأوساط فيهم أخيارا وأشرار وهم الجن][(١)].

ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾[(٢)] وقوله عز وجل: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ۝١١﴾[(٣)] وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝١٤﴾[(٤)].

أدلة وجود الجن

الأدلة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ﷺ على وجود الجن كثيرة جدا، وقد اقتضت حكمة الباري عز وجل أن الإنس لا يشاهدونهم، مع وجودهم وكثرتهم[(٥)]، وقد استفاضت النصوص بذكرهم، وهم عالم وأمم، لا يعلم بتفاصيل أحوالهم وأشكالهم إلا الله سبحانه وتعالى ولهم قوة على الشكل والتخييل، والغرض هو إثبات وجودهم، واشتراكهم مع الإنس في جميع التكاليف الدنيوية، ثم بيان أحكامهم في الآخرة بالنسبة لما قدمنا من الفصول.

١- الأدلة من القرآن الكريم

قال تعالى في بيان وجود الجن، وأصل خلقتهم، وأنها من النار: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ۝٢٧﴾[(٦)] وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥﴾[(٧)].

وقد بين سبحانه سبب خلقه لهم فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[(٨)].

---

(١) المفردات: ٩٩.
(٢) سورة الجن: الآيتان: ١-٢.
(٣) سورة الجن: الآية ١١.
(٤) سورة الجن: الآية ١٤.
(٥) ينظر حياة البرزخ في الفكر الإسلامي: ١٤٥.
(٦) سورة الحجر: الآية ٢٧.
(٧) سورة الرحمن: الآية ١٥.
(٨) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

وقال تعالى في شأنهم يوم القيامة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾(١) وقوله عز وجل: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾(٣) وقوله تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾(٥) أي علمت الجن ان الذين ينسبون إلى الله تعالى البنات انهم لمحضرون في العذاب يوم القيامة لكفرهم وضلالهم(٦).

فكل هذه الآيات كما هو ظاهر من سياقها تدل دلالة صريحة على أن الجنَّ والإنس حكمهم حكم واحد في الدنيا من ناحية التكليف، وفي الآخرة من ناحية الثواب والعقاب.

أدلة السنة النبوية المباركة على وجودهم:

وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة في شأن الجن، ونشير هنا إلى بعض ما جاء بشأنهم، ومن ذلك:

١- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»(٧).

٢- أخبر ﷺ عن صعود الجن إلى السماء لاستراق السمع ثم منعوا بعد بعثة الرسول ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [وكان الجن يصعدون إلى السماء يسمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا، فأما

(١) سورة الرحمن: الآية ٣٩.
(٢) سورة الانعام: الآية ١٣٠.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.
(٤) سورة هود: الآية ١١٩.
(٥) سورة الصافات: الآية ١٥٨.
(٦) ينظر تفسير ابن السعود: ٤/ ٢٧٨ والتسهيل في علوم التنزيل: ٣/ ١٧٧ وتفسير ابن كثير: ٤/ ٢٣ وحاشية الصاوي على الجلالين: ٣/ ٣٤٨.
(٧) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ٢٢٩٤.

الكلمة فتكون حقا، وأما ما زاد فيكون باطلا، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس. . .][1].

٣- وعن وفودهم وإسلامهم وطعامهم أخبر حضرة النبي ﷺ صاحبه أبا هريرة رضي الله عنه لما سأله عن العظم والروثة فقال: «هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين ونعم الجن، فسألوني الزاد فدعوت الله لهم إلا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعما»[2].

وقال ﷺ في قصة الرجل الذي قتل الجنة ثم مات من وقته: «إن بالمدينة جنّاً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئا فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان»[3].

وقد تبين لنا من عرض الأدلة السابقة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ﷺ أنه لا شك ولا شبهة في وجود الجن وخلقهم، وأن الحكمة من خلقهم هي نفس الحكمة من خلق الإنس إلا وهي العبادة، وإذا كان الله تعالى قد كلفهم بعبادته وتوحيده، فقد اتفقوا مع الإنس في جميع الأحكام الدنيوية والآخروية في باب الثواب والعقاب، وليس لمن ينكرهم أي مستند، لا من العقل، ولا من النقل[4].

وبعد أن انتهينا من ذكر الأدلة على وجود الجن من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ﷺ ومن أقوال أهل العلم، بقي ان نعرف أحكامهم بالنسبة لأمور يوم القيامة.

ومما يجدر بالذكر، أن النصوص تكاد غير موجودة في حد علمي بالنسبة لما ذكر في الجن من الوقوف في المحشر والشفاعة فيهم أو منهم، وكذا وزن أعمالهم ومرورهم على الصراط، وشربهم من الحوض. . . الخ ما ذكرنا من

(١) أخرجه الترمذي في سننه: ٥/ ٤٢٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٢) صحيح الإمام البخاري: ٧/ ١٧١، والروث: هو رجيع ذوات الحوافز ينظر النهاية لابن الاثير: ٢/ ٢٧١.
(٣) صحيح الإمام مسلم: ٤/ ١٧٥٦.
(٤) ينظر نور الايمان: ٣٥ والحياة الآخرة: ٣/ ١١٩٩.

تفاصيل ذلك مع الإنس في الحوض والصراط والميزان، ولعل ذلك يرجع إلى أمور منها:

الأول: إما لأن تلك الأمور تشمل الجن والإنس، فأكتفي بذكر الإنس لشرفهم ولكونهم خلفاء الحق عز وجل في الأرض.

الثاني: أو أن أمرهم في الآخرة يختلف عن أمر البشر في بعض الأمور ولم يتبين التفاصيل الأخرى.

ثالثا: وإما لأن العلم بذلك لا يُبينَ عليه أي تكليف شرعي، ونحن في دار التكاليف لا في غيرها فلا حاجة لنا بتفاصيل ذلك والله أعلم.

وإذا كان الأمر كذلك فإن الوقوف والاكتفاء بالنصوص الواردة فيهم وترك ما قيل من تفصيلات تحتاج إلى إثبات هو الأولى، ويكون ذلك كافيا بالنسبة لأمر الجن وأحكامهم.

أما بالنسبة لموضوع وزن أعمال الجن يوم القيامة، فإننا قد رأينا مما تقدم من النصوص أنهم مكلفون، وأنه يقع عليهم الثواب والعقاب، ومعنى هذا: أنهم يحاسبون شأنهم شأن البشر من بني آدم.

وقد أورد الإمام القرطبي سؤالا قال فيه: [فإن قيل: أخبر الله عن الناس أنهم محاسبون مجزيون، وأخبر أنه يملأ جهنم من الجنةِ والناس أجمعين، ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشيء، فما القول في ذلك عندكم؟ وهل توزن أعمالهم؟][(١)].

وقبل ذكر اجابته، فإن مما يرد على من قال بعدم وزن أعمالهم وحسابهم بحجة أن الله لم يخبر عن ثوابهم وعن حسابهم:

إن الله تعالى أخبر عن ثوابهم وعن حسابهم وسؤاله لهم في آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾[(٢)] فإن مما يستدل به على ثوابهم وعقابهم ووزن أعمالهم وحسابهم، دخولهم في عموم أخبار الله تعالى عنهم في وعده ووعيده.

---

(١) التذكرة: ٣٨١.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٣٩.

قال الإمام الرازي: [لا يسأل أحد عن ذنبه، فلا يقال له: انت المذنب أو غيرك؟ ولا يقال: من المذنب منكم؟ بل يعرفون بسواد وجوههم وغيره][(١)].

وأما إجابة القرطبي في إثبات ثواب الجن ووزن أعمالهم وحسابهم فهو أن الله تعالى لما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[(٢)] دخل في الجملة الجن والإنس، فثبت للجن من وعد الجنة بعموم الآية ما ثبت للإنس، وقال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَـٰسِرِينَ﴾[(٣)] ثم قال سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾[(٤)] إنما أراد: لكل من الجن والإنس فقد ذكروا في الوعد والوعيد.

وأخبر تعالى أن الجن يسألون فقال خبرا عما يقال لهم: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ﴾[(٥)].

وهذا سؤال، وإذا ثبت بعض السؤال ثبت كله... ثم ذكر بعض الآيات التي سبق أن ذكرنا الاستدلال بها... إلى أن قال: [ولما جعل رسول الله ﷺ زادهم كل عظم، وعلف دوابهم كل ورث «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم الجان» فجعلهم إخواننا، وإذا كان كذلك فحكمهم كحكمنا في الآخرة سواء والله أعلم][(٦)].

ونوكل الأمر إلى الله عز وجل لأنه ما زال الأمر مفتقراً إلى دليل صريح في وزن أعمالهم كما توزن أعمال البشر، فإنه تعالى على كل شيء قدير، وعلمه تعالى واسع وإرادته عز وجل عظيمة وأحكامه نافذة، نسأله تعالى العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة إن ربنا سميع الدعاء.

---

(١) تفسير الرازي: ٢٩/١١٨ والقرطبي: ١٧/ ١٧٥ ومختصر ابن كثير: ٣/ ٤٢١.
(٢) سورة هود: الآية ٢٣.
(٣) سورة الاحقاف: الآية ١٨.
(٤) سورة الاحقاف: الآية ١٩.
(٥) سورة الانعام: الآية ١٣٠.
(٦) كتاب آكام المرجان: ٥٥-٥٦.

أما حسابهم يوم القيامة وثوابهم أو عقابهم فقد اختلف العلماء في ذلك على قولين:

الأول: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار، ثم يقال لهم: كونوا ترابا مثل البهائم، وهو قول الإمام أبي حنيفة وحكاه ابن حزم وغيره عنه، وساق ابن أبي الدنيا بسنده إلى ليث بن أبي سليم أنه قال: [ثواب الجن أن يجاروا من النار ثم يقال لهم: كونوا ترابا](١).

الثاني: انهم يثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية، وهو قول ابن أبي ليلى، والإمام مالك، وذكر ذلك مذهباً للأوزاعي وابي يوسف ومحمد، ونقل عن الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل، فقال: [نعم لهم ثواب وعليهم عقاب] وهو قول أصحابهما وأصحاب مالك وهو قول الجمهور بدلالة قول ابن عباس رضي الله عنهما حين سئل: هل لهم ثواب وعليهم عقاب؟

فقال: [نعم، لهم ثواب وعليهم عقاب](٢).

وذكر العلماء أدلة على ثواب الطائعين من الجن وعقاب الكافرين منهم، منها ما ذكره ابن أبي ليلى ان دليل ثواب الجن قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾(٣)، وهو ما قاله أيضا محمد بن رمضان الزيات من علماء المالكية.

وقال مغيث بن سمي: [ما خلق الله تعالى من شيء إلا وهو يسمع زفير جهنم غدوة وعشية، إلا الثقلين الذين عليهم الحساب والعتاب](٤).

وقال الماوردي: [اتفق العلماء على أن الجن يعذبون في الآخرة على المعاصي، قال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(٥)، واختلف في مؤمنهم ومطيعهم، هل يدخل الجنة وينعم فيها مجازاة له على طاعته؟ أم

(١) كتاب آكام المرجان: ٥٥-٥٦.
(٢) كتاب آكام المرجان: ٥٦.
(٣) سورة الاحقاف: الآية ١٩.
(٤) كتاب آكام المرجان: ٥٦.
(٥) سورة هود: الآية ١١٩.

لا يدخلونها بل يكون ثوابهم النجاة من النار، ثم يقال لهم: كونوا ترابا كالبهائم؟ ذهب إلى ذلك جماعة والصحيح: أنهم يدخلونها ويتنعمون فيها بالأكل والشرب وغيرهما، وهو قول الحسن البصري والضحاك ومالك بن أنس وابن أبي ليلى وغيرهم، خلافا لبعض الحنفية كما تقدم][١].

فإن قيل: هل يحشر الجن في الموقف؟

يجاب عنه: إذا كنا أثبتنا وقوف البشر في ساحة المحشر فإن الجن يقفون أيضا مع الإنس، وجاءت الأحاديث الصحيحة مخبرة نزول الحق عز وجل لفصل القضاء وفيها أن الملائكة تحيط بمن في الموقف من الجن والإنس وسائر ما خلق الله دائرة[٢].

ولكن لم يرد أنهم يأتون إلى الأنبياء ويطلبون الشفاعة إلى الله تعالى كما فعلته الإنس، أو انهم يأتون إلى الموقف بالهيئات والحالات التي يأتي بها البشر، على أنه لا يمنع ذلك من حصول هذه الأمور، فربما تكون ثابتة فيهم ولكن لم يذكروا، استغناء بذكر الإنس.

وقد ثبت عن النبي ﷺ شهادة الجن يوم القيامة للمؤذن الذي يرفع صوته للنداء، فقد ورد من حديث ابن أبي صعصعة أن أبا سعيد قال له: [اني اراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في باديتك أو غنمك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا أنس إلا شهد له يوم القيامة، قال أبو سعيد رضي الله عنه: [سمعته من رسول الله ﷺ][٣].

الأول: ان الرؤية مخصوصة بالإنس وهو قول: ابن عبد السلام.

الثاني: ان الجن يرون ربهم، وهو قول: القاضي جلال الدين البلقيني، وابن العماد، والشيخ سراج الدين البلقيني فيما يذكره الشلبي[٤]. وهو الراجح لعموم قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[٥] والله تعالى أعلم.

---

(١) تكملة شرح الصدور: ٤٧-٤٨. (٢) لوامع الأنوار: ٢/ ١٩٠.
(٣) صحيح الإمام البخاري: ٧/ ٨٢ والموطأ للإمام مالك: ٧٦.
(٤) آكام المرجان: ٦٠.
(٥) سورة القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣.

وقد وردت النصوص الصريحة في السنة النبوية في رؤية المؤمنين من البشر له عز وجل، أما رؤية الجن له فلم أجد لها دليلا صريحا والله أعلم.

فإن قيل: هل الجن يشربون من الحوض؟ وهل يجتازون الصراط، وهل يقفون على القنطرة؟

يجاب عنه: لم يتيسر لي الاطلاع على نص يثبت هذه الأمور أو ينفيها، على أنه لا يمنع فيما أرى ان يكون منهم من يشرب من الحوض ومنهم من يذاد عنه خصوصا وانهم مكلفون مثل الإنس، ونبيهم ونبي الإنس واحد وهو سيدنا محمد ﷺ، فإذا كان الله قد أكرم نبيه محمداً ﷺ بهذه الفضيلة له ولاتباعه عموما، فإن الجن حينئذ يدخلون في هذا التكريم، من آمن منهم واستقام، شأنهم شأن الإنس في الشرب والمنع، وكذلك المرور على الصراط والوقوف بالقنطرة، وإعطاء الكتاب باليمين أو الشمال كل هذه الأمور غير مستبعد مشاركتهم الإنس فيها والله أعلم[١].

تعدد الموازين

وبعد مناقشة هذه الأقوال والمسائل تبين لنا أن الإنس والجن توضع لهم الموازين القسط يوم القيامة لوزن أعمالهم بعد المحاسبة لتقدير الجزاء والثواب للطائعين من المؤمنين منهم، والعقاب للعاصين وأهل الآثام والذنوب من الثقلين، فيطرح سؤالا: أهو ميزان واحد اذن في يوم القيامة أم هي موازين متعددة؟

يجاب عنه: هذه المسألة من المسائل التي يجب أن نكل علم حقيقتها إلى الله تعالى، ولأنه لم يثبت بها نص قاطع، فقد صارت مسألة خلافية بين العلماء وقد ذكر الحق عز وجل في القرآن الكريم الميزان بلفظ الجمع فقال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ

(١) الحياة الآخرة: ٣/ ١٠٢٩.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.
(٣) سورة القارعة: الآية ٧.

﴿مَوَازِينُهُۥ. . .﴾[١] إلخ الآية إلى غير ذلك من الآيات.

وجاء في السنة بلفظ الإفراد والجمع وقد ذكرنا الأحاديث بلفظ الإفراد في أدلة إثبات الميزان في السنة وكذلك لفظ الجمع، ولهذا اختلفت أقوال العلماء في ذلك، وحاصل الخلاف في هذه المسألة يرجع إلى الأقوال الآتية:

القول الأول

يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله.

القول الثاني

يمكن ان يكون ميزانا واحدا عبر عنه بلفظ الجمع كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [٢] وإنما هو رسول واحد.

القول الثالث

أن المراد بالموازين: جمع موزون، أي الأعمال الموزونة لا جمع ميزان[٣].

وهذا ما أشار إليه القرطبي بقوله: [ان الموازين جمع موزون، لا يستقيم مع سياق الآية، وما جاء بعدها من أوصاف، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ فالقسط يأتي قطعا للميزان لا للموزونات][٤].

وذكر السفاريني في مسألة عدد الموازين أقوال العلماء بقوله: [اختلف في الميزان هل هو واحد أو أكثر؟ فالأشهر أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال، كفتاه كأطباق السموات والأرض، وقيل: أنه لكل أمة ميزان.

وقال الحسن البصري رحمه الله: [لكل واحد من المكلفين ميزان]، وقال بعضهم: [الأظهر إثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد، لقوله تعالى:

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٠٢-١٠٣.
(٢) سورة الشعراء: الآية ١٢٣.
(٣) التذكرة: ٣٢٠.
(٤) المصدر نفسه: ٣٢١.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ وقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾.

قال ابن عطية: وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان.

وقال السفاريني: والناس على خلافه، وإنما لكل واحد وزن مختص به، والميزان واحد][(١)].

وقال بعضهم: [إنما جمع الموازين في الآية الكريمة لكثرة من توزن أعمالهم وهو حسن][(٢)].

وقد رجح ابن حجر رحمه الله: أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله، لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا[(٣)] وهذا الذي أرجحه لأنه يمثل قول الجمهور: [والميزان حق له كفتان ولسان توزن فيه صحف أعمال المكلفين][(٤)] نسأله تعالى أن يغفر لنا ذنوبنا ويثقل بالحسنات ميزاننا أنه سميع مجيب.

المبحث السابع

حكم الإيمان بالميزان وكيفيته

بعد أن ثبت ذكر الميزان في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه ﷺ لم يبق مجال لوجود أدنى شك في إنكاره، فالإيمان به واجب لثبوته بالكتاب والسنة كما تقدم، وقد تلقى المسلمون الإيمان بوقوعه، ولم يخالف فيه أحد ممن يعتد بقوله في الإسلام، وقد جعله الرسول المصطفى ﷺ من الأمور التي تعد من ضروريات الإيمان بالله، كما في حديث جبريل عليه السلام في رواية الإمام أحمد حينما قال له: يا رسول الله: ما الإيمان؟ قال ﷺ: «أن تؤمن بالله

(١) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٦-١٩٨.
(٢) التذكرة: ٣٢١.
(٣) فتح الباري: ١٣/ ٥٣٨.
(٤) تفسير البروسوي: ١٠/ ٥٠٠ والقرطبي: ٧/ ١٦٦ والرازي: والزمخشري: ٢/ ٨٦ والماوردي ٢١/ ١٠ والمسايره: ٢٣٨ وحاشية أفندي على شرح النسفية: ٣٢٩ وتنوير القلوب: ٧٢ ومقالات الاشعري: ٢/ ١٤٦، واليواقيت والجواهر: ٢/ ١٦٣.

واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين، والموت، والحياة بعد الموت، والجنة والنار، والحساب، والميزان، والقدر كله، خيره وشره، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: نعم»(١).

وقال العلامة النسفي: [والوزن حق، لقوله تعالى ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ﴾](٢) وذكر ابن بطة في الإبانة: أنه قد اتفق أهل العلم بالاخبار، والعلماء والزهاد والعباد في جميع الأمصار: أن الإيمان بالميزان واجب لازم(٣).

وقال عبد السلام في شرحه على الجوهرة: [والإيمان بالميزان واجب، لثبوته بالكتاب والسنة](٤).

وأوضح السفاريني بقوله: [والحاصل: أن الإيمان بالميزان -كأخذ الصحف- ثابت بالكتاب والسنة والاجماع](٥).

وقد ترجم البرديسي لثبوته بقوله: [باب: في الموازين والكتب، ثم قال: أعلم ان الموازين حق ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة](٦).

وقد بوب الإمام البخاري على إثبات الميزان وما يوزن فيه بقوله: [باب: قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ﴾ وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن](٧).

وذكر الإمام الأشعري قول أهل الحق في الميزان: [قال أهل الحق في تعاريف الميزان: له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفتيه الحسنات، وفي الأخرى السيئات](٨).

ومعلوم من هذا القول أن المراد بالميزان -فيما تقدم- الميزان الحقيقي المعلوم بلسان العرب، الذي توزن به الأشياء، وهو قول الجمهور، لا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ١٦٤.
(٢) العقائد النسفية: ١٣٧.
(٣) الإبانة: ٩٧.
(٤) شرح عبد السلام على الجوهرة: ٢٣٣-٢٣٤.
(٥) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٤.
(٦) تكملة شرح الصدور: ١٥.
(٧) صحيح الإمام البخاري: ٨/ ٢١٩.
(٨) مقالات الإسلاميين: ٢/ ١٤٦.

الميزان بمعنى العدل أو غيره، كما ذهب إليه المعتزلة ومن شذ قوله.

وأوضح سفيان بن عيينة رحمه الله قائلا: [السنة عشرة، فمن كان فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط][١].

وبين الإمام أحمد بن حنبل أصول السنة بقوله: [أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، إلى أن يقول: ..(والإيمان بالميزان..)][٢] وهو ما قاله أيضا شيخه علي بن المديني رحمه الله.

وأنشد العلامة السيد أحمد المرزوقي المالكي المكي في منظومة عقيدة العوام:

وكل ما أتى به الرسول فحقه التسليم والقبول
إيماننا بيوم آخر وجب وكل ما كان به من العجب[٣]

وعلق السيد محمد بن علوي المالكي حفظه الله ونصره في كتابه جلاء الأفهام شرح عقيدة العوام قائلا: [يجب على كل مكلف أن يصدق باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[٤] وبما اشتمل عليه ومن ذلك الميزان الذي توزن فيه الحسنات والسيئات، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ وقوله تعالى ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾][٥].

وفصل شيخنا الراحل العلامة مصطفى كمال الدين قدس الله سره في زبدة اعتقاد أهل السنة والجماعة قائلاً: [والبعث حق، والميزان حق، والصراط حق، والكوثر حق، والجنة حق، والنار حق، وكرامة الأولياء حق][٦].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١/ ١٥٥.
(٢) المصدر نفسه: ١/ ١٥٨.
(٣) منظومة عقيدة العوام: ٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٥) جلاء الافهام شرح عقيدة العوام: ٦٦.
(٦) النجم الزاهر: ٩١.

وهناك أقوال كثيرة لأهل العلم في إثبات ميزان الأعمال إثباتا حقيقيا كما أثبته الله تعالى ورسوله ﷺ[١].

وبعد أن ذكرنا تلك النصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وأقوال علماء الإسلام في ثبوت الميزان فهل يتصور أن يقدم مسلم يشهد الشهادتين على إنكار الميزان في يوم القيامة؟ وهذا ما سنبحثه في خاتمة الفصل الرابع إن شاء الله تعالى.

كيفية الوزن وهيئته

فإن قيل: لما كان الإيمان بالميزان واجباً على كل مسلم ومسلمة فهل يوجب عليهم معرفة كيفية الوزن وهيئته؟

يجاب عنه: إن تلك التفاصيل كلها مما يحتاج لإثباته إلى نص، إذ لا يعلم كيفية الوزن إلا الحق عز وجل، والصحيح من ذلك هو ما أشار إليه جل جلاله وعم نواله من أن هناك موازين تتصف بالخفة والثقل حسب فعل العبد، وأما هل هي على ما عهدنا من صفة موازين الدنيا أو تختلف فالله أعلم بذلك.

لكن بعض العلماء اختلفوا في كيفية الوزن على أقوال، اهو على ما عهد من موازين الدنيا، أم أن الأمر يختلف؟

والجواب: أن هذه المسألة مما وقع فيها الخلاف بين العلماء، فبعضهم يذهب إلى أنه مثل كيفية الوزن في الدنيا، وبعضهم يذهب إلى عكس ذلك.

وقد أشار القرطبي رحمه الله إلى أن الوزن في الآخرة كيفيته مثل كيفيته في الدنيا[٢].

وهذا ما ذكره البرديسي أيضا بقوله: [وكيفيته مثل ما عهد في الدنيا، ما ثقل نزل إلى أسفل ثم يرفع إلى عليين، وما خف طاش إلى أعلا ثم نزل إلى

(١) شرح المقاصد: ٢/ ١٦٤ شرح الطحاوية: ٣٥٢، وشرح النسفية: ١٣٧ وشرح المواقف: ٢/ ٤٥٣ التذكرة: ٣٨٠ وفتح الباري: ٨/ ٤٢٦ والفصل بين الملل: ٤/ ٦٥ ولوامع الأنوار: ٢/ ١٨٧ ورسالة في التوحيد: ١١٤.

(٢) التذكرة: ٣١٢.

سجين، ثم قال: وقيل بالعكس][1].

ويذكر كذلك أن علامة الرجحان أو عدمه: أن يقوم عمود يشير إلى النتيجة، فإذا رجحت الحسنات قام عمود من كفة النور حتى يكسو كفة الظلمة، وإذا رجحت السيئات قام عمود كفة الظلمة حتى يكسو كفة النور[2]. أي ليس الوزن على عهد في الدنيا.

وبين الدكتور حضرة الشيخ سعد الله أحمد عارف رأيه في كيفية الوزن بقوله: [ويكون الوزن بمقابلة الحسنات بالسيئات، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾[3] وهو الراجح لظاهر النص والله أعلم.

فإن قيل: هل توزن أعمال العباد جميعهم في مرة واحدة، أم ان كل شخص نوزن أعماله بمفرده؟

نقل البرديسي: فيما يعزوه إلى سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (صفة الوزن ان يجعل جميع أعمال العباد في الميزان في مرة واحدة الحسنات في كفة النور، والسيئات في كفة الظلمة، ويجعل الله لكل إنسان علما ضروريا يفهم به خفة أعماله وثقلها)، وعلق البرديسي عليه قائلاً: [وهو مخالف لكلام غيره من أن كل شخص توزن أعماله وحده، فتجعل حسناته في كفه، وسيئاته في كفة][4].

وهو أقرب الأقوال والله أعلم، أما ما نسب إلى سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فإنه ضعيف والله أعلم بصحته عنه رضوان الله عليه، وهي مسألة تحتاج إلى نص يثبتها، والراجح هو وزن عمل كل عبد بمفرده كما تفيد ظواهر النصوص.

(١) تكملة شرح الصدور: ٢٩.
(٢) تكملة شرح الصدور: ٢٩.
(٣) اعداد الانسان للآخرة في القرآن الكريم: ١١٣.
(٤) تكملة شرح الصدور: ٢٩.

وخلاصة القول: إن من نور الإسلام الإيمان بالميزان، لثبوته بالكتاب الكريم والسنة المباركة، فالوزن حق، وكيفيته موكولة إلى علم العليم الخبير والإيمان به واجب[(١)]، فعندنا في عالم الشهادة موازين للحرارة والبرودة ولثقل الأشياء وخفتها، ولضغط الدم، وللانواء الجوية، وموازين كهربائية دقيقة لتشخيص مخارج الحروف وتحديدها، وغيرها من الموازين الأخرى التي لم نسمع بها إلى حد الآن، فلا يبعد إذن أن يخلق الله تعالى بقدرته المطلقة، ميزانا خاصاً لوزن أعمال الإنسان، لائقا بها، مناسبا لها، والله تعالى أعلم.

اللهم ثقل بالحسنات ميزاننا، وارحم يا إلهي بفضلك مشايخنا وعلماءنا، واملأ بالمحبة لنبيك قلوبنا، ونور بالصلاة عليه على الصراط مجازنا، واحفظنا من فضيحة ذلك اليوم، وسلمنا من حرج تلك الساعة، وبيض وجوهنا يوم نلقاك، ونلقى نبيك سيدنا محمد ﷺ وهو على الحوض ضاحك الوجه يسقينا بيده الشريفة من ذلك الرحيق المختوم، إنك سميع مجيب الدعاء، يا رب الأرض والسماء.

المبحث الثامن

المنكرون للميزان وردود أهل الحق عليهم

لقد أجمعت الأمة الإسلامية على ثبوت الميزان ووجوب الإيمان به لثبوته في الكتاب والسنة، ولم يخالف في ذلك أحد من السلف وذلك لتواتر أدلته وصحتها، ولقد وجد لبعضهم أقوال تخالف ثبوته، سالكين في ذلك مسالك أهل البدع والضلالات، ولبعضهم أقوال أخرى بإنكاره.

وبين الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه اختلاف أقوال الناس في الميزان بقوله: [واختلفوا في الميزان:

١- فقال أهل الحق: له لسان وكفتان توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأخرى السيئات، فمن رجحت حسناته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فأدخله الجنة.

---

(١) نور الإسلام: ٢٨٠، والعقيدة الواسطية: ٢١.

٢- وقال أهل البدع بإبطال الميزان، وقالوا: موازين وليس بمعنى كفات والسن، ولكنها المجازاة، يجازيهم الله بأعمالهم وزنا بوزن، وأنكروا الميزان وقالوا باستحالة وزن الأعراض، لأن الأعراض لا ثقل لها ولا خفة.

٣- وقال قائلون بإثبات الميزان، وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين، ولكن إذا كانت حسنات الإنسان أعظم من سيئاته رجحت إحدى الكفتين على الآخرى فكان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل الجنة، وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء كان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل النار.

٤- وحقيقة قول المعتزلة في الموازنة إن الحسنات تكون محبطة للسيئات وتكون أعظم منها، وأن السيئات تكون محبطة للحسنات وتكون أعظم منها][1].

مواقف الناس تجاه الميزان:

يمكننا تقسيم مواقف الناس تجاه إثبات الميزان وأقوالهم فيه إلى ما يأتي:

١- المثبتون للميزان وهم أهل الحق.

٢- المنكرون له إنكارا تاما، دون ان يستندوا إلى دليل.

٣- من ذهب إلى تأويل ما جاء في إثباته.

٤- من أثبت الميزان، ونفى وزن الأعمال.

٥- من أثبت الميزان مجردا عن كل وصف.

أما المثبتون للميزان: فقد أوردنا أقوالهم المستندة إلى الأدلة الصحيحة التي وصلت إلينا بالتواتر في إثبات الميزان، واجماع الأمة على ذلك، وهو مذهب الرعيل الأول من الصحابة والتابعين وجمهور المفسرين وغيرهم والسواد الأعظم من المسلمين من الأشاعرة والماتريدية والحنابلة[2].

---

(١) مقالات الإسلاميين: ٢/١٤٦.

(٢) ينظر فتح الباري: ١٣/ ٥٣٩ وتنوير القلوب: ٧٢ والآلوسي: ٧/ ٨٤ والقرطبي: ٧/١٦٦ وشرح النسفية: ١٣٧، والزمخشري: ٢/٦٨ والمسايرة: ٢٣٨ وحاشية أفندي على النسفية: ٣٢٩.

أما الصنف الثاني: فهم المنكرون للميزان تمام الإنكار:

قال ابن حزم: [وأما الميزان فقد أنكره قوم، فخالفوا كلام الله جرأة وإقداماً، قال تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾][١].

ويقول البغدادي عن فرقه تسمى الوزنية: [وزعم قوم يقال لهم الوزنية، أن لا حساب ولا ميزان][٢].

وينص ابن فورك -فيما ينقل عنه: [على نكران المعتزلة للميزان، بناء منهم على أن الاعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بأنفسها][٣].

وقال الإمام الأشعري: [وقال أهل البدع بإبطال الميزان، وقالوا: موازين وليس بمعنى كفات والسن، ولكنها المجازات، يجازيهم الله بأعمالهم وزنا بوزن وأنكروا الميزان، وقالوا: يستحيل وزن الأعراض، لأن الأعراض لا ثقل لها ولا خفة][٤] وهو يقصد بهؤلاء: المعتزلة.

وقال سيدنا حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره عن إنكار المعتزلة للميزان: [وأنكروا الموازين وعذاب القبر][٥] ويقول عنهم: [وأكثرهم نفوا عذاب القبر والميزان][٦].

ويقول العلامة الإيجي رحمه الله: عن إنكار المعتزلة للميزان وحجتهم في نفيه: [وأما الميزان فأنكره المعتزلة عن آخرهم، لأن الأعمال اعراض وأن أمكن اعادتها فلا يمكن وزنها، إذ لا توصف بالخفة ولا ثقل، وأيضا فالوزن بمقدارها، وهي معلومة لله تعالى، فلا فائدة فيه، فيكون قبيحا تنزه عنه الرب تعالى][٧].

---

(١) الفصل: ٤/ ٦٥ والآية ١٥ من سورة النور.
(٢) كتاب أصول الدين: ٢٤٦.
(٣) التذكرة: ٣١٣ وتفسير القرطبي: ٧/ ١٦٥ وكذا قول السيد الشريف الجرجاني في شرح المواقف: ٨/ ٣٢١.
(٤) مقالات الإسلاميين: ٢/ ١٤٦، وينظر الآلوسي في تفسيره: ٧/ ٨٤ والقرطبي: ٧/ ١٦٥ وشرح المواقف للجرجاني: ٨/ ٣٢١.
(٥) الغنية: ١/ ٩٠.
(٦) المصدر نفسه: ١/ ٩٢.
(٧) المواقف: ٣٨٤.

وسبب إنكار المعتزلة للميزان هو قولهم:

١- إن الأعمال أعراض إذا أمكن إعادتها لم يمكن وزنها[١].

٢- إن الأعراض لا توصف بالخفة والثقل وإنما الجواهر[٢].

٣- إن الأعمال معلومة لله تعالى فوزنها عبث[٣].

ويرد على قولهم بما يأتي:

١- لقد بينت بعض الأحاديث ان الأعمال توزن بكتبها وصحفها فهي أجسام يمكن وزنها فيجعل الله رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليل على كثرة أعماله بادخاله الجنة أو النار[٤].

٢- روي عن سيدنا ابن عباس ان الله تعالى يقلب الأعراض أجساما فيزنها يوم القيامة[٥].

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقول يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت قال: ويقال يا أهل النار: هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت»[٦] فكذلك الأعمال.

فالشاهد في هذا الحديث الشريف أن الموت عرض من اعراض الدنيا قلبه

---

(١) العقائد النسفية: ١٣٧.

(٢) شرح المواقف: ٢/ ٤٥٣.

(٣) العقائد النسفية: ١٣٧.

(٤) ينظر الآلوسي: ٧/ ٨٢ وروح البيان: ٣/ ١٣٧ والماوردي: ٢/ ١٠ والقرطبي: ٧/ ١٦٥ والرازي: ١٤/ ٢٨ والتذكرة: ٣٦٤ وشرح جوهرة التوحيد: ٢٣٤ وفتح الباري: ١٣/ ٥٣٩ وشرح المواقف: ٨/ ٣٢١ والإحياء: ١/ ١٠٦ والاقتصاد: ١٣٧.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٠٣ والآلوسي: ٧/ ٨٣ والماوردي: ٢/ ١٠ وأصول الدين الإسلامي: ٤٧٧.

(٦) صحيح البخاري: ٤٧٣٠ ومسلم ٢٨٤٩ والترمذي: ٣١٥٦ وأحمد في مسنده: ٢/ ٤٢٣ والدارمي: ٢/ ٣٢٩.

الله تعالى جسماً وجعله كبشاً أملحاً وذبحه، فكيف يقال، اذن لا يمكن قلب الأعراض أجساماً، فالقادر على قلب الموت جسماً قادر كذلك على قلب الأعمال أجساماً.

وكذلك حجتهم بأن الأعمال أعراض فلا يمكن وزنها لأنها تقوم بنفسها. فنقول: هذه إساءة أدب بحق الله الخالق العظيم جل جلاله وعم نواله القادر على كل شيء فمن الممكن عقلا أن يصير الأعراض أجساما ويزنها بميزانه، وقد شهدت السنة بذلك في مواضع كثيرة(١).

٣- إن جسم الإنسان وغيره من الجواهر على الأرض له وزن معين وذلك بتأثير الجاذبية الأرضية ولكنه عندما ينفصل عن جاذبية الأرض -كأن يكون على سطح القمر- ينعدم وزنه كما هو معروف، فالجسم في القمر مثلا ليس له وزن وفي الأرض له وزن، كذلك الأعمال هي اعراض في الدنيا لا وزن لها لكن لا مانع من أن ينقلب في الحياة الآخرة أجساما فتوزن كما ورد في حديث الموت آنفا(٢).

٤- ولعل في الوزن حكمة لا نطلع عليها وعدم اطلاعنا على الحكمة لا يوجب العبث(٣).

ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فإنه لا أحد احب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه(٤).

وقبل أن نذكر أقوال الفرق الأخرى في الميزان، أحب أن أنبه إلى ما نسب إلى المعتزلة عامة من القول بإنكار الموازين، كما صرح بذلك ابن فورك رحمه الله وغيره(٥) أو تأويلها بمعنى العدل، فإن في كلامه نظراً وذلك لأن

---

(١) ينظر ما جاء في تمثل العمل الصالح انسانا يؤنس صاحبه في القبر: أخرجه أحمد: ٢٨٨/٤ وأبو داود: ٢/ ٥٤٥، وحديث تمثل القرآن لصاحبه يوم القيامة بوجه شاحب: أخرجه ابن ماجه: ٢/ ١٢٤٢ وتمثل البقرة وآل عمران كانهما غمامتان إلى غير ذلك.

(٢) أصول الدين الإسلامي: ٤٠٠.

(٣) العقائد النسفية: ١٣٧.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية: ٣٥٣.

(٥) ينظر تفسير القرطبي: ١٥٦/٧ وشرح المواقف: ٨/ ٣٢١.

المتأخرين من المعتزلة كما يظهر من كلام علمائهم لا ينفون حقيقة الميزان، وقد صرح به القرآن الكريم كما يقول القاضي عبد الجبار، بل إن القاضي عبد الجبار يذهب في إثباته إلى التشبيه له بموازيننا المعروفة في الدنيا، ويرد على من يؤوله بمعنى العدل ويبطل قوله.

وهذه بعض أقوال القاضي عبد الجبار في الميزان، التي تبطل قول من نسب إليه إنكاره أو تأويله بمعنى العدل، فإنه بعد ان ذكر جملة من أحوال يوم القيامة، من وضع الموازين والمحاسبة والمساءلة وانطاق الجوارح ونشر الصحف وما جرى هذا المجرى قال: [وجملة ذلك: ان كل هذه الأمور حق يجب اعتقاده والاقرار به][(١)].

ثم قال: [أما وضع الموازين فقد صرح الله تعالى به في محكم كتابه، قال الله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وقوله تعالى ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف فيما بيننا، دون العدل وغيره على ما يقول بعض الناس، لأن الميزان وأن ورد بمعنى العدل في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾[(٢)].

فدل ذلك على طريق التوسع والمجاز، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز ان يعدل به عنه إلى المجاز، يبين ذلك ويوضحه أنه لو كان الميزان إنما هو العدل، لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين فيما بينا][(٣)].

فلعل قول من نسب إليهم إنكار الميزان أو تأويله بالعدل، خاص بطائفة من المعتزلة، أو استند إلى أقوال لم تصح عنهم، وذهب إلى ذلك شيخنا العارف بالله الباز عبد القادر الكيلاني في قوله: [وأكثرهم نفوا عذاب القبر والميزان][(٤)] ومنهم من جوز الوزن بالمعنى المتعارف عليه عقلا وأن لم يقض بثبوته كالعلاف وبشر بن المعتمر[(٥)].

---

(١) شرح الأصول الخمسة: ٧٣٥.
(٢) سورة الحديد: الآية ٢٥.
(٣) شرح الأصول الخمسة: ٧٣٦.
(٤) الغنية: ١/ ٩٢.
(٥) الآلوسي: ٧/ ٨٤ والقرطبي: ٧/ ١٦٥ وشرح المواقف: ٨/ ٣٢١.

وأنكر الخوارج والمرجئة الميزان: حسبما يذكر عنهم سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني بقوله: [وقد أنكرت المعتزلة مع المرجئة والخوارج ذلك، فقالت: ان معنى الميزان: العدل دون موازنة الأعمال](١).

وقد ذكر البغدادي: أن الجهمية أيضا تنكره(٢).

وممن أنكره كذلك: الفلاسفة الإلـٰهيون لقول الهراس رحمه الله تعالى: [وأما أهل المروق والإلحاد من الفلاسفة والمعتزلة فينكرون هذه الأمور، من سؤال القبر، ومن نعيم القبر وعذابه، والصراط، والميزان وغير ذلك بدعوى انها لم تثبت بالعقل](٣).

أما الصنف الثالث: فهم من ذهب إلى تأويل ما جاء في إثبات الميزان، وخرجوا به عن معناه المتبادر الصحيح، فأولوه بمعنى العدل والقضاء أي القضاء السوي والحكم العادل(٤)، وقالوا: إن ما ورد في الميزان والوزن انما هو من ضرب المثل لا غير، ومن المعلوم أنه لا ينبغي الخروج عن المعنى الصحيح إلا لعارض قوي أو قرينة ظاهرة.

وينسب هذا القول إلى مجاهد وإلى الضحاك والأعمش، كما حكاه عنهم القرطبي بصيغة (روي) فيقول: [وروي عن مجاهد والضحاك والأعمش ان الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء، وذكر الوزن والميزان ضرب مثل، كما يقول: هذا الكلام في وزن هذا، وفي وزانه، أي يعادله ويساويه، وأن لم يكن هناك وزن](٥).

وقد فسر أصحاب هذا القول الميزان بالعدل والقضاء والإنصاف فقالوا: حمل لفظ الوزن عن معنى العدل سائغ في اللغة، وذلك لأن العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالكيل والوزن في الدنيا، فلا يبعد جعل الوزن كناية عن العدل(٦).

---

(١) الغنية: ١/ ٧٢.
(٢) ينظر كتاب أصول الدين: ٢٤٥.
(٣) شرح العقيدة الواسطية: ١٢١.
(٤) الكشاف للزمخشري: ٢/ ٦٨ والماوردي: ٢/ ١٠ والنسفي: ٢/ ٤٥.
(٥) التذكرة: ٣١٣ وتفسير الماوردي: ٢/ ١٠ والرازي: ١٤/ ٢٨ والقرطبي: ٧/ ١٦٥ والكشاف للزمخشري: ٢/ ٦٧ والنسفي: ٢/ ٤٥ وفتح الباري: ١٣/ ٥٣٩ والآلوسي: ٧/ ٨٣.
(٦) الرازي: ١٤/ ٢٨ والمسايره: ٢٣٩ وشرح النسفية للتفتازاني: ٣٢٩ ورسالة في التوحيد

ومثل هذا الرأي ما ذكره الأستاذ محمد عبد اللطيف حيث قال: [والذي يبدو أنه ليس ثمة ميزان، وإنما أريد بالميزان العدل][1].

والجواب على أقوالهم ما يأتي:

من يقرأ أقوال العلماء في توضيح الميزان الذي ذكره القرآن الكريم في مواضع وسور عديدة فقال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ ومن يتأمل في الحكمة الآلهية في خلقه الميزان ليرى المؤمن فضل الله تعالى عليه، وكثرة آلائه، والكافر خزيه وفضيحته، وقطعا لحجته اقول: فمن يقرأ ويتأمل ويجمع بين الصورتين وصورة مادية الإنسان وبشريته الترابية يتبين له فساد القول الثاني الذي فسر الميزان بالعدل والإنصاف، لماذا؟ لسببين:

الأول: لأن الميزان موصوف بالثقل والخفة وكونه معروفا بهذين الوصفين مما لا خلاف فيه بين اثنين من العقلاء، فتفسيره بالعدل والإنصاف تأويل يجرده من وصفيه الضرورين وهو باطل.

الثاني: الإنسان يوم القيامة إما أن يكون مؤمنا بأن الله تعالى عادل منزه عن الظلم، حكيم منزه عن السفه، وإما أن لا يكون مقرا بذلك.

فإن كان معتقدا بعدله سبحانه فقد كفاه اعتقاده هذا حكم الله تعالى في أعماله الصالحة والطالحة، وهو عندئذ لا يحتاج إلى ميزان يزن أعماله بناء على أن معنى الميزان هو العدل والله تعالى عدل، وهو فاسد لأن الدليل القطعي قام على إثبات نصب الميزان يوم القيامة ووزن ما قدم الإنسان من حسنات وسيئات، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[2].

وإن كان الإنسان غير معتقد بعدل الله سبحانه واتصافه بصفات الكمال وأنه تعالى منزه عن الجور، فهو لا يستطيع أن يشاهد عدله يوم القيامة، لأن

= والفرق المعاصرة: ١١٤ وشرح النسفية للسعدي: ١٣٦ وأصول الدين الإسلامي: ٤٧٣ وشرح المواقف: ٨/ ٣٢١.

(١) كتاب اوضح التفاسير: ٣٩٣

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

الميزان عبارة عن العدل والإنصاف وهو أمر معنوي لا جسمي حسير يرى بالعين، فلا بد إذن من كون الميزان آلة محسوسة.

فإن قيل لماذا؟ الجواب لأمرين:

أولا: توافقا مع النصوص القاطعة به يوم القيامة ومن المعلوم أنه لا ينبغي الخروج عن المعنى الصحيح إلا لعارض قوي أو قرينة ظاهرة ولا يوجد عارض ولا قرينة بذلك.

ثانيا: حتى لا تبقى للكافر حجة في عذابه بنار جهنم، وقطعا له من أن يقول: حسناتي أكثر من سيئاتي أو عذابي وعقابي أكبر من سيئاتي لأنه لم يشاهد وزن أعماله في ميزان حقيقي.

وقد رد القرطبي رحمه الله كما تقدم هذا القول بأنه لو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على معنى الدين الحق، ولجاز حمل الجنة والنار على كل شيء يرد على الأرواح دون الأجساد في الاحزان والافراح، ولجاز حمل الشياطين والجن على معنى الأخلاق المذمومة والملائكة على القوى المحمودة(١).

وهذا التأويل خطير جداً، بل فاسد كله لأنه رد واضح لما جاء به الصادق الأمين ﷺ، ومن الناحية الفكرية إذا كان عقاب من شرب الخمر وسرق الأموال وأشاع الزنا والقذف أن يعيش سنوات معدودة في النار حزيناً مهموماً مغموما، فلا بأس اذن من اقتراف أنواع الكبائر والوقوع في أكبر الذنوب وارتكاب أنواع الفواحش.

أما إثبات نسبة القول إلى مجاهد من تأويله الميزان بمعنى العدل فهو إضافة إلى ما ذكره القرطبي عنه من تأويله ذلك، فقد أخرج الطبري أيضا باسناده إلى مجاهد، أنه فسر الوزن المذكور في الآية: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾(٢) فسره بأنه في هذا الموضوع المراد به القضاء والعدل، خلافا لما فسره غيره بأنه وزن الأعمال(٣).

---

(١) التذكرة: ٣١٤. (٢) سورة الأعراف: الآية ٨.

(٣) تفسير الطبري: ٨/ ١٢٣ وفتح القدير: ٢/ ١٩٣.

ولكن الطبري أخرج عن مجاهد أيضا أنه قال في الآية ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ قال: [قال عبيد بن عمير: يؤتى بالرجل الطويل العظيم فلا يزن جناح بعوضة][١].

فهل يفهم من هذا أنه يقول بالميزان ذي الكفات، إذ ان وزن الرجل ثم لا يزن بعوضة إنما يفهم بالميزان ذي الكفات؟ أم أنه يؤول معناه إلى أن المراد به إظهار تفاهته وقلة شأنه؟ احتمال لم يبينه الطبري وإلا حتما ذكر ذلك عنه.

فإذا ثبت نسبة هذا القول إلى مجاهد وغيره ممن نسب إليه هذا القول المتمثل بتأويل الميزان الوارد به الشرع في يوم القيامة بالعدل أو القضاء أو أي تأويل آخر، دون إثبات حقيقة الميزان، فإنه يعتبر خروجا به إلى غير معناه الصحيح، ويكون فتح باب لتأويل كثير من أمور الآخرة والمغيبات إلى معان باطلة لم تدل عليها النصوص، حتى ولو حملهم على ذلك القول بأن تأويله سائغ من جهة اللغة، فإنه غير سائغ من جهة الشرع الشريف المؤيد بالوحي الإلهي المتمثل بالكتاب والسنة المطهرة.

قال الزجاج: [ان هذا التأويل سائغ من جهة اللسان، لكن الأولى ان نتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان][٢].

وقد قال القشيري معقبا على قول الزجاج: [وقد أحسن الزجاج فيما قال، إذ لو حمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، لكن ذلك تلاعبا بالنصوص وخروجا عما دلت عليه].

وقال الشوكاني متابعا نقله عن الزجاج: [وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل، وجب الأخذ بالظواهر وصارت هذه الظواهر نصوصا][٣].

وقال الأزهري: [هذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ إلا ان الأولى من هذا أن نتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح، فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان من حيث ينقل أهل الثقة فينبغي ان يقبل ذلك][٤].

أما الصنف الرابع: فقد أثبتوا الميزان ونفوا وزن الأعمال. وحجتهم على

---

(١) المصدر نفسه: ٨/ ١٢٣ و ٢/ ١٩٠.
(٢) فتح القدير: ٢/ ١٩٠.
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ١٩٠.
(٤) تهذيب اللغة: ١٣/ ٢٥٧.

ذلك القول: إن الأعمال أعراض لا تقبل الوزن. وهو أشبه بقول المعتزلة بأن الأعراض لا توزن، ولكنهم أثبتوا وجود الميزان بكفتين.

وفي هؤلاء قال الإمام الأشعري ﷺ: [وقال قائلون بإثبات الميزان وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين، ولكن إذا كانت حسنات الإنسان أعظم من سيئاته، رجحت إحدى الكفتين على الأخرى، فكان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل الجنة، وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء، كان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل النار][1].

والجواب على قولهم: إن هذا القول فيه غموض شديد، وهو قول فاسد من وجوه عديدة:

١- إذ ما الذي يوضع في تلك الكفات حتى تظهر النتيجة الطيبة أو السيئة؟ فإن وضعها هكذا مجردة عن كل شيء أمر وهمي لا يتحقق به الغرض المقصود من وضع الموازين.

٢- لا شاهد بصحة هذا التأويل من اللغة ولا من القرآن الكريم ولا من السنة المطهرة.

٣- من هو صاحب هذا القول؟ وما هو الدليل على صحة نسبته إليه.

٤- كيف يمكن الجمع والتوفيق بين هذا القول وما جاء بالنصوص القطعية.

أما الصنف الخامس: فإنهم أثبتوا أن الميزان مجردا عن كل وصف. وحجتهم بذلك: أنهم يؤمنون بأن هناك ميزاناً في يوم القيامة، لكنهم لا يعلمون عنه ولا عن وصفه شيئا، بل يؤمنون به فحسب دون ذكر أي وصف له. وهو رأي ابن حزم وبعض المتأخرين.

قال ابن حزم: [ونقطع على أن تلك الموازين أشياء يبين الله عز وجل بها لعباده مقادير أعمالهم من خير أو شر من مقدار الذرة -التي لا نحس وزنها في موازيننا أصلا- فما زاد، ولا ندري كيف تلك الموازين، إلا أننا ندري أنها بخلاف موازين الدنيا. . . إلى أن قال: وأما من قال بما لا يدري أن

---

(١) المقالات للاشعري: ٢/ ١٤٦.

ذلك الميزان ذو كفتين، فإنما قاله قياسا على موازين الدنيا -وقد اخطأ في قياسه إذ في موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرسطون][١] وتبعه على ذلك القول بعض المتأخرين ومنهم محمد رشيد رضا وطه محمد الزيني[٢].

والجواب على قولهم:

هذا الرأي إن كان يقصد به أصحابه إثبات الميزان الوارد به وبصفاته الشرع دون التنطع بعد ذلك من وصفه بأنه من فضة أو غير ذلك فهذا قول صحيح، وأن كانوا يقصدون إثبات مجرد عن كل وصف، فإن ما ورد من إثبات أن له لسانا وكفتين لا يتفق مع هذا القول، خاصة وأن القائلين بإثبات صفاته هم الجمهور وعليه اجماع الامة.

وفي ختام الحديث عن المنكرين للميزان الذي ثبت بالأدلة القطعية، المنقولة إلينا بالتواتر، وأجمعت الأمة الإسلامية على وجوب الإيمان به، وصار من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، فمن أنكرها أو جحد بها فقد كفر بما أنزل على حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، نسأله تعالى العفو والعافية.

ونذكر في الختام ما قاله ابن أبي العز في رده على الذين ينفون الميزان لخفاء الحكمة عليهم، وقولهم: أنه لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال، ومدى خطورة هذا الكلام، فيقول: [فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، ويا خيبة من ينفي الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع ويقدح في النصوص بقوله: (لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال)، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا.

ثم إن الذين يحاولون التشكيك في الميزان، أو إنكار حقيقته، لا يستندون على أي دليل يصح الاحتجاج به، بل غاية ما تشبثوا به، مجرد الاستبعادات العقلية، وليس في ذلك حجة على أحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، حتى جاءت البدع كالليل المظلم، وقال كل من شاء ما شاء، وتركوا الشرع خلف

(١) الفصل: ٤/٦٦.
(٢) ينظر المبحث الرابع من هذا الفصل فقد تم مناقشة اقوالهم بصورة مفصلة.

ظهورهم، وليتهم جاؤوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها وتتحد قلوبهم لها، بل كل فريق يدعي على العقل ما يطابق هواه، ويوافق ما يذهب إليه هواه، ومن هو تابع له.

فتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبهم، يعرف هذا كل منصف، ومن أنكره فليصفِ فهمه وعقله عن شوائب التعصب والتمذهب فإنه إن فعل ذلك أسفر الصبح لعينيه][١].

ونجعل قول الإمام عبد القاهر طاهر البغدادي رحمه الله في بيان الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة واتفقوا فيها على قول واحد، وضللوا من خالفهم قولا نختم فيه الفصل والرسالة: [وقالوا بالحوض والصراط والميزان، ومن أنكر ذلك حرم الشرب من الحوض، ودحضت قدمه من الصراط إلى نار جهنم][٢].

اللهم اجعلنا من المؤمنين المصدقين المسلمين لحضرة نبيك
وحبيبك سيدنا ﷺ في كل ما قال به
ودعي إليه وحدث عنه وأمر
به وندب إليه إنك
سميع مجيب

(١) شرح الطحاوية: ٤٧٥ وفتح القدير: ٢/ ١٩٠.
(٢) الفرق بين الفرق: ٢٧٠.

الخاتمة وأهم النتائج

وبعد الانتهاء من دراسة بعض مواقف وعوالم الآخرة المهمة المتمثلة بالحوض والصراط والميزان وما فيها من خيرات وأهوال وأخطار، ظهر لي من تلك الدراسة أمور، أوجز أهمها فيما يأتي:

١- إن أمر اليوم الآخر والتصديق به من الأمور التي لا يدخل الشخص في الإيمان حتى يؤمن بها على وفق ما أخبر الله عز وجل ورسوله ﷺ عنها، وأن الإيمان بذلك مما يحتاج إلى يقين قوي، إذ ان أكثر ما يضعف من عقيدة الشخص هو الجانب الأخروي وما يقع فيه من أحداث.

٢- إن القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة قد أوليا اليوم الآخر البيان والإيضاح التام الكافي في أكثر من آية في القرآن الكريم، وأكثر من حديث في السنة النبوية المباركة، وقد بلغت الأحاديث الصحيحة الواردة في إثبات الحوض والصراط والميزان حد التواتر.

٣- ان الإيمان بالغيب أمر من العقيدة بالمكان الأعلى، إذ يتوقفَ إيمان الشخص على الإيمان بالغيب، وقد مدح الله تبارك وتعالى ورسوله الكريم ﷺ من اتصف بتلك الصفة في نصوص كثيرة، ومن ذلك الإيمان الجازم بوقوع أخبار اليوم الآخر، وهي الحياة الأخرى الخالدة، وما فيها من اخبار الحوض والصراط والميزان وغيرها، حيث يحيا صاحبها إما في نعيم وإما في جحيم.

٤- إن الحوض والصراط والميزان من خصائص الأمة المحمدية على نبيها سيدنا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم، فمما أكرم الله تبارك وتعالى به

هذه الأمة، ما أكرمهم سبحانه به من العلم عن الحوض والصراط والميزان مما لم يفصل لأمة سابقة من الأمم، وما ذاك إلا لشرفهم ومكانتهم بين الأمم، فيستعدوا لتلك العوالم بقواهم الروحية ويتهيئوا لها قبل الانتقال إليها لعلمهم بخطورتها وأهميتها.

٥- تبين أن الحوض المورود الذي وعد الله عز وجل به نبيه وحبيبه محمدا ﷺ قد ثبت بالسنة المطهرة بلفظه الصريح، وفي القرآن الكريم عند من يسمي الحوض كوثرا، ثم يستدل لإثباته بسورة الكوثر، وأن من أنكره ليس له دليل لا من العقل ولا من النقل، وإنما هو مجرد الاستبعاد فقط.

واتضح أن مسافة الحوض قد وردت بروايات كثيرة مختلفة، وليس فيها تعارض ولا اضطراب كما رأينا في الجمع بينها، وأن الناس يردون عليه حين خروجهم من قبورهم يشربون منه وهم في الموقف على الصحيح من أقوال العلماء، وقد ميزه الله تبارك وتعالى بمزايا عديدة وصفات كريمة وخصائص عظيمة ولله تعالى القدرة والحكمة على ما يشاء.

٦- الكوثر الذي ذكره الله تبارك وتعالى هو نهر في الجنة، كما أفادته النصوص الصريحة في ذلك، وأن بعض العلماء قد اطلق تسمية الكوثر على الحوض، والحوض على الكوثر بسبب الاتصال الذي بينهما كما بينا ذلك.

وتبين أن الكوثر مما اختص الله تبارك وتعالى نبيه وصفيه محمدا ﷺ تشريفا له دون غيره من الأنبياء كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾.

٧- إن الميزان العظيم الذي يزن الله به صحائف أعمال خلقه هو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، وقد ثبت ذكره في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المباركة واجماع الأمة بما لا يدع مجالا للشك فيه.

وإن المنكرين له أو لصفاته لا دليل لهم، لا من العقل ولا من النقل، وقولهم مردود عليهم وأن الذي يوزن هو صحف الأعمال على الصحيح من أقوال العلماء لرجحان أدلة وزن صحف الأعمال على وزن العمل أو العامل، لحكمة يعلمها الله جل جلاله وعم نواله، ينصبه الله تبارك وتعالى ثم يزن

صحائف أعمال الخلق في كيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

٨- الصراط الذي اعده الله لعبور الخلق مما ثبت ذكره بلفظه الصريح في السنة النبوية المباركة، وفي القرآن الكريم عند بعض العلماء، وعدم ذكره صراحة في القرآن الكريم عند البعض الآخر، الذين قالوا: ما ورد من ذلك في القرآن فهو احتمال وليس بصريح كما بينا ذلك.

وإن وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة هو الوصف الحق الذي ثبت له، وأن من تأول ذلك أو أنكر الصراط فإنه لا حجة له، وقد اقتضت حكمة الله تعالى ان يجتازه الخلق، وهي من المسائل التي لا مجال للعقل في الخوض فيها، وما قاله العلماء في ذلك فإنما هو مجرد استنباط دون الاستناد إلى نص ثابت.

وظهر كذلك أن مسافة الصراط أمر لا يعلمه إلا الله تعالى وأن الأقوال التي قيلت في تحديده تفتقر إلى نص يثبتها.

أما بالنسبة إلى مرور الخلق عليه جميعهم أو بعضهم فإنها مسألة خلافية، فقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن كل الخلق يمرون عليه، ومنهم من يقول بعدم مرور بعض الخلق أما إكراما لهم أو إهانة لهم، والظواهر من النصوص تدل على أن الكل يمر عليه، فينجو أولياء الله ويسقط فيه الكفار، إلا من يلتقطهم عنق النار كما بينا ذلك.

وتبين لنا أن أول من يجوز على الصراط فهو حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ معه أمته وشعار الرسل يومئذ والمؤمنين على الصراط: اللهم سلم سلم.

وأما بالنسبة لخلق الصراط ووجوده الآن أو عدم وجوده وكذا القول ببقائه إلى خروج عصاة الموحدين من النار أو عدم بقائه فالله تعالى أعلم بحقيقة ذلك، فقد يكون موجودا الآن، وقد يوجد في يوم القيامة، وقد يبقى إلى خروج عصاة الموحدين فيعبرون عليه وقد لا يبقى.

٩- وظهر لي كذلك أن المؤمنين الذين قد كتبت لهم السعادة يقفون بعد اجتيازهم الصراط على قنطرة دون الجنة ليقتصوا مظالم كانت بينهم، فإذا

هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة، وهي ثابتة، وقد وقع الخلاف في موضعها أهي جزء من الصراط وتتمة له، أم هي صراط آخر غير الصراط العظيم المنصوب على متن جهنم؟ وأن الصحيح أنها قنطرة واحدة وليست قناطر متعددة.

١٠- وتبين أن الورود الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ مما وقع الخلاف في معناه بين العلماء على أقوال، وأن الراجح من ذلك هو القول بأن الجميع يردها ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم، كما أفادته النصوص الثابتة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

١١- ثبت أن لحضرة النبي ﷺ شفاعة عظمى عند الصراط وشفاعة عند الميزان يخص بها من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من أمته ومن سأل الله تعالى لنبيه ﷺ الوسيلة، ومن صلى عليه وداوم عليها.

١٢- إن المذادين عن الحوض هم من أهل الردة بعد وفاة حضرة النبي ﷺ ومن المنافقين وأهل الكبائر والمعاصي ممن انحرف عن منهج النبي ﷺ ومنهج أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين وأحبابه، ومن قال بذود الصحابة رضوان الله عليهم، فقوله مردود باطل ترده النصوص الصحيحة.

١٣- إن ترتيب المواقف بعد البعث والحشر في ساحة الموقف، هو الورود على الحوض وشرب ماءه الأبيض المثلج من يد النبي الكريم ﷺ لمن وفقه الله تعالى للورود عليه، ثم تطاير الصحف والحساب، ثم الميزان للجزاء والثواب ثم الأمر بالعبور على الصراط فناج مسلم أو ناج مخدوش أو مكدوس في نار جهنم، ثم الجنة لمن وفقه الله تعالى لجواز الصراط جسر جهنم.

١٤- وكان من ثمرة دراسة هذا الموضوع هو دفع الإنسان إلى التفكر بالآخرة والتفكير بأحوال الناس عند الحوض وعند الميزان والصراط مما يجعله مؤمنا صالحا نافعا مستعدا للانتقال إلى الآخرة في كل لحظة، وقد أعد الزاد للسفر الطويل، وبذلك يكون المجتمع الإنساني مجتمعا فاضلا محسنا، وتكون قد تحققت الإرادة الإلهية في أن يكون الإنسان خليفة لله

تعالى في الأرض يعمرها بالتقوى والإحسان.

١٥- تبين لنا المنكرين للحوض والميزان والصراط هم من الكفار لمخالفتهم ما عرف من الدين بالضرورة، ومضادتهم لصريح النص من قرآن وسنة ومغايرتهم لاجماع الأمة على أن الحوض والصراط والميزان من قضايا العقيدة الإسلامية المهمة التي لا يكمل الإيمان من دون اعتقادها والتصديق بكل ما أخبره به الصادق المصدوق ﷺ.

١٦- إن إنكار تلك العوالم بدعوى أنها لا توافق العقل الإنساني وقوانينه دعوى باطلة، غايتهم من ذلك إنكار الحياة الأخرى بصورة نهائية، وهم بذلك يوطئون لإنكارها مرحلة بعد مرحلة وهذه من صنائع الاستعمار ذلك الاستخراب اللعين الذي نعتوه نعت الاضداد.

هذا ولا يزال الموضوع بحاجة إلى جهود أخرى وحسبي أنني بذلت ما يسمح به الوقت والجهد لا سيما ونحن في حصار مقيت لم تعرف البشرية من قبل مثله فرضته علينا قوى الظلم والطغيان من أساطين الحضارة الأوربية الظالمة الكافرة، فإن وفقت إلى الخير فمن الله عز وجل، وأن كان غير ذلك فمن نفسي، وإني أرجو في كلا الحالتين أن لا أحرم من كرم الله تعالى الجواد الكريم على نية فعل الخير والسعي في سبيل تحقيقه، فهذا في طاقتي، أما التوفيق فمن الله وحده.

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، إن ربي على صراط مستقيم وصلى الله على خاتم أنبيائه ورسله صاحب الحكمة والشريعة الهادي بأمره تعالى إلى التماس حبه ومرضاته وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

ثبت بأهم الأعلام

١- أبو الدرداء رضي الله عنه : ت٣٢هـ

عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، ومن الحكماء الفرسان القضاة، وفي الحديث: «عويمر حكيم أمتي» و «نعم الفارس عويمر) توفي بالشام، وروى عنه أهل الحديث ١٧٩ حديثاً[١].

٢- أبو ذر رضي الله عنه ت: ٣٢هـ

جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار من كنانة بن خزيمة، صحابي جليل، ومن كبارهم، قديم الإسلام، يضرب به المثل في الصدق، هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام، كان ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم فاضطرب هؤلاء، فشكاه سيدنا معاوية رضي الله عنه إلى سيدنا أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فاستقدمه أمير المؤمنين إلى المدينة المنورة، واستأنف نشر رأيه، فأمره سيدنا عثمان بالرحلة إلى الربذة فسكنها إلى أن مات رضي الله عنه[٢].

٣- أبو القاسم القشيري: ت ٤٦٥هـ

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري من بني قشير بن كعب أبو القاسم، شيخ خراسان في عصره، كان زاهدا وعالمًا في الدين، اقام وتوفي بنيسابور، من كتبه: (البشير في التفسير) و: (لطائف الإشارات) و: (الرسالة القشيرية)[٣].

---

(١) الاعلام: ١/٩٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢/١٤٠.

(٣) المصدر نفسه: ٤/٥٧.

٤- ابن أبي مليكة:

عبد الله بن عبيد بن أبي مليكة التميمي المكلي، قاضٍ من رجال الحديث الثقات ولاه ابن الزبير قضاء الطائف[(١)].

٥- ابن تيمية: ت٧٢٨هـ

أبو العباس بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، ولد بحران، تعلم منذ صغره الفقه والأصول والتفسير والعربية، وبرع في علم الكلام والفلسفة، وقد أفتى وهو دون العشرين من عمره، وكان رحمه الله سريع الحفظ، كثير التأليف، معروفا بشجاعته وذكاءه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، من كتبه: الفتاوى، والتحفة العراقية في الأعمال القلبية، وتفسيره، ورسائله، ومن تلامذته ابن القيم والحافظ ابن كثير[(٢)].

٦- ابن حجر العسقلاني: ت٨٥٢هـ

شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني، من أئمة الحديث والعلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، رحل كثيرا، وولي القضاء، وكان عالما جليلا ورعا عابدا، من مصنفاته: (فتح الباري في شرح صحيح البخاري، والدرر الكامنة، وتهذيب التهذيب)، توفي بالقاهرة[(٣)].

٧- ابن حجر الهيتمي: ت٩٧٣هـ

أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، المكي السعدي، الأنصاري، والهيتمي نسبة إلى محلة أبي الهيتم بمصر. درس الإمام بالأزهر الشريف، وبرع في العلوم كلها، وخاصة في فقه الإمام الشافعي رحمه الله، ثم انتقل إلى مكه المكرمة وصنف بها كتبا منها: (تحفة المحتاج، والصواعق المحرقة، وشرح الغياب)، ومن كتبه: (الفتاوى الحديثية) وكان رحمه الله زاهدا، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، توفي بمكة ودفن فيها[(٤)].

---

(١) المصدر نفسه: ١/ ٣٣. (٢) شذرات الذهب: ٦/ ٨٠-٨١.

(٣) المصدر نفسه: ٧/ ٢٧٠.

(٤) البدر الطالع: ١/ ١٠٩، وشذرات الذهب: ٨/ ٣٧٠.

٨- ابن حزم: ت٤٥٦هـ

أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي، شافعي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب أهل الظاهر، وكان أجمع أهل الأندلس لعلوم الإسلام وأوسعهم تفننا في علم اللسان والبلاغة والشعر والأخبار، متواضعا، ذا فضائل وتآليف كثيرة منها: الفصل بين الملل والنحل(١).

٩- أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ت٢٤١هـ

أبو عبد الله الشيباني المروزي، البغدادي، أمام أهل السنة والجماعة، تلميذ الإمام الشافعي كان رحمه الله أماما في الحديث والفقه وعلوم القرآن، وعالما زاهدا ورعا عابدا، ألف كتابه المشهور في علم الحديث: (المسند) الذي يقع في ستة مجلدات، توفي في بغداد دار السلام، ودافع عن عقيدة أهل الحق ورد فتنة خلق القرآن في عصره، وإليه ينسب المذهب الحنبلي(٢).

١٠- الإسفرائيني: ت٤١٨هـ

الأستاذ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفرائيني، يلقب بركن الدين وهو الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي، وانصرف من العراق بعد ان اقر له أهل العلم بالعراق بالتقدم والفضل والعلم إلى خراسان، وبنى له هنالك مدرسة كبيرة، درس فيها العلوم وحدث، وكان رحمه الله أماما في الفقه والكلام والأصول بلغ مرتبة الاجتهاد، وروى عنه الحافظ البيهقي والقشيري وغيرهما، معروف بالورع والصدق له مصنفات عديدة منها: (الجامع في أصول الحديث، وكتاب الدور) توفي بنيسابور ودفن فيها(٣).

١١- الأشعري: ت ٣٣٠هـ

الإمام علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم، يرجع نسبه إلى سيدنا أبي

---

(١) شذرات الذهب: ٨/ ٣٧٠.

(٢) تهذيب التهذيب: ١/ ٧٢، تاريخ بغداد: ٤/ ٤١٢، شذرات الذهب: ٢/ ٩٦، الاعلام: ١/ ٢٠٣.

(٣) وفيات الاعيان: ١/ ٢٨، تبيين كذب المفتري: ٢٤٣، وشذرات الذهب: ٣/ ٢٠.

موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ، وهو أمام أهل السنة والجماعة، الإمام المتكلم إليه تنسب المدرسة الأشعرية التي حمت سنة رسول الله ﷺ ودافعت عن اعتقاد أهل الحق على مد الدهور، رد على المعتزلة وهدم كيانهم من الداخل ونصر الله به السنة، له مصنفات عديدة في أشهرها: (المقالات، واللمع، والإبانة)، وهو معروف بالورع والصدق والاجتهاد في العبادة، والذكاء والزهد(١).

١٢- الايجي: ت٧٥٣هـ

عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد القادر، قاض قضاة المشرق، وشيخ العلماء، وإمام الشافعية في تلك البلاد، وهو العلامة الايجي الشيرازي المشهور بالعضد، إماما في المعقول، قائما بالأصول كريم النفس، صادقا، درس في شيراز، وأخذ عن مشايخ عصره، ولازم الشيخ زين الدين السبكي ومن أشهر تلاميذه العلامة سعد الدين التفتازاني(٢).

١٣- الباجوري: ت١٢٧٧هـ

إبراهيم بن محمد الباجوري، كان أعلم من درس بالأزهر الشريف، عين شيخا للأزهر سنة ١٢٦٣هـ وله مؤلفات عديدة تدور حول المسائل العلمية التي كان يعيش بها في العصور الوسطى ومعظم هذه المصنفات شروح وتعليقات، ومن أهم كتبه وأشهرها شرح السنوسية(٣).

١٤- الباقلاني: ت٤٠٣هـ

القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني المصري المالكي المتكلم المشهور، يلقب بشيخ السنة وسيف السنة، ولسان الامة، أخذ علم النظر عن أبي عبد الله بن مجاهد صاحب أبي الحسن الأشعري، وانتهت إليه الرياسة في المذهب المالكي، وكان رحمه الله مشهورا بالفطانة وقوة المناظرة، وكان من المجتهدين في العبادة، ولد

(١) تهذيب التهذيب: ٣/ ٤٨١، والاعلام: ١/ ٢١٨.
(٢) شذرات الذهب: ٦/ ١٧٤، ومفتاح السعادة: ١/ ٢١١.
(٣) دائرة المعارف الإسلامية: ١٢/ ٢١١.

بالبصرة، وتوفي ببغداد له مصنفات عديدة منها: (كتاب التمهيد، والانتصار والإنصاف)[١].

١٥- البغدادي: ت٤٢٩هـ

أبو منصور القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الفقيه الشافعي الأصولي الأديب، من فحول علماء الأشاعرة البارعين في علم الأصول، وأعيان علماء الشافعية، ولد في بغداد وتوفي في اسفرايين ودفن بجانب الأستاذ أبي إسحاق الاسفرائييني، وكان رحمه الله شاعرا نحويا ماهرا في علم الحساب والفرائض وأصول الفقه وكان إماما، عظيم القدرة، جليل العمل كثير العلم، له مصنفات عديدة منها: (فضائح المعتزلة، والفرق بين الفرق، وأصول الدين)[٢].

١٦- البيضاوي: ت٦٩١هـ

عبد الله بن عمر معبد أبو الخير، قاضي القضاة، ناصر الدين البيضاوي، كان إماما علامة، خارقا بالفقه والتفسير والعربية والمنطق، من مصنفاته المشهورة: (تفسيره، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول، تولى القضاء في شيراز[٣].

١٧- البيهقي: ت٤٥٨هـ

أبو بكر بن الحسين بن علي بن موسى، الإمام الحافظ الكبير، سمع الكثير، ورحل وصنف وحصل، وكان رحمه الله كثير التحقيق والإنصاف، وإماما في الحديث، ومن مصنفاته: (السنن الكبرى، والأسماء والصفات، والاعتقاد، وعذاب القبر، والسنن الصغرى) توفي بنيسابور[٤].

١٨- التفتازاني: ت٧٩٣هـ

مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين من أئمة العربية والبيان

---

(١) وفيات الاعيان: ٤/ ٢٦٩ وتاريخ بغداد: ٣٧٩.
(٢) وفيات الاعيان: ٣/ ٣، وطبقات الشافعية: ٥/ ١٣٦.
(٣) شذرات الذهب: ٥/ ٣٩٢، وطبقات الشافعية: ٨/ ١٥٧.
(٤) تذكرة الحافظ: ٣/ ١١٣٢، وشذرات الذهب: ٣/ ٣٠٤.

والمنطق ولد بتفتازان، وأقام بسرفس، وأبعده تيمورلنك إلى خراسان، فتوفي فيها ودفن بسرفس. من كتبه: (تهذيب المنطق، والمطول، والمختصر، ومقاصد الطالبين، والنعم السوابغ، وشرح العقائد النسفية، وغيرها)(١).

١٩- جابر الأنصاري ﷺ: ت٧٨هـ

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي، صحابي جليل من المكثرين الرواية عن النبي ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة، وله صحبه محمودة غزا تسع عشرة غزوة، روى له الإمام البخاري ومسلم وغيرهما أكثر من ١٥٤٠ حديثا(٢).

٢٠- الجويني: ت٤٧٨هـ

أبو المعالي عبد الملك بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، الفقيه الشافعي الملقب بضياء الدين المعروف بإمام الحرمين، تفقه على يد والده المتوفي سنة ٤٣٨هـ، الذي كان يعجب بطبع ولده الإمام وتحميله وجودة قريحته وكان طالبا مجدا، وصار أصوليا محققا وعالما نظارا، وصنف ودرس وسمع، من كتبه: (الإرشاد إلى قواطع الأدلة، والشامل في أصول الدين)(٣).

٢١- الزمخشري: ت٥٣٨هـ

أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، إمام في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع، وكان داعية الاعتزال، جاور بمكة زمنا فسمي جار الله، وله كتب عديدة منها: (الكشاف في التفسير، والفائق في تفسير الحديث، وأساس البلاغة في اللغة والفصل والأنموذج في النحو)، توفي بجرجانية بعد رجوعه من مكة(٤).

---

(١) الاعلام: ١٢/ ٢١٩.
(٢) الاعلام: ٢/ ١٠٤.
(٣) وفيات الاعيان: ٣/ ١٦٧، وطبقات الشافعية: ٥/ ١٧٥.
(٤) وفيات الاعيان: ٣/ ١٦٧، وطبقات الشافعية: ٥/ ١٧٥.

٢٢- الزهري: ت١٢٤هـ

محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري بن بني زهرة بن كلاب، من قريش، يكنى بأبي بكر، أول من دون الحديث الشريف، وهو أحد اكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة المنورة صلى الله على ساكنها، مات بشعب آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين(١).

٢٣- الرازي: ت٦٠٦هـ

أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي، البكري الطبرستاني، الرازي، يلقب بفخر الدين والمعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي، توفي بهداة، كان فريد ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام، وعلم المعقولات، ومن كتبه: (التفسير الكبير، واساس التقديس، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين)(٢).

٢٤- زيد بن ثابت ﷺ: ت٤٥هـ

زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة، صحابي جليل، كاتب الوحي، ولد في المدينة المنورة صلى الله على ساكنها، ونشأ بمكة، قتل أبوه وهو ابن ست سنين، هاجر مع النبي ﷺ وهو ابن ١١ سنة، وتعلم وتفقه في الدين فكان رأسا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، جمع وكتب القرآن على عهد الخليفة الراشد سيدنا الصديق ﷺ، له في كتب الحديث ٩٢ حديثا(٣).

٢٥- السدي: ت١٢٨هـ

إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي حجازي الأصل، سكن الكوفة، قال فيه ابن بردي: صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، محدث له الكثير من الأحاديث الشريفة في كتب التفسير والعقائد(٤).

---

(١) الاعلام: ٧/ ٩٧.
(٢) وفيات الاعيان: ٤/ ٢٤٩، وطبقات الشافعية: ٨/ ٢١، وشذرات الذهب: ٥/ ٢١.
(٣) الاعلام: ٣/ ٥٧.
(٤) الاعلام: ١/ ٣١٧.

٢٦- سعيد بن المسيب: ت٩٤هـ

أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب الخزرجي القريشي، سيد التابعين وأحد الفقهاء الستة في المدينة المنورة صلى الله على ساكنها، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاء، كان أحفظ الناس لأحكام سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ واقضيته حتى سمي راوية عمر الفاروق، توفي بالمدينة المنورة(١).

٢٧- سفيان الثوري: ت١٦١هـ

أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، ثقة حافظ فقيه عابد، أمام حجة في التفسير والحديث والعقائد والفضائل، من رؤوس الطبقة السابعة(٢).

٢٨- السيوطي: ت٩١١هـ

عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي، الملقب بجلال الدين، أمام حافظ مؤرخ حافظ أديب له نحو ٦٠٠ مصنف منها: (الإتقان في علوم القرآن، الأشباه والنظائر، تاريخ الخلفاء، تدريب الراوي، وتفسير الجلالين، والجامع الصغير، والحاوي للفتاوي، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة)(٣).

٢٩- الصابوني: ت٤٤٩هـ

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل أبو عثمان الصابوني، مقدم أهل الحديث في خراسان، كان فصيح اللهجة، واسع العلم، عارفا بالحديث والتفسير، وكانت له مقدرة كبيرة في علم الكلام، من كتبه: (عقيدة السلف وكتاب البداية)(٤).

---

(١) الاعلام: ٣/ ١٠٢.
(٢) التحرير: ٢/ ٥٠.
(٣) الاعلام: ٣/ ٣٠١.
(٤) شذرات الذهب: ٣/ ٢٨٢- ٢٨٣.

٣٠- الطحاوي: ت٣٢١ هـ

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي، الحجري، المصري الحنفي، من قرية طحا بمصر، وكان فقيها حنفيا بارعا، حتى انتهت إليه رياسة الفقهاء الأحناف بمصر، والطحاوي متكلم كبير ألف كتاب العقيدة الطحاوية، وهو ابن اخت الإمام المزني، له كتب عديدة من اجلها: (اختلاف العلماء، ومعاني الاثار، والمشروط، توفي بمصر ودفن فيها)[(١)].

٣١- عبد الله بن مصطفى بن أبي بكر الهرشمي: ت١٤٢١هـ

العلامة الدكتور حضرة الشيخ عبد الله بن مصطفى بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله النقشبندي، هرشمي حسيني[(٢)]، من أسرة علمية عريقة في العراق، ولد رعاه الله في مدينة أربيل في شمال العراق العزيز الأبي، ترعرع ونشأ في ظل والده العلامة المرشد الكامل الشيخ مصطفى بن أبي بكر الملقب بكمال الدين النقشبندي ت١٤٠٦هـ طيب الله روحه وذكره وثراه، ونفعنا والمسلمين من بركات علومه الشريفة وأسراره الكريمة.

نال الإجازة العلمية العالية في علوم الكتاب والسنة على يد والده في ريعانة شبابه، فاصبح مُجازاً ومُجيزاً في علوم الجادة[(٣)]، وتخرج على يده الشريفة نخبة من علماء بغداد المحروسة ومنهم صاحب الفضيلة حضرة الشيخ طارق عبود السامرائي إمام وخطيب جامع الشيخ معروف الكرخي قدس الله سره والدكتور الشيخ محمد فاضل السامرائي وقد نالا الإجازة العلمية العالية في حشد كبير من المسلمين في بغداد دار السلام.

بلغ رعاه الله مرتبة الإرشاد المستقل في عمل الروح الإسلامي على يد والده المرشد الكامل حضرة الشيخ مصطفى بن أبي بكر النقشبندي، وهو شيخ الطريقة النقشبندية العلية في العراق والعالم الإسلامي، يتميز بأن السالكين على يده من خيرة الناس واتقاهم، ونال على يده الإرشاد المستقل ستة من المرشدين الكاملين.

---

(١) تذكرة الحافظ: ٣/٨٠٨ ووفيات الاعيان: ١/ ٧١.

(٢) الاسر الهاشمية في العراق: ٨٢، ومجمع الاشتات: ٣١٥.

(٣) النجم الزاهر: ٢٥.

دَرس علوم القانون والاقتصاد في دولة مصر وحاز مرتبة الدكتوراه من كلية القانون بجامعة لندن سنة ١٩٥٩[١] ودّرس مدة استاذاً محاضراً في جامعة بغداد، واستاذاً دائماً في الجامعة المستنصرية، وتولى عدة مناصب في الخدمة العامة منها وزير المالية والاقتصاد، ومؤسس ورئيس ديوان الرقابة المالية في العراق، انتقل إلى جوار ربه الكريم في شعبان ١٢٢١هـ رحمه الله عز وجل الله المنعم عطاءه.

وهو أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه والعقائد والأدب، حريص على الاعتصام بالشريعة الغراء، وطلب العلم وتدريسه، ومن الداعين إلى العمل الصالح، والأخلاق الفاضلة، شاعر وأديب بارع، محب لوطنه مخلص في عمله، يشهد له كل من عاصره بالتواضع والذكاء والسخاء، لديه مؤلفات عديدة منها: (الحرية الجامعية، مجمع الاشتات ومعالم الطريق في عمل الروح الإسلامي، وعلم أصول القانون، وانشق القمر، ونفحات الحياة)[٢].

٣٢- عبد الجبار القاضي: ت٤١٥هـ

العلامة عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، الاسترباذي، كان شافعي المذهب، ومع ذلك فهو شيخ المعتزلة في وقته، صاحب تصانيف كثيرة قيمة، ومنها: دلائل النبوة، وشرح الأصول الخمسة، والمغني في أبواب العدل والتوحيد.

وكان رحمه الله في ابتداء حاله يذهب في الأصول مذهب الأشعرية، وفي الفروع مذهب الإمام الشافعي رحمه الله ثم تحول إلى الاعتزال، وكان مشهورا بالعلم والفضل والقدر بين العلماء[٣].

٣٣- عبد القادر الكيلاني: ت٥٦١هـ

الإمام العلامة المرشد الكامل حضرة الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد

---

(١) الحرية الجامعية: ١٧٨.

(٢) مؤلفاته موجودة في جميع مكتبات بغداد وعمان وغيرها.

(٣) شذرات الذهب: ٣/٢ و ٢٠٣.

الله الحسني الحسيني، يكنى بأبي محمد محيي الدين، شيخ الحنابلة ومجدد مذهبهم، مفتي الشافعية في بغداد، درس العلوم الشرعية على يد الشيخ أبو سعيد المخزومي صاحب المدرسة المخزومية، وصار بعده مسؤولا عنها فسميت المدرسة القادرية، وهو مؤسس الطريقة القادرية، وهو من كبار الزهاد والمتصوفة برع في أساليب الوعظ وتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب، تصدر للإفتاء والتدريس في بغداد المحروسة، يلقب بالغوث الأعظم والباز الاشهب كراماته ممن أجمع أهل العلم على صحتها ونقلت متواترة، يقصد الناس قبره الشريف للتبرك وطلب الحاجات، توفي ودفن في مدرسته ببغداد وتسمى حضرته اليوم بالقادرية، له مؤلفات عديدة منها: (الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، والفتح الرباني، وفتح الغيب)[١].

٣٤- العرباض بن سارية رضي الله عنه: ت٧٥هـ

من أعيان أهل الصفة، سكن حمص، وروى أحاديث كثيرة، يكنى أبو نجيم[٢].

٣٥- عكرمة: ت١٠٥هـ

عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله موسى عبد الله بن عباس، تابعي، من أعلم الناس بالتفسير، طاف البلدان وروى عنه زهاء ٣٠٠ رجل، توفي في المدينة المنورة[٣].

٣٦- عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ت١٠١هـ

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص الخليفة الصالح والملك العادل، ولد ونشأ في المدينة المنورة، ولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ، مدة خلافته سنتان ونصف، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة[٤].

---

(١) الاعلام: ٤/٤٧.
(٢) سيد اعلام النبلاء: ٣/٤١٩.
(٣) الاعلام: ٤/٢٤٤.
(٤) المصدر نفسه: ٥/٥٠.

٣٧- قتادة بن دعامة: ت١١٨هـ

قتادة بن جعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السودسي البصري، مفسر حافظ ضرير أكمه، قال الإمام أحمد: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث رأساً بالعربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب[١].

٣٨- موسى الكاظم بن جعفر الصادق: ت١٨٣هـ

الإمام موسى بن جعفر بن محمد الباقر، يكنى بأبي الحسن، من سادات بني هاشم يلقب بالكاظم لصبره وتحمله الأذى، من أعبد أهل زمانه وأحد كبار العلماء الأجواد، ولد في الأبواء قرب المدينة المنورة وسكن المدينة فأقدمه المهدي العباسي إلى بغداد دار السلام، ثم رده إلى المدينة، وبلغ الرشيد أن الناس يبايعون الكاظم فيها، فلما حج مر بها فاحتمله معه إلى البصرة ثم نقله إلى بغداد فتوفي فيها سجينا، بابه لقضاء الحوائج وقبره يزار وعنده تحصل البركات[٢].

٣٩- النسفي: ت٥٣٧هـ

عمر بن محمد بن أحمد بن أحمد بن إسماعيل بن حفص، نجم الدين النسفي عالم بالتفسير والأدب والتاريخ، من فقهاء الحنفية، ولد بنسف وإليها نسبته، وتوفي بسمرقند، قيل له نحو مئة مصنف منها: (الأكمل الأطول، وتفسير في التفسير، والمواقيت، ونظم الجامع الصغير وغيرها)[٣].

---

(١) المصدر نفسه: ٥/ ١٨٩.
(٢) المصدر نفسه: ٧/ ٣٢١.
(٣) الأعلام: ٥/ ٦٠.

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله، المطبعة المنيرية، ط١، القاهرة، مصر سنة ١٣٤٨هـ.
- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للعلامة مرتضى الزبيدي، دار الفكر، بالاوفسيت عن الأولى.
- الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية، للعلامة محمد المدني بتصحيح محمود أمين النواوي، ط١، دار الكتب.
- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ت٩١١هـ، مصورة دار الندوة الجديدة، بيروت.
- إثبات عذاب القبر للعلامة البيهقي، ت٤٥٨هـ، تحقيق د. شرف القضاة، دار الفرقان، ط١، عمان، الاردن، سنة ١٩٩٢م.
- إحقاق الحق، لنور الله التستري، المطبعة النضرية في النجف، العراق، سنة ١٢٧٣هـ، وهي طبعة حجرية منسوخة بخط يد أبي القاسم الخوانساري.
- أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية، تأليف نعمان عبد الرزاق السامرائي، رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية، مقدمة إلى معهد الدراسات الإسلامية، جامعة بغداد، سنة ١٩٦٦م.
- إحياء الشريعة في مذهب الشيعة، للخالصي، طبعه منسوخة، طبعة قم، طهران - ايران.

- إحياء علوم الدين، للإمام حجة الإسلام الغزالي، وبذيله المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الآثار، للعلامة الحافظ العراقي، ت٨٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت عن طبعة البابي الحلبي، و ط٣ في دار العلم، بيروت - لبنان.

- الأذكار، للإمام النووي، ت٦٧٦هـ، ط١، دار الفكر، بيروت.

- آراء الخوارج، تأليف د. عمار الطالبي، الناشر: دار المكتب المصري الحديث بالاسكندرية، ط١، سنة ١٩٨٥م.

- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للإمام الجويني، ت ٤٧٨هـ، تحقيق أسعد تميم، ط١، دار الثقافة - بيروت، ١٩٨٥م.

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، تأليف أبي العباس شهاب الدين القسطلاني ت ٩٢٣هـ، وبهامشه متن صحيح مسلم بشرح النووي، مطبعة الأميرية بولاق، مصر، ط٦، سنة ١٣٠٤هـ.

- أركان الإيمان، للشيخ وهبي سليمان، ط٣، مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٤م.

- أساس البلاغة، تأليف الإمام جار الله الزمخشري، ت ٥٣٨هـ، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، سنة ١٩٧٩م.

- الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، تأليف الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان، ط٥، مكة المكرمة، سنة ١٩٧٤م.

- الأساس في التفسير، للشيخ العلامة سعيد حوى رحمه الله، دار السلام، مصر، ط١، سنة ١٩٨٥م.

- الأساس في السنة، للشيخ العلامة سعيد حوى رحمه الله، دار السلام، مصر، ط١، سنة ١٩٨٩م.

- الاستقامة لابن تيمية، من مطبوعات جامعة محمد بن سعود، الرياض، السعودية، ط١، سنة ١٣٩٩هـ.

- الأسماء والصفات، تأليف الحافظ البيهقي ت ٤٥٨هـ، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط١، سنة ١٩٨٤م.

- الإصابة في تمييز الصحابة، للعلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني، ط١، دار الفكر، بيروت - لبنان، ومطبعة النهضة، مصر، سنة ١٩٧١م.
- أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، تأليف الإمام أبي القاسم هبة الله اللالكائي ت ٤١٨هـ.
- أصول العقائد الإسلامية، تأليف عبد الله عرواني، ط٢، دار القلم، دمشق سنة ١٩٨٣م.
- أصول الدين، للعلامة الإمام عبد القاهر البغدادي ت ٤٢٩هـ، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٨١م.
- أصول الدين الإسلامي، تأليف: د. رشدي عليان و د. قحطان الدوري، ط٤، دار الحكمة، بغداد، سنة ١٩٩٠م.
- أصول الكافي، طبعة حجرية، طهران - ايران، سنة ١٣٥٤هـ.
- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، للعلامة الحافظ البيهقي، ت ٤٥٨هـ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٨٦م.
- إعداد الإنسان للآخرة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير تقدم بها حضرة الشيخ الدكتور سعد الله أحمد عارف إلى كلية العلوم الإسلامية، سنة ١٩٩٣م.
- إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه، دار صادر، بيروت، ط ١.
- الأعلام، للعلامة الزركلي، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٨٤م.
- إعلام بالغيب وإلهام بلا ريب، للشيخ عبد الكريم محمد المدرس، مطبعة الجاحظ، بغداد، سنة ١٩٩٢م.
- الاقتصاد في الاعتقاد، للإمام حجة الإسلام الغزالي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٨٨م.
- آكام المرجان في أحكام الجان، تأليف الشيخ بدر الدين عمر الشلبي

الحنفي، ت ٧٩٦هـ، ط١، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

- إكمال إكمال المعلم، لأبي عبد الله محمد بن خليفة الوشتاني الأبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- الله جل جلاله، للشيخ سعيد حوى رحمه الله، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- الأمالي الشجرية، لأبي السعادات هبة الله بن الشجري، ت ٥٤٢هـ، ط١، دار الكتب العلمية.

- آيات التقوى في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، تقدم بها حضرة الشيخ سعد الله أحمد عارف إلى كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد، سنة ١٩٩٧م.

- الإيضاح، للفضل بن شاذان الأزدي، منشورات الأعلمي، ط١، بيروت - لبنان، سنة ١٩٨٢م.

- الإيمان، للحافظ أبي بكر محمد بن أبي شيبة، ت ٣٢٥هـ، ط٢، المكتب الإسلامي، سنة ١٩٨٣م.

- الإيمان، لابن مندة، ت ٣٩٥هـ، تحقيق الدكتور علي بن محمد الفقيهي، ط١، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة صلى الله على ساكنها، سنة ١٩٨١م.

- الإيمان باليوم الآخر، تأليف أسعد محمد سعيد الصاغرجي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط١، جدة - السعودية، سنة ١٩٩٣م.

- الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، تأليف الشيخ عبد الله سراج الدين: ط١، جمعية التعليم الشرعية، حلب، سنة ١٩٧٧م.

- بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث، بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٣م، وطبع في مطبعة الكتب العلمية في طهران.

- البداية والنهاية، لابن كثير ت ٧٧٤هـ، تحقيق طه محمد الزيني، ط١، دار

النصر للطباعة، مصر.

- البدور السافرة في أمور الآخرة، للعلامة السيوطي ت ٩١١هـ، مخطوط في فلم رقم ٥٨٠ بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، نسخة مصورة منها.

- بردة المديح، للعلامة البوصيري، المكتبة الثقافية، بيروت، ط١، سنة ١٩٧٤م.

- البرهان في تفسير القرآن، لهاشم بن سليمان البحراني الحسيني، المطبعة العلمية، قم - طهران، ط٢، سنة ١٣٩٣هـ.

- البعث والنشور، للعلامة البيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، تحقيق عامر أحمد حيدر، ط١، بيروت، سنة ١٩٨٦م.

- بقي بن مخلد القرطبي ومقدمة مسنده، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط١، دار الكتب، المدينة المنورة، سنة ١٩٨٤م.

- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ، للشيخ منصور علي ناصف، دار الفكر، بيروت، ط ١.

- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تصوير دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

- التاريخ الصغير، للإمام البخاري، مطبعة حيدر آباد الدكن - الهند، ط١، سنة ١٣٦١هـ.

- تاريخ الطبري، المسمى تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، تحقيق محمد أبو الفضل، ط٥، دار المعرفة، مصر، سنة ١٩٨٦م.

- تاريخ الفرق المعاصرة ومذاهبها، تأليف الدسوقي الملاح، ط١، سنة ١٩٥٥م، مطابع دار الكتاب العربي، مصر.

- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري، ط١، الكتاب العربي، بيروت.

- تبيين كذب المفتري فيما نسب للإمام أبي الحسن الأشعري، للعلامة ابن

عساكر الدمشقي، ت ٣٥٧هـ، مطبعة التوفيق سنة ١٣٤٧هـ.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للإمام الحافظ أبي العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ت ١٣٥٣هـ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط٢، سنة ١٩٦٧م.

- التخويف من النار والتعريف بحال أهل البوار، للحافظ أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ت ٧٩٥هـ، مكتبة دار البيان، ط١، سنة ١٩٧٩م، دمشق - سوريا.

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله القرطبي، ت ٦٧١هـ، دار ابن زيدون، بيروت، مكتبة مدبولي القاهرة، وطبعه المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

- تذكرة الحافظ، للإمام الذهبي، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

- ترتيب المدارك، للقاضي عياض، منشورات، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ط ١.

- الترغيب والترهيب في الحديث الشريف، تأليف العلامة الحافظ زكي الدين المنذري، ت ٦٥٦هـ، تعليق محمد عمارة، ط٣، سنة ١٣٨٨هـ، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- تسلية أهل المصائب، لابن رجب الحنبلي، ط١، مطبعة الحلبي، مصر، القاهرة.

- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد الغرناطي، ت ٧٤١هـ، الدار العربية للكتاب.

- تفسير ابن أبي حاتم تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ت ٣٢٧هـ، مخطوطة في المكتبة المحمودية في المدينة المنورة مصورة من خزانة الشيخ صبحي السامرائي.

- تفسير أبي السعود، مطبوع بهامش الإمام الرازي، ط١، دار الفكر، بيروت.
- تفسير الآلوسي، المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفضل محمود الآلوسي، ت ١٢٧٠هـ، دار الفكر عن الطبعة المنيرية.
- تفسير البحر المحيط، المسمى بالتفسير الكبير للعلامة الحافظ ابن حيان الأندلسي، ت ٧٥٤هـ، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.
- تفسير البروسوي، المسمى تفسير روح البيان للإمام الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، ت ١١٣٧هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ١.
- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف الإمام القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله البيضاوي، ت ٧٩١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٨م.
- تفسير الجلالين، للعلامة جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، ط٣، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٩٨٣م.
- تفسير الخازن، تفسير القرآن الجليل، والمسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف العلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي، المعروف بالخازن، ت ٧٢٥هـ، ط١، دار المعرفة، بيروت.
- تفسير الصافي، لمحسن الفيض الكاشاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، سنة ١٩٧٩م.
- تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تفسير القرآن، تأليف الإمام الكبير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، دار الحديث، القاهرة، سنة ١٩٨٧م.
- تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ت ٧٧٤هـ، دار المعرفة، بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٠م.
- تفسير القرطبي، المسمى الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت ٦٧١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، وحققه أحمد عبد العليم البيروني.

- تفسير الرازي، المسمى التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ت ٦٠٦هـ، ط٣، دار التراث العربي، بيروت - لبنان.
- تفسير الماوردي، المسمى بالنكت والعيون، للعلامة الإمام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، ت ٤٥٠هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٢م.
- تفسير مجاهد، للإمام أبي الحجاج مجاهد بن جبير المخزومي رضي الله عنه، حققه عبد الرحمن الظاهر، المنشورات العلمية، ط١، بيروت.
- تفسير المنار، المسمى بتفسير القرآن الحكيم، تأليف محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط ٢.
- تفسير النسفي، للعلامة أبي البركات عبد الله بن محمد النسفي، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت.
- تقريب التهذيب، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب - سوريا، ط١، سنة ١٤٠٦هـ.
- تكملة شرح الصدور، تأليف محمد أمين بن محمد البرديسي، نسخه مصورة عن مخطوط في مكتبة الأنصار - المدينة المنورة.
- التمهيد، لابن عبد البر، طبعة وزارة الأوقاف بالمغرب العربي، ط ١.
- تنقيح المقال في علم الرجال، لعبد الله المامقاني، طبعة حجرية منسوخة بخط اليد، يقع في ثلاثة مجلدات كبار، مكتبة الأنصار.
- تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، للشيخ العارف بالله محمد أمين الكردي الأربيلي الشافعي، ط١، سنة ١٣٨٤هـ.
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، صححه وحققه: محمد الصادق قمحاوي - عبد الحفيظ محمد عيسى، دار الأنوار المحمدية للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م.
- التوحيد، للعلامة النرنداني، طبعة مكتبة المثنى، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
- التوهم، للعلامة الشيخ الحارث المحاسبي، مطبعة لجنة التأليف والنشر،

مصر، القاهرة، ط١، سنة ١٩٣٧م.

- تهذيب التهذيب، للعلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد - الدكن - الهند، ط١، سنة ١٣٤٧هـ.

- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد الأزهري، ت ٧٣٠هـ، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط١.

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، تأليف مجد الدين أبي السعادات الجزري، ت ٦٠٦هـ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط١، سنة ١٩٧٢م.

- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، للإمام جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، ط١، دار الفكر، سنة ١٩٨١م، بيروت - لبنان.

- جلاء الأفهام شرح عقيدة العوام، تأليف الدكتور العلامة السيد محمد علوي المالكي المكي فوجون، اندونيسيا، ط١، سنة ١٤١٦هـ.

- جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي، تأليف خالد العلي، منشورات المكتبة الأهلية لصاحبها شمس الدين الحيدري، مطبعة الرشاد، بغداد، سنة ١٩٦٥م.

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف السيد أحمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، سنة ١٩٦٠م.

- حاشية العلامة الخيالي على شرح النسفية للتفتازاني، مطبعة المثنى، اوفسيت.

- حاشية الدواني على العضدية، مطابع عثمانية، سنة ١٣١٦هـ.

- حاشية رمضان أفندي على شرح النسفية للتفتازاني، مطبعة المثنى اوفسيت.

- حاشية الشيخ علي زاده على تفسير البيضاوي، دار الطباعة الباهرة، ط١، مصر سنة ١٢٦٣هـ.

- حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، للعلامة أحمد الصاوي المالكي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، دون ذكر سنة الطبع والطبعة.
- حاشية العلامة الكلنبوي على شرح الدواني الصديقي على المواقف للعلامة الإيجي، مطابع عثمانية سنة ١٣١٦هـ.
- الحاوي للفتاوي، للإمام الحافظ السيوطي، دار الكتب العلمية سنة ١٩٨٨م عن الطبعة الأميرية سنة ١٣٥٢هـ.
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للإمام أبي القاسم إسماعيل بن الفضل الأصبهاني، ت ٥٣٥هـ، تحقيق د. محمد ربيع، ط١، المكتبة السلفية.
- الحرية الجامعية، تأليف الدكتور حضرة الشيخ عبد الله مصطفى بن أبي بكر رضي الله عنه، ط١، مطابع التعليم العالي، الموصل، سنة ١٩٨٩م.
- حقيقة عذاب القبر، لمؤلفه جواد موسى عفانه، عمان - الأردن، ط١، سنة ١٩٩٧م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ت ٤٣٠هـ، ط١، المكتبة السلفية.
- حياة البرزخ في الفكر الإسلامي، رسالة ماجستير في أصول الدين، كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد، مقدمة من الباحث عام ١٩٩٨.
- الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار، تأليف د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، ط٢، جدة - الرياض، سنة ٢٠٠٠م.
- خصائص الأمة المحمدية، تأليف الدكتور الشيخ السيد محمد علوي المالكي المكي، ط١، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مكة المكرمة سنة ١٩٩٩م.
- الدر المنثور في التفسير المأثور، للإمام جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، ط١، سنة ١٩٨٣م، دار الفكر، بيروت.

- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، لصدر الدين علي خان الشيرازي الحسيني، منشورات مكتبة بصيرتي قم - ايران، سنة ١٣٩٧هـ، قدم له محمد صادق بحر العلوم.

- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد، طبع جامعة محمد بن سعود، الرياض - السعودية، ط١، سنة ١٣٩٩هـ.

- دلائل النبوة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت ٤٥٨هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية.

- دلائل النبوة، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، ت ٤٠٣هـ، مكتبة النهضة، ط١، بغداد، سنة ١٩٨٣م.

- الرائد، تأليف جبران مسعود، ط١، دار الفكر، بيروت - لبنان.

- الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ، ط٢، مكتبة الروضة، القاهرة - مصر، سنة ١٣٩٩هـ.

- رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة، للشيخ كمال الدين الطائي، مطبعة سليمان الأعظمي، بغداد، ط١، سنة ١٩٧٢م.

- الروح، للإمام ابن القيم، دار العلوم، بيروت، مكتبة الشرق الجديدة، بغداد، ط١، سنة ١٩٨٥م.

- الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني، تحقيق محمد شكور محمود، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٨٥م.

- الروضة من الكافي للكليني، طبعة حجرية بخط اليد على هامش المجلد الرابع من مرآة العقول للمجلسي، طهران - ايران، سنة ١٣٥٤هـ.

- رياض الصالحين، للعلامة الحافظ الإمام النووي، ت ٦٧٦هـ، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، دار العلم الحديث، دمشق، ط٣، سنة ١٩٩٨م.

- زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن الجوزي، ت ٥٩٧هـ، ط١، المكتب الإسلامي للطباعة سنة ١٩٦٥م.

- الزهد، للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ت ٢٤١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الزهد والرقاق، للإمام عبد الله بن المبارك رضي الله عنه، ت ١٨١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- زوائد الزهد، للإمام عبد الله بن المبارك، ملحق بكتاب الزهد، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- سنن ابن ماجه، ت ٢٧٥م، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، سنة ١٩٥٢م، عن طبعة عيسى البابي الحلبي.

- سنن أبي داود، ت ٢٧٥هـ، للحافظ أبي داود سليمان السجستاني، مطبعة البابي، مصر، ط١، سنة ١٩٥٢م.

- سنن الترمذي، المسمى الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد الترمذي، ت ٢٧٩هـ، تحقيق أحمد شاكر، ط١، سنة ١٩٣٧م، وتحقيق الجزء الخامس الأستاذ إبراهيم عطوة، ط٢، سنة ١٩٧٥م.

- سنن الدارقطني، للإمام علي بن عمر الدارقطني، عالم الكتب، ط٢، بيروت، سنة ١٩٨٢م.

- سنن الدرامي، نشرته دار إحياء السنة النبوية التابعة لدار الكتب العلمية، بيروت.

- السنن الكبرى، للإمام الحافظ البيهقي، ت ٤٥٨هـ، دار الفكر عن الطبعة الأولى، بيروت.

- سنن النسائي، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب - سوريا، مصورة عن الطبعة الأولى المصرية، سنة ١٩٣٠م، طبعة أولى مفهرسة.

- السنة لابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، تحقيق محمد الألباني، ط١، سنة ١٤٠٠هـ.

- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، تأليف مصطفى السباعي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

- كتاب سيدنا محمد رسول الله ﷺ شمائله الحميدة، بقلم عبد الله سراج الدين، توزيع جمعية التعليم الشرعي، حلب، ط٢، سنة ١٩٧٨م.

- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط١، سنة ١٩٨١م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- السيرة النبوية، لابن هشام، ط٢، سنة ١٩٥٥م، مطبعة مصطفى البابي، مصر.

- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ت ٤١٥هـ، تعليق الإمام أحمد بن الحسين، حققه: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبه، ط١، سنة ١٩٦٥م.

- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، سنة ١٩٧٩م.

- شرح ثلاثيات المسند للإمام أحمد، تأليف العلامة محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، ط٣، سنة ١٣٩٩هـ، بيروت.

- شرح جوهرة التوحيد، للعلامة الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المسماة: تحفة المريد، تأليف العلامة إبراهيم بن محمد الباجوري، ط١، سنة ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية.

- شرح الروضة، للمجلسي، طهران، ط٣، سنة ١٣٨٨هـ.

- شرح السنة، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، ت ٥١٦هـ، المكتب الإسلامي، ط١، سنة ١٩٨٣م، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

- شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، ط٤، سنة ١٣٩١هـ، المكتب الإسلامي.

- شرح العقائد النسفية للتفتازاني، ت ٧٩٣هـ، طبعة بالأوفسيت، مكتبة المثنى بغداد.

- شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف محمد خليل هراس، ط٣، الناشر: محمد الكتبي، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

- شرح الفقه الأكبر، للملأ علي القاري، ت ١٠٠هـ، مطبعة التقدم، مصر، ط١، ١٣٢٣هـ.
- شرح المقاصد، للإمام مسعود بن عمر الشهير بسعد الدين التفتازاني، ت ٧٩٣هـ، تحقيق د. عبد الرحمن عميره، عالم الكتب، ط١، بيروت.
- شرح المواقف، للسيد الشريف العلامة محمد الجرجاني، ت ٨١٦هـ، دار الطباعة العامرة.
- شرح النسفية للسعدي، تأليف الشيخ عبد الملك السعدي، بغداد، ط١، سنة ١٩٩٠م.
- شرح نهج البلاغة، لعبد الحميد بن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٦٧م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- الشريعة للآجري، محمد بن حسين الآجري، تحقيق محمد حامد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٨٣م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض الأندلسي، ت ٥٤٤هـ، تحقيق: أسامة الرفاعي وزملائه، مكتبة الفارابي ومؤسسه علوم القرآن، ط ١.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، سنة ١٩٨٢م.
- صحيح ابن حبان: لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، ت ٣٥٤هـ، تحقيق محمد عبد الرزاق، ط١، السلفية، القاهرة.
- صحيح الإمام البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، طبعه بالأوفست عن طبعة دار الطباعة باستنبول، دار الفكر.
- صحيح الإمام مسلم وبهامشه شرح الإمام النووي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، وطبعه دار الشعب، ط، مصر - القاهرة.
- صفوة البيان لمعاني القرآن، للشيخ حسنين محمد مخلوف، ط٣، الكويت.
- صفوة التفاسير، للعلامة الشيخ محمد علي الصابوني، ط٥، سنة ١٩٨٦م،

دار القلم، بيروت.
- طبقات الشافعية للإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، ت ٧٧٢هـ، تحقيق عبد الله الجبوري، طبعة مكتب الإرشاد، بغداد، ط١، ١٩٧١م.
- طبقات الشافعية للحسيني، أبي بكر بن هداية الله، ت ١٠١٤هـ، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديد، ط٢، بيروت، ١٩٧٩م.
- طبقات المعتزلة، لأحمد بن يحيى المعتزلي الزيدي، المشهور بابن المرتضى، تحقيق: دفيد فلزر، ط١، سنة ١٩٦١م، بيروت.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، مطبعة دار صادر، ط١، بيروت، سنة ١٩٥٧م.
- عالم الجن والشياطين، تأليف: د. عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، ط٣، سنة ١٩٨٣م.
- العبر في خبر من غبر، للإمام الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، ط١، الكويت، سنة ١٩٦٠م.
- العقائد الإسلامية، تأليف السيد سابق، الناشر، دار الكتاب العربي، بيروت.
- عقائد السلف، تأليف: د. علي سامي النشار، نشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، سنة ١٩٧١م.
- العقائد النسفية، تأليف الإمام أبي حفص عمر بن محمد النسفي، اعادت طبعه بالاوفسيت مكتبة المثنى، بغداد.
- عقيدتك يا ولدي، الشيخ محمود غريب، مطبعة النهضة، بغداد، سنة ١٩٧٩م.
- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، ط١، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- عوارف المعارف، للعلامة عمر السهروردي المطبوع في ج الخامس من كتاب إحياء علوم الدين، دار المعرفة، ط١، بيروت.
- غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول، للشيخ منصور علي ناصيف، دار الفكر، بيروت، بغداد، ط٤، سنة ١٩٧٥م.

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للعلامة النيسابوري، ط١، دار الفكر، بيروت.
- الغنية لطالبي الحق في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية، للشيخ العلامة مولانا عبد القادر الكيلاني الحسني، ت ٥٦١هـ، ط٣، سنة ١٩٥٦م، مكتبة البابي، مصر.
- الغيبية، لمحمد بن إبراهيم النعماني، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ط١، سنة ١٩٨٣م.
- الفتاوى الحموية الكبرى، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، ت٧٢٨هـ، ط١، الرياض.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، مكتبة الرياض الحديثة، البطحاء - الرياض.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت ١٢٥٠هـ، ط١، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، للإمام السيوطي، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى.
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الحنفية، تأليف سليمان بن عمر العجيلي الشافعي، الشهير بالجمل، ت ١٢٠٤هـ، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
- الفرق بين الفرق، تأليف: الإمام عبد القاهر البغدادي، ت ٤٣٩هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الفصل في الملل والاهواء والنحل، تصنيف الإمام أبي محمد بن حزم الأندلسي، ت ٤٥٦هـ، المطبعة الأدبية، ط١، ١٣٢٠هـ.
- فضل الصلاة على النبي ﷺ للقاضي إسماعيل، دار صادر، بيروت.
- في ظلال القرآن، تأليف سيد قطب، المطبعة الشرعية، ط٩، سنة ١٩٨٠،

دار الشروق، بيروت.

- القاموس المحيط، تأليف مجد الدين محمد الفيروز آبادي، ط٢، سنة ١٩٥٢م، مطبعة ومكتبة البابي، القاهرة، مصر.

- قرة العيون في المعارف والحكم، للفيض الكاشاني، نشر مكتبة الفين، الكويت، ط٢، سنة ١٣٩٩هـ.

- القصيدة النونية، للإمام ابن القيم، واسمها الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، دار المعرفة، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٠م.

- قطف الأزهار المتناثرة في الاخبار المتواترة، للعلامة جلال الدين السيوطي، تحقيق الشيخ خليل الميس، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٨٥م.

- الكافي، للكليني، طهران، ط٣، سنة ١٣٨٨هـ.

- الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، ط١، دار الفكر، بيروت، سنة ١٩٨٤م، تحقيق لجنة من المختصين.

- كبرى اليقينيات الكونية، للدكتور محمد سعيد البوطي، دار الفكر، دمشق - سوريا، سنة ١٩٩٩م.

- كشاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، ت ١٠٥١هـ، مكتبة النصر الحديثه، الرياض، ط ١.

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، للشيخ إسماعيل العجلوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، للحافظ نور الدين الهيثمي، ت٨٠٧هـ، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٩٧٩م.

- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني، ط١، المطبعة البهية المصرية، سنة ١٣٥٦هـ.

- اللآلي البهية في شرح لامية ابن تيمية، تأليف أحمد بن عبد الله المرداوي الحنبلي، ط١، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض.

- لباب البحث في شرح كتاب البعث لعبد الله بن أبي داود السجستاني، ت ٣١٦هـ، تأليف أبي الوفاء المراغي، ط١، مصر، مطابع السنة المحمدية.
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للإمام جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- لسان العرب، للعلامة أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، ط١، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٩٠م.
- لمعة الاعتقاد، تأليف الإمام الموفق ابن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي، ط٤، سنة ١٣٩٥هـ، بيروت.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الاثرية بشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية، تأليف العلامة الشيخ محمد السفاريني الأثري الحنبلي.
- اللؤلؤ والمرجان: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، مكة المكرمة.
- مجمع الأشتات، للدكتور حضرة الشيخ عبد الله بن مصطفى النقشبندي، ط١، مطابع التعليم العالي، الموصل، ١٩٩٠م.
- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد النيسابوري، ت ٥١٨هـ، تحقيق محمد محيي عبد الحميد، المحمدية، ط١، سنة ١٩٥٥م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل الطبرسي، مطبعة العرفان، لبنان، سنة ١٣٣٣هـ، ونشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم - إيران، سنة ١٤٠٣هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي، ت ٨٠٧هـ، الناشر مكتبة القدسي بالقاهرة، سنة ١٣٥٢هـ.
- مجموع فتاوي ابن تيمية، مصوره عن الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ، ترتيب عبد الرحمن قاسم، الرياض.
- محمد الإنسان الكامل، تأليف السيد محمد بن علوي المالكي، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ.
- مختار الصحاح، تأليف محمد بن أبي بكر الرازي، ت ٦٦٦هـ، دار الرسالة،

الكويت، ط١، سنة ١٩٨٣م.

- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، وهو شرح الكتاب الأصول والفروع والروضة من الكافي، تأليف، محمد باقر المجلسي، طبعة حجرية، مكتوبة بخط اليد سنة ١٣٥٤هـ، طهران.
- مراصد الاطلاع، لصفي الدين البغدادي، طبعة عيسى البابي الحلبي، مصر سنة ١٩٥٤م.
- مرويات الصحابة في الحوض والكوثر، جمع وتعليق عبد القادر عطا، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، سنة ١٤١٣هـ.
- المسامرة للكمال ابن أبي شريف في شرح المسايرة للكمال ابن الهمام في علم الكلام، مطبعة السعادة في مصر، ط٢، سنة ١٣٤٧هـ.
- المستصفى في علم الأصول، للإمام الغزالي، ط١، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، سنة ١٣٢٢هـ.
- المستدرك على الصحيحين في الحديث، للحافظ الحاكم النيسابوري، ت ٤٠٥هـ، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- مسند لأبي داود الطيالسي، ط١، دار الكتب اللبناني، بيروت، سنة ١٣١٣هـ.
- مسند أبي عوانه، للإمام يعقوب بن إسحاق الاسفرائيني، ت ٣١٦هـ، دار المعرفة، ط١، عن الهندية، بيروت، سنة ١٣٦٢هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال، للعلامة حسام الدين المتقي، ط٢، سنة ١٩٧٨م، المكتب الإسلامي للطباعة، بيروت.
- مشارق أنوار العقول، لابن الدباغ، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٥٩م.
- مشاهد يوم القيامة، تأليف سيد قطب، ط١، مكتبة القرآن الجديدة، بيروت، سنة ١٩٨٠م.
- مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق الألباني،

المكتب الإسلامي، ط١، سنة ١٩٧٩م.

ـ المصباح المنير، للعلامة أحمد بن محمد الفيومي، ت ٧٧٠هـ، دار القلم، ط١، بيروت.

ـ المصنف للحافظ أبي بكر عبد الرزاق الصفاني، ت ٢١١هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة، بيروت.

ـ المصنف لابن أبي شيبة، طبع ونشر الدار السلفية، ط١، بومباي الهند.

ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، للحافظ ابن حجر، تحقيق حبيب عبد الرحمن الأعظمي، دار المعرفة، بيروت.

ـ معالم التنزيل، المسمى تفسير البغوي، للإمام أبي محمد حسين القرار البغوي، ت ٥١٦هـ، تحقيق: خالد عبد الرحمن، دار المعرفة، ط٣، بيروت.

ـ معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي، تأليف حضرة الشيخ الدكتور عبد الله مصطفى النقشبندي، ط١، عمان، المكتبة الوطنية، سنة ١٩٩٣.

ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ت ١٣٧٧هـ، من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، المملكة العربية الإسلامية.

ـ المعتقد الإيماني على عقيدة الإمام الشيباني، لأبي البقاء الأحمدي الشافعي، مطبعة شفيق، بغداد، سنة ١٩٦٩م.

ـ المعجم الأوسط، للحافظ الطبراني، تحقيق: د. محمود الطحان، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٥م.

ـ معجم البلدان، لياقوت الحموي، تصوير دار صادر، بيروت.

ـ المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان الطبراني، ت ٢٦٠هـ، مطبعة الوطن العربي، ط١، سنة ١٩٧٩م.

ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، مطابع الشعب، مصر.

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف، لطائفة من المستشرقين، مطبعة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٤٣م.

- المغرب في ترتيب المعرب، تآليف الإمام أبي الفتح المطرازي، ت ٦١٠هـ، تحقيق محمود فاخوري، مكتبة أسامة بن زيد، حلب - سوريا، ط١، سنة ١٩٧٩م.

- المغني في العدل والتوحيد، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، تحقيق: د. أحمد فؤاد، المؤسسة المصرية، مطبعة مصر، القاهرة، ط١، سنة ١٩٦٢م.

- المغني في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة المقدسي، دار الفكر، ط١، سنة ١٩٨٥م.

- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، تأليف الإمام الحافظ السيوطي، ط٣، مطابع الرشيد في المدينة المنورة، سنة ١٩٧٩م.

- المفردات في غريب القرآن للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، دار المعرفة، ط١، بيروت.

- المفصح في الإمامة، لمحمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين، قم - ايران.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تأليف الأشعري، ت ٣٣٠هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، سنة ١٩٦٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد الشهرستاني، ت ٥٤٨هـ، تحقيق محمد الكيلاني، البابي، مصر، ط١، سنة ١٩٦٧م.

- المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم، ت ٧٥١هـ، تحقيق أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب - يورسا، سنة ١٩٨٢م.

- مناقب آل أبي طالب، لمحمد علي بن شهر أشوب، المطبعة العلمية، قم - ايران، مؤسسة انتشارات علامة.

- منظومة عقيدة العوام، تأليف العلامة السيد أحمد المرزوقي المالكي المكي،

مطبعة فوجون أندونيسيا، ط١، سنة ١٤٢٠هـ.

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، لابن تيمية، مكتبة الرياض الحديثة، ط١، السعودية - الرياض.

- موارد الظمان إلى زوائد ابن حيان، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

- مواضع الاقتران بين اسم الله تعالى واسم الرسول ﷺ، رسالة دكتوراه، تقدم بها الدكتور عبدو الحام علي الحريري إلى جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين عام ١٩٩٩م.

- المواقف، تأليف عضد الدين عبد الرحمن الإيجي القاضي، ت ٧٥٦هـ، المكتبة القادرية، بغداد.

- موطأ الإمام مالك رحمه الله، منشورات الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٣م.

- النجم الزاهر، تأليف المرحوم نكتل كشمولة، المكتبة الوطنية، الموصل، ط٢، سنة ١٩٨٨م.

- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم الراضي، مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٩٨٤م، بيروت.

- النشر الطيب للعلامة أبي محمد الوزاني الملقب بالشيخ الطيب، مكتبة الأنصار، المدينة المنورة.

- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للإمام الكتاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، سنة ١٩٨٠م.

- نعيم الجنة في القرآن والسنة، تأليف عبد اللطيف عاشور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٠.

- نفحات الحياة، ديوان شعر معاصر، تأليف الدكتور حضرة الشيخ عبد الله مصطفى النقشبندي، شركة الفكر للطباعة، ط١، سنة ١٩٩٥، بغداد.

- نفحات قلب، ديوان شعر، تأليف وليد الأعظمي الخطاط، شركة الرشد

للطباعة والنشر، ط١، سنة ١٩٩٨، بغداد.

- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ﷺ، لأبي عبد الله محمد الحكيم الترمذي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، عن طبعة الشرقية، سنة ١٢٩٤هـ.
- نور الإسلام، تأليف الشيخ عبد الكريم المدرس المعروف عبد الكريم بياره، ط١، الدار العربية للطباعة، بغداد، سنة ١٩٨٨م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين ابن الجزري، ت ٦٠٦هـ، تحقيق طاهر أحمد الزواوي، المكتبة الإسلامية، ط١.
- نهاية الإقدام في علم الكلام، لعبد الكريم الشهرستاني، ت ٥٤٨هـ، صححه الفردجيوم.
- الوسيلة في شرح الفضيلة في علم أصول الدين، للعلامة السيد عبد الرحيم الكردي الملولوي، تأليف الشيخ عبد الكريم محمد المدرس، ط١، سنة ١٩٧٢م، مطبعة الارشاد، بغداد.
- الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، تأليف موسى جار الله، القاهرة، ط١، سنة ١٣٥٥هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن أبي بكر، المعروف بابن خلكان، تصوير دار الثقافة، بيروت، ط ١.
- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، للعلامة الشيخ عبد الوهاب الشعراني، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد الحنفي، شارع المشهد الحسيني، مصر.
- اليوم الأخير في ظلال القرآن، جمع أحمد فائز، ط٣، سنة ١٩٨٠م.
- يوم الفزع الأكبر، تأليف الإمام شمس الدين القرطبيات ٦٧١هـ، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، بولاق، القاهرة، ط١، سنة ١٩٨٧م.

انتهى

فهرس المحتويات

الفصل الثالث

الصراط جسر جهنم

الفصل الرابع

الميزان